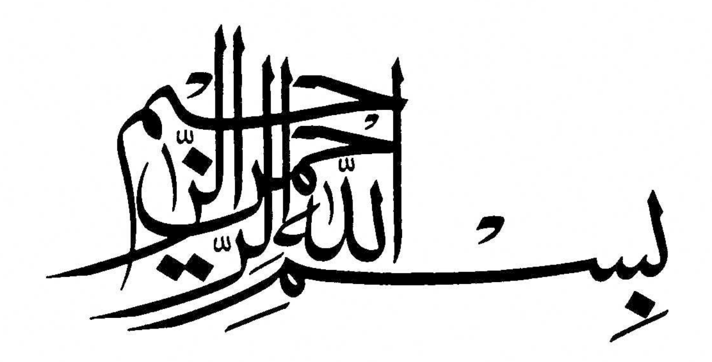
عَلامَاتُ أَهْلِ السِّرِّ

وَكُنُوزُ العَارِفِين

العارف الكامل صاحب الكرامات والعجائب

الشيخ حسن علي الأصفهاني قدس سره


بسم الله الرحمن الرحيم

العارف الكامل صاحب الكرامات والعجائب
الشيخ حسن علي الأصفهاني قدس سره

علامات أهل السرّ
وكنوز العارفين

حرّره وحقّقه نجله
الشيخ علي المقدادي الأصفهاني

تعريب:
السيد يوسف صفي الدين

عـلامات أهل السرّ

الشيخ حسن علي الأصفهاني

انتشارات فاروس

الناشر: فاروس
الكمية: ١٠٠٠ نسخة
الطبعة: الاولى
المطبعة: سرور
تاريخ الطبع: ٢٠٠٦ م . ١٤٢٧ هـ . ق
القطع و عدد الصفحات: وزيري ٦٠٨
شابك: ٩٦٤-٩٤٢٤٢-٨-٨
عنوان الناشر: ايران - قم - بلوار امين - فرع ٧ - رقم ٥
تلفون: ٢٩١٤١٧٤.

مقدمة الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ حسن علي الأصفهاني المعروف بالنخودكي من كبار العرفاء والزهاد وأصحاب الكرامات المشهورين الذين عاشوا في أواخر القرن الماضي إلى أواسط هذا القرن. ولعل الكرامات والعجائب المنقولة عنه والمشهورة بين العام والخاص قد بلغت في النوع والكم مرتبة لم يبلغها ما نقل عن أحد غيره من العلماء. وهو إيراني الأصل من أصفهان وقد تنقل ما بين النجف وكربلاء وأصفهان وأخيراً مدينة مشهد ومحيطها وقرية نخودك بشكل خاص والتي اشتهرت نسبته إليها. ومدفنه في مشهد في حرم الإمام الرضا عليه السلام عند مدخل الصحن المعروف بسقاخان (بيت السقاء) والذي هو مدخل الواردين إلى الحرم من جهة شارع طبرسي. وله منه هناك قصة ذكرها ابنه في ترجمة حياته كما ذكر تفاصيل وافية حول مراحل حياته كافة تقريباً.

ولقد كنا نسمع كراماته وقصصه من بعض أجلة العلماء مما أوردت عندنا حب التعرف أكثر إلى سيرته وأفكاره ومسلكه إلى أن صدر هذا الكتاب الذي كتبه ابنه حوله فجمع فيه ترجمة لحياة والده

وحياة أستاذه وبعض العرفاء ثم ذكر حوالي مئة قصة من كراماته مما عايشه بنفسه أو سمعه من الثقاة وقد كنا سمعنا بعضاً منها نحن أيضاً من بعض أجلة أهل المعرفة وكبارهم - إلى جانب رسائله وكتبه وأخيراً بعض بياناته ومواعظه وكتاباته حول مواضيع متعددة في العرفان والأخلاق والسلوك مما يشكل روضة في العرفان والأخلاق وخلاصة ممتعة لسيرة هذا العظيم وأفكاره ومسلكه. وكنت كلما توغلت في هذا الكتاب أكثر كلما لمست حجم الفوائد التي يحتويها واقتنعت بلزوم ترجمته إلى العربية أكثر.

هذا وقد واجهتني بعض المصاعب في انجاز هذا الأمر منها كثرة استشهاده بمقاطع كبيرة من الشعر الفارسي الذي يعرف أهل الفن صعوبة نقله إلى العربية بشكل دقيق مع المحافظة على رونقه فاضطررت في هذا المجال إلى حذف المقاطع الكبيرة منه مع الابقاء غالباً على الأبيات المتفرقة التي يستشهد بها في مواطن كثيرة كما وجدت كثيراً من الأخطاء أو عدم الدقة أحياناً في بعض النصوص العربية التي يستشهد بها فما وجدت أنه قد نقله بالمضمون أبقيته على حاله وسعيت في اصلاح الأخطاء بنحو ما. وبشكل عام فقد توخيت في هذه الترجمة الحفاظ على أصل عبارته ما أمكن.

وقد كان جامع الكتاب للشيخ علي مقدادي الأصفهاني قد ضم إليه حاشية مختصرة للمرحوم الشيخ على كتاب تذكرة المتقين للشيخ محمد البهاري الحمداني (ره) وبما أن لاحظنا أنه يصعب الاستفادة منها دون مراجعة الأصل فلم نقم بترجمتها خصوصاً وأن غالبيتها من الشعر الفارسي.

وأملي أن أكون قد قمت بمساهمة في نقل هذا الكتاب إلى العربية ولا أدعي أنها غاية ما يمكن كما لا أزعم الخلو من العيب

وإنما غاية الطموح هو أن أكون قد لفت القارىء الكريم إلى شخصية هذا الرجل العظيم ويسرت له الاستفادة من انتاجه ومنهجه.

المترجم

السيد يوسف صفي الدين

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه في الحديث القدسي: «يا موسى أريد وتريد وما كان إلا ما أريد».

في مدينة مشهد المقدسة قبل خمس وعشرين عاماً ولأول مرة صممت على جمع مطالب وكتابات المرحوم والدي. هذه المذكرات دوّن أغلبها نادرة عصره وحجة أهل زمانه والدي في منتصف الليالي، وبعضها كان لا يقرأ إلا بصعوبة بالغة. وصممت أيضاً على تهيئة ترجمة لحياته وسلوكه وطريقته وكراماته لتؤثر نفسه الطاهرة في النفوس القابلة والمستعدة للتزكية وتنير معالم الطريق للباحثين عنه.

وبعد ذلك انتقلت من مدينة مشهد المقدسة إلى طهران وسكنت في هذه الديار وتابعت سعيي السابق بمعاونة الصديق الفاضل المرحوم آقا سيد حسن فريد الاراكي رحمة الله عليه، ودونت العبارات غير المقروءة لتلك المذكرات بعد جهد وسيع وبمساعدة كتب المصادر ومعاجم اللغة.

ومضت سنوات وهذا الكتاب في زاوية من زوايا مكتبتي يغطيه الغبار حتى أصرّ عليّ في السنوات الأخيرة بعض الأصدقاء وأولئك الذين يكنّون لوالدي وآثاره الاحترام البالغ بطباعته، ووقع في خاطري أنه من الأفضل أن أترجم الآيات والروايات والنصوص العربية الأخرى إلى اللغة الفارسية، ليعم نفعها، ويستفيد منها أولئك الذين لا يجيدون اللغة العربية.

ولكن كثرة تردّد الناس عليّ سلب منّي فرصة انجاز هذا العمل. ولهذا السبب طلبت إلى صديقي العالم المحترم الدكتور علي أكبر الصادقي الذي لا أعرف نظيراً له في هذه الأيام أن يأخذ على عاتقه ترجمة تلك النصوص. وهو كما تقبل منّي سابقاً رجاء ترجمة الكتاب القيّم (فاطمة الزهراء سلام الله عليها) كذلك تقبّل وبرحابة صدر ما عرضته عليه، وأنجز العمل بتمامه جزاه الله خيراً. وأرجو كل من يطالع هذا الكتاب ويستفيد منه أن يهدي لروحه ثواباً يكون ذخيرة له.

ومضت فترة من الزمن والكتاب على حاله لم أقدّم خطوة لطبعه ونشره خوفاً من ضعيفي الإيمان وضيقي النظر أن يعترضوا على بعض فصوله. ولكن المرحوم الحاج آقا رحيم أرباب رغبني في طباعته وقال: «لماذا تفكر بالمعترضين فكر بأولئك الذين يقبلون تلك الحقائق ويضعونها موضع القبول فالقرآن أيضاً لم يلاحظ أهل الانكار» (ترجمة شعر) يقول الخصوم إن هذا الكلام غير جميل والشمس ليست مجرمة إذا كان الشخص أعمى.

وهب نسيم الأمل ووصل المدد الغيبي فأعطيت ما جمعته إلى صديقي المحترم الدكتور «لاشيء ياكنويس»، وباهتمام صديق آخر طبع على الآلة الكاتبة، وكان لي رجاء كبير أن لا يتأخر الكتاب في مرحلة الطبع وأن يكون في متناول أيدي القراء بأسرع وقت ممكن.

وتعرفت على الآقا أكبر زوّار مدير دار زوّار للطباعة والنشر بواسطة صديقي المحترم الآقا اسماعيل رزم آسا، وكنت متعلّقاً ومحبّاً له لطباعته ديوان الحاج ميرزا حبيب الخراساني قدّس سرّه. وقد تقبّل ومنذ اللقاء الأول معه أن يأخذ على عاتقه طبع الكتاب، وتابع العمل بإخلاص ونيّة طاهرة. وفي اللقاءات المتكررة معه بعد الاتفاق المذكور للمشاورة رأيت هذا البيت المشهور مناسباً له.

تعرف على الباطن ودع الظاهر فقليلون في العالم أولئك الذين هم طريقتهم بهذا الجمال.

ولكن بعد يومين من اتمام طباعة الكتاب ورجوع الكتاب لي لإلقاء نظرة أخيرة عليه انتقل إلى عالم الخلود والرحمة الإلهية الواسعة تاركاً أجواء الحزن مخيمة على أصدقائه. اسأل الله تعالى أن يجزل له العطاء وأن يحشره مع محبّي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، فاستجب يا ربّ دعاء المحزونين.

وفي الختام أشكر كل من شاركني في طباعة هذا الكتاب واذكر بالخصوص الأصدقاء المحترمين الحاج السيد محمد علي الشهرستاني.

والآقامحمود عادل مصحح الكتاب.

والله الغالب على أمره

علي المقدادي الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوب العارفين بنور معرفته وأثبت فؤاد أنبياءه وأولياءه بقصص الأنبياء والمرسلين وأكمل إيمان المسلمين والمؤمنين بولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام.

والصلاة والسلام على أشرف الموجودات محمد المصطفى المبعوث إلى الكائنات، وعلى روحه ونفسه وصهره ووصيّه سيّد الأتقياء والأصفياء مولى الموالين إمام المتقين علي ابن أبي طالب، وعلى أوصيائه سيّما صاحب العصر والزمان وخليفة الرحمن وإمام الإنس والجان وواسطة إيصال الوجود إلى الخلق من الملك المنان الحجة بن الحسن الهادي المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

بديهي لأهل البصيرة وسالكي طريق الحقيقة أنه بعد كلام الله سبحانه وكلام الأنبياء العظام والأئمة الهداة عليهم السلام ـ الذي هو شفاء القلوب العليلة ورجاء أفئدة العبّاد والزهّاد ـ لا كلام أعزّ وأجلّ من كلام العلماء العاملين والعرفاء الإلهيين وتراجم سيرهم، فإنه يزكي النفوس من أدران عالم المادة ويكون أساساً لترغيب وتثبيت الباحثين عن طريق المعرفة ﴿**وكلاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به**

فؤادك﴾[١]، ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾[٢] وقال العظماء: «حديث أولياء الله سوط أهل السلوك».

وبعد ففرض على أهل الصلاح أن ينهلوا من فيض ساقية النور والحكمة لكلام الله تعالى، وكذلك من كلام ومجاهدات أهل الحق. ويواظبون في كل فجر يوم جديد على تلاوة آيات من القرآن الحكيم، ويطالعوا بدقّة أحاديث الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله والروايات المأثورة عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، ويتصفحوا بتدبر بعض الأوراق عن حياة وسيرة وكرامات وتوجيهات أعلام الدين ليتحرروا من حبائل وساوس الشيطان ويسلسوا القياد للصراط المستقيم لينجوا من الهلكات.

وفي هذا الزمان الذي تكثفت فيه التوجهات المادية والإنشداد إلى الصور الجسمانية نرى أنّ أغلب أفراد البشر غفلوا عن الحق إلى درجة أن قسماً منهم بسبب إنهماكهم في الشهوات والغفلة عن ذكر الله تعالى أنكروا كثيراً من أسس الأحكام الدينية وعوالم ما وراء الطبيعة. ويجب على كل فرد مسلم تنبيه الغافلين وتعليم الجاهلين وتشجيع العاملين ما استطاع إلى ذلك سبيلا، كما قاله الله تبارك وتعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[٣] وللجهات المذكورة أنا العبد الضعيف، تراب اقدام العلماء العاملين. ومحبّ العرفاء المتشرعين نجم الدين علي بن حسن علي الأصفهاني أرى لزاماً على نفسي مع بضاعتي المزجاة انتخاب وتدوين وجمع بعض أقوال ومذكرات وكرامات والدي المحترم وأستاذي

---

(١) هود/ ١٢٠.
(٢) يوسف/ ١١١.
(٣) النحل/ ١٢٥.

العزيز العالم الرباني والعارف الصمداني المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني رضوان الله عليه ليكون انموذجاً ومنعطفاً وعظة وترغيباً لطالبي وسالكي طريق الله تبارك وتعالى ﴿فبهداهم اقتده﴾[1].

وعندئذٍ شجعني كثير من محبي آثار ذلك الرجل الجليل القدر وخصوصاً أولئك الذين لم يحظوا بمعاشرته ولكنهم كانوا مشتاقين للاطلاع على سيرته وسلوكه.

وحيث أن الرجل يُعرف بمنطقه، وبقول أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه» و «يُعرف المرء من فلتات لسانه» وقيل أيضاً:

تلـــك آثـــارنـــا تـــدل علينـــا
فـــانظـــروا بعـــدنـــا إلـــى الآثـــار

لهذا فقد صممت على تنظيم ما كتبه المرحوم والدي بخطه، سواء ما كان كتبه من عند نفسه أو ما قد انتخبه من مواضيع الآخرين، وأقواله وكراماته التي رأيتها أو سمعتها وترتيبها على شكل كتاب لتكون في متناول الراغبين.

ولكن تقدير الربّ المتعال أراد أمراً آخراً، إذ حزمت أمتعتي مهاجراً عن مجاورة المرقد المنوّر للسلطان علي بن موسى الرضا عليهما السلام مع بالغ الأسف والحسرة. وألقيت رحلي في أصفهان واتخذت منها محلاً للسكن ولم تتيسر لي في هذه المدينة فرص التوفيق للعمل بهذا الكتاب.

وبعد فترة من الزمن انتقلت إلى طهران وبرعاية الله وعونه تيسرت لي فرصة تأليف هذا السفر القيّم.

---

(١) الأنعام/ ٩٠.

ونظراً لقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري» وقد بيّن إمام الموحّدين وأمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة المتقين علاماتهم وأوصافهم، ولأن هذا الكتاب هو قبسة من نور بيانات الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، لذا سميّت هذا الكتاب (علامات عن المجهولين في الأرض)[1].

وأرجو أن تكون مطالعة هذا الكتاب سبباً لطلب الرحمة لهذا العالم العابد وموجباً للصفح والمغفرة لمؤلفه، والعفو عمّا يمكن أن يكون في الكتاب من الهفوات الناشئة عن قلّة باعي في التأليف والتصنيف وأن يغضوا عنها أبصارهم.

ولكن أنجزت هذا العمل برجاء أن ينتفع به أهل القلوب وأن يزيحوا عنها أغشية الغفلة ﴿**فذكّر إن نفعت الذكرى**﴾[2] وبرجاء أن ينزل في فناء الناحية المقدسة لبقيّة الله صاحب الزمان سلطان العارفين الحجة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشريف منزلاً مباركاً، وأن يتقبّله بقبول حسن كما تُقُبل خيط من غزل تلك المرأة العجوز من بني باعة يوسف.

وهنا أرى لزاماً عليّ أن أذكر بعض الملاحظات لأجل تنبيه القرّاء الأعزاء أكثر إلى هذا الكتاب:

أولها: ان ترتيب وتأليف هذا الكتاب كان على أساس إفادة الطالبين والباحثين فقط. ولكن قد ينتفع بمطالعته أصحاب القلوب أيضاً بعون الله تعالى وعنايته وأن يكون مرشداً لهم في مطبّات

---

(١) هذه الترجمة شبه الحرفية لعنوان الكتاب.
(٢) الأعلى/ ٩.

الطريق. هذا أولاً. وثانياً: إن هذا الرجل الروحاني كان حذراً في أيام حياته من كل ألوان التظاهر والرياء، وكان في جواب الذين يسألونه عن علّة هذه الآثار العجيبة هل هي من الدعاء أو الدواء أو من عند نفسه؟ يقول: أولاً هذه الآثار هي من بركة أستاذي ومن لطف ويُمن العظماء الذين تشرّفت بالحضور لديهم. وثانياً ان ارادة الله تعالى كانت قاضية بشفاء ذلك المريض أو قضاء حاجة ذلك المحتاج وأنا كنت واسطة فقط لذلك الأمر المقدّر، لأن الأثر لازم الوجود ويمكن أن يكون منه، ولا موجود صاحب أثر سوى الله إذ «لا مؤثر في الوجود إلا الله» والآثار الصادرة منّا بحسب الظاهر ما هي إلاّ شعاع من نور شمس الولاية التي قد شعت علي».

وهذه الكرامة التي اختصّ بها هي بسبب الخدمات الجليلة التي كان يقدّمها إلى الذرية الكريمة للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها. مع أنّ التقوى والعبادة والعمل بالمستحبات وإحياء الليالي واليقظة بالأسحار قد أعانه كثيراً في هذا الطريق. ولكن كانت هذه الأعمال بمثابة الجسم والبدن، وأمّا خدمة ومحبّة أولاد الزهراء سلام الله عليها فقد كانت بمنزلة الروح. ومن الطبيعي أنه عندما تحلّ الروح بالبدن تكون منشأً لتلك الآثار، ويصل الإنسان بها إلى مراتب معنوية عالية.

وأتذكر أنّه بعد فترة من وفاة والدي عزم أحد تلامذته على جمع كرامات أستاذه التي رآها بعينه وتدوينها، فرأى والدي في عالم الرؤيا يقول له: ما هذا الذي تكتبه؟ فأجابه: انّها بعض كراماتك. فقال له: اترك هذا العمل فإني لم أظهر في حياتي واحد بالمائة ممّا خصتني به المواهب الإلهية وألطاف أئمة الدين.

وقد سمعت ذاك الرجل الجليل مرّات عديدة يقول: كم من

استعداد لآلة الخلقة في ظهور فيوضات الوجود. كل الوجود هو، وكل الوجود منه.

وثانيها: الكرامات هنا التيّ مضى الحديث عنها وسيمضي مرتبة أدنى من المعجزة، وتأتي في الدرجة الثانية بعدها. وأيضاً مع الفرق في أنّ المعجزة متصلة ومقارنة لدعوى النبوّة والرسالة وعلامة من جهة الحق تبارك وتعالى، وصاحب الكرامة لا يدّعي ذلك أبداً ولا يرى عمله سوى أثراً للإرادة الإلهية تجلت بواسطته، وقد جاء في الحديث القدسي: «عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي، أنا حيّ لا أموت أجعلك حيّاً لا تموت، وأنا أقول للأشياء كن فيكون وأنت تقول الأشياء كن فيكون» وفي حديث آخر: «إنّ العبد ليتقرّب بالنوافل حتى كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش به. فظهر أنّ كل ما يصدر عن هذا العبد الصالح والولي الناصح هو من الله تعالى وبإرادته سبحانه، وفي القرآن المجيد خطاب للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**[1].

ومثل الرجل العارف وولي الحق مثل الحديد المحمي، فالحديد البارد والأسود عندما يقرّب من النار يأخذ خواص النار فيصير حارّاً ومضيئاً. فكذا العبد الصالح بسبب طاعته وعبادته وقربه من الحق تبارك وتعالى. تزول عنه صفات الإمكان ويتصف بصفات الربوبية، كما نُقل عن الإمام الصادق سلام الله عليه قوله: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية، ما فقد في العبودية وجد في الربوبية».

وفي هذه الحالة يتصف العبد بصفات الربّ جلّ جلاله كما تصحّ دعوى الحديد المذاب والذي هو بارد ومظلم ذاتاً: أنا النار.

---

(١) الأنفال/١٧.

وقد نقل في أحوال الإمام الصادق عليه السلام في الصلاة أنه كان يكرر الآية المباركة ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ حتى يسقط على الأرض مغشياً عليه. وسُئل مرّة عن هذه الحالة فقال عليه السلام: «ما زلت أكرّرها حتى سمعت من قائلها».

ولكن مع كل هذا فالإنسان عندما يكون بنفسه فهو ذلك الفقير والمحتاج واللاشيء ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**﴾[1].

وثالثها: ما جمعته في هذا الكتاب اما كنت قد سمعته من لسانه رحمه الله، أو وضحت الملاحظات الباقية المدونة بخطه، وكذلك حالاته وعباداته وطريقته وطراز عبوديته والكرامات الصادرة عنه التي رأيتها بعيني أو سمعتها من أفراد أطمئن إليهم وأثق بهم، فكل ما أدرجته في هذا الكتاب وخصوصاً في نقل كلام ذلك العارف الرباني راعيت فيه غاية الأمانة وكانت وظيفتي في هذا الكتاب هو تقرير وتنظيم وتبويب الأمور المتقدمة ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

وينبغي أن أنبّه أيضاً إلى أن غرض المرحوم في أحاديثه وكلامه كان مجرّد إيصال المفهوم إلى ذهن السامع وكان حذراً من تزيين كلامه وتزويقه خصوصاً إذا كان المستمع والقارىء من العوام فنلاحظ أنّ كلامه في منتهى السهولة. وأما كتاباته فلم يكن قد أعدّها لتطبع وتنشر، والشاهد على هذا المدّعى أنه في مجموعة من الحكايات كان يمنع الطرف المقابل أن يفشي سرّها لأحد إلى ما بعد وفاته أو كان يمنعهم أن يفشوا أسرارها إلى آخر لحظات حياتهم، مثل حكايات السيد أبو القاسم الهندي وكوچه أصفهاني والحاج علي بربري

---

(١) فاطر/ ١٥.

وغيرهم. وكذلك ما كتبه من مذكراته بخطه لم أغير من كلامه شيئاً إلا بالقدر الذي تكون خَالية عن الأخطاء بحيث لا يخلّ بالمعنى ولا يغيّر من إفادة المقصود شيئاً، ولم أعتنِ بتزيين ظاهر الكلام.

وأمّا الأمثال التي ضربتها لتقريب المعنى إلى الأذهان فقد يكون بعضها لا يسرّ القارىء ابتداءً، ولكن ينبغي الإلتفات إلى أن الله تبارك وتعالى قد ضرب الأمثال في القرآن الكريم ولم يرخ الستر عن ذكر مثل تلك الأمثلة كما قال عزّ من قائل: ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحقّ من ربّهم وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضلّ به إلا الفاسقين﴾[1]. وفي موضع آخر يقول عن المنحرفين عن الحق: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾[2] وفي مواضع أخرى يقول: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكرون﴾[3].

---

(١) البقرة/ ٢٦.
(٢) العنكبوت/ ٤١.
(٣) الحشر/ ٢١.



المرحوم الحاج الشيخ حسن علي أصفهانی

ترجمة حياة العارف السالك العالم الرباني المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني قدس سره

ولد الشيخ العالم العامل الرباني حسن علي بن علي أكبر بن رجب علي المقدادي الأصفهاني رحمة الله ورضوانه عليه وسط عائلة معروفة بالزهد والتقوى والعبادة.

والده المرحوم ملا علي أكبر رجل زاهد وعابد وكان معاشراً لأهل العلم والتقوى وملازماً لأهل الحق والحقيقة. وفي الوقت نفسه كان كاسباً وما يحصل عليه من كسبه ويعود عليه من رزق عائلته يقسمه نصفين: نصف لقوت عياله والنصف الآخر يهديه إلى السادات وذرية الزهراء سلام الله عليها.

وفي سنة ١٢٦٩ هجري قمري رُزق بنتاً لم يكن في صدر أمها إلى أربعة أشهر من وضع الحمل قطرة حليب. ولم ينفعها شيء من الدواء ولا الدعاء إلى أن أرشدهم أحد أصدقاءهم إلى رجل صاحب كرامة باسم الحاج محمد صادق درويش. فذهب الملا علي أكبر إلى الحاج محمد صادق وعرض عليه حاجته. فأمره بترك كل ما عند زوجته من الأدوية والأدعية وأن تبتعد عن كل ذلك. ثم نفخ على حبّاتِ من سكر النبات وقال: أعطها لزوجتك لتأكلها. ونفّذ ما أمره به

الحاج محمد صادق. وبعد ساعة درّ الحليب من صدر زوجته. وهذا الأمر هو الذي جعل ملا علي أكبر من مريدي المرحوم الحاج محمد صادق وقضى في خدمته اثنين وعشرين سنة. وخلال هذه المدة نال ملا علي أكبر درجات معنوية رفيعة بتربية وإرشاد الحاج محمد صادق.

وكان ملا علي أكبر في المدينة دؤوباً في تحصيل معاشه وفي نفس الوقت يقوم بتحضير احتياجات الحاج محمد صادق وفي ليلتي الاثنين والجمعة يذهب إلى خدمة الحاج محمد صادق ويبيت تلك الليلتين في (تخت پولاد).

ومن جهة أخرى لم يكن للمرحوم ملا علي أكبر ولداً ذكراً. وكان قد اشترط على نفسه زيارة العتبات المقدسة والتوسل هناك بالله تبارك وتعالى ليرزقه ولداً ذكراً. وفي إحدى سفراته إلى العتبات المقدسة الموافق للسنة الحادية عشرة من ابتداء خدمته للحاج محمد صادق كان مصادفاً لحمل زوجته فبشرة الحاج محمد صادق بأنه سيرزق ولداً ذكراً وأوصاه بأن يسميّه (حسن علي). وأخيراً في سحر إحدى الليالي وحينما كان ملا علي أكبر في (تخت پولاد) مشغولاً بخدمة أستاذه سمع خبراً سعيداً من مرشده ومخدومه بولادة زوجته ولداً ذكراً، وأوصاه مرّة أخرى بأن يسميه باسم (حسن علي).

والخلاصة أن المرحوم الحاج الشيخ حسن علي ولد ليلة الاثنين أو الجمعة منتصف شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٧٩ هجري قمري وبالبشارة المسبقة للمرحوم الحاج محمد صادق في أصفهان في المحلة المعروفة بـ(جهانباره)، ويقال أنها كانت محل ضيافة السلطان سنجر.

وكان المرحوم ملا علي أكبر يهيىء ولده العزيز منذ سن الطفولة للعبادة في كل سحر، فكان يوقظه ويعلّمه الصلاة والدعاء والأسرار والرجاء وذكر الله تعالى. وحظى بتربية ومراقبة المرحوم الحاج محمد صادق منذ سن السابعة من عمره.

يقول والدي الجليل المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني: قبل سن السابعة من عمري وقريب غروب شمس يوم من أيام شهر رمضان المصادف لصيف حار تشرفت في الوصول مع والدي إلى خدمة الأستاذ الحاج محمد صادق، وفي هذه الأثناء كان شخص قد وضع في يد الحاج مقداراً من سكّر النبات للتبرك، وبعد أن بارك له الحاج محمد صادق فيه أرجعه إليه وبقي في كفّه شيئاً يسيراً منه أعطانيه وقال لي: كله. فأكلته فوراً. فقال له والدي: حسن علي كان صائماً. فقال لي الحاج: ألم تعلم بأن أكل سكر النبات يبطل الصوم؟ فقلت له: نعم. فقال لي: فلماذا إذن أكلته؟ فقلت له: إطاعة لأمرك فضرب الأستاذ بيده المباركة على كتفي وقال: بهذه الطاعة ستصل إلى الدرجة التي يجب أن تصل.

والخلاصة كان والدي ومنذ ذلك الزمان المبكر يؤدي الصلاة والصيام وأداء المستحبات ونوافل الليل وباقي العبادات تحت اشراف الحاج محمد صادق إلى سن الحادية عشرة أي إلى حين وافى الأجل المحتوم ذلك الرجل الفذ الحاج محمد صادق.

وبقي محلاً للطف والرحمة الخاصة المتصلة لمرشده وأستاذه بعد وفاته أيضاً، فيتفضل عليه في مواضع الضرورة بالمدد والإرشاد اللازم.

يقول والدي: في كل وقت أحتاج فيه إلى الهداية والإرشاد

تعتريني حالة شبيهة بالنوم، وفي تلك الحالة تبادر لي روح ذلك الرجل العظيم لترشدني وتمدني وترفع عنّي مشكلتي. وبعد مضي فترة من الزمن على وفاة المرحوم الحاج محمد صادق كان أحد الأشخاص يصرّ عليّ أن أذهب إلى مرشد حيّ وأستمد منه التوجيه. وبعد ذلك الإصرار عرضت عليّ حالة شبيهة بالنوم، وفي تلك الحالة رأيت الحاج محمد صادق فضرب بيده على منكبي وقال: كل شخص شرب ماء الحياة مثلنا لا يحلّ به الموت، إلى أين تريد الذهاب؟ **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾**[1].

ويؤيد هذا المعنى الكلام المعجز المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا انّ أولياء الله لا يموتون بل يُنقلون من دار إلى دار».

وكان المرحوم الحاج الشيخ حسن علي قدّس سره من سن الثانية عشر إلى سن الخامسة عشر يحيي الليل إلى الصباح بالعبادة، ويصوم كل أيام السنة عدا الأيام المحرّمة، ويترك تناول المنتوجات الحيوانية، هكذا دأبه في كل سنة. ومن سن الخامسة عشر إلى آخر عمره المبارك كان يصوم في كل سنة ثلاثة أشهر: رجبْ وشعبان ورمضان والأيام البيض من كل شهر، وكان لا يغفو له جفن إلى الصباح.

- التحصيلات العلمية للمرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني وبعض أساتذته:

عكف المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني على

---

(١) آل عمران/ ١٦٩.

تحصيل العلم ودراسة العلوم المختلفة من أول شبابه، فتعلّم القراءة والكتابة واللغة والأدب العربي في أصفهان. وفي هذه المدينة أيضاً درس الفقه أصول الفقه والمنطق والفلسفة والحكمة. وقرأ تفسير القرآن الكريم على يد المرحوم الحاج سيد سينا ابن المرحوم السيد جعفر الكشفي. ودرس أيضاً على يد عدّة آخرين من فحول علماء عصره.

ثم سافر إلى النجف الأشرف لإكمال تحصيلاته العلمية وتشرّف بمجاورة المرقد المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام. وفي هذه المدينة استفاد من دروس المرحوم حجة الإسلام الحاج السيد محمد الفشاركي والمرحوم الحاج السيد مرتضى الكشميري وملا اسماعيل القرة باغي أعلى الله مقامهم.

نقل المرحوم والدي: أنّه في الأيام الأولى ذهبت لزيارة المرحوم الحاج السيد مرتضى الكشميري في محلّ سكناه في مدرسة النجاريين، وكان يوم جمعة ولم يكن أحد في صحن المدرسة يدلّني على غرفة ذلك الرجل العظيم وفجأة سمعت صوتاً من إحدى الغرف المغلقة يناديني باسمي، فذهبت باتجاه تلك الغرفة، ففتح رجل الباب وقال: تعال أنا الكشميري.

وأضاف والدي قائلاً: في ليلة من ليالي شهر رمضان كان المرحوم الحاج السيد مرتضى الكشميري مدعّو للإفطار عند شخص، وبعد رجوعه إلى المدرسة انتبه بأنه قد نسي مفتاح باب الغرفة، وكان الوقت قريباً لطلوع الفجر فاستغرق في التفكير بسبب قلة الوقت وكون الباب مغلقاً وفجأة قال لصاحبه الذي كان معه: من المعروف أن اسم أم النبي موسى سلام الله عليه مفتاح الأبواب الموصدة فكيف لا يكون لاسم فاطمة الزهراء عليها السلام مثل هذا الأثر! فوضع يده

على القفل المغلق وجرى اسم فاطمة عليها السلام على لسانه ففتح قفل الباب رأساً.

وعلى كل حال اختار الشيخ حسن علي قدس سره السكن في المشهد الرضوي المقدس بعد رجوعه من النجف الأشرف. وفي هذه الحقبة من الزمان استفاد من دروس وتعاليم الأساتذة هناك منهم المرحوم الحاج محمد علي فاضل والمرحوم آقا مير سيد علي الحائري اليزدي والمرحوم الحاج آقا حسين القمي والمرحوم آقا سيد عبد الرحمن المدرس. وفي نفس الوقت الذي كان مشغولاً فيه بالدرس والتدريس وفق إلى تزكية نفسه وممارسة الرياضات الشاقة.

وأمّا تضلعه في العلوم الباطنية فهو أكثر مما ذكرناه. فقد تربّى أولاً تحت اشراف الرجل الفذ المرحوم الحاج محمد صادق التخت پولادي وقد حظى بالتتلمذ على يديه ونيل عطفه الخاص منذ سن السابعة من عمره. وبعد وفاة الحاج محمد صادق اهتدى إلى خدمة السيد الجليل القدر المرحوم آقا سيد جعفر الحسيني القزويني الذي كان متوطناً في (شاه رضا) وهي ناحية من نواحي أصفهان.

نقل والدي: في إحدى السفرات التي كنت عازماً فيها على زيارة العتبات المقدسة ذهبت إلى (شاه رضا) وتشرّفت بالوصول إلى هناك ليلة عاشوراء، وكانت طريقتي أن أصوم من أول أيام شهر محرم إلى عصر يوم عاشوراء، لا آكل ولا أشرب سوى الماء. وفي اليوم الثامن من شهر محرم وقع في سمعي أن سيداً جليل القدر يسكن في هذه المدينة، وجلست منتظراً على أمل لقاء ذلك السيد الذي يعيش منزوياً عن الناس حتى جاء إلى جانب حوض الماء ليجدد وضوءه فتقدّمت إليه وسلّمت عليه، فرماني بنظرة عميقة وبعد أن أنهى وضوءه سألني: ألك حاجة؟ فقلت له: غرضي التشرف بالحضور لديكم، فقال

لي: تستطيع الحضور متى تشاء. فقلت له: قيل إن الأعمال تستغرق وقتكم ظاهراً. فقال لي: نعم ولكن لا يوجد أي مانع لك بالحضور. وقرأ بيتاً من الشعر مفاده أن الخلوة والعزلة تكون عن الأغيار لا عن الصديق والمعشوق.

وباشارة منه ذهبت في صباح اليوم الثاني إلى خدمته، فنظر إليّ وقال: تسعة أيام لم تأكل ولم تشرب سوى الماء ولم تترك الصوم. ولكنك ما زلت ناقصاً في الرياضة إذ أن آثار الجوع ظاهرة على محيّاك وقد جعلته منكسراً متشققاً مع أن الرجل الكامل لا يظهر الإنكسار في ملامحه إذا صام أربعين يوماً.

والخلاصة فتحت باب المذاكرة والمباحثة مع ذلك الرجل الجليل القدر. والحق أنه كان بحراً مواجاً في العلوم الظاهرية والباطنية. قلت له: لماذا هذه الخلوة والإنزواء مع ما تحيط به من هذه العلوم؟ فقال لي: عندما حصلت على اجازة الاجتهاد من مراجع العلم في النجف الأشرف رجعت إلى إيران وقلت لصديق لي: سأكون العالم الوحيد الذي يُشار له بالبنان في قزوين. فقال لي صديقي: ليس هذا صحيحاً، إنك إذن لا تفرق عن حمّال قزويني، لأنك لو كنت تمشي مع حمّال قزويني في زقاق وصفق من خلفكما رجل بيده فإنكما محتاجان إلى الإلتفات لمعرفة ذلك الرجل، في الوقت الذي كان ينبغي فيه لطالب العلم العارف الذي قضى من عمره ثلاثين سنة في الدرس أن يعرف من صفق دون حاجة إلى الالتفات. فأثر هذا القول في نفسي إلى الدرجة التي تركت فيها الخلق مرّة واحدة جانباً ولذت بالإنزواء مشتغلاً بتزكية نفسي وتطهير روحي.

وسألت ذلك السيد الجليل: سمعت أن يدك في وقت مضى كانت مكسورة ووضع عليها الجبيرة بأمر الطبيب ولم يكن لك فتح

الجبيرة إلى مدّة. قال لي: نعم هكذا كان، وبقيت الجبيرة على يدي أربعة عشر يوماً. قلت له: إذن كيف كنت تفعل للوضوء في هذه المدة؟.

قال لي: صدر الأمر إلى طبيعتي من خلّاق العالم وخالق الدنيا إلى طبيعتي أن لا تعمل شيئاً ولم يأت إلى عيني النعاس، وبارادة حضرة الحق لم يعرض لي أي مبطل من مبطلات الوضوء في هذه المدة.

وقال بعد ذلك: تعتريني بين فترة وأخرى حالة تصير فيها نفسي خارجة عن إرادتي فأطلق رجليّ في البيداء، وأعبر الجبال والصحاري الخالية من الماء والعشب، ولكن حينما يأتي وقت الصلاة أعود إلى نفسي ووعيي فأؤدّي فريضة الصلاة ثم ارجع إلى حالتي السابقة. وأحياناً تستمر هذه الحالة إلى عشرين يوماً. وعندما أريد الرجوع إلى المدينة والعمران مرة أخرى أنتبه إلى حالتي فأجد أعضائي من شدة الجوع والعطش لا قوة لها في إرجاعي إلى المدينة. وفي هذه الأثناء يظهر لي من عالم الغيب قرص من الخبز وابريق من الماء وبعد تناولهما تسري القوة في بدني، فأشكر الله تعالى على ذلك وارجع إلى المدينة.

قال المرحوم والدي: وقد سمعت بنفسي أشخاصاً آخرين يقولون أيضاً أنهم قد رأوا السيد في حالات الجذبة والعشق والهيجان في مثل هذه الجبال والصحاري وحيداً.

إحاطة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي رحمه الله عليه بالعلوم:

رأيت في إحدى مذكرات سماحته هذا البيت:

لا يوجد علم لا يمكنني أن استقصيه فكم من كنز مدفون في خراباتنا

كان للمرحوم والدي النصيب الأوفر في جميع العلوم الظاهرية والباطنية، وكاز يعتقد أنه بعد علم التوحيد والولاية والأحكام الشرعية التي تعلمها واجب فإن تحصيل سائر العلوم لازم أيضاً وممدوح والجهل به مذموم وغير مرضٍ. والمراد من حرمة بعض العلوم ليس هو حرمة تعلّمها وتحصيلها كعلم السحر إذ العلم به واجب كفائي ولكن استعماله حرام.

كان المرحوم والدي مشغولاً بتدريس الفقه والتفسير والهيئة والرياضيات لطلاب العلم. ولكنه لم يدرس الفلسفة والعلوم الإلهية رغم أنه كان كامل التبحر فيها كان يقول: طالب هذا العلم يجب عليه أولاً الاطلاع الكامل على أخبار المعصومين عليهم السلام، وعليه أيضاً أن يتعلم علم الطب وعلى طالب العلم وأثناء اشتغاله بالتحصيل العلمي أن يكون مشتغلاً أيضاً بالرياضات الروحية وتزكية النفس كما

في قوله تعالى: ﴿يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[1] فالنبي صلى الله عليه وآله يبدأ أولاً بتزكية نفوس المسلمين ثم يعلّمهم الكتاب والحكمة. وبعض مشكلات الفلسفة والحكمة لا تحلّ إلا بالمكاشفة. وإذا كان طالب العلم فاقداً لهذه الشرائط يحرم عليه تحصيل هذا العلم الذي قد يكون سبباً عن انحرافه عن جادة الشريعة وطريقتها.

وأمّا علم أصول الفقه فيقول عنه والدي: قسم من هذا العلم واجب وأكثره إتلاف للعمر، وفيه يقول ملاّ محسن فيض رحمة الله عليه: هذا العلم ثلاثة أقسام: أصول وفضول وغير معقول، فتعلّم أصوله لازم، وفضوله مكروه، وغير معقوله حرام.

وكذا كان له القدح المعلّى واليد الطولى في علم الطب والكيمياء والعلوم الغريبة.

---

(١) الجمعة/ ٢.

سفار المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني

في عام ١٣٠٣ هجري قمري ولسبب حصل بينه وبين ظل السلطان حاكم أصفهان والذي انجر إلى تنبيه الحاكم عن طريق التصرفات النفسانية[١] حزم أمتعة السفر من هذه المدينة في سن الرابعة والعشرين. وكن وحيداً في هذا السفر قاصداً مدينة مشهد المقدسة. وكان هذا أول سفر له إلى تلك المدينة المنوّرة بنيّة زيارة المرقد المطهر لحضرة سلطان الأولياء علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء. ولكنه في أول أيام سفره هذا يتيه في وسط الجبال والصحارى، وكان الوقت قريباً لغروب الشمس، وظلّ متحيّراً. فأخذ يتوسل بحضرة ثامن الحجج عليه السلام ويقول مولاي أنت مطلع على قصد زيارتي لك ولكني الآن متحيّر بين الجبال والصحارى وأنت عوني فتفضّل عليّ وارشدني. وبعد دقائق تشرّف باللقاء مع حضرة الخضر عليه السلام وأرشده على الطريق الظاهري والباطني، وفي أقل من بضعة دقائق طويت له مسافة ثمانية عشر فرسخاً المتبقية للوصول إلى كاشان بمعونة المولى ودخل تلك المدينة.

---

(١) يرجع الى مبحث الكرامات.

وعلى كل حال فقد كانت مدّة إقامته في مدينة مشهد المقدسة أقل من السنة بقليل. وقضى كل هذه المدة في حجرة من حجرات الصحن الرضوي القديم فوق الممرّ المؤدي إلى سوق نحاتي الصخر، مشتغلاً برياضة وتزكية باطنه. ثم رجع إلى أصفهان.

وفي سنة ١٣٠٤ هجري قمري حزم أمتعة السفر صوب النجف الأشرف واشتغل فيها بتحصيل العلوم الظاهرية والباطنية ورياضة نفسه وتزكيتها إلى أن رجع مجدّداً إلى أصفهان.

وفي عام ١٣١١ هجري قمري سافر مرة أخرى إلى البقعة الرضوية المقدسة وبقي فيها إلى سنة ١٣١٤. وسكن في هذه المدة في مدرسة الحاج حسن وفاضل خان، ولأجل الاشتغال بالأمور المعنوية وضعت تحت تصرفه حجرة من حجرات الصحن القديم. وفي هذا السفر كان ولمدة أكثر من سنة يقرأ في كل ليلة ختمة من القرآن المجيد في حرم الإمام الرضا عليه السلام، ويصرّف همتّه في النهار في تحصيل العلوم الظاهرية على يد علماء عصره.

يقول المرحوم والدي: في هذا السفر وفي ذلك الزمان الذي كنت مشغولاً فيه بالرياضات في الصحن الرضوي القديم، جاءني يوماً رجل عجوز لا أعرفه وقال لي: أحب أن أخدمك أربعين يوماً. فقلت له: ليس لي حاجة لتشغل نفسك بأدائها. فقال لي: أعطني إذناً لأملأ لك في كل يوم جرة الماء. واستسلمت لإصرار هذا الرجل العجوز. فكان يأتي في صباح كل يوم ويقف في باب الغرفة ويطلب بكل أدب أن آمره بأداء أي خدمة. ولم يجلس في هذه المدة أبداً. وبعد انتهاء الأربعين يوماً قال لي: يا شيخ لقد خدمتك أربعين يوماً والآن أتوقع منك أن تخدمني يوماً واحداً. تخوّفت في البداية أن يكون رجلاً عامياً ويبتليني بتكاليف صعبة، ولكن لأنه خدمني أربعين يوماً بإخلاص

قبلت ما طلب منّي على كراهة. فأمرني أن أقف في عتبة باب الحجرة وجلس هو داخل الحجرة على سجادتي ثم أمرني أن أهيىء له منقلة النار ومنفاخ وأدوات الصياغة. وهذا العمل وإن كان شاقاً وصعباً عليّ من جهات عديدة إلا أني أدّيت هذا العمل نزولاً عند طلب هذا الرجل العجوز. فهيأت ما يحتاجه من الأشياء. ثم أمرني أن أشعل النار في المنقلة وأضع بوتقة صهر الذهب على النار وأقذف بعض السكك النقدية النحاسية في البوتقة. وقال لي: انفح النار بالمنفاخ إلى أن يذوب النحاس فأعلمته بذوب النحاس فقال: بحق أساتذتي الذين خدمتهم تفضّل بتبديل هذا النحاس إلى ذهب. ثم أمرني أن أفرغ البوتقة في إناء ثم سألني: ماذا ترى في الإناء. فنظرت فرأيت الذهب والنحاس مخلوطين، فأخبرته بذلك فقال لي: ألست على وضوئي؟ قلت له: لا. فذهبت وجددت وضوئي ورجعت إلى الحجرة فألقيت الفلز ثانية في البوتقة ووضعتها على النار ونفخت النار حتى ذاب الفلز. وبعد أن ذكر القسم ثانياً أمرني أن أفرغ ما في البوتقة في الإناء فرأيت ذهباً خالصاً. وأخذناه معاً إلى عدّة من صوّاغ الذهب وبعد اختباره صدّقوا بأنه ذهب خالص، فباع الذهب بقيمة يومه وقال لي: أتعطي هذا المال للمستحقين والمحتاجين أو أعطيه أنا؟ قلت له: أنت أولى بهذا العمل. وذهبنا معاً إلى عدّة بيوت وأعطى المال إلى آخره إلى المحتاجين، ولم يدَّخر لنفسه شيئاً منه، ولم يعطني منه شيئاً أيضاً. ثم افترقنا ولم ألتقي به مرّة أخرى.

وفي عام ١٣١٥ هجري قمري رجع المرحوم والدي الشيخ حسن علي طاب ثراه إلى أصفهان من جديد. وبعد أن توقف فيها مدة قصيرة رحل إلى النجف الأشرف ومكث فيها إلى سنة ١٣١٨ هجري قمري. وفي سنة ١٣١٩ هجري قمري رجع إلى أصفهان. ثم سافر إلى شيراز وأقام فيها مدة. درس خلالها كتاب القانون لأبي علي سينا

عند الطبيب المعروف والمشهور في عصره المرحوم الحاج ميرزا جعفر طبيب.

يقول والدي: اشتغل صباحاً في عيادة الحاج الميرزا جعفر في فحص المرضى وكتابة نسخ الدواء لهم. وعصراً أدرس كتاب القانون لأبي علي سينا عنده.

وكان عادة الحاج جارية في عدم تقاضي مبلغ معين منهم، ومن أراد أن يعطي شيئاً من المال فعليه أن يضعه بنفسه في وعاء الأقلام الموضوع على الطاولة. والمريض الذي لا يدفع أي مبلغ فإن الحاج لا يطالبه بذلك. وعائد الحاج من عيادته لا يتجاوز ثمانية إلى تسعة ريالات يومياً. ولم يكن الحاج يبالي بقلة ما يعود عليه من عيادته. وفي يوم جاء إلى عمله في العيادة وقال: إلهي اليوم عندي ضيوف فأمر ملائكتك أن تُنزل عليَّ ما يكفيني لحسن ضيافتهم. فكان دخل العيادة في ذلك اليوم خمسة وثلاثين ريالاً. وفي يوم آخر طلب من الله تعالى أن يأمر ملائكته أن تأتيه بمبلغ يكفيه لشراء العنب ليصنع منه خلاً، وفي ذلك اليوم كان دخل العيادة خمسة وأربعين ريالاً ولكن في الأيام الأخرى لم نلحظ أي تغيّر محسوس في قدر العائد ولم يطلب هو شيئاً. وخلال المدة التي بقيت فيها في العيادة عالجنا ثلاثة آلاف مريض، ولم يكن هناك مريض محتاج لمراجعة العيادة ثلاثة مرات لعلاجه. ولم يسلم من المرضى أرواحهم إلى باريها إلا ثلاثة أشخاص كان قد أخبر الحاج بدنو أجلهم. وكل مريض يدخل إلى العيادة كان الحاج يشخص مرضه بمجرد النظر إلى وجهه قبل سؤاله وفحصه.

وفي شهر رمضان من تلك السنة ذهب المرحوم والدي إلى مدينة بوشهر ليسافر من هناك بالباخرة إلى الحجاز قاصداً حج بيت الله الحرام. وبعد نزوله من الباخرة في جدة تشرّف بالذهاب إلى المدينة

المنورة مشياً على الأقدام. وأحرم للحج من المدينة المنورة ووصل إلى مكة المكرمة مشياً أيضاً. وكان هذا السفر في سنة ١٣١٩ هجري قمري مصادفاً للحج الأكبر مع المرحوم الحاج الشيخ فضل الله نوري والحاج الشيخ محمد جواد البيد آبادي الذي كان قد التزم معه السفر سوية والتقى به هناك. وفي هذا السفر وقعت له حادثة مع شريف مكة سنتكلم عنها في محلّها إن شاء الله.

وعلى كل حال فالشيخ بعد أدائه لمناسك الحج وزيارة العتبات المقدسة للأئمة الأطهار رجع إلى إيران، وبعد أن بقي فيها مدة قصيرة رحل إلى النجف الأشرف من جديد. وبعد أن استقر في هذه المدينة عدّة سنوات رجع إلى أصفهان. وبعد أن مكث فيها سنوات أخرى تركها في سنة ١٣٢٩ هجري قمري قاصداً مجاورة المشهد الرضوي. وفي تلك البلدة الطيبة جاور الإمام الرضا عليه السلام وبقي فيها من هذا التاريخ إلى آخر عمره الشريف سنة ١٣٦١ هجري قمري. ولم يخرج منها إلا في سفرتين قصيرتين إحداهما إلى أصفهان والأخرى إلى سلطان آباد في مدينة أراك.

مزار المرحوم الشيخ حسن علي أصفهانى

سنوات الجوار في مشهد إلى آخر عمره الشريف:

كان والدي المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني أعلى الله مقامه حاضراً في كل ساعات ليله ونهاره لقضاء حوائج المحتاجين والضعفاء قلت له يوماً: من الحسن أن نضع وقتاً معيناً لمراجعة الناس فقال لي: بُني ليس عند ربنا صباح ولا مساء، ومن يبتغي في خدمة الناس رضوان الله تعالى لا ينبغي له أن يحدّد وقتاً خاصاً.

كان والدي ومن أول الليل وبعد أداء صلاة الفريضة يشرع في كتابة أجوبة الرسائل وقضاء حوائج المراجعين ثم يتفرّغ للمطالعة. ويشتغل بالصلاة والذكر والنوافل والتعقيبات من منتصف الليل إلى طلوع الشمس. ثم يستريح قليلاً بعد طلوع الشمس، ثم يجلس للقاء المراجعين والحديث معهم وتهيئة وصنع الأدوية للمرضى. ويذهب عصراً للتدريس في المدرسة ثم يجيب عن الأسئلة ويقضي حوائج المحتاجين والمكروبين.

وهكذا طول أيام السنة مع اختلاف الأيام وتبدلّ الأحوال يستريح استراحة قصيرة بعد طلوع الشمس أو ساعة بعد الظهر.

في سنة ١٣١٤ هجري أهدى أحد السادة المحترمين من أهل

مشهد إلى والدي سجادة وفراش للنوم. فأجابه والدي: أقبل هديتك في السجادة لوجوب احترام السادة، وأمّا فراش النوم فلا أحتاج إليه فإن ظهري وضلوعي لم تعتد النوم على الفراش منذ خمس وعشرين سنة نعم هذا عمل أولياء الله، وهكذا كان حالهم وطريقتهم.

وعلى كل حال كان والدي رحمة الله عليه يعتبر الاستمداد من الأرواح المطهرة لأئمة الهدى عليهم السلام والاستمداد من أرواح الأولياء رحمة الله عليهم أجمعين واحدة من شرائط السلوك إلى الله، ولهذا كان يدأب ويهتم كثيراً بالاعتكاف وزيارة المشاهد المباركة للأئمة عليهم السلام وزيارة القبور المقدسة للأولياء. وكان يواظب على أداء الفرائض اليومية في أول وقتها وأداء النوافل واليقظة في الأسحار والتهجّد واحياء ليالي الجمعة والليالي المباركة وصيام الأيام البيض وخدمة الناس وخصوصاً السادة من ذرية الزهراء سلام الله عليها وزيارة قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء وخصوصاً في ليالي الجمعة وأيامها. وفي أصفهان كان رحمه الله يقضي أربعينات متعددة في جبال «ظفرة» منزوياً ومشتغلاً بالرياضة وتزكية النفس. وكان يعتكف ويتعبّد في المساجد والأماكن المباركة مثل مسجد لنبان ومقبرة علي بن سهل الأصفهاني ومحمد بن يوسف معدان بناء وبابا ركن الدين وضريح أستاذه المرحوم الحاج محمد صادق، وكذلك كان يعتكف ويتعبّد في جبل «صفّه» محل اعتكاف وعبادة أستاذه. وأمّا في النجف الأشرف فكان كثير الزيارة والتردّد في مسجد الكوفة ومسجد السهلة ومقبرة كميل وميثم التمار. وأمّا في مشهد المقدسة فكان أول أمره يتعبّد ويتهجّد ويرتاض في الصحن القديم ثم انتقل إلى أطراف المدينة مثل جبل «گراخك» و «بازه غياث منصور» في «جاغرق» و «خادر» و «حصار سرخ» وجبل «معجوني» قرب مقبرة شرف الدين علي كاسه گر. وكانت قبور أولياء الله مثل مقبرة أبو علي الفارمدي في فارمد،

وعلاء الدين علي المایاني في مایان، ومقبرة درويش يحيى ودرويش شمس الدين ولدي الشيخ جعده جاسبي الواقعة في إيوان الطرق، وقبر عبدالله المبارك في جبل «جشمة سبز» وكان والدي هو الذي اكتشفه، ومقبرة مير تقي خدايي في محلة نوغان وهي إلى الآن في داخل بيت واقع إلى جانب مدرسة ابتدائية، وضريح الشيخ محمد الكاردهي المشهور بعجوز پالاندوز، وقبر الشيخ فضل الله السرابي الذي استشهد على يد الأفغانيين قد محيت آثاره الآن، ومرقد الشيخ محمد المؤمن قدس سره المعروف بـ«گنبد سبز» والذي كان محل اهتمام والدي كثيراً، فكان والدي يستمد من زياراتهم ومن أرواحهم زاداً معنوياً. وكان لا يترك زيارة «گنبد سبز» في عصر كل خميس ويقول: وجدت في كتاب خطي مؤلفه ذلك السيد العظيم من أهل قزوين وكان حفيداً لبنت المرحوم الشيخ بهاء الدين العاملي رحمة الله عليه، قرأت في ترجمة حياة جده هكذا: عندما تشرّف جدّي الشيخ البهائي بزيارة مشهد، وبعد مضي ثلاثة أيام رأى أنه يزور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا فخاطبه مُعاتباً: لماذا لم تذهب إلى الآن لزيارة وردتنا الشيخ المؤمن؟ وفي صباح تلك الليلة ذهب الشيخ البهائي لزيارة الشيخ المؤمن، وفي أثناء طريقه إلتقى باثنين من العلماء فنقل لهم ما رأى في عالم الرؤيا، فذهبا معه بقصد زيارة الشيخ المؤمن ونوى كل منهم شيئاً لاختبار عظمة الشيخ، فنوى الأول كفناً والثاني رماناً والثالث رزاً بالحليب. وعندما تشرفوا بالوصول إلى خدمة الشيخ المؤمن، فقال: ما لم يأمرك النبي لم تأتِ للقائي؟ أتريد أن أخبرك بما قال لك في عالم الرؤيا؟ولكن قل أنت. فنقل الشيخ البهائي رؤيته. فقال الشيخ المؤمن: من المعلوم انا لم نصر ثمرة بعد حتى يعبّر عنّا النبي بالوردة.

ثم أخرج من صندوقه عمامة وصحن رمان وصحن فيه رز بالحليب ووضعها بالترتيب كل مقابل نيته.

وروى والدي عن ذلك الكتاب أيضاً: عندما عُيّن أحد حكّام أصفهان مع ثلاثة من موظفيه مسؤولاً عن مدينة بلخ أو مرو، وفي نيسابور تعرض للحاكم حالة من الجذبة فيطلق رجليه في الصحراء، وظل الأشخاص الثلاثة يتحركون فيما أمروا به، وأخبروا بلاط السلطان في أصفهان بما حدث. وعلى كلٍ بقي الحاكم مدة شهر في الجبال المحيطة بنيسابور تائهاً. وفي الليلة التي سيصل في صباحها إلى مشهد رأى في المنام فيلاً مقبلاً عليه قاصداً قتله، وفي هذه الأثناء وصل رجل عجوز فضرب الفيل على وجهه ضربة قوية، سقط الفيل على أثرها وهلك. وفي صباح ذلك اليوم وصل الحاكم المذكور إلى مشهد وبحث عن معبّر للرؤيا فأرشد إلى الشيخ المؤمن. وعندما نظر إلى وجه الشيخ عرف أنه هو الذي دفع خطر الفيل في الليلة الماضية، وقبل أن بيّن الحاكم رؤياه قرأ الشيخ هذه الرباعية (ترجمتها):

ذاك نحن الذي لم يتحمل الفيل لطمتنا وقد ارتقى للعرش الأعلى كتفنا لو انضمت فأرة إلى صفنا لصارت أسداً من شدة همتنا.

وبعد ذلك أخرج الشيخ المؤمن رحمة الله عليه الحاكم من الحالة التي كان عليها وأمره أن يؤدّي وظيفته على ما أمر به.

ولكن يقول قلي بيك شاملو في خاتمة كتابه «قصص الخاقاني» في أحوال الشيخ المؤمن رحمة الله عليه هكذا:

«الشيخ مؤمن المشهدي تاج العارفين سالك المسالك الربانية طالب رضوان الله سبحانه. ألقى رحله في البلدة الطيبة مشهد المقدسة في المحلة المشهورة بـ «باي چنار» معتكفاً فيها للرياضة. وكان الشيخ المذكور روضة سلوك أهل الأربعين، وكان مزيناً بين كبار المشايخ بالصفات الحسنة. وبه اهتدى جم غفير فأخرجهم من ظلمات اللهو

واللعب والجهالة والضلالة إلى نور سلوك طريق المعرفة. وكان جمهور خراسان من مريدي أوضاع وأطوار ذلك العظيم. ومن المشهور أن هذا الشيخ الخير وبمساعدة مريدي طريقة الإخلاص استطاع أن يؤسس عدّة بنايات عالية لا حصر لها في بلاد خراسان من مسجد وبقعة ومربط وجسر وخزّان مياه، ولا توجد ناحية من نواحي جنة الولاية مشهد المقدسة لا يوجد فيها أثر من آثار الخير لهذا الشيخ العارف. وكان من صفات وأحوال هذا الشيخ قدوة أهل السلوك أنه كان يصرف أكثر أوقاته في الخلاء والملاء بالعبادة والمناجاة للملك العلاّم. وفي سنة ١٠٦٣ لبّى نداء ربّه المحتوم. وبموجب وصيته دفنه جمع من مريديه الغارقين في بحر رحمته دفنوه في بقعة قرية «دستجرد» وهي من جملة ما بناه الشيخ المذكور»[١].

وكان الشيخ حسن علي رحمة الله عليه عندما يعطي أحداً دعاءً أو دواءً يقول له: نحن لسنا أسباباً أخر للشفاء والشافي الوحيد هو الله سبحانه. ولكن لأن هذا العالم هو عالم الأسباب والله تعالى يقول: «أبى الله إلاّ أن يجري الأمور بأسبابها» ومن هذا الباب يجب مراجعة الطبيب عند المرض، ثم يُضيف قائلاً: كان موسى على نبيّنا وعليه السلام مبتلى بمرض القولونج وعندما يذهب للمَناجاة مع ربّ الأرباب في جبل طور يقول: إلهي إني مريض فتفضّل عليّ بالشفاء والعافية. فيأتيه الجواب: يا موسى عليك بمراجعة الطبيب. فقال موسى: إلهي ماذا أقول في جواب الناس حين يسألونني، ويقولون لي: أنت كليم الله ومحيي الموتى ومشافي الأعمى ومع ذلك تطلب طبيباً للشفاء؟ فجاءه الجواب: يا موسى إني لم أخلق هذه الأعشاب عبثاً، ولم ألهم

---

(١) نقل من مستدرك كتاب تفسير محمد المؤمن المشهدي تصحيح وتقديم علي محدّث سنة ١٣٦١.

الإنسان علم الطب لعباً. والآن لأنك موسى ترقب منّي أن أترك ما لم أخلق عبثاً وأعطيك العافية؟.

وكان والدي مع المداومة على هذه العبادات والمجاهدات والرياضات الصعبة والزيارات والاعتكاف في الأماكن المباركة يقول: إن روح هذه الأعمال هي خدمة السادة من ذرية الزهراء سلام الله عليها. وبدونها فإن هذه الأعمال مجرّد جسم لا روح فيه، ولا يترتب عليها أي أثر.

[illegible]

صورة رسالة المرحوم الشيخ قدّس سرّه التي كتبها للمرحوم السيّد مرتضى الكشميري رحمة اللّه عليه

بسم الله

حضرة قرة العين ... قطب ... وجود ...

ومولانا وملاذنا وغوثنا ... وحبيبنا وسعود علمنا ...

واحزناه ... اليوم ...

... اليوم ... واحزناه عليك يا ابا ...

... هو عين ارباب العلى ... من شاد اعلام

الصلاة ... غوث الورى حسن العلى

... الكواكب في درى افلاكها

وسما مقاما دونه كيوانها وهدى العباد الى الرشاد ...

... مقداما ...

... كيف لا ما جد حصرها وعدادها

حامي ... طود المفاخر من له خضعت على

قنن الرواسي ... هو حجة الله الذي قامت به

... الطريقة ... يا عين ارباب العلوم كم ...

... لله علمك كم وكم ...

... كم من ... مشكوة ... الورى

... كم حكمة اودعتها ...

... العوالم ...

... الاتى ... ذات ...

... العوالم ... اعني الاتى ...

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء الصلوات والتحيات الزاكيات السابغات

الرائحات الغاديات على سيدنا وابن

السيد الشريف ناصر عالسابق ابقاه الله

بلطفه في الدارين وجعله قرير العين

في العالمين بحق ابائه الطاهرين

وبعد فاعلم يا سيدي اني منذ عشر

سنين مقيم بالعتبة العلية الرضوية

عليه وعلى ابائه الف الثناء والتحية

ومشغول بذكر خيركم والدعاء لكم

والتمس منكم الدعاء لي بان يرزقني الله

زيارتكم واما مسئلة جيش الاسماء

فما وصل الي وكلما طلبته ما وجدته

وفي هذه الايام صار مدارسا الله الكرام

الا في الصالحين المتولية لعتبة الرسول

فلزم على اظهار اخلاصي بهذه الورقة

[illegible]

صورة رسالة المرحوم الشيخ التي كان قد كتبها لشريف مكة

بسم الله فاتحة كل كتاب والشكر لله الحمد لله مؤنس الألباب وأفضل الصلوات على
سيد السادات محمد وآله وصلى الله عليه بأفضل ما اقتضاه أما بعد أهدي السلام
والتحية والإكرام والتسليمات الفائقة وقبلاً لا نزال داعية لكم أفيد محبنا الحميد أنه
ورد إلى الكتاب وفيه خطابك ذكر بسلامة الوصول إلى المقر كما نرجو ما هو أولى فشكرنا
الله على كرمه وجزيل نعمه وما ذكرتم من إرسال السبح أوجب مزيد السرور
بالممنونية والحبور وحيث أن بهذا العام أقمت بالديار نفس مكتوبكم وصل إلى
يد بعض أتباعنا بواسطة حضرة الصالح العلامة محبنا الحاج ملا محمد باقر التستري
ثم النجفي الأشرف على ساكنه السلام وكتبت إليك من استلام الكتاب باستلام
ما أهديتموه إلي سلم إلينا هذا وأما جهة الأمانات التي عندنا توجه حضرة مولانا
محمد جواد آقا وأرسلنا نقده أرسلته إليه بيده بواسطة حسن موسى البغدادي فما
أدري أتصل إليه أم لا وعلى كل حال تشرفوا بذلك أو تسألوه يكتب لحسن
موسى البغدادي يسأله عنه هذا ما لزم ذكره وأصلي وأسلم على من صلى عليه
الله والمؤمن ممن لطفه الله كما يعلم والحمد لله على البلاد الشمال وعليكم السلام

من الطائف
۱۵ ذي الحجة الشريفة الحرام سنة

كاتب باذل الدعا
ومستمده
محمد ناصر غالب

تصویر نامه (شریف مکّه رحمة الله علیه) که به مرحوم حاج شیخ قدس سره نوشته است.

صورة رسالة شريف مكة رحمه الله التي كتبها للمرحوم الشيخ قدس سره

تصویری از خط مرحوم حاج شیخ قدس سره

صورة أخرى عن خط المرحوم الشيخ قدّس سرّه

[illegible]

صورة أخرى عن خط المرحوم الشيخ قدّس سرّه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وعبده [illegible] (علي بن عبد الرسول) الى قطب دائرة المعرفة والزهادة شمس فلك التقوى والسداد

صاحب النفس الزكية والانفاس القدسية العلم الاوحد الالمعي والعلامة النحرير الاورعي الحبر الملي مولاي

الحاج شيخ حسنعلي حرس الله حاله وبلغه الى كل خير آماله اني كنت قديماً فائزاً بزيارتكم مقتبساً من انوار انفاس

حضرتكم حين توجهكم [illegible] السلام في الحضرة الرضوية العلية الرضوية على مشرفها الاف التحية والثناء مع اني لم ازل

بما من الله عليكم بالنعم الجسيمة والمراتب العلية العظيمة وذلك مما يرزق الله عباده المقربين والمؤمنين الصالحين

حيث انك عزمت على ان تتقرب الى جدي الرضا بالزيارة فطوبى لمن [illegible] ذلك المقام ومن نال ذلك الكرام

ولعمري هكذا ذكر اسمك السامي [illegible] والا فهو اشهر من ان يوصف واظهر من ان يعرف [illegible] نفسي انه

فضلاً وفخراً وذخيرة ليوم تبلى السرائر ووسيلة وذخراً [illegible] وبالتواتر المعنوي في الاثر انه يحشر مع من احب

من خير وشر فانهم الله تعالى انه يحب اوليائه ويبغض لاعدائه [illegible] تحت لوائهم

ان شاء الله تعالى وبعد اداء ما يجب علي من الثناء واهداء ما غلا من تحف السلام والدعاء انهي الى ذلك الحضور

الشريف والمجلس المنيف ان لي بنت عزيزة وهي ابنة عشرين تعرض لها علة نحو خمس سنين وهي انها

في كل شهر تزعج بطنها ايام [illegible] حتى صارت بذلك لها حالة [illegible] كلما عالجناها لا تندفع عنها الالام وذلك

من الاطباء راجعنا [illegible] لنا الا اليأس والندم فان لم يكن لهم علم ولا تدبير او لا يكون للادوية والعقاقير تاثير

حتى [illegible] من الاستعلاج [illegible] فالمرجو من [illegible] واياك [illegible]

تصویر نامه که به مرحوم حاج شیخ قدس سره نوشته شده است.

صورة رسالة كُتِبَت للمرحوم الشيخ قدّس سرّه

جنابت [illegible]

نگارا روز و شب در [illegible] م که از یادت رهی شادی ندانم

نمیخواهم ولی از ره بشارت بعضی [illegible] نامت آید بر زبانم

خدایا از کرم دستی بر آن زده که گویم نام تو جان فشانم

روحی و جسمی لک الفدا اول خواهش حقیر اینست که نسبت

و عشق یاران و دوری ز جور آنها فانیا و از ریا رها باشد که هر چه [illegible]

عشق میکنند اما بعد بنده مریضم با امراض ظاهر و باطن

و حضرت عالی طبیب جمیع امراض شافی و بنده فقیر و محتاج

خواهش دارم بندگان توجهی فرموده بهر قسم که میدانی شفا بخشید

و معالجه بفرمائید چون پیر [illegible] تو را از ابتدا می بینی

فرا گیر تا انتهی ها فریاد از کوری هر چه میخواهم که حضرت

برسم نمیرسم حتی در خواب ایکمینه [illegible]

ملک جهان [illegible] من [illegible] چکار کنم چون تو میدانی نهان

تصویر نامه دیگری که به مرحوم حاج شیخ قدس سره نوشته شده است.

صورة رسالة كُتِبَت للمرحوم الشيخ قدّس سرّه

السنوات الأخيرة من عمر والدي المبارك رحمة الله عليه:

تعرضت قبل حدود سنتين من وفاة والدي إلى مرض شديد، وقد عجز الأطباء عن شفائي منه، وقطعوا الأمل في حياتي.

وعندما رأى والدي عجز الأطباء عن مداواتي، ألقى في فمي جزءاً صغيراً من التربة الطاهرة لسيد الشهداء أرواح العالمين له الفداء وابتعد عن فراشي.

فرأيت نفسي في حالة من عدم الوعي تطير إلى السماء وكان شيئاً نورياً مضيئاً يترقى بي في السماء، وعندما وصلنا إلى مكان مرتفع وعالٍ جداً رأيت فجأة شيئاً نورانياً مضيئاً يطير في أعلى السماء، وقد جاء نحونا وقال لذاك الشيء النوراني الذي جاء معي: «أمر أن ترجع روح هذا الشخص إلى بدنه لأنه استشفى بتربة سيد الشهداء عليه السلام».

وفي هذه الأثناء علمت أني ميت وهذه روحي التي تتحرك إلى جهة السماء. وعلى كل حال فقد رجعت إلى الأرض بصحبة هذين الشيئين النورانيين، وعدت من حالة اللاوعي إلى حالة الوعي، ورأيت معجباً عدم وجود أي أثر للمرض في جسمي ولكن رأيت أقربائي

ومعارفي في حالة تغير واضطراب شديد.

وبعد عدة أيام عندما ذهبت مع والدي إلى المدينة أخبرته بما حدث فقال: «كان مقدراً أن يذهب أحدنا نحن الاثنين من هذا العالم وإذا كنت أنت الذاهب فإني سأعيش خمسة عشر سنة أخرى. ولأنه ليس لي في هذه الدنيا من قصد ومطلوب سوى خدمة عباد الله فقد رجحت أن أكون الذي يحزم أمتعة السفر إلى ذلك العالم، ولأنك شاب وستبقى بمشيئة الله مدة أطول في هذه الدنيا حيّاً، لكي تعلم أني قد اخترت الموت لنفسي والحياة لك واعلم أن حياتك مرتبطة بخدمة الناس مع نية وقصد القربة إلى الله تعالى وعندما تتساهل وتتغافل عن ذلك فمعنى ذلك أنك تعيش أيامك الأخيرة.

وقبل سنة من وفاة والدي رأيت ليلة في عالم الرؤيا أن الوقت كان عصراً وقد خرجت من المدينة ذاهباً صوب قرية «نخودك» وفجأة غابت الشمس فوقعت في اضطراب شديد. وكان هذا الاضطراب لأمرين: الأول لظلمة الجو، والثاني لا أدري ماذا سأجيب والدي لأنه كان قد أوصاني أن أكون دائماً قبل غروب الشمس في البيت، ولا يقبل منّي إذا قلت له: إن الشمس قد غابت فجأة. فكنت خائفاً ومضطرباً وفجأة طلعت الشمس من المغرب وصعدتْ إلى أعلى بقدر سنان.

وبعد قليل من رجوعي في أثناء الطريق انتبهت أن سكيناً كبيراً كانت في يدي وخلفي كلب كبير يتبعني، وفجأة ظهر شيخ كبير وإلى حد ما طويل وأخذ من يدي السكين وقبض على الكلب بيد وبيده الأخرى فصل رأسه عن جسده بدون أن تتلطخ السكين دماً، ثم أرجع لي السكين وقال لي: بابا ألك عمل آخر؟ فقلت له: كلا وشكرته. ثم اختفى ذلك العجوز.

وفي الصباح أخبرت والدي بما رأيته في عالم الرؤيا. فتأمل دقائق عديدة ثم سألني: ألم تعرف ذلك الرجل العجوز؟ فقلت له: كلا: فقال لي: لقد كان هو الشيخ العطار. وعندئذٍ قال لي، هذه السنة هي السنة الأخيرة في عمري. وإنك ستلقى بعدي عناءً ومشقة كبيرة، فقل لي ماذا تفعل حينئذٍ؟ فقلت له: التجيء إلى الله تعالى. وبعد ذلك بشهرين عندما ذهبنا إلى المدينة يوماً قال: حينما نرجع من المدينة إلى البيت عصراً سأكون مريضاً، وهذا المرض مقدمة لموتي وفعلاً فقد كان كما قال، فأخذ بالتقيؤ الشديد عندما رجعنا إلى البيت عصراً ومرض مرضاً شديداً.

وفي هذه الأثناء كان عنده سبحة من العقيق فضاعت فقال: فقدان مسبحة العقيق علامة موتي، وإذا عثرتم عليها فسأجد تحسناً ولكن لم نعثر عليها رغم التفتيش الدقيق وبعد شهر وجدناها في غرفته الخاصة فتحسنت على أثرها صحته قليلاً، ثم فقدنا مسبحة العقيق مرة ثانية، ولم نعثر عليها بعد ذلك أبداً. فازدادت حالته الصحيّة سوءاً وبقي أربعة أشهر طريح الفراش. وخلال هذه المدة تحدّث لي بالتفصيل عن حالاته من الابتداء حتى الانتهاء، ونقل لي أيضاً حالات الأساتذة والعظماء الذين أدركهم وأخذ عنهم.

ولم يسكن والدي في مدينة مشهد لأمور معينة وسكن في أطرافها فسكن ابتداءً في قرية «نخودك»، ثم سكن في قرية «سمرقند». وفي أحد الأيام أثناء مرضه وحيث كنت ذاهباً إلى المدينة لحضور دروسي، ففي الظهر استدعاني بواسطة شخص وقال لي: اليوم فارقت روحي جسدي وتشرفت بحضور ثامن الأئمة عليه السلام، ورأيت أيضاً أستاذي المرحوم الحاج محمد صادق التخت پولادي كان حاضراً، فطلبت منه أن يلتمس الإمام عليه السلام برجوع روحي إلى

بدني لأوصي وصيتي. فأذن الإمام عليه السلام بذلك والآن يا ولدي عليك بمراقبة حالي ولا تذهب ثانية إلى المدينة.

والخلاصة فقد تحسنت صحة والدي باهتمام الأطباء. ولكن ذلك الرجل الجليل القدر عندما رأى سرور الطبيب المعالج قال له: تحسن صحتي ليس فيه سرور لأنني راحل. فسأل الطبيب والدي: فما هي وظيفتي إذن؟ فقال له: وظيفتك أن تستمر بمعالجتي ما دمت على قيد الحياة وأنا أيضاً ألتزم بأوامرك. وبقي على هذه الطريقة إلى آخر ساعات عمره الشريف.

وكان والدي في هذه الأوقات مثل السنوات الأخرى من حياته يبقى يقظاناً من الليل إلى الصباح. وكان بين الفينة والأخرى يترنم ببيتين من الشعر:

دهر ننمى في الصراع يا علي أعني الاستعانة بغيرك عار يا علي أعني فتح أعمال العالمين باشارة منك فما الذي يؤخر حاجتنا يا علي أعني وبأمر من الأطباء المعالجين نُقل والدي إلى مستشفى المنتصرية في مشهد ووضع هناك تحت العلاج. وأتذكر الآن أنه وقع نظري وأنا في طريقي إلى المستشفى على رجل وامرأة سافرة كانا جالسان في عربة يجرّها حصانان، وعندما وصلت إلى خدمة والدي ابتدرني قائلاً: إن رحيلي لقريب ولكن لماذا لم تحفظ عينيك؟ قلت: لم ارتكب هذا الذنب متعمداً. فقال لي: أعلم ذلك ولكنك لم تكن تبحث عن أحد لترمي بنظرك إلى داخل العربة فتصادف امرأة أجنبية يقول أمير المؤمنين عليه السلام «النظرة سهم مسموم من سهام الشيطان».

ثم قال بعد ذلك: رأيت البارحة المرحوم الحاج الشيخ عباس المحدّث القمي في عالم الرؤيا يقول: تعال فنحن في انتظارك. وفي اليوم الثاني قال لمدير المستشفى: إن موتي قريب، فإذا اتفقت وفاتي

في هذا المستشفى سيزدحم الناس ويختل النظام المعهود هنا، ولذا صممت على الانتقال إلى البيت. ولم ينفع إصرار المدير عليه للبقاء في المستشفى. وأخيراً انتقل إلى منزل أحد مريديه وهو الحاج عبد الحميد المولوي، وبقي الشهر الأخير من عمره الشريف تحت العلاج في هذا المنزل إلى أن أجاب داعي الحق وفارقت نفسه الزكية الحياة.

وقبل اسبوعين من وفاة هذا الرجل العظيم الشأن رأيت في عالم الرؤيا بأني ذهبت لزيارة ضريح العارف الكبير الشيخ المؤمن والمشهور في مشهد ب ـ«كُنبد سبز». فرأيت والدي مع الشيخ المؤمن يتحادثان. وعندما دخلت عليهما طلب والدي من الشيخ المؤمن أن يأمرني لأوفق للتهجد وإقامة صلاة الليل. وعندما أراد هذا الرجل العجوز أن يخبرني شيئاً قال له والدي: الآن أصبر بضعة أيام.

وعلى كل حال فقد حكيت لوالدي ما رأيته في عالم الرؤيا. فقال لي: نعم لم يبق شيء من عمري.

وفي منتصف إحدى الليالي اشتد المرض على والدي وأصبح حاله صعباً، وجاء الأطباء لعيادته، وبعد إجراء الفحوصات الطبية اللازمة أعلنوا بأن المريض قد فارق الحياة. ولكن مع العجب الشديد فإن قلب والدي بعد التوقف عن النبض عاد إلى العمل ثانية، وبعد يوم قال لي أحد الأطباء المعالجين واسمه الدكتور السيد أبو القاسم قوام: لقد توفي والدك البارحة ولكنه عاد إلى الحياة ثانية.

وبعد هذه الحادثة، في اليوم التالي حينما كانت الغرفة خالية من الأغيار قال والدي: في الليلة الماضية فارقت روحي بدني وتشرّفت بحضور الإمام الرضا عليه السلام وطلبت من أستاذي المرحوم الحاج محمد صادق أن يلتمس الإمام أن يمهلني أسبوعاً آخر لتكميل وصاياي. فأذن الإمام بذلك بشرط ألا أطلب طلباً كهذا مرة أخرى.

ثم قال لي: ابق إلى جانبي في ليالي هذه المدة وراقب حالي.

وتحسّنت صحة والدي قليلاً قليلاً. ولكن في يوم الأربعاء وصلت حالته إلى أسوأ حال فجأة وتورمت يداه. وقد تعجب الأطباء من التغير المفاجىء في صحته. ولم نجز لأحد عيادة والدي سوى السادات.

الخلاصة: وفي هذا الوقت قال لي: سأموت في صباح يوم الأحد ثم أوصاني بوصاياه فقال:

﴿ولقد وصيّنا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾[1].

بالتقوى بلغنا ما بلغنا. فإذا لم يكن هناك تقوى في هذا الطريق فإنه ليس للرياضات والمجاهدات أي أثر سوى الخسران، وليس لهما ثمر ونتيجة إلا الابتعاد عن ساحة الحق تعالى. يقول الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «إن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفرا، ولم يزدد من الله إلا بُعدا». فإذا قضى إنسان أربعين يوماً في الرياضة والمجاهدة ولكنه صلّى صلاة الصبح ليوم واحد قضاءً فستكون نتيجة هذه الأربعين هباءً منثوراً. واعلم أنه في جميع أيام عمري لم أصلِ الصبح قضاءً إلا مرة واحدة كان عندي طفل ذكر فقدته في ليلة ذلك اليوم وعند السحر قالوا لي: إن ألم الفقدان هذا قد استحققته بسبب ذهاب صلاة الصبح. ولهذا إذا لم أتهجد في ليلة ما فسأكون في صباحها بانتظار بلاء ينزل بي.

واعلم أن إتيان المكروهات سبب لنزول درجة ومقام العابد. وبعكسه فإن إتيان المستحبات موجب لترقي مرتبة ومنزلة العابد.

---

(١) النساء/ ١٣١.

واعلم أنه إذا كنا قد وصلنا إلى مقام معين في طريق الحق وسلوك هذا الطريق فهو ببركة اليقظة في الأسحار وفعل المستحبات وترك المكروهات. ولكن أصل وروح كل هذه الأعمال هو خدمة الذرية الطيبة من أبناء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم.

والآن يا بني فإني أوصيك بأمور:

الأول: أن تؤدي الصلوات اليومية في أول وقتها.

الثاني: ابذل كل ما تستطيع واسعِ جاهداً في سبيل قضاء حوائج الناس، ولا تفكر أبداً أن العمل الفلانيَ كبير لا أقدر على انجازه لأن من يقدّم خطوة في سبيل الله فإن الله تعالى يعينه ويساعده.

وهنا قلت لوالدي: أبي العزيز، إن السعي أحياناً في قضاء حوائج الآخرين سبب لتعريض النفس للمذلة.

فقال لي: ما أحسن أن يريق الإنسان ماء وجهه على الأرض في سبيل الله.

الثالث: احترم السادات كثيراً وابذل ما عندك في سبيلهم. واجهد وسعك وطاقتك لاخراجهم من حياة الفقر والعوز، فإذا كنت حارساً لهم عن الفقر فقد أديت وظيفتك وليس عليك وظيفة أخرى.

الرابع: لا تغفل عن التهجد وصلاة الليل، ولتكن عادتك التقوى والعبادة.

الخامس: اطلب العلم إلى الحد الذي تتحرر فيه من قيد التقليد.

وفي هذا الوقت وقع في خاطري أنه بناءً على هذا أن أبتعد عن الناس جانباً وأنزوي عن صحبتهم وعشرتهم في زاوية للتفرغ للرياضة

والعبادة وتحصيل العلوم الظاهرية والباطنية. ولكن والدي رماني فجأة ببصره وقال: إن تصوّرك باطل، إن تكليفك ورياضتك فقط هو خدمة الناس.

وبعد ذلك قال لي: عندما ينتهي أجلي في صباح يوم الأحد فإذا كان حالك يساعدك فغسلني وكفني وادفني، وأوصى إلى المرحوم الدكتور الشيخ حسن خان العاملي الذي كان طبيبه المعالج أن يوجهه إلى القبلة عند الاحتضار وأن يجري عليه آداب الميت. وقال للمرحوم السيد مرتضى روئين تن رئيس تحرير جريدة طوس: تعال أنت أيضاً في صباح يوم الأحد وبعد موتي بساعة اقرأ على رأسي شيئاً من القرآن الكريم. وكان للمرحوم السيد مرتضى ظاهراً عادياً وباطنا عجيباً فأولياء الله غائبون بين الأوباش.

وعلى كل حال فمنذ ظهر يوم الخميس الأخير في حياته إلى يوم الأحد الذي كان متوقعاً فيه موته لم يتكلم مع أحد وكان في حالة مراقبة دائمة. وفي ليلة الجمعة رفع رأسه من الوسادة وأخذ يدور ببصره وقال: «يا شيطان قد امتلأت من رأسي إلى قدمي بحب علي فلن تحصل على مرادك».

والأبيات الآتية في وصف حال وشرح مآل ذلك الرجل الفذ وقد كان هو بين حين وآخر يترنم بها ويقول:

يـــا مـــن أتـــولـــى بـــولايتـــه   وأتبـــرأ مـــن نفســـي ومـــن غيـــره
متعتـــك رأسمـــال مصلحتـــي   ولو شقوني من رأسي إلى قدمي
لمـــا وجـــدوا غيـــرك فـــي   سائر أعضائي ناد عليا عليا يا علي

ووصل يوم السبت، فقال هامساً: لقد صعبوا علي أمر الذهاب وعاتبوني أنه: أنت الذي كنت تأمل بالحضور في محضر الإمام الرضا

عليه السلام في هذا العالم فعلام كنت تفتح فمك بالضحك بين الفينة والأخرى.

نعم، حسنات الأبرار سيئات المقرّبين.

وأخيراً وفي صباح يوم الأحد وصلت الساعات الأخيرة من عمره الشريف. وبأمر والدي ذبحنا خروفاً بعنوان نذر الزهراء سلام الله عليها وبعد مضي ساعتين من طلوع شمس يوم السابع عشر من شعبان سنة ١٣٦١ هجري قمري وصلت شمس روحه إلى أفق مغرب حياته، وطارت روحه الطاهرة مشتاقة إلى عالم القدس والبقاء: ألا أن أولياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار.

ولم تمض ساعة حتى انتشر خبر وفاة ذلك العارف الكبير والعالم الرباني في جميع أنحاء المدينة، وحضر جم غفير لتوديعه وتشييعه وأداء المراسم الدينية الأخرى.

وحُملت جنازة فقيد العلم والمعرفة على آلاف الأيدي من مُحبّيه المحزونين والمصابين. وعبر موكب التشييع من محلة سعد آباد في مشهد في شوارع المدينة التي كانت في حالة التعطيل الكامل إلى أن وصلوا قرية «سمرقند» محل سكناه حيث غُسل في الماء الجاري حسب وصيته.

وفي هذه الأثناء خرجت مجموعات عظيمة من اللاطمين على الصدور ـ والتي كانت ممنوعة لسنوات ـ في عزاء هذا الرجل الجليل وحملت الجنازة بعد الغسل والتكفين في وسط الغم والألم إلى المدينة، وبعد الطواف حول المرقد المطهر لثامن الحجج عليهم أفضل الصلوات دُفن في تلك النقطة من الصحن العتيق التي أوصى هو أن يُدفن فيها.

قال والدي قبل سنوات عديدة: لقد صممت في وقت من الأوقات على الإقامة في النجف الأشرف، لكن حينما كنت في غرفة من غرف الصحن الرضوي القديم في مشهد مشتغلاً بالرياضة، في حالة الذكر والمراقبة رأيت بأن أبواب الصحن القديم قد أغلقت وجاء نداء بأنّ حضرة الإمام الرضا عليه السلام يريد رؤية زواره على عادته. وبعد ذلك وضع له كرسي في مكان جانب الايوان العباسي ـ وهذا المكان هو قبر والدي الآن ـ وجلس الإمام عليه السلام على ذلك الكرسي وأمر أن يفتح الباب الشرقي والباب الغربي في الصحن القديم ليدخل الزوار من الباب الشرقي ويخرجوا من الباب الغربي. ورأيت في ذلك الزمان أن ساحة الصحن مملوءة من الجموع التي كان بعضها على صور حيوانات مختلفة ويتقدمون نحو الإمام عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام يضع يد الولاية والقبول على رؤوسهم جميعاً حتى أولئك الذين كانوا على شكل غير إنساني ويترحّم عليهم. وبعد ذلك السير والشهود المعنوي ومشاهدة تلك الرأفة العامة من الإمام عليه السلام قررت اختيار مشهد محلاً لسكني آملاً نيل ألطاف وعنايات الإمام الرضا عليه السلام.

وبعد أن ذكر والدي هذه الحادثة أوصى أن يكون مدفنه في المكان الذي وضع فيه كرسي الإمام عليه السلام. وأخيراً دُفن بإرادة الله تعالى قبل آذان فجر يوم الاثنين في تلك البقعة المباركة.

ووضع المرحوم السيد ذبيح الله أمير شهيدي ـ وكان من مريدي المرحوم والدي ـ صخرة على قبره نقش عليها هذه العبارة «تربة كيمياء الأثر مقتدى أهل النظر المرحوم الحاج الشيخ حسن علي أصفهاني طاب ثراه، ١٧ شعبان ١٣٦١ هجري».

ويزور قبره إلى الآن أهل القلوب والعرفاء وسالكي طريق الحق

ومريديه، فيستمدون من روحه المباركة الملهمة ويطلبون الهمة من مقامه الشريف.

يقول الأنصاري في كتابه في تراجم حياة علماء أصفهان صفحة ٢١٢ في ترجمة حال ذلك الرجل الفذ هكذا: «الحاج الشيخ حسن علي عالم زاهد وفياض وجليل، يرتاض في مدرسة كاسه گران. جاور الضريح المقدس للإمام الرضا عليه السلام سنوات طويلة محبوب العاكف والزائر ومتفقد أحوال المقيم والمسافر. أول المتقين والعباد. وكانت له اليد الطولى في العلوم الغريبة».

وأنشد ملك شعراء البلاط الرضوي المرحوم الدكتور قاسم رسا في رثاء الفقيد السعيد.

حشره الله مع أوليائه، وقرن روحه الطاهرة مع الروح والرحمة وأن يغرقه في بحر مغفرته، وتفضل عليّ يا إلهي أنا العبد الضئيل ببركة التوفيق لأكون خلف صدق لذلك الرجل الجليل بالنبي وآله صلوات الله عليهم وعلى الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.



مزار المرحوم الحاج محمد صادق تخته فولادی

ترجمة حياة المرحوم الحاج محمد صادق التخت فولادي قدّس سرّه

قدوة السالكين المرحوم الحاج محمد صادق المشهور بـ «تخت فولادي» من العرفاء العظام في القرن الثالث عشر، وأستاذ سير وسلوك المرحوم الحاج الشيخ حسن علي رحمة الله عليه. عاش في أواخر حكومة الملك القاجاري فتح علي شاه. اشتغل في أوائل شبابه صبّاغاً، وكان يدير محلاً للصباغة بمساعدة عدد من الصنّاع. وكان عادة المرحوم في أيام شبابه وبسبب حالة عدم الأمن السائدة في المدينة أن يخرج مع صنّاعه في عصر كل يوم خارج أصفهان للتنزّه.

وفي غروب أحد الأيام كانوا راجعين إلى المدينة من بوابة شيراز وقع نظره من بعيد على رجل عجوز في مقبرة تخت فولاد يجلس واضعاً رأسه بين ركبتيه غارقاً في التفكير. فقال المرحوم الحاج لصنّاعه: بقي للغروب وقت كثير فلنذهب ولنمزح قليلاً مع هذا العجوز وعندما يصل الغروب نرجع إلى المدينة. فاقتربوا من الرجل العجوز وسلّموا عليه، فرفع العجوز رأسه وردّ السلام ثم وضع رأسه بين ركبتيه ثانية فسألوه ما اسمك؟ ومن أين أتيت؟ وماذا تعمل؟ ولكن لم يجبهم العجوز بشيء. فضربه الحاج بطرف العصا التي في

يده على كتفه وقال: أنت إنسان أو حائط، كيفما نتحدّث معك لا تجيبنا؟ ولكنه أيضاً في هذه المرة لم يسمع جواباً. فقال لرفقائه: لنذهب إذ وقوفنا أكثر هنا لا نتيجة فيه. ولم يمشوا سوى خطوات قليلة حتى رفع العجوز رأسه وقال مخاطباً الحاج محمد صادق: أي شاب عجيب أنت فيا حسرة على شبابك! ولم يتكلم بكلمة أخرى. وعندما سمع الحاج محمد صادق هذه الكلمات لم يقدر على الحركة، فوقف وأعطى مفاتيح الدكان لصنّاعه، ثم رجع بنفسه وجلس لخدمة العجوز. وبقي ثلاثة أيام بلياليها والعجوز لا يتكلم بأي كلمة سوى كلمات يتفوه بها كل بضعة ساعات فيقول على سبيل الاستفهام: ماذا تعمل هنا؟ انهض واذهب إلى عملك.

وبعد ثلاثة أيام بليالها قال العجوز ذو الضمير الحي للمرحوم الحاج محمد صادق:

ما هو عملك؟ فأجابه: صبّاغ. فقال له العجوز: اذهب بالنهار واشتغل بكسب معاشك وتعال في الليل إلى هنا وعمل المرحوم الحاج على طبق ما أمره به العجوز، فكان يشتغل في الصباغة نهاراً، وفي الليل يأتي بما حصل عليه من كسب يومه بخدمة العجوز الذي كان اسمه (بابا رستم البختياري). وكان هذا العجوز العظيم الشأن يؤثر الفقراء على نفسه وينفق ما يحصل عليه من الأموال على الفقراء، وحتى إعالة المرحوم الحاج محمد صادق كان يقوم بتأمينها المرحوم بابا رستم. وبعد سنة قال المرحوم بابا رستم للحاج محمد صادق: لم يعد من الضروري بعد هذا الذهاب إلى دكان الصباغة، ابق هنا. وبقي المرحوم الحاج في ذلك المكان المعروف الآن في أصفهان باسم «تكيه مادر شازده» في مقبرة تخت فولاد، وقبره في ذاك المكان أيضاً. وخلال سنة كاملة كان يحيي الليل بالتهجد والعبادة ويقضي

نهاره بالرياضة.

وبعد مضي سنة في يوم عيد الأضحى قال المرحوم بابا للمرحوم الحاج: اذهب اليوم إلى السوق، واذهب إلى بيت فلان وخذ كبد الخروف الذي ذبحه اليوم فداء. وبعد ذلك اجمع الحطب من مكان على مرأى الملأ ثم ارجع إلى هنا.

وكان الشخص الذي أتى باسمه المرحوم بابا رستم في السابق على غير ما يرام مع المرحوم الحاج محمد صادق. ولهذا السبب فقد اشترى المرحوم الحاج كبد خروف من السوق وجمع الحطب من الأمكنة الخالية من الناس، وجاء به إلى خدمة بابا رستم، فقال المرحوم بابا غاضباً: ما زلت أسير هوى وهوس نفسك وتلاحظ الخلق في عملك، اشتريت الكبد من السوق وجمعت الحطب من الأماكن الخالية من الناس.

ثم مضت سنة أخرى، وفي إحدى الأيام ذهب الحاج إلى المدينة لقضاء حاجة من حاجاته، وفي الطريق اشترى قليلاً من الكشمش وأكله وبعد أن رجع ابتدره المرحوم بابا رستم غاضباً متغيّراً: ما زلت أسيراً لهوى نفسك.

يقول المرحوم الحاج: فقررت أن أبتعد ساعات قليلة عنه حتى يهدأ غضبه. وما أن مشيت حتى سقط حولي حجر وإذا بصوت المرحوم بابا يصرخ بي: تعبت عليك سنتان فأين تذهب؟ فرجعت وفهمت أن غضبه كان غضباً بحسب الظاهر ولكنه باطناً ليس سوى الرحمة والمحبة.

وفي يوم قال المرحوم بابا رستم للمرحوم الحاج: اذهب إلى المدينة واشترِ لنا كمية من اللبن. ونفذ الحاج ما أمر به. وصادف في

طريق رجوعه أحد فرسان شرطة الحكومة، فطلب الشرطي الفارس منه أن يحرس حصانه وملابسه حتى يسبح في النهر. فقال له الحاج: ليس عندي وقت ويجب أن أذهب. فضرب ذلك الرجل الجاهل رأس الحاج بقبضة سوطه ضربة جرحت رأسه وأسقطت اللبن من يده. وسكت الحاج ولم يرد عليه بشيء وجلس جانب النهر لينظف نفسه من الدماء ثم ذهب مرة أخرى واشترى اللبن ورجع فسأله المرحوم بابا عن علّة تأخّره. فشرح له الحاج الحادثة. فسأله المرحوم بابا: فماذا كان جوابك له؟ فقال الحاج: سكت ولم أقل شيئاً وأوكلت جزاءه إلى الله تعالى. فقال المرحوم بابا: لم تفعل حسناً لأنه كسر رأسك وأنت أوكلته إلى الله. والآن ارجع بسرعة واظهر له الغضب والتشدد. فرجع المرحوم الحاج فوراً ولكنه عند وصوله رأى أنه قد فات الأوان فقد ألقاه حصانه إلى الأرض وقتله.

واستمر المرحوم الحاج في الارتياض في خدمة المرحوم بابا رستم سنوات أخرى. فكان يبقى من الليل إلى الصباح يقظاناً مشتغلاً بالعبادة. وقد نقل بنفسه: أنه في كل مرة يغلب عليّ النعاس كان المرحوم بابا يقول لي: صادق هنا ليس محل نوم، إذا كنت تريد النوم فارجع إلى بيتك ونم.

يقول المرحوم الحاج: لقد ضعفت ساقا المرحوم بابا حتى لم يعد يستطيع الوقوف بسبب كثرة العبادة والصلاة، وعندما كان يريد أن يتحرك لا يستطيع إلا أن يتشبث بشيء ويتكىء عليه. وذهبت أيضاً إحدى عينيه من كثرة اليقظة وعدم النوم. ولذا كان يقول في مناجاته بلهجته البختارية: إلهي أقعدتني، إلهي أعميتني، فماذا تريد بعد منّي.

واستمر هذا الوضع إلى سنوات أخرى أيضاً. إلى أن في يوم قال المرحوم بابا للمرحوم الحاج محمد صادق: آمل أن أتشرف بحج

بيت الله ولكن ليس لي استطاعة بدنية ولا أقدر على المشي. فقال له الحاج محمد صادق:

أنا أحملك على ظهري وأسير بك إلى مكة. فقبل المرحوم بابا فجهزا لباس الإحرام من أصفهان. وحمل المرحوم الحاج المرحوم بابا على ظهره وسارا بقصد التشرّف بحج بيت الله الحرام. وحينما وصلا إلى محلة (شاه رضا) التي تبعد أربعة عشر فرسخاً عن أصفهان قال المرحوم بابا: لقد انتهى أجلي وسأخلو من هذه الخرقة. فغسّلني وكفني بلباس الإحرام هذا وادفني، وأتلو القرآن ثلاثة ليالٍ على قبري، ثم ارجع.

وفعل المرحوم الحاج محمد صادق كما أمره المرحوم بابا رستم. وبعد الإنتهاء من المراسم اللازمة رجع إلى أصفهان. وسار في العام القابل من أصفهان قاصداً حج بيت الله الحرام نيابة عن المرحوم بابا.

يقول أحد الأشخاص الذين كانوا معه في هذا السفر: عند نزولنا في إحدى البيوت الكبيرة المعدّة لإيواء قوافل الحجيج في طريق الحج قرب شيراز، وكان الهواء بارداً والثلوج تتساقط. فرش المرحوم الحاج جلد خروف في دكة باب ذلك البيت وجلس. فقال له أهل القافلة: الهواء بارد وهنا محل عبور الحيوانات المفترسة فمن الأفضل أن تتفضل بالدخول داخل الدار. ولكنه أجابهم بعدم وجود الماء داخل الدار، وأشار إلى ساقية الماء التي كانت تجري خارج الدار وقال: هنا أفضل لي. وحين غربت الشمس قال مسؤول دار الحجيج للمسافرين:

اعتدنا أن نغلق باب الدار ولا نفتحه إلا في الصباح، فإذا بقي صاحبكم خارجاً فسيؤذيه البرد وتفترسه الحيوانات الوحشية. وصمم المسافرون حبّاً به أن يحملوا الجلد الذي يجلس عليه من أطرافه

ويدخلوه قهراً داخل الدار. ولكن أحد المسافرين الذي نقل هذه الحادثة والذي كان مطّلعاً على أحوال ومقام الحاج محمد صادق قال لهم: إن الحاج محمد صادق ليس من الأفراد العاديين، وإذا عملتم به عملاً خلاف رغبته وإرادته فسيغضب ويحل بكم أمر فجيع، وذهب بنفسه إلى الحاج وقال له: إن هؤلاء الناس لا يعرفونك ولا يعرفون أحوالك ويريدون أن يحملوك قهراً إلى داخل الدار محبة بك وأنا أعلم أنهم إن عملوا ذلك سيحل بهم أمر مؤلم وحزين، ولذلك أرجو منك أن تتلطف وتتفضل إلى داخل الدار حتى لا يصل مكروه لهؤلاء المسافرين الذين لا يضمرون لك إلا الخير. فسأله الحاج: ما هو سبب قلقهم؟ فأجابه المسافر المذكور: أولاً الهواء البارد الذي يمكن أن يودي بك إلى الهلاك، وثانياً وجود أنواع مختلفة من الحيوانات المفترسة. فأخرج الحاج رأسه من ركبتيه وقال لهذا المسافر: ضع يدك على صدري. فقال ذلك المسافر: بمجرد أن وضعت يدي على صدره فكأنما وضعت يدي على قدر مغلي وأحسست بالألم من شدة الحرارة. فقال لي الحاج: قل لهم: ذكر الله ألا يعادل عشرة سيرات (أي ٧٥٠ غراماً) من الفحم؟ أما بالنسبة إلى الحيوانات المفترسة فإذا لم يشأ الله تعالى لا تقدر على إيذائي، كل ما يكون فهو بإذن الله وإرادته، وأنا لا أخاف من الحيوانات في الأرض ولا في السماء.

ورجع المسافر المذكور إلى باقي المسافرين ونقل لهم ما أحسّ به وما سمعه منه. ولأن الحاج كان مريضاً قليلاً فقد طبخ له المسافرون قدّراً من الشوربة ووضعوه إلى جنب سجادته، ثم أغلقوا باب الدار.

وفي صباح اليوم الثاني فتحوا باب الدار فوجدوا أن السماء قد

أمطرت ثلجاً كثيراً، ولكن لم يشاهدوا ثلجاً أمام سجادة المرحوم الحاج، وظاهراً أن الحيوانات التي كانت جالسة أمام السجادة هي التي منعت وصول الثلج إلى تلك البقعة. وأيضاً فإن آثار أقدام الحيوانات كانت تُشاهد على الثلج. فقال الحاج: جاء أسد وأولاده البارحة إلى هنا وبقي هنا إلى الصباح وقلت له: إذا كنت مأموراً بافتراسي فأنا مسلّم أمري إلى الله، ولكن علمت أنه غير مأمور بذلك. فبقي مع أولاده هنا حتى الصباح وقبل أن يذهبوا أكلوا مقداراً من الشوربة.

وبعد أن تشرّف المرحوم الحاج بحج بيت الله الحرام رجع إلى أصفهان وأقام في ذلك المكان تكية «مادر شازده»، وكان في صباح كل يوم يذهب إلى جبل اسمه «جشمه نقطه» حيث يوجد في ذلك الجبل غار وعين ماء، وعند الغروب يرجع إلى التكية. واستمر على هذا العمل سنة كاملة. وكان هناك شخص يعيش في تلك الأطراف يطبخ له في كل يوم مقدار سير واحد (ما يعادل ٧٥ غرام) من الحبوب التي تشبه الحمص تسمى «سنگينك» ليكون فطوره في الليل. وكان السنگيك غذاءه الوحيد إلى الليلة الثانية.

وكان علماء ايران الكبار وخصوصاً علماء أصفهان يكنّون الحب البالغ للمرحوم الحاج محمد صادق ويستفيدون من ينبوع وجوده الفياض. وكان المرحوم الشيخ محمد تقي بزرگ من مريديه أيضاً، وكان يأتي إليه في كل ليلة جمعة ويستفيد من بحره الفياض، ويبحث معه مشكلاته العلمية.

وفي يوم طلب المرحوم الحاج من الشيخ محمد تقي إذا أتيت في الجمعة المقبلة فاجلب لي معك شخصياً ديك. وفعل الشيخ محمد تقي ما أمره به الحاج، فجلب له من بيته ديكاً وجاء به تحت عباءته، وصعد العربة مع خادمه قاصداً تكية مادر شازده. وفي أثناء الطريق

كان الديك يسعى لإخراج رأسه من تحت العباءة وكان الشيخ تقي حذراً وخائفاً من خروج رأس الديك من العباءة وكان يفكر بأن الناس لو علموا بأنه يخفي تحت عباءته ديكاً فماذا سيقولون عنه؟ ولهذا كان قلقاً طول الطريق إلى التكية ويعتقد بأن حمل الديك أمر يتنافى مع شأنه الظاهري، إلى أن وصل إلى المرحوم الحاج فأعطاه الديك. فأخذ منه الديك وقال له: أردت منك أن تجلب لي ديكاً لا ديكاً مسروقاً.

وتعجب المرحوم الشيخ تقي من هذا الكلام وقال للحاج: إني أتعجب منك كيف تقول هذا الكلام، لقد جئت بهذا الديك من منزلي. فأجابه الحاج: وعجبي منك أيضاً إذا كان هذا الديك غير مسروق فلماذا كنت قلقاً وحريصاً أن لا يراك أحد! لقد فكرتُ وقلت لعله ليس من مالك ولهذا كنت تريد أن لا يفهم أحد بالموضوع.

نعم كان قصد المرحوم الحاج محمد صادق من هذا العمل أن يزيل عن المرحوم النجفي أنيته وحبّ الذات. وهكذا كانت سيرة العظماء مع تلاميذهم.

ومن مريديه الآخرين أيضاً المرحوم مستوفي الممالك، كان جليل القدر، وكان محبّاً جداً للمرحوم الحاج، وكان كثيراً ما يسافر إلى أصفهان من أجل اللقاء به.

يقول المرحوم والدي: ساءت علاقة ناصر الدين شاه مع إمام جمعة أصفهان آنذاك المرحوم آقا مير سيد محمد الذي كان شخصاً جليلاً وذو سياسة وكفاءة ولهذا السبب أمر ناصر الدين شاه مستوفي الممالك أن يذهب إلى أصفهان وأن يجيء بإمام جمعة أصفهان معه إلى طهران، فذهب مستوفي الممالك إلى أصفهان وتحادث مع إمام الجمعة ليأتي معه إلى طهران بأمر ناصر الدين شاه، فقال إمام

الجمعة: أنا لست حاضراً للذهاب معك، وإذا كنت مجبوراً فتستطيع أن تأخذني قهراً. ولكن فكر مستوفي الممالك بأن أخذ إمام الجمعة مكرهاً إلى طهران سيكون سبباً لوجود مشاكل كثيرة واشعال لنار الفتنة. ولذا عندما وصل إلى خدمة المرحوم الحاج محمد صادق وشاوره في شأن المهمة التي أمره بها ناصر الدين شاه باعتقال إمام الجمعة. فقال له الحاج: لا تزعجه ارجع إلى طهران وقل لناصر الدين شاه لم يكن إمام الجمعة مستعداً للحضور إلى طهران بنفسه ولم أرَ من المصلحة أن آتي به مكرهاً فلذا رجعت وحدي. ففعل مستوفي الممالك ما أمره به الحاج محمد صادق.

وصادف تلك الأيام انفصال أفغانستان عن إيران، وكان ناصر الدين شاه قلقاً بسبب هذا الموضوع، ولذا فإن رفض إمام جمعة أصفهان المجيء إلى طهران زاد في قلقه وغضبه. وعلى سبيل الصدفة سألت والدة الشاه عن علة قلقه وغضبه. فقال الشاه: إن إمام جمعة أصفهان يأخذ الضرائب ويصرفها ويمنع من وصولها إلى طهران وأيضاً فقد رفض المجيء إلى هنا. فقالت والدته: لقد أخذ الأجانب منك أفغانستان فدع هذا السيد يأكل أصفهان أيضاً فلا تقلق. فأثر هذا الكلام في الشاه وكان سبباً لاطفاء نار غضبه، وغض نظره عن ازعاج إمام جمعة أصفهان.

ونقل والدي أيضاً: اطلع شخص طالب للمنفعة على محبة مستوفي الممالك المرحوم الحاج محمد صادق، فاستغل هذه المسألة لمصلحته وكتب رسالة مزوّرة عن لسان الحاج إلى مستوفي الممالك بهذا المضمون وهو أن يعطي مستوفي الممالك إلى هذا الشخص ثلاثة تومانات شهرياً وثلاث حمولات حمار سنوياً (الحمولة الواحدة تعادل ثلاثمائة كيلو غرام تقريباً) من الحنطة. وزوّر ختم الحاج أيضاً. ثم

أخذ الرسالة إلى مستوفي الممالك. وأمر مستوفي الممالك أن يعطي حامل الرسالة بحسب ما ورد في مضمونها. وبعد مدّة جاء عدّة أشخاص إلى خدمة الحاج محمد صادق وأخبروه أن الشخص الفلاني قد زوّر رسالة عن لسانك إلى مستوفي الممالك يتقاضى بموجبها مبلغاً من المال شهرياً ومقداراً من الحنطة سنوياً، فاكتب بأن هذه الرسالة مزوّرة وغير صحيحة. فقال المرحوم الحاج محمد صادق: دع الناس يصلون إلى تحصيل قوتهم باسم وختم انسان لماذا أعمل مثل هذا فأكون سبباً في قطع الخير.

ونقل والدي أيضاً: جاء ظلّ السلطان حاكم أصفهان آنذاك يوماً إلى خدمة المرحوم الحاج محمد صادق في تكية مادرشازده وبعد السلام والسؤال عن أحوال الحاج سأله بماذا أنت مشغول؟ فأجابه الحاج: الدعاء لخلق الله. فسأله الحاكم: هل تدعو أيضاً للشاه بابا؟ (ومقصوده من الشاه بابا ناصر الدين شاه). فأجابه الحاج: عملي هو الدعاء لكل الناس. فكرّر ظل السلطان سؤاله: تدعو للشاه بابا أيضاً؟ فقال له الحاج: أدعو لكل الناس. وهذا السؤال والجواب تكرر ثلاث مرات. وبعد ذلك ودّع ظل السلطان الحاج محمد صادق وركب فرسه وذهب. ولكن وبعد أن سار خطوات يسيرة أخذ الحصان يرفس الأرض برجليه وألقاه بقوة من على ظهره إلى الأرض. فنهض ظل السلطان من الأرض وذهب مرة أخرى إلى خدمة الحاج وقبل يده وقال له: لم يكن غرضي من هذا السؤال هو الحط من مقامك ولكني أردت المزاح. فقال له الحاج: كان قصد الحصان المزاح معك حينما القى بك إلى الأرض وإلا لقتلك. ثم عرض على الحاج مبلغاً من المال. فلم يقبلها الحاج منه. فقال: إذن أعطني إذناً أن أعطيها للفقراء الموجودين حول التكية. فقال له الحاج: أنت تدري. ثم قسّم المبلغ المذكور بين أولئك الفقراء. ثم رجع أيضاً واعتذر من الحاج

مرة أخرى .

ونقل والدي أيضاً: في شتاء قارص كان الثلج يتساقط فيه كثيراً قيل للحاج محمد صادق في ليلة: أن ثعلباً يقف خارجاً تحت حائط التكية ويرجف من البرد. فقال الحاج: أمسكوه من أذنه وأتوا به إلى هنا. فذهبوا وجاؤوا بالثعلب، فقال الحاج مخاطباً الثعلب: يوجد هنا غرفة فيها مجموعة من الدجاج والديوك التي تعود لنا وأنت أيضاً تستطيع أن تأتي هنا ليلاً وتبات في تلك الغرفة مع تلك الحيوانات، وعندما يطلع الصباح تذهب إلى عملك. ثم قال لخدمه: خذوا الثعلب إلى غرفة الدجاج واعطوه هناك مكاناً. وبعد ذلك كان الثعلب يأتي ليلاً ويذهب رأساً إلى غرفة الدجاج ويبقى إلى جانبها حتى الصباح. وعند الصباح يذهب خارج التكية. وبعد مدة وفي ليلة من الليالي أكل إحدى الدجاجات وخرج في الصباح مسرعاً كعادته من التكية وفي ليلة ذلك اليوم لم يدخل إلى التكية ونام تحت الحائط خارج التكية. فنقلت الحادثة إلى الحاج، فقال لهم: اذهبوا وأتوا بالثعلب. فأتوا بالثعلب. فنظر الحاج إلى الثعلب وقال له: أنت لست مقصّراً، غلبتك طبيعتك الثعلبية، وعملت خلاف ما تعهدت به، والآن اذهب إلى المكان الذي كنت تنام فيه في كل ليلة ولكن اشترط عليك أن لا تخطىء ثانية. وهكذا كان الثعلب يأتي في كل ليلة ويذهب صباحاً بدون أن يتعرّض ثانية للدجاج مدّة شهرين حتى انتهى الشتاء. وعلى كل حال ننهي الحديث فإن حديث أولياء الله لا نهاية له.

وكانت طريقة الحاج محمد صادق هكذا: في ليالي الجمعة خصّص أول الليل للقاء العلماء، وكان لبعض هؤلاء العلماء أسئلة فيأتون إلى خدمته ليستلهموا من فيوضاته. وعيّن أيام الجمع قبل الظهر للقاء عموم الناس العاديين. وكان الناس من مختلف الأصناف يأتون

إلى خدمته ويعرضون عليه حاجاتهم ويأخذون الجواب. وفي ليلتي الاثنين والجمعة كان جدي المرحوم ملا علي أكبر رحمة الله عليه يبقى في خدمته إلى الصباح. وفي الصباح كان الحاج محمد صادق يوصيه بما يحتاجه من الحاجيات ليهيئها له من السوق ويجيء بها معه في المرة القادمة.

عاش المرحوم الحاج محمد صادق قريب ٦٣ عاماً، ولم يتزوج إلى آخر عمره. وفي ليلة الاثنين منتصف ذي القعدة سنة ١٢٩٠ هجري قمري لبّى نداء الحق مستعجلاً إلى دار الخلود.

ونقل ان هذا الرجل العظيم أمر في ليلة وفاته أن يُحفر له قبر في محل سكناه في تكية مدرشازده، ثم نام في ذلك القبر، وبعد لحظات نهض وقال: ليس هنا محل قبري احفروا هنا في نقطة أخرى داخل التكية والذي هو الآن محل قبره وقال: هذا هو قبري. وأوصى إلى المرحوم الحاج الشيخ محمد باقر النجفي وكان من علماء أصفهان المعروفين أحد مريديه بأن يتولّى غسله وتكفينه ودفنه. وقال المرحوم والدي: في يوم وفاته كانت تمطر السماء ثلجاً كثيراً. وأخبر المرحوم الشيخ النجفي بالخبر فجاء مع جماعة كبيرة من عشّاق المرحوم الحاج محمد صادق بسرعة إلى تخت فولاد وأنهوا غسله وتكفينه. وبعد الدفن نظر المرحوم الشيخ النجفي إلى الجمع المحتشد وقال: يجب أن تمضي سنوات طويلة لكي يأتي درويش واصل ورجل كامل مثل المرحوم الحاج محمد صادق الذي كانت كل أفعاله وحركاته مطابقة للشرع المطهر والسنن المقدسة لسيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلّم.

كرامات الشيخ حسن علي قدّس سرّه

١ ـ حكاية:

أذكر أن شخصاً باسم «صنيعي» من أهل أصفهان وكان مديراً لدائرة الهاتف في مشهد نقل لي حكايته فقال: عندما كنت مبتلى بوجع الرجلين، وبارشاد وصحبة اثنين من الأصدقاء باسم حسن روستائي وشاهزاده دولتشاهي ذهبنا لخدمة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه ليتلطف علينا لعلي أتخلص من هذا الألم. وعندما ذهبت إلى بيته رأيته جالساً على سرير مفروش بجلد ونوع من البساط الرخيص في غرفة من الطين. وخطر بقلبي أن لعل هذا الرجل يقوم بالتدريس أيضاً مع هذه المظاهر البسيطة وبعد أن سمع حاجتي قال: تعال بعد يومين. وذهبت في الوقت المحدد بناءً على الوعد المذكور ولكن ما زال ذلك الخاطر يختلج في صدري. وعندما جلست لخدمته رمقني بنظرة عميقة وفجأة وجدت نفسي في مدينة أراك والتي كانت محلاً لسكني فترة من الزمن، وفي ذلك الوقت كان والدي ساكناً في هذه المدينة، ودفعة ذهبت إلى داره ولكن قيل لي: آن ولدك انتقل من هذا البيت إلى بيت آخر منذ مدّة وأعطوني عنوان البيت الجديد. وذهبت إلى ذلك العنوان الجديد وفي الطريق صادفت عدة أشخاص من أصدقائي القدماء وضربت معهم موعداً أن يأتوا

لرؤيتي في هذه الليلة. وعندما وصلت إلى دار ولدي طرقت الباب ففتحت الخادمة الباب، وعندما أردت الدخول وإذا بصوت المرحوم الشيخ يناديني فارجعني إلى نفسي، ووجدت نفسي غارقاً في العرق والتعب، وعند ذاك تلطف وأعطاني دعاءً ودواء لألم رجلي. ولكني كنت مستغرقاً كيف كنت في هذا السير والسياحة؟ وبعد عدة أيام أخر جاءتني رسالة عتاب من ولدي يقول فيها: ما الذي حدث! تأتي إلى أراك وتصل إلى باب الدار ثم رجعت ولم تدخل؟ ولماذا أخلفت موعدك مع أصدقائك الذين رأيتهم في الطريق حين جاؤوا لرؤيتك ليلاً؟ وفي آخر الرسالة عنوان المنزل الجديد. وهو في نفس المكان الذي ذهبت إليه أثناء المكاشفة والسياحة.

٢ ـ حكاية:

نقل لي الميرزا علي الجابري الأصفهاني ابن الميرزا حسين الجابري في سنة ١٣٦٣ هجري قمري: كنت قبل ٣٥ سنة تقريباً قاصداً زيارة مشهد المقدسة، وقد أوصاني وأكد عليّ المرحوم الحاج السيد محمد صادق الخاتون آبادي رحمة الله عليه بزيارة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني في مشهد. وبناءً على وصيته فقط ذهبت للتشرف بزيارة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي. وعند رجوعي سألني المرحوم الخاتون آبادي: كيف رأيت الحاج الشيخ من رجل؟ قلت له: لم يكن رجلاً سيئاً. فقال لي: إذن لم تعرفه جيد، ولكن إذا وقعت يوماً في مشكلة عويصة فتوسّل به. ومضى على هذا الأمر سنوات عديدة، وفي هذه المدة لم أرَ الحاج الشيخ مرة أخرى ولم أراسله. وفي أواخر حكومة رضا شاه شكا مجموعة من الأشخاص إلى المحكمة بأن موظفي السلطة أدعوا بأن أملاكهم متعلقة بالشاه

وأخرجوها من تحت تصرّفهم. وأمرت بناءً على هذه الشكوى أن أقدّم تقريراً حول حقيقة هذا الموضوع، وقد أوصاني بعض أهل العقل أنه ربما سيصلني ضرر من عملاء السلطة إذا أعطيت الحق إلى أصحاب الشكوى. وأصحاب الأملاك. وعندما ذهبت إلى الأراضي المتنازع عليها ورأيت عن قرب الفقر والعوز الذي يعيشه أهل الأملاك وأصحاب الشكوى وكانوا جميعاً من ذرية الزهراء عليها السلام لم أقبل بكتمان الحق وأن أشهد على صحة ادعاء موظفي وعملاء السلطة، ولهذا أعطت المحكمة الحق إلى أصحاب الشكوى. ثم رجعت إلى أصفهان. ولكن بعد أيام قليلة طلب منّي الحضور في مركز الشرطة. وبدل أن أذهب إلى مركز الشرطة واحتمال أن أسجن ذهبت إلى منزل أحد الأصدقاء ولجأت إليه. ومن هناك ذهبت إلى شيراز واختفيت في منزل أحد الأصدقاء هناك. وتذكرت يوماً كلام ووصية الحاج السيد محمد صادق الذي قال لي فيه: إذا عرضت لك في يوم مشكلة عويصة فتوسّل بالشيخ حسن علي. ولكني فكرت بأن الرسائل تفتش في طهران وإذا كتبت له رسالة ربما سأسبب له بعض المشاكل ولذا أعرضت عن التوسل به. وبعد أيام قليلة طرق شخص المنزل الذي كنت مختفياً فيه في شيراز وقال لصاحب الدار: جاءت رسالة من الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني وفي داخلها رسالة إلى الميرزا علي الجابري على عنوان منزلكم. وتردّد صاحب الدار في جوابه ماذا يقول له لأنه لا يعرف الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. وكنت في غرفة خاصة مجاورة فصرخت هذه الرسالة لي. ففتح صاحب الدار الباب وأخذت أنا الرسالة من ذلك الشخص، وكان مكتوب فيها.

كنت خائفاً في أن تكتب رسالة لي، ولكني لا أخشى من هذا العمل وفي ضمن الرسالة أمرني أن أواظب على عمل معيّن لمدة ثلاثة

أيام وبعدها سيحصل الفرح إن شاء الله. وعملت كما أمرني به المرحوم الحاج الشيخ حسن علي من الدعاء والذكر ثلاثة أيام. وبعد ثلاثة أيام. وصلت برقية من أصفهان إليهم قد أخبروا. أني قد أحضرت إلى بلاط الشاه وكنت موضعاً لاهتمام شخص الشاه ورجعت إلى أصفهان بدون تأخير. وذهبت بعد ذلك إلى طهران وذهبت إلى بلاط الشاه. فأكرمني الشاه إكراماً كبيراً وأعطاني هدية نقدية. وبعد الذي حدث رجعت إلى وظيفتي وأخذت أترقى في المراتب الادارية بصورة استثنائية.

٣ ـ حكاية:

يقول المسؤول عن إنارة الحضرة المقدسة للإمام الرضا عليه السلام: طردني دولتشاهي رئيس تشريفات الحضرة الرضوية من عملي. وفي يوم وصلت إلى خدمة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني في الصحن الشريف، وعرضت عليه حالي، فقال لي: ضع هذه الحبات من نبات السكر في شاي دولتشاهي ليشربه. فقلت له: إنّ هذا العمل غير ميسور لي. فقال لي: اذهب أنت واطلب أن تقدر. فذهبت فوراً إلى ادارة التشريفات. فخاطبني الخادم الخاص لدولتشاهي: إذا أردت أن تضع شيئاً ليشربه الرئيس فهذا وقته. فأعطيت حبات نبات السكر فوضعه في الشاي وأرسله له. وخرجت من الادارة إلى الصحن الشريف.

ولم تمض سوى لحظات قصيرة حتى طلب دولتشاهي احضاري. وأرجعني إلى عملي السابق.

٤ ـ حكاية:

نقل المرحوم السيد أبو القاسم الهندي: ذهبت مع الحاج الشيخ

حسن علي إلى جبل «معجوني» من الجبال المحيطة بأطراف مشهد. وكان هناك شخص متمرّد من قطّاع الطرق باسم «محمد قوش آبادي»، وكان سبباً لفقدان الأمن في تلك المنطقة، ظهر من بين جوانب هذا الجبل وهدّدنا بالقتل إذا تحركنا من مكاننا، فقال لي المرحوم الحاج الشيخ: أنت على وضوء؟ فقلت له: نعم. فأخذ بيدي وقال: اغمض عينيك. وبعد عدة ثواني ولم نمش إلا بضع خطوات حتى قال لي: افتح عينيك، ولما فتحتها وجدت نفسي قريباً من بوابة المدينة.

وبعد ظهر ذلك اليوم ذهبت إلى خدمته، وكانت جفنة كبيرة مملوءة من الأعشاب في جانب الغرفة فسألني: ما هذا الذي في الجفنة؟ فأجبته: لا أعلم. وفي أسئلته الأخرى أظهرت له عدم اطلاعي ومعرفتي. وعندئذٍ قال: لم تحدّث أحداً بالحادثة التي وقعت في الصباح؟ فقلت له: كلا فقال لي: جيد انك تملك لسانك، واعلم أنه ما دمت حيّاً فلا تحدّث أحداً بالذي كان وإلاّ فستكون سبب قتلي.

٥ ـ حكاية:

ونقل المرحوم السيد أبو القاسم الهندي أيضاً: وبعد عدة سنوات ذهبت مع الحاج الشيخ إلى «حصار سرخ» وكان مشغولاً هناك بالارتياض. وفي اليوم الأخير وبنفس الترتيب الأول وخلال ثوانٍ قليلة وصلنا قرب الصحن المقدس للإمام الرضا عليه السلام. وكانت قافلة من الزوّار ذاهبة من مدينة مشهد إلى «حصار سُرخ» قد رأونا عند طلوع الشمس قرب الصحن الشريف، وقالوا لأهل «حصار سُرخ»: إن الحاج الشيخ عند طلوع الشمس كان يزور قرب الصحن الشريف. وهذا الأمر كان مورد دهشتهم وتعجبهم الشديد لأن أهل المنطقة كانوا قد رأونا

في «حصار» عند ذلك الوقت.

٦ ـ حكاية:

ويقول السيد أبو القاسم الهندي أيضاً: علاوة على هاتين الحادثتين، فإني قد طويت الأرض مع الشيخ الحاج حسن علي ثلاث مرات أخرى. مرة ذهبنا لزيارة سيد محمد في سامراء ومرتين لزيارة سيد الشهداء في كربلاء. ولكنه كان قد اشترط عليّ أن لا أخبر أحداً بهذا الأمر إلاّ بعد وفاته رحمة الله عليه.

٧ ـ حكاية:

ونقل السيد المذكور أيضاً: وفي يومٍ أمرني المرحوم الحاج الشيخ أن أذهب إلى مدينة «تربت» وأبقى الليل في جبل «بيجك صلوة». وأن أقطع قبل طلوع الشمس مقداراً معيّناً من الأعشاب التي قد كان وصفها لي. وقد منعني أهلي من المبيت في ذلك الجبل وقالوا: توجد أرواح في هذا الجبل وكل من ينام هناك سيصل إليه منها أذى. ولكني لم أصغِ إلى ما قالوا وذهبت إلى الجبل. وعند الغروب سمعت ضوضاء كثيرة، ورأيت مركبي مضطرباً وكأنه يفرّ من أحد فصرخت بصوت عالٍ: أنا رسول الحاج الشيخ حسن علي، وسأشكي إليه كل من سيؤذيني. وعندما تلفظت بهذه الجملة هدأت الضوضاء ولم يصل لي أذىً.

والخلاصة فقد بت تلك الليلة في الجبل، وقبل طلوع الشمس قلعت الأعشاب التي وصفها لي الحاج الشيخ وبالمقدار المعيّن. ولكن وفي هذا الوقت خطر ببالي أنه من الحسن أن أقلع بعض هذه الأعشاب لنفسي، وبلا شك فإن التوفيق سيصادف حظي يوماً ما.

وعندما أردت أن أعمل بما خطر ببالي وفجأة رأيت الأمجاد العظيمة تتحرك منحدرة من أعلى الجبل، وقطع مركبي وسنه ليفر فأمسكته وربطته بشدة. وفكرت ثانية أنه ربما كانت حركة تلك الأحجار أمراً طبيعياً فأردت ثانية أن أشرع بقلع تلك الأعشاب فرأيت أن تلك الأحجار بدأت تتدحرج أيضاً، ففهمت بأن هذا ليس أمراً طبيعياً فأعرضت عن هذا العمل ورجعت إلى مشهد ووصلت لخدمة الحاج الشيخ. وعندما رآني الحاج الشيخ قال: لماذا هذا الفضول؟ لماذا أردت أن تقلع من الأعشاب أكثر من المقدار الذي أمرتك به؟ وفي ذلك الوقت فهمت أنّ هذا الرجل العظيم كان طول وقت أداء هذا العمل يراقب حالي وعملي.

٨ ـ حكاية:

ونقل المرحوم السيد أبو القاسم الهندي أيضاً: ذهبت بصحبة أحد أصدقائي بأمر الحاج الشيخ إلى جبل «هزار مسجد» لجلب بعض الأعشاب. وبمجرد وصولنا إلى المكان المحدد قلعنا هذه الأعشاب ورجعنا.

وفي أثناء رجوعنا لفت نظرنا نوع من الأعشاب في الوادي، فقلعناه وأشعلنا فيه النار، وألقينا عدة نقود نحاسية في وسط الأعشاب ونفخنا النار. وبعد فترة رجع لون النقود نحاسياً. وجرّبنا أيضاً نوعين آخرين من الأعشاب فغيّر أحدها لون النقود إلى الأصفر والآخر غيرّها إلى اللون الأبيض. ثم جلسنا ساعة في أعلى الوادي للاستراحة. وعطشنا واحتجنا الماء وكان الماء أسفل الوادي، فأرسلت صاحبي لجلب الماء، ولكن رجع بعد ساعة بيد خالية من الماء وقال: سمعت ضوضاء شديدة على ضفة الماء، فقد ملأت الدلو مرّات عديدة

وسحبته إلى الأعلى ولكن كانوا يأخذون الدلو من يدي ويريقون ماءه في الوقت الذي لا أرى فيه أحداً. وعندما سمعت ذلك منه أخذت الدلو وذهبت بنفسي إلى أسفل الوادي وتكرر معي نظير ما وقع لصاحبي، فصرخت بصوت عال: أنا رسول الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني، إذا كنتم تريدون ايذائي فسأشكوكم إلى الشيخ. وفي هذه الأثناء سمعت أصوات الضحك ولم يتعرض لأذيتي بعد ذلك أحد. فملأت الدلو بسهولة وصعدت به إلى أعلى الوادي. وعندما وصلنا إلى المدينة وتشرّفنا بخدمة الحاج الشيخ ابتدرنا قائلاً: لو لم تذكروا اسمي لما تمكنتم من أخذ الماء، وهذه المشاكسة التي تعرضتم لها كانت بسبب تصرفاتكم الفضولية بعد ظهر ذلك اليوم، فلماذا قطعتم الأعشاب بدون إذن وجربتموها؟.

٩ ـ حكاية:

حدّثني مجموعة من الأصدقاء نقلاً عن رجل باسم ملاّ محمد الذي كان خادماً وحارساً لسطح حرم الإمام الرضا عليه السلام قال: كان الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني يبقى في ليالي الجمعة على سطح الحرم المطهر للإمام الرضا عليه السلام للتهجد والعبادة. وفي ليلة طلبت منه إذناً للذهاب لحراسة بستان العنب الذي أملكه خارج المدينة. فقال الحاج الشيخ: لا تذهب في ليالي الجمع خلف مثل هذه الأعمال وابق هنا، وإذا كنت قلقاً على بستانك فإني سآمر من يحرسه لك.

والخلاصة بقيت تلك الليلة وبعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ذهبت إلى البستان وعندما وصلت قريباً من البستان رأيت رجلاً جالساً على حائط البستان، فناديته: من أنت؟ فلم يجبني،

اقتربت منه فلم يتحرك، سحبته من رجله فسقط من أعلى الحائط إلى الأرض، فأخذت أفرك بكتفيه إلى أن عاد إلى وعيه: فقلت له: من أنت؟ فقال: حقيقة الأمر لقد جئت إلى هنا للسرقة، وعندما صعدت على الحائط جاءت إلى قربي قطة وصرخت فيَّ صرخة مرعبة أغميَّ عليَّ على أثرها ولم يرجع إليَّ الوعي إلاّ الآن.

١٠ ـ حكاية:

قال ابن أخ والدي في الرضاعة واسمه عبد العلي: جئت مع الحاج الشيخ من «ظفرة» إلى أصفهان وكنت أحمل جدياً على كتفي، وهاج هذا الحيوان عندما رأى قطيع الأغنام في الطريق وأخذ يرفس برجليه ويديه ممّا سبب في إتعابي. فقال لي الشيخ: لماذا تأخرت؟ فقلت له: إن هذا الحيوان يؤذيني. فقال لي: ادن الجدي منّي، فأدنيته منه، فقال في أذنه كلاماً ثم قال لي: اطلق سراحه. وبعد ذلك مشى الجدي سبع فراسخ الباقية من الطريق خلفنا دون أن يؤذينا ودون أن يلتفت إلى قطعان الغنم في الطريق.

١١ ـ حكاية:

نقل كربلائي رضاي الكرماني مؤذن الحضرة الرضوية المقدسة: بعد وفاة الحاج الشيخ كنت آتي إلى قبره في كل يوم بين الطلوعين وأقرأ له الفاتحة.

وفي إحدى الأيام جئت أيضاً إلى هناك فغلبني النوم ورأيت الحاج الشيخ في عالم الرؤيا يقول لي: يا فلان لماذا لا تقرأ ليس سورة ياسين وسورة طه؟ فقلت له: أنا لا أعرف القراءة. فقال لي: اقرأ. وتكرر السؤال والجواب بيني وبينه ثلاث مرات. وانتبهت من

النوم فوجدت نفسي ببركة هذا الشيخ احفظ هاتين السورتين. ومن ذلك الوقت وما دمت حيّاً أقرأ هاتين السورتين في كل يوم على قبر هذا المرحوم.

١٢ ـ حكاية:

يقول السيد علي أكبر قوام زاده كدكني: ابتلي ولدي بمرض الأكزما مدة سنتين وكلّما عالجته لم تتحسن صحته. والخلاصة: أصبح الأمر علينا صعباً. وفي يوم ذهبت إلى قبر المرحوم الحاج الشيخ حسن علي وتوسلت به قائلاً: يا شيخ لقد كنت في حياتك معيناً للضعفاء. والآن أيضاً مدّ يد العون لهذا المبتلى. وفي الليل رأيت في عالم الرؤيا الحاج الشيخ يقول لي: أغلي في كل يوم ولمدة ثلاثة أيام مثقالين من ورق العنّاب واعطه للمريض يشربه. وفعلت كما أمرني به الشيخ وارتفع المرض نهائياً، وإلى الآن مضت سنوات عديدة ولم يرجع له هذا المرض.

١٣ ـ حكاية:

نقل الشيخ مختار الروحاني: في إحدى الأيام طلبت منّي امرأة علوية فقيرة عباءة ومقنعة فقلت لها: ليس عندي شيء أستطيع أن أؤمّن حاجتك. ومن باب المصادفة وصلت إلى خدمة الحاج الشيخ حسن علي طاب ثراه وعرضت عليه حاجتي، وعندما أردت الخروج من عنده أعطاني مبلغاً من المال وقال لي: اشتر بهذا المال عباءة ومقنعة لتلك المرأة العلوية، وأعطاني بالإضافة إلى ذلك توماناً آخراً وايصال لاستلام كمية من الرز لأوصلها إلى تلك المرأة العلوية. فكنت متعجباً كيف اطلع الشيخ على أن امرأة علوية طلبت منّي عباءة ومقنعة؟ والخلاصة نهضت للخروج ووقع في فكري أن لا أعطي

التومان ووصل استلام الرز إلى المرأة العلوية الآن ثم بعد مدة أعطيها لها. ولكن صاح بي الحاج الشيخ فجأة بصوت عالٍ: اعمل وفق ما قلت لك ولا تتدخل في العمل.

١٤ ـ حكاية:

يقول رجل كان يعمل في نسج الحصران: كانت زوجتي ومن أول وضع الحمل إلى مدة ثمانية أشهر صدرها خالياً من الحليب، ولهذا كنا في أذية وحزن شديدين، حتى دلّني أحد الأصدقاء على الحاج الشيخ حسن علي. وذهبت إليه صباحاً فوجدت جماعة قبلي ينتظرون نوبتهم للوصول إلى خدمة الشيخ، وفجأة نادى الشيخ بصوت مرتفع: ليأتي الشخص الذي لا حليب عند زوجته. وذهبت عنده، فأعطاني ثلاث تينات وقال لي: لتأكل زوجتك في كل يوم تينة واحدة بعد أن تقرأ عليها ثلاث مرات سورة قل هو الله أحد وثلاث مرات الصلاة على محمد وآل محمد. وجئت فوراً إلى البيت وأعطيت إحدى هذه التينات لزوجتي، ولم تمض ساعة حتى أخبرت بأن صدرها قد مُلىء بالحليب، وأن الحليب يخرج وحده وقد تبلل قميصها. وقد كان تصديق هذا الأمر العجيب صعباً بالنسبة لنساء الجيران. ولكن حيث أنهن كن قريبات وعلى معرفة سابقة بالأمر فقد أذعنّ وخضعن لتصديقه والخلاصة أنه مع أنه لم يكن في صدر زوجتي قطرة واحدة من الحليب فقد أصبحت بعد ذلك تمتلك حليباً لا يكفي لولدها فحسب بل كانت ترضع أيضاً أطفالاً آخرين.

١٥ ـ حكاية:

حكى الشاعر المعروف السيد محمد رياضي اليزدي قال كان

عندي صديق من الصلحاء والخيّرين كان يقول: كنت جالساً ذات يوم مع سيد جليل القدر، فجاءنا شيخ يدعى إبراهيم كان ذا علاقة سابقة بصديقي. وبعد التعارف قال له السيد: يا شيخ إبراهيم حدّث صاحبي بما جرى عليك مع الشيخ الحاج حسن علي الأصفهاني. فقال الشيخ: ذهبت من گيلان لزيارة المشهد المقدس للإمام الرضا عليه السلام، وكل ما عندي من المال صرفته في هذه المدينة، وبقيت بدون مصرف. وحسبت أنه احتاج خمسمائة تومان حتى أرجع إلى گيلان، فذهبت إلى الحرم المطهر وخاطبت الإمام عليه السلام قائلاً: احتاج خمسمائة تومان لأرجع إلى گيلان، وإني منتظر جودك وكرمك. ولكن وحتى اليوم الآخر لم يحصل شيء جديد. فرجعت مرة ثانية إلى الحرم وعرضت حاجتي وقلت: سيدي أنا شحّاذ متكبر وفي هذه المرة أعرض حاجتي عليك أيضاً، لكن إذا لم تقض حاجتي فإني لا آتي لزيارتك مرة أخرى ولا أتحدّث عنكم وسأسجل بأن الإمام الرضا عليه السلام لا يتلطف على ضيوفه. وعندما خرجت من الحرم سمعت صوتاً يناديني من الخلف ورجعت فرأيت شيخاً عرفت بعد ذلك أنه الشيخ الحاج حسن علي الأصفهاني. فخاطبني الحاج الشيخ: يا شيخ إبراهيم الگيلاني كيف تتجرأ وتتكلم هكذا في حضرة الإمام عليه السلام؟ من غير اللائق أن تكون غير مؤدب ووقحاً بهذا الشكل. ثم أعطاني ظرفاً. فكنت غارقاً في التعجب كيف اطلع هذا الشيخ على مكنون باطني وكيف علم كلامي الذي كان سراً مع الإمام عليه السلام ورجعت إلى البيت وفتحت الظرف فوجدت فيه خمسمائة تومان فازداد تعجبي، فقررت الذهاب في اليوم الثاني إلى بيته وأسأله كيف عرف ما في قلبي؟ ومن أين له هذا المال؟ ولكن في الليل رأيت الشيخ في عالم الرؤيا قد جاء إلى بيتي وقال: يا شيخ إبراهيم كنت محتاجاً إلى

خمسمائة تومان وقد أعطيت المبلغ، وقصة من أين لي هذا وكيف علمت ما في قلبك فلا علاقة لك به واعلم أنه إذا جئت إلى بيتي بسبب هذا الأمر فلن أستقبلك. ونهضت من النوم ولم أذهب إلى بيته لأسأله عن هذا الأمر، ورجعت إلى گيلان.

١٦ ـ حكاية:

نقل رجل عجوز فقال كنت في السابق مع اثنين من شركائي سراقاً. وكنا نسكن في «محمد آباد»(١) وكنّا في كل يوم بين الطلوعين نكمن للمارة في الطريق فنجرّدهم حتى من ملابسهم. وكنا نرى في كل يوم شيخ يضع عباءته على رأسه ويمرّ من الشارع إلى جهة مجهولة وفكرنا في أنفسنا أن هذا الشيخ من التجار ويذهب أول الصبح ليصل قبل الآخرين إلى القوافل ويشتري منهم البضاعة ولذلك قررنا أن نقطع عليه الطريق..

وفي سحر اليوم الثاني حيث عادة الشيخ المرور من ذلك الشارع تابعناه إلى أن انعطف عن الشارع إلى الصحراء، ففرحنا لأنه لا يوجد شخص في الصحراء ربما يلاحظنا عند القبض على الشيخ. ما إن سرنا خطوات حتى فجأة امتلأت الصحراء بالحيّات وبدأت بالهجوم علينا، فصرخنا: أنقذنا يا شيخ ستقتلنا الآن هذه الحيّات. فرجع الشيخ إلى الخلف وقال لنا: ماذا كنتم تريدون منّي؟ قلنا له: نريد أن نسألك. فقال: فلماذا لم تسألونني حينما كنت في الشارع؟ إن قصدكم كان سرقتي والآن إذا تبتم من عملكم السيّىء سأنجيكم من شر هذه الحيّات وإلا سأدعها تقتكلم. وباشارة من الشيخ توقفت الحيّات عن

---

(١) «محمد آباد» قرية متصلة بمدينة مشهد، تقع في جنوبها. وأسس الآن مطار المدينة فيها.

الحركة، ونحن أيضاً أظهرنا التوبة عن عملنا والندم على ما كان يصدر عنّا. وبهذا تخلصنا من شرّ الحيّات. ولم يبق منّا نحن الثلاثة على قيد الحياة سوى أنا بينما توفي الشخصين الآخرين.

١٧ ـ حكاية:

قال رجل صيدلي باسم حسن الإسلامي: كنت مبتلياً مدة بمرض «النواسير»[١] وكانت العملية الجراحية اللازمة لها مخيفة ومرعبة. وقد ذهبت بإرشاد من شخص إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني، طالباً منه المساعدة. فأعطاني عدّة تينات وقال لي: كُل في كل يوم واحدة من هذه التينات، ثم تعال إلى هنا مرة أخرى لأعطيك دواءً. والكثير من الأمراض يعالج مع النسيان والقصة.

أكلت إحدى التينات وطلبت الإذن للذهاب. وخلال ثلاثة أيام ارتفع المرض والألم نهائياً. وذات يوم بسبب إحدى المناسبات تذكرت مرضي وانتبهت إلى أنه لا يوجد أثر أصلاً من ألم أو جرح في ذلك المكان، وقد مضى ثمانية عشر سنة لم يعد ذلك المرض لي ثانية.

١٨ ـ حكاية:

سمعت امرأة عجوز تقول: كانت لدي بقرة تعطي في بداية أمرها حليباً كثيراً ثم أخذ هذا الحليب يقل يوماً فيوماً حتى وصل إلى وعاء صغير.

---

(١) النواسير أو النواصير مرض وجروح تحدث في زاوية العين أو جذر السن أو قريب المقعد.

وذهبت إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني الذي كان في تلك الأثناء في «جاغرق» (من مصايف مشهد المقدسة) مشغولاً بالارتياض - وحكيت له أمر البقرة فقال: إذا كان غداً صباحاً أخبريني قبل أن تحلبي البقرة. وجاء في اليوم الثاني على الوعد المذكور ووضع يده المباركة على ظهر البقرة. وكنت مشغولة بحلب البقرة فنزل حليب كثير إلى درجة ملأ الدلو المخصص لحليب البقر. وحينئذٍ قال لي: يكفي هذا؟.

قلت له: نعم. واستمرت البقرة بعد ذلك تعطي دلواً من الحليب في كل يوم..

١٩ ـ حكاية:

يقول الحاج ذبيح الله العراقي وكان رجلاً من أهل الخير: لقد وصلت حكاية الشيخ محد علي القاضي البازنه أي العراقي إلى حدّ التواتر وهي: عندما أراد إنشاء قصيدة بمناسبة تعيين رئيس جديد للحضرة الرضوية المقدسة بحضور هذا الرئيس لعلّه يصله بشيء. فنصحه شخص أنه بدل أن ينظم قصيدة لهذا الرئيس الجديد لينشىء قصيدة للإمام الرضا عليه السلام.

ونتيجة لهذه النصيحة أعرض عن إنشاء القصيدة الأولى، ونظم قصيدة جديدة في عظمة وجلال شخصية الإمام عليه السلام وأنشدها في الحرم المطهر. يقول الشاعر: بعد الانتهاء من قراءة القصيدة أعطاني شخص عشرة تومانات. فخاطبت الإمام عليه السلام: هذا المبلغ قليل. وقرأت القصيدة مرة أخرى، فأعطاني شخص آخر عشرة تومانات أخرى.

والخلاصة لقد كررت انشاء القصيدة ست مرات في حضرة الإمام الرضا عليه السلام وفي كل مرة أعطى عشرة تومانات. وفي صباح اليوم التالي تشرّفت بخدمة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني فقال لي: يا شيخ محمد علي كان لك البارحة مع الإمام عليه السلام سرّ وحاجة، أنشدته قصيدة وأعطاك ستين توماناً، والآن أعطني هذه النقود فأعطيته المبلغ وأعطاني بدلها مئة وعشرون توماناً وقال: اذهب إلى السوق في صباح الغد واشتر فرساً تركمانياً أحمر معروض للبيع بعشرين تومان، وبعشرين تومان أخرى من هذا المبلغ اشترِ هدايا وأمّن مصاريف سفرك. وعندما تصل إلى أراك بع الفرس بأربعين توماناً وبضميمة الثمانين تومان الباقية اشتر بقرة وغنماً واجعل عيشك من تربية هذه الحيوانات والاشتغال في الزراعة، وسيكون من نصيبك توفيق حج بيت الله الحرام. ولا ترتزق بعد ذلك في تأمين معيشتك على الحقوق الشرعية، ولكن في نفس الوقت لا تترك الترويج للدين والأحكام الإلهية.

٢٠ ـ حكاية:

يقول الحاج الشيخ حسين ازغدي مصلّح الساعات: كان لي أخ مصاب بالصرع، وعلى أثر هذا الصرع سقط في جدول للماء ومات. فجرف الماء جسده إلى تحت الجسر، وبقي الجسد تحت الجسر، ولأن الجسد قد صار حائلاً دون جريان المياه أخذ العمال المسؤولين عن تنظيف الجداول والسواقي يبحثون عن علّة توقف الماء عن الجريان فوجدوا الجسد تحت الجسر وبعد ساعة أو ساعتين سحبوا الجسد من تحت الجسر. والخلاصة طُرحت الجنازة على الأرض وغطيت بقطعة قماش. وفي هذه المدة كان الشيخ الحاج حسن علي

الأصفهاني ساكناً في قريتنا وتدعى «حصار»[1] ومشغولاً بالرياضة. وعلى كل حال ذهبت إليه باكياً وحكيت له ما حدث. فجاء هذا الرجل الجليل القدر ووقف على رأس جسد أخي وأشار على جبينه بأصبعه وقرأ دعاء. وفجأة وبعد ساعتين من غرق الجسد في الماء تحت الجسر عطس أخي ونهض.

٢١ ـ حكاية:

سمعت من رجل اسمه أبو القاسم المجتهدي يقول: كنت مبتلياً مدة طويلة بمرض مزمن في القلب، وعجز الأطباء عن علاجي. فعرضت على الحاج الشيخ حسن علي حالتي. وببركه ريق هذا الرجل العظيم كتب الله لي الشفاء والعافية من ذلك المرض.

٢٢ ـ حكاية:

قال لي محمد جواد الدرّي: في ذات يوم ذهبت إلى قبر المرحوم الحاج الشيخ حسن علي أعلى الله مقامه وقرأت له الفاتحة، فجاء رجل وأخذ يبكي طويلاً فسألته عن سبب بكائه فقال: أوصلت في يوم صاحب هذا القبر بسيارتي إلى مدينة «تربت»، وفي الطريق لم يبق في السيارة قطرة بنزين وتوقفت عن الحركة. وكان ينبغي عليّ أن أسير على قدميّ فرسخين للوصول إلى شارع طهران ـ مشهد ـ وآخذ كمية من البنزين من السيارات التي تعبر من هناك. ولكن الحاج الشيخ حسن علي قال لي: حرّك السيارة. فقلت له: ليس عندي بنزين. ولكنه أصرّ عليّ أيضاً بتشغيل السيارة وأنا أنكر عليه ذلك. وبسبب اصرار المسافرين الآخرين الذين قالوا لي:

---

(١) حصار قرية على عدة فراسخ من مشهد.

شغل السيارة فلعلّ لهذا الشيخ كرامة. فجلست خلف المقود وحركت مفتاح السيارة ومع العجب الشديد اشتغلت السيارة وصعد المسافرون وأوصلتهم إلى مقصودهم. وقال لي الحاج الشيخ: هذه السيارة لا تحتاج ثانية إلى بنزين للحركة ما دمت لم تفتح مخزن البنزين. وبقيت أسافر بالسيارة من مكان إلى آخر مدة خمسة عشر يوماً دون أن أضع فيها قطرة بنزين واحدة، إلى أن وسوست لي نفسي أن أفتح مخزن البنزين لأرى ما فيه، فوجدته خالياً تماماً. ولكن مع الأسف الشديد لم تتحرك السيارة ثانية حتى صببت فيها البنزين.

٢٣ ـ حكاية:

يقول أحد الحرّاس: كانت زوجتي مريضة منذ مدة من الزمن، وفي النهاية اشتد عليها المرض فكانت طريحة الفراش مدة ستة أشهر ولم تقدر خلالها على الحركة. وبناءً على نصيحة بعض الأصدقاء ذهبت إلى المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني قدس سره وشكوت له حال زوجتي المريضة. فأكرمني بتميرات وقال لي: كُل فقلت له: زوجتي هي المريضة، فقال لي: كُل أنت هذه التميرات وهي تتحسن صحتها. فخطر في قلبي أنه قد يئس من شفاء زوجتي ولكنه لم يرد أن يقطع أملي. وعلى كل حال رجعت إلى المنزل ودققت الباب، ومع العجب الشديد فقد فتحت زوجتي الباب وبيدها المكنسة، فسألتها: ما الذي حدث حتى نهضتي من فراشك؟ فأجابتني: قبل ساعة كنت مريضة وفجأة رأيت كأن شيئاً ثقيلاً أزيح عن صدري، فأحسست بالعافية فنهضت واشتغلت بتنظيف المنزل. يقول هذا الحارس: في تلك الساعة بالضبط التي أكلت فيها التميرات كتب الله لزوجتي الشفاء.

٢٤ ـ حكاية:

يقول السيد إبراهيم شجاع الرضوي نقلاً عن قول حارسٍ كان خادماً في منزل العقيد نوايي رئيس دائرة الأمن والاستخبارات في مشهد آنذاك: في ذات يوم جاء مجموعة من الضيوف من طهران إلى بيت العقيد نوايي، فكتب العقيد نوايي رسالة وقال: أوصل هذه الرسالة إلى بيت الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. فأوصلت الرسالة حسب الأمر إلى ذلك الرجل الجليل. وبعد أن طالع الشيخ الرسالة جاء معي إلى بيت العقيد نوايي، ودار حوار بينه وبين ضيوف العقيد. وقد سمعت حديثهم من خلف الباب وكنت مراقب الباب. كان الحوار حول قدرة الخالق سبحانه، وكان أولئك ينكرونها بشدة. وبعد ساعة أعطى الشيخ أمراً أن تمتلىء الصينية الكبيرة التي كانت على الكرسي ماءً وحينذاك ارتفعت الصينية وبقيت هكذا معلّقة في الهواء بدون أن تسقط أو أن يسقط منها الماء ثم قال للضيوف: إذا كنت قادرون فافرغوا هذا الماء من الصينية. ولكنهم مهما حاولوا لم يستطيعوا أن يسقطوا من الصينية قطرة واحدة من الماء، وبقيت الصينية معلّقة في الهواء وحدها. وعندما رأوا هذه القدرة من الشيخ سلّموا جميعاً له، ومن باب الاحترام قبلوا يده.

٢٥ ـ حكاية:

سمعت من المرحوم أبو القاسم أوليائي مدرس الكيمياء في ثانويات مشهد يقول في كل يوم جمعة أذهب لزيارة الحاج الشيخ حسن علي الذي كان يسكن خارج مشهد. وذات يوم كنت أفكر وأنا في الطريق في عبارة للشيخ أبو علي سينا وكنت أرى أن هذه العبارة

خطأ. وعندما وصلت لخدمة الشيخ وبدون أن أطرح المسألة قرأ عبارة الشيخ أبو علي سينا التي كنت أفكر فيها وحل لي الإشكال الموجود فيها. ثم قال: ليس من الصحيح أن يسرع الإنسان بالحكم وبدون تأمل على رجال العلم الكبار مثل أبو علي سينا بالخطأ والاشتباه.

٢٦ ـ حكاية:

حكى السيد مرتضى اللاريجاني: وصلت مشهد المقدسة بنية زيارة الإمام الرضا عليه السلام، ولأنها كانت ليلة جمعة فقد بقيت في الحرم المطهر إلى الصباح. وعندما خرجت من الحرم التقيت بالآقا محمد آل آقا ابن الحاج عبدالله چهل ستوني قرب محل حفظ الأحذية وقال: الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني يريد حضورك، تعال غداً إلى المكان الفلاني لملاقاته. فقلت له: لا أعرف هذا الشخص. فقال لي: على أي حال هو يعرفك وقد قال لي: انتظره في صباح يوم الجمعة قرب محل حفظ الأحذية في الصحن القديم وعندما خرجت من الحرم أبلغتك ما أمرني به.

وعلى كل حال يقول السيد: وفي الغد ذهبت إلى ذلك المكان بقصد زيارة الشيخ وكان الناس قد تجمعوا فبقيت في أخيرهم منتظراً، وفجأة دعاني للحضور إلى جنبه وقال لي: كنت قد طلبت من الإمام الرضا عليه السلام حاجتين، واحدة من هاتين الاثنتين مقبولة. فتعال غداً لأتحدث لكم حول ذلك الموضوع. ووصلت في اليوم التالي إلى خدمته وذهبنا معاً إلى قبر عجوز يالاندوز وهناك أجابني عن الموضوع والذي كان سؤالاً علمياً. وقال لي أيضاً: حاجتك الثانية أن توفق بالحضور عند رجل جليل القدر والآن ليس هناك من خبر في مكان آخر.

ورجعت إلى مدينتي. وبعد سنة تشرّفت بالذهاب إلى مشهد المقدسة وسألته عن حاجتي الثانية، فقال أيضاً: ليس هناك من خبر. وبعد سنة أخرى ذهبت إلى خدمته أيضاً فقال: الآن في گلپايگان نار مشتعلة، وأنت ستصل مرة واحدة وتدرك محضره وفيضه. فقلت له: إذن لماذا لم تخبرني قبل هذا الوقت؟ فقال لي: غاضباً: لماذا لا تفهم إلى هذا الحد؟ لو كان من خبر في مكان فانا سنطلع عليه. وهذا الشخص الجليل القدر هو إمام جمعة گلپايگان وإلى ستة أشهر قبل كان ينال الفيض ولكن الآن قد صار بنفسه فياضاً وأمرني بالسفر إلى گلپايگان فسافرت تنفيذاً لأمره.

ولكن عندما وصلت إلى شاهرود فجأة وقع في خاطري فكرة أن الحاج الشيخ من أين يعرفني؟ ومن أي طريق اطلع على مجيئي إلى مشهد؟ وكيف عرف حاجاتي التي طلبتها من الإمام الرضا عليه السلام؟ وبناءً على هذا فهو نفس الرجل الجليل القدر الذي كنت أرجو أن أدرك وجوده، ولهذا السبب لم يكن يقول: لا يوجد هنا خبر، بل كان يقول: لا يوجد خبر في مكان آخر. فتأسفت كثيراً على غفلتي وصممت على الرجوع إليه، ولكن وقع في خاطري فكرة أنه من الأفضل أن أذهب أولاً إلى گلپايگان ثم ارجع إلى خدمة الحاج الشيخ.

وعلى كل حال فقد ذهبت إلى گلپايگان، وأدركت محضر إمام الجمعة مرة واحدة فقط، وتوفي بعدها إمام الجمعة. ولم يمض إلا وقت قصير حتى سمعت بوفاة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني.

٢٧ ـ حكاية:

سمعت من كثيرين أن الحاج آقا كوچصفهاني والذي كان واحداً

من أعيان وملّاكي كوچصفهان قد نقل أنه: منذ مدّة وأنا مبتلى بمرض السكر الشديد. وأحياناً يستولي عليَّ الضعف إلى أن سافرت إلى حضرة الإمام الثامن عليه السلام. وابتليت بتلك الحالة الشديدة من الضعف في الصحن الشريف فأرشدوني إلى الشيخ وعندما وصلت إلى خدمة ذلك الرجل الجليل القدر وشرحت له حالي أكرمني بحبة من السكر وقال لي: كُله الكثير من الأمراض تزول مع النسيان، فأكلت حبة السكر. وإلى ثلاثة أيام ذهب من خاطري أنني مبتلياً بمثل هذا المرض، وفي ذلك اليوم انتبهت إلى أنه لم يبق هناك أي أثر لذلك المرض في بدني. فذهبت إلى خدمة الحاج الشيخ وأخبرته بتحسن صحتي، فقال لي: لا تخبر بهذه الحادثة أحداً. ولكن بعد عشر سنوات تكلمت في إحدى المجالس عن تحسّن صحتي على أثر نفس ذلك الرجل العظيم.

ولكن مع الأسف الشديد رجع لي مرضي السابق.

٢٨ ـ حكاية:

حدّثني اثنان من كسبة سوق مشهد فقالا كنا في عيشة صعبة وفي ضيق شديد، ولرفع هذا البلاء ذهبنا إلى خدمة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. وكان جماعة قبلنا ينتظرون دورهم وجلسنا نحن منتظرين أيضاً. ولكن فجأة طلبنا الشيخ نحن الاثنين من بين المجموع فقال لأحدنا: أنت يجب أن تعمل ولكنك لا تعمل وقال للآخر: أنت تفعل ما يجب ألا تفعله. اذهبا واعملا بوظائفكما حتى تصلح أوضاعكما. ونعترف بأن أحدنا لم يكن يصلّي، والآخر كان شارباً للخمر. وحسب وصية الشيخ فقد عملنا بوظائفنا بصورة صحيحة وتحسن على أثر ذلك عيشنا وفُتح علينا أبواب الرزق والسعة.

٢٩ ـ حكاية:

في ليلة أربعين وفاة المرحوم الوالد الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني أعلى الله مقامه أقمت الفاتحة على روحه الطاهرة. ودعوت شخصاً باسم «حاج علي البربري» ليتولى طهو الطعام للحاضرين. وعندما كان مشغولاً في طهو المرق رأيته يبكي بحرقة ويضع يديه بلا شعور في القدور التي تغلي والأغذية الحارة والخلاصة أنه فقد حالته الطبيعية فسألته: يا حاج ما الذي حدث فجعلك مضطرباً هكذا؟ فازداد بكاءً ثم قال لي: سأنقل لك ما حدث وليكن ما كان. كنت أتشرف بالذهاب إلى مكة المكرمة في كل عام لحج بيت الله الحرام. وفي مواقف عرفة والعيد والأيام الأخر كنت أرى الشيخ مشغولاً بالعبادة أو الطواف. فكرت في بدء الأمر أنه ربما كان الشبه بين هذا الرجل والحاج الشيخ حسن علي هو الذي أوقعني في الخطأ. ولذا ومن أجل معرفة حقيقة الحال ذهبت إليه وسلّمت عليه، وسألته: أنت الحاج الشيخ حسن علي؟ فأجابني: نعم.

فقلت له: فلماذا إذن لا نراك إلا في هذه الأيام ولا نراك في الأيام الأخرى؟ ولماذا لا يراك الآخرون أيضاً في هذا المكان؟ فقال لي: هكذا الأمر كما تقول، وأريد منك أيضاً أن لا تفشي هذا السرّ لأحد وإلا فسيكون عامك هذا خاتمة حياتك. نعم هذه الكرامة رأيتها بعيني. والآن وبعد أن رحل هذا الرجل الجليل من بيننا فلا أتصور أن الإخبار بهذه الكرامة في إشكال.

وعلى كل حال فقد كان الذي جرى بيني وبين الحاج علي البربري في شهر رمضان. وبعد ذلك حزم الحاج علي أمتعة السفر إلى الحج من مشهد. ولكنه توفي في كربلاء.

٣٠ ـ حكاية:

حكى الحاج الميرزا علي نقي القزويني: التمس منّي أحد تجار شاهرود أن آخذ من الحاج الشيخ حسن علي قدّس سرّه دعاءً يرزقه فيه الله ببركة هذا الدعاء ولداً ذكراً. فقال الحاج الشيخ: فلينذر أن يدفع ثلاثين توماناً بعد أن يرزق الولد وعندها سيُرزق ولداً ذكراً.

وبعد مضي مدة رزق الله ذلك التاجر ولداً ذكراً. ولكنه استنكف أن يفي بنذره ويعطي هذا المبلغ من المال. فأردت أن أعطي هذا المبلغ من عندي لأداء نذر ذلك التاجر. ولكن الحاج الشيخ اطلع على نيتي القلبية وقال: الذي أراد الولد هو الذي يجب أن يعطي المال، وأنت لا علاقة لك بهذا. فذكّرت ذلك الرجل مرة أخرى وطلبت منه أداء نذره فقال: ارادة الله هي التي أكرمتني بهذا الولد، ولا علاقة لأحد بهذا الأمر وذات يوم شرّفني الحاج الشيخ إلى دكان تجارتي فنقلت له ما قاله ذلك الرجل، فقال لي: لا مانع ولدي من عندي وليكن ماله له. وبعد مضي أيام قليلة وصلتني رسالة من ذلك الرجل كتب فيها: كان ولدي بعد ظهر اليوم الفلاني جالساً في حجري، وبدون أي مقدمة سقط على الأرض ومات. وعندما دققت في الأمر وجدت أنه في نفس الساعة التي تكلّم فيها الحاج الشيخ ذلك الكلام سقط ذلك الولد إلى الأرض ومات.

٣١ ـ حكاية:

يقول الشيخ عبد الرزاق صاحب مكتبة لبيع الكتب: في عصر أحد الأيام كان الحاج الشيخ حسن علي مشغولاً بالتدريس في إحدى

الغرف العلوية في إحدى مدارس مشهد وفجأة لدغت عقرب أحد الطلاب ونهض صارخاً من الألم. فقال له الشيخ: ماذا حدث؟ فقال الطالب اني أحترق. فقال له الحاج الشيخ: لا تحترق. فسكن ألمه رأساً وسكت عن الصراخ وبعد نصف ساعة رأيته مشغولاً بتدخين النرجيلة. فقلت له هل زال ألمك؟ فقال لي: بمجرد أن قال الشيخ لا تحترق ارتفع الألم رأساً بشكل كلي.

٣٢ ـ حكاية:

سمعت من شخص أنه في سنة من السنين تشرّف السيد باقر القاضي أحد علماء تبريز بزيارة مشهد المقدسة. وفي هذه الأثناء وصلته رسالة من مدينته بهذا المضمون: سيهدم بيتك في تبريز لإحداث شارع جديد. فتأثر القاضي جدّاً من هذا الخبر وذهب إلى خدمة الحاج الشيخ. وهذا الرجل الجليل ودون أن يسمع الموضوع من القاضي قال: لا تقلق ممّا جاء في الرسالة، ستربح من هذا العمل أضعافاً مضاعفة ولكن لا تبع دارك إلى غير المسلمين وإلا فسيصلك ضرر فادح، وأيضاً سيرزقك الله تعالى ولداً. والقصة: هُدم بيت القاضي وصار القسم الباقي منه واقعاً في الشارع العام، وعُومل عليه بمبالغ ضخمة ولكنه غفل عن وصية الشيخ وآجره إلى مصرف روسي. وبسبب هذه المعاملة تفرق عنه الناس والأتباع وتعرّضت شخصيته الاجتماعية إلى ضرر بليغ. وعلى هذا المنوال فقد رزقه الله ولداً حسب ما قال له الشيخ، ولهذه المناسبة أسماه «محمد علي».

٣٣ ـ حكاية:

يقول الحاج ذبيح الله العراقي: في مدينة أراك دار حديث بيني

وبين مجموعة من الأصدقاء عن عظمة وجلالة قدر المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني فقررنا أن يسافر أحد الحاضرين وهو «سيد حسين» إلى مشهد ويتحقق من هذا الموضوع. وأخذنا له تذكرة السفر إلى مشهد من گاراج «مارس»: وذهبنا إلى الگاراج لتوديعه، ولكن وصلت برقية من الحاج الشيخ حسن علي إلى سيد حسين يمنعه فيها من السفر في السيارة التي رقمها كذا. وهي نفس السيارة التي كان مقرراً أن يسافر بها سيد حسين إلى مشهد. وآثارت هذه البرقية عجبنا الشديد فمن أين علم الشيخ حديثنا وقصد سيد حسين السفر إلى مشهد. فأعرض سيد حسين عن السفر، وبعد ثلاثة أيام وصلنا خبر أن السيارة قد انقلبت في شارع مشهد في مكان «فيروز كوه»، وقد جرح بعض الركاب الذين كانوا فيها.

٣٤ ـ حكاية:

وسمعت أيضاً من الحاج ذبيح الله العراقي: بعد رجوع سيد حسين من سفره إلى مشهد ابتليت بمرض شديد، وقد يأس الأطباء في أراك وطهران من علاجي، فذهبت إلى مشهد وتشرفت بخدمة الحاج الشيخ أعلى الله مقامه وقلت له: سأعطيك أي مبلغ تريد كأجرة إذا شافيتني من مرضي.

اضطرب الشيخ جدّاً حين سماع هذ الكلام وقال: راجع الطبيب للعلاج وأنا لست بطبيب وكلما أصررت عليه رفض علاجي. وأخيراً انقطع أملي فذهبت للتوسل بحضرة الإمام الرضا عليه السلام. وفي ذات ليلة رأيت في عالم الرؤيا أني أزور حضرة الإمام الرضا عليه السلام وبعد أن عرضت عليه حاجتي قال لي: راجع الحاج الشيخ. فقلت: لقد راجعته مرات عديدة ولكنه طردني. فقال الإمام عليه

السلام: اذهب له في هذه المرة أيضاً. فقلت: تفضل عليَّ بعلامة حتى يقبل علاجي. فقال: قل له بهذه العلامة: إن طفلاً رضيعاً للجار كان ميتاً فأحييته، فعالجني بهذه العلامة. فذهبت بهذه العلامة إلى عند الحاج الشيخ من جديد،، وعندما وقع نظره عليّ قال لي: ألم أقل لك راجع الطبيب. فقلت: أرسلني الإمام الرضا عليه السلام إليك بهذه العلامة. وعندما سمع كلامي هذا قاطعني قائلاً: اسكت لا تحدّث أحداً بهذا الأمر ما دمت حيّاً. وعند ذاك أعطاني عدّة تينات ومقدار من المعجون وبعد استعمالها ارتفع مرضي نهائياً وعوفيت.

٣٥ ـ حكاية:

أتذكر أنه في ذات يوم ذهبت مع والدي رحمة الله عليه إلى الحمام وبعد رجوعنا إلى البيت قال لي: إني سأبقى في الغرفة لقراءة الدعاء، فأغلق الباب عليَّ وأمرني في الأثناء أن أذهب إلى شخص وأوصل إليه رسالة منه وقال لي: ارجع من الطريق الذي تقع فيه مقبرة فلان وواظب أن لا تنظر إلى مكان ولا تمدّ بصرك إلى أحد. وبعد أن أغلقت باب الغرفة خرجت من البيت لأداء ما كلّفني به والدي وذهبت إلى ذلك الشخص. وعند رجوعي مررت من طريق المقبرة فرأيت امرأة في ممر المنزل تضرب طفلها بشدة، فبقيت لحظة أنظر إلى هذا المنظر وعاودت السير في طريقي، ولم تمر لحظات حتى رأيت والدي جاء مقبلاً نحوي ثم نظر لي بغضب شديد ورجع إلى المنزل، ومشيت خلفه في طريقي إلى البيت، ولكن فجأة غاب عن نظري ولم أره مرة أخرى. ووصلت البيت وأنا متحيّر وسألتهم: أين والدي؟ فقالوا: مشغول في غرفته فسألتهم في هذه المدة التي لم أكن فيها في المنزل لم يخرج أو يدخل أحد إلى البيت؟ قالوا: كلا خلال هذه المدة لم

يخرج أو يدخل أحد. فذهبت إلى الغرفة، فرأيت الباب لا زال مُقفلاً. وبعد ساعة عندما فرغ والدي من الدعاء وخرج من الغرفة قال لي: لقد توفي والد الحاج الشيخ محمود الحلبي يجب أن نذهب لتشييع جنازته. فقلت له: لا يوجد خبر بوفاته. فقال لي: الآن عبروا بالجنازة أمام نظري.

وعلى كل حال فقد ذهبنا سوية حتى وصلنا إلى المكان الذي كان قد رأيته فيه ونظر إليَّ فيه غاضباً، وفجأة قال لي: لماذا لم تطع أمري وفي طريق رجوعك أطلت النظر؟ فأنكرت ذلك أولاً. فقال لي: ألم تكن قد نظرت إلى تلك المرأة التي تضرب ولدها بالحذاء؟.

والخلاصة ذهبنا إلى الصحن الرضوي القديم، وفي هذا الوقت جاء إلى والدي شخص فأخبره بوفاة ذلك الرجل الذي كان والدي قد أخبرني بوفاته في البيت.

٣٦ ـ حكاية:

وفي ذلك الوقت الذي كنّا نسكن فيه خارج مدينة مشهد في ذات يوم وبعد أداء فريضة الظهر خرجت من المدينة مع والدي للرجوع إلى البيت وفي يد كل واحد منا بعض الأشياء التي نحتاجها في البيت. وطلبت منه أن يُسرع في مشيه ولكنه بسبب كبر سنّه وضعفه كان يمشي بطيئاً. وصادفنا في الطريق إثنان من السادة المحترمين راكبين في العربة. وحينما شاهدا والدي ترجّلا من العربة وتحدّثا معه مدّة نصف ساعة تقريباً، ثم افترقا عنّا. فطلبت من والدي ثانية أن يسرع في مشيه لتعويض هذا الوقت الذي ذهب هدراً في الحديث مع هؤلاء فأظهر والدي عدم رضاه من كلامي وقال: لقد كانا من السادة، ولا أريد أن يبدر منّي عدم اهتمام بهما. ثم طلبت منه أيضاً أن يُسرع في مشيه.

فقال: إنّي أداريك ومن أجلك أمشي ببطيء، الآن سأذهب فإذا كانت لك قدرة اللحاق بي فالحقني. وفجأة ومع العجب الشديد رأيت الأرض تطوى تحت قدمي والدي بسرعة وهو يسير بحالته الطبيعية، وأما أنا فكنت مثل الشخص الذي يجلس في سيارة يرى الأرض والأشجار في حال حركة سريعة وعلى كل حال كلما ركضت سريعاً لم أستطع اللحاق به. وعندما مضى وقت قليل رجعت الأرض إلى حالتها السابقة، ثم قال لي: أردت أن تعلم أني كنت أداري وضعك.

٣٧ ـ حكاية:

كانت الليلة الأولى من شهر شوال، وكنا ساكنين في مزرعة «نخودك» خارج مدينة مشهد. فقال لي والدي: اصعدَ إلى أعلى السطح وانظر إلى هلال شوال. ولم أر شيئاً لأن الغيوم كانت تغطي طرف أفق المغرب. فنزلت فوراً وقلت له: لا يمكن أبداً رؤية الهلال مع هذه الغيوم. فقال لي عاتباً: عديم اللياقة، لماذا لم تأمر الغيوم أن تذهب جانباً؟ فقلت له: متى كنت يا أبي أعطي للغيوم أمراً؟ فقال لي: ارجع وأشر إلى الغيوم بسبابتك وأمرها أن تذهب جانباً. فذهبت إلى أعلى السطح وأشرت باصبعي إلى الغيوم وقلت لها كما أمرني والدي: يا غيوم تفرّقي، ولم تمر لحظات حتى كان الجو صافياً من الغيوم، ورأيت هلال شوال واضحاً وأخبرت والدي رحمة الله عليه برؤيته.

٣٨ ـ حكاية:

عندما كنا نسكن في بستان في قرية «سمرقند»[١]، وكنت بأمر

---

(١) سمرقند قرية في أطراف مدينة مشهد.

والدي مشغولاً في كل صباح بالرياضة على سطح الدار والذي كان الممر إليه من غرفة والدي وأبقى حدود ساعتين ونصف بعد صلاة الصبح في سطح الدار مشغولاً بالصلاة والدعاء. وفي ذات يوم عندما أردت النزول من سطح الدار عبر الممر الذي في غرفة والدي أحسست بأن والدي نائم، وتخوفت إن أنا عبرت من غرفته أن أنغِّص عليه نومه واستراحته القصيرة هذه. ومن جهة أخرى فقد حركتني حاجة للنزول من تلك الغرفة. وعلى كل حال طلبت من أهل الدار أن يضعوا السلّم على حائط البستان لأنزل من أعلى السطح ولكن السلّم كان قصيراً فعانيت صعوبة من حائط اللبن المرطوب من مطر الربيع وتدلّيت من الحائط ووضعت رجلي على خشب السلّم، ولكن فجأة تحرك السلم من مكانه وهوى ساقطاً نحو الأرض. ولكن رأيت متعجباً أن السلم قد رجع إلى وضعه الأول بنفسه، ونجوت من خطر السقوط. وعندما استيقظ والدي من نومة الاستراحة ذهبنا سوية إلى المدينة، وفي أثناء الطريق قال لي: لماذا لم تنزل اليوم من ممر الغرفة واستعملت السلّم؟ لقد أقلقتني وأنا في عالم النوم. وفي ذلك الوقت علمت أن باطنه يتابع ويراقب ويقلق عليَّ، وأنه هو الذي حفظني في ذلك الوقت.

٣٩ ـ حكاية:

عندما كانت خراسان تحت احتلال الجيش الروسي، كان بيتنا في «نخودك» خارج مدينة مشهد. وكان والدي يخصص يومين في الأسبوع ويأتي إلى المدينة لقضاء حوائج الناس وأمور أخر. وفي ذات يوم خرجنا عصراً من المدينة، فأحسست بعدم الأمن وقلت لوالدي: لماذا نبقى في المدينة إلى قريب غروب الشمس مع هذا الهرج

والمرج؟ فقال: تأخرت قهراً لقضاء حاجة سيدة علوية واصلاح أمرها. فقلت: الطريق خطر، ويجب علينا أن نعبر ثلاث كيلو مترات من الطريق بين البساتين المهجورة، وليس هناك أمن، والأوباش والأراذل يتواجدون في مثل هذه الطرق ليلاً لسرقة وإيذاء الناس. وقد كان والدي في أواخر عمره لكهولته وضعفه يركب دابة للانتقال بها من مكان إلى آخر. وفي ذلك اليوم كان راكباً على دابته فقال في جوابي: أردف خلفي على الدابة. فقلت له: والدي العزيز ان الحمار ضعيف وهو يحملك وحدك بمشقة، وعندئذٍ ينبغي أن يكون شخص خلفه يسوقه دائماً. فقال لي: أنت اصعد وأنا سآمره أن يذهب مسرعاً. فأطعت والدي، وعندما دخلنا في أزقة البساتين شرع المؤذّن بالتكبير، وفي ذلك الوقت سألني والدي: التقيت مع الشخص الفلاني؟ فأجبته: نعم. وفجأة رأيت متحيّراً بأن رأس الدابة وصل إلى الدار التي نسكن فيها ولا زال المؤذن في التكبير. في الوقت الذي كان ينبغي لوصولنا إلى البيت أن نعبر منعطفات عديدة بين البساتين ونمر بعد ذلك في طريقنا على قرية لنصل إلى قلعة «نخودك» حيث بيتنا هناك. فسألت والدي متعجباً: والدي العزيز كيف كان ان وصلنا إلى هنا خلال لحظات قليلة؟ فأجابني: لا علاقة لك بهذا، أنت أردت الوصول بسرعة إلى البيت، وقد وصلت. وتعجبت بعد ذلك أيضاً أنه كيف نسيت هذه الحادثة أصلاً عندما دخلت البيت ولم أتذكرها إلا بعد وفاته رحمة الله عليه.

٤٠ ـ حكاية:

اشترينا في سنة ١٣٥٩ هجري قمري بستاناً في قرية سمرقند للسكن، وعندما كان البائع يحوّل لنا لوازم وآلات البستان، أعطانا

بندقية مملوءة بمبلغ أربع تومانات وقال: توجد هنا حيوانات مؤذية مثل الثعالب ووجود هذه البندقية كوجود الإنسان الخشبي الكاذب في البساتين نافع في طردها وكان دارنا في هذا البستان على شكل برج، طبقتان وله جدران عالية. وفي منتصف إحدى ليالي الشتاء أيقظني والدي رحمة الله عليه من النوم وقال لي: دخل سارق إلى البستان وهو يفكر في تسلّق جدران البيت، ويجب قبل أن يسبب المشقة لنا ولنفسه أن تطلق رصاصات البندقية في الهواء حتى يهرب. فقلت له: والدي العزيز كيف علمت بوجود سارق في البستان وكيف عرفت ما يفكر فيه وأنت في هذه الغرفة المغلقة ووراء هذه الجدران الضخمة؟ فقال لي: اصعد إلى سطح الدار وانظر فهو الآن في وسط البستان متكىء على شجرة التوت ويدخن سيجاراً فصعدت إلى سطح الدار وقد كان البستان مضاءً بمصباح مصبوغ باللون الفضي. فألقيت نظري فرأيت الرجل متكئاً على شجرة التوت يدخن سيجاراً. فصرخت به وأطلعه رصاصات البندقية في الهواء فهرب وذهبت إلى غرفتي. وفي صباح اليوم التالي سألت والدي: لماذا لم تعمل عملاً تجعل السارق يعرض عن عمله وأنت قد علمت بوجوده في البستان من وراء هذه الجدران والأبواب المغلقة وعرفت بماذا كان يفكر به؟ فأجابني إن فعلت إذن فلماذا خلق الله البندقية؟ يجب الاستفادة من هذه الأسباب ما كان إلى ذلك سبيلاً. وما دمنا بهذه الوسائل نستطيع ردّ الأعداء فلا يجب الإلتجاء إلى الوسائل الأخرى. أما في الحالة التي لا تنفع فيها هذه الوسائل فحينئذٍ نعمل بدون هذه الوسائل. ولأنه لا يوجد عندنا وسائل نستطيع بها رؤية السارق من وراء الأبواب والجدران ومعرفة نواياه استفدنا من الوسائل الأخرى، ولكن كانت لدينا وسائل كافية نستطيع بها دفع شرّه فيجب علينا الاستفادة منها. فلم يخلق الله عزّ وجل هذه الأشياء لعباً وعبثاً. ويجب الاستفادة منها في مواضعها

الصحيحة، ولا يجب أن تكون القدرات الباطنية سبباً لتعطيل الاستفادة من الوسائل الظاهرية، لأن هذا الأمر مخالف لحكمة خلقها من الله سبحانه.

٤١ ـ حكاية:

جاء إلى بيتنا في أيام نوروز سنة ١٣١٧ هجري شمسي رجل باسم كربلائي محمد بيّاع الخضروات وقال: كان ولدي البالغ من العمر أربعة عشر عاماً راكباً صباح أمس فوق حمل الخضروات التي يحملها الفرس، وكان آتياً من مزارع الخضروات خارج المدينة. وفي أثناء العصر وصل الفرس والحمولة التي كانت عليه ولكن لا يوجد خبر عن الولد، وقد فتشنا كثيراً عنه فلم نعثر عليه ولا على خبر يدلنا عليه. فأخبرت والدي بما يقوله هذا الرجل. وبعد لحظات تأمل قال: قبل ظهر أمس وفي ذلك الوقت كان الفرس يعبر من خندق جانب المدينة، وأراد الفرس أن يشرب من الماء فانزلقت رجله وسقط مع الحمولة والولد في الماء، واستطاع الفرس الخروج من الماء ولكن الطفل قد غرق. واليوم قبل الغروب بساعتين ليذهبوا إلى المكان الفلاني ويأخذوا جسد الغريق. وذهب كربلائي محمد حسب الأمر إلى ذلك المكان وسحب جنازة ولده إلى خارج الماء من ذلك المكان كما أخبره والدي.

٤٢ ـ حكاية:

نقل رجل باسم الأستاذ أحمد مسگر (النحّاس): فُقد ولدي المدعو (رضا)، وفتشت عنه فلم أعثر عليه. فجئت إلى جناب الشيخ وقلت له: فُقد ولدي. فقال لي: اذهب غداً أول الصباح إلى البوابة

الفلانية للمدينة وقبل طلوع الشمس ضع هذه الورقة المكتوب فيها هذا الدعاء بيدك وقل سبعة مرات: «يا معيد ارجع عليَّ ولدي رضا» وعند طلوع الشمس يصل رجل مع مجموعة من الحمير، وولدك راكب على آخر حمار.

يقول الأستاذ أحمد: وعملت كما أمرني الشيخ وبهذا الشكل عثرت على ولدي.

٤٣ ـ حكاية:

في حدود سنة ١٣١٢ هجري شمسي راجع عدّة أشخاص منزل والدي الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني أعلى الله مقامه، وأخبروني بأن طفلاً لهم قد فُقد ولم يعثروا له على أثر. فتأمل الشيخ قليلاً ثم قال: قل لهم أن ولدكم اختطفه جماعة من الجن وهو الآن في جبل على بُعد ستة عشر فرسخاً خارج المدينة. وبعد يومين آخرين ستمر من هناك قافلة وستأتي بولدكم معها.

وبعد يومين جاؤوا مرّة أخرى وقالوا: ذهبنا وانتظرنا في المكان الذي قال لنا به الشيخ وجاءت القافلة وكان الطفل راكباً على بغل، فأخذناه وسألنا أهل القافلة: من أين جئتم بهذا الطفل؟ فقالوا: وجدناه قبل يومين وحيداً في أطراف الجبل الفلاني، وكلّما بحثنا لم نجد شخصاً آخر في ذلك المكان. فاضطررنا أن نأتي به معنا.

٤٤ ـ حكاية:

كان يسكن في قرية «نخودك» زارع متمكن. وذات يوم وبغياب والدي أقام احتفالاً بمناسبة ختن ولده مع الموسيقى والغناء واللهو

واللعب. وبعد عدّة أيام التقى بوالدي وصافحه فعاتبه والدي قائلاً: ألا تخجل من الله تُقيم مثل هذه المنكرات في هذه القرية؟ فأقسم منكراً صحة وجود هذه الأعمال. فنظر له والدي غاضباً وقال: تُقيم هذه المنكرات وتحلف كاذباً؟ ألا تخجل، ألا تستحي؟ فكان من هذا الرجل أن حلف بالايمان المغلظة على انكار وجود هذه الأعمال أيضاً. وحينئذٍ قال له والدي: والآن تقول كاذباً وتحلف بالله بغير الحق وأيضاً لا تخجل من ذلك اذهب فإنك سوف تزول من الوجود.

وعلى كل حال لم يمض اسبوع على هذه الحادثة حتى وجد الرجل ميتاً مطروحاً على جانب الطريق بكل ذلّة ومهانة. وبعد يومين توفت زوجته أيضاً. وأمّا أولاده فبعد مضي اليوم السابع على وفاة أبويهم باعوا أملاكهم وخرجوا من القرية. وقبل أن تمضي عشرة أيام لم يكن هناك أثر لهذه العائلة في «نخودك».

٤٥ ـ حكاية:

يقول الشيخ حسين الآبكوهي: ذهبت في عصر ذات يوم للاستفادة من درس الشيخ. فقال لي: اقلع شجيرة التوت هذه واذهب إلى خارج المدينة واغرسها في المكان الفلاني.. وأوصاني أن لا أخطىء وأزرعها في مكان آخر.

وعلى كل حال فقد أخذت الشجرة خارج المدينة، وفي الطريق فكرت بأن قصد الشيخ هو أن أزرع هذه الشجرة في هذا المسير وفي هذه الأطراف، ولا فرق حينئذٍ بين مكان وآخر. ولذا أهملت الذهاب إلى المكان الذي أوصاني أن أزرعها فيه، وغرست الشجرة في المكان الذي ارتأيته.

ثم رجعت إلى خدمة الشيخ: فلما وقع نظره عليَّ فقال لي

بمرارة: لماذا لم تعمل بأمري وتغرس الشجرة في المكان الذي قلت لك؟ فرجعت فوراً فلم أجد الشجرة في المكان الذي زرعتها فيه. وعندما ذهبت إلى المكان الذي أمرني الشيخ أن أزرع الشجرة فيه وجدت مع العجب الشديد أن الشجرة قد زرعت في ذلك المكان تماماً.

٤٦ ـ حكاية:

عندما كنت طفلاً نزلت مع والدي رحمة الله عليه ضيوفاً في قرية «مايان» عند أحد مريديه. وفي ذات يوم ذهبنا مع أقرباء ذلك الشخص لزيارة قبر «علاء الدين علي الماياني». وكان قبره في قمة جبل وأثناء الطريق قال لي والدي: اقرأ ما استطعت سورة التوحيد واهدها إلى روح المرحوم علاء الدين. وعندما وصلنا إلى القبر وبعد قراءة الفاتحة أمرهم والدي جميعاً أن يخرجوا من المقبرة وأن يذهبوا إلى طرف الجبل ويصحبوني معهم ويبقون ينتظرونه إلى أن يجيئهم. فنفذوا ما أمرهم به. ولأن والدي قد تأخر كثيراً في المقبرة فقد استفدت من غفلة مضيفنا ومن كان معه ووصلت إلى المقبرة لأرى ما يعمل والدي. وعندما وصلت إلى خلف المقبرة سمعت والدي يحدّث صاحب القبر بصوت عالٍ، ويأتيه الجواب من جهة القبر. فصرخت عند سماعي هذا الحوار. فخرج والدي من المقبرة عندما سمع صراخي وذهب إلى مضيفه وعاتبه أن لماذا أذنت لـ «علي» أن يقترب من المقبرة؟ وعلى كل حال رجعنا وفي وسط الطريق دعا عمدة القرية والدي إلى طعام الغداء. وكان مصرّاً في رجائه. فقال مضيف والدي: إذا لم تقبل دعوته سيحزن وربما سبّب لنا بعض المشقة. فقبل والدي دعوة عمدة القرية بناءً على طلب مضيّفه والذي كان أحد السادة

المحترمين وعندما ذهبنا إلى منزله فرشوا السماط وأتوا بعدة آنية من اللبن وماء اللحم. فقال والدي لعمدة القرية: أحياناً في أطراف الجبال والغابات وفي أثناء الليل تعلف الأبقار من بستان الجيران، ويمكن أن يكون البستان المجاور مال يتيم أو وقف. ولعل بقرتك أيضاً تقطع رباطها وتعلف في بستان الجيران. فقال العمدة: لقد كانت بقرتي مربوطة ولم يقع مثل هذا الاتفاق. فضوع والدي لقمة الخبز في ذلك اللبن ووضعها في فمه. ثم لفظها من فمه وغضب وقال: يا عمدة لماذا تكذب؟ هل هربت بقرتك البارحة من مكانها وعلفت في بستان جارك والذي هو ملك ليتيم، وقد صنعت هذا اللبن من حليب تلك البقرة. وفي هذا الوقت لم يكن أمام العمدة إلا من الإقرار بالذنب والاعتراف بمخالفة ما قاله سابقاً للواقع ولكن والدي لم يجلس بعد ذلك وخرجنا من منزله.

٤٧ ـ حكاية:

في غروب ذات يوم جاء عدّة أشخاص من طهران بخدمة والدي وقالوا له لقد غضبت حكومة رضا شاه على أحد أقربائنا فهرب خارج إيران وانقضت سنتان وليس لدينا خبر عن حياته أو موته ولم نعثر على أثر له، وقد دلّنا شخص عليكم لعلّنا نهتدي إلى طريق لحل هذه المشكلة. فتأمل والدي قليلاً ثم قال لهم: هذا الشخص في لندن، وسيصل إليكم خبر سلامته يوم السبت، وسيرجع إلى إيران يوم الأربعاء.

وجاء هؤلاء الأشخاص ثانية وأخبرونا بوصول برقية من لندن من قريبهم المفقود. وفي يوم الأربعاء أخبرونا بوصوله إلى طهران.

٤٨ ـ حكاية:

نقل انتظام الكاشمري الواعظ قال: قلت للحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني: أرشدني إلى عمل أوفق به للتهجّد والوسعة في عملي فقال: لا تغفل عن قراءة القرآن في كل صباح وخصوصاً سورة (يس) وسيرافقك التوفيق إنشاء الله. فرجعت إلى «كاشمر» وداومت على قراءة سورة ياسين في أثناء الطريق. فلم أحصل على نتيجة من هذا العمل. وتشرفت في العام التالي لزيارة مشهد في أيام العيد. وفي ليلة ممطرة ذهبت إلى بيت أحد العلماء لاصلاح عمل دنيوي، وبما أن ذلك العالم قد كان في خارج المنزل ولم يرجع بعد ففكرت أنه من الأفضل أن أذهب إلى الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني وأطلعه على عدم حصول نتيجة من المداومة على العمل الذي أمرني به. ووصلت إلى بيت الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني بهذه الفكرة فوجدت جماعة في الغرفة والباب مغلق والشيخ مشغول بالحديث والموعظة. فقلت في نفسي: إذا دخلت الغرفة في هذه الحالة فربما لا أجد مكاناً أجلس فيه وأخرى أن الشيخ ربما يقطع حديثه بسبب دخولي، ولهذا جلست وراء الباب مستمعاً إلى حديثه إلى أن ينتهي المجلس فاذهب بخدمته. وفجأة سمعت الشيخ قد غيّر من موضوع حديثه وقال: يطلب منيّ البعض دعاء التوفيق في القيام في الأسحار والسعة في أموره، فآمر بتلاوة القرآن الكريم، ولكن بدلاً من أن يجلس مقابل القبلة ويتلو القرآن بتدبر يقرأ سورة ياسين وهو يمشي في طريقه، ثم يأتي إلى هنا بقصد الشكوى بأنه لم يصل إلى نتيجة من هذا العمل، عدا عن أن يذهب في البدء أيضاً في ليلة ممطرة وجديداً في ليلة ممطرة يذهب أولاً إلى بيت الآخرين من أجل عمل دنيوي، وعندما لم يحصل على مراده يقع في خاطره أمر آخرته فيمر إلى

منزلي، وهذا ليس إنصافاً، فمن الأحسن أن يذهب وفي كل صباح يجلس مقابل القبلة ويتلو القرآن بتدبّر والتفات لا بلقلقة اللسان، وحينئذٍ يأتي للشكوى إذا لم يصل إلى مراده. وبعد هذا الكلام رجع مرة أخرى إلى موضوع حديثه الأول وبعد انتهاء الحديث فُتح الباب فدخلت الغرفة. فسألني الشيخ: ألك حاجة؟ فأجبته: قد سمعت جوابك فقال لي: فلماذا إذن أنت هنا؟ فنهضت وودعته. وبعد عدة أيام أخر جئت بخدمته ثانية فطلب مني أن أبقى لتناول طعام الغداء عنده. فقلت له: اليوم أنا ضيف، وكان مقرراً أن يطبخوا لي شوربة حامضة لأن مزاجي يحتاج إلى مسهل. فقال لي: اليوم لا خبر هناك. فقلت له: قد أوعدوني فكيف يمكن أن لا يكون هناك من هذا الخبر شيء؟ فقال لي: كما قلت لك لا يوجد شيء هناك فأطعت أمره وبقيت عنده إلى الظهر، ولكن كان كل فكري مشغولاً بتخلّفي عن المكان الموعود به. وعلى كل حال فقد جلب لي الشيخ من داخل البيت مقداراً من الجوز المدقوق والجبن والخبز. وبعد الانتهاء من تناول طعام الغداء قال لي: انهض بسرعة واذهب فقد حصل مقصودك. فكنت منزعجاً لما طلبه مني صريحاً من الخروج من المنزل. ولكن بمجرد أن وصلت مكان سكني كنت كمثل من شرب مسهلاً، فاستجاب مزاجي وارتحت. وحينئذٍ علمت لماذا قال لي الشيخ: انهض بسرعة واذهب. وبعد ذلك علمت أن مضيّفنا في ذلك اليوم قد جاء قبل الظهر إلى مكان سكني واعتذر عن ضيافتنا بسبب وجود مانع.

٤٩ ـ حكاية:

نقل أيضاً انتظام الكاشمري قال: كان هناك سيد فقير يعيش في

مدينة كاشمر وقع في عشق بنت أحد العلماء ولكن والد البنت خالف في زواج السيد من ابنته بسبب فقره فذهب هذا السيد بخدمة الحاج الشيخ مستمداً منه العون في قضاء حاجته وببركة الشيخ تزوج السيد تلك البنت، وعاشا حياة منظمة ومرتبة وبعد مدة ذهب السيد المذكور إلى أحد أدعياء الروحانية والمعنوية وصار من مريديه وسلّم أمره إليه، ولم يطلع أحداً على هذا الأمر. وذات يوم وصلتني ورقة من جناب الشيخ مكتوب فيها: قل للسيد أن يرجع عن هذا العمل وإلاّ سيتغير عليه الدهر. وأخبرت السيد بيني وبينه بالأمر فتصوّر أني قد كتبت رسالة للشيخ عن أمره فأقسمت له بعدم اطلاعي عن أمره حتى وصلتني الرسالة. وعندما لاحظنا بدقة تاريخ كتابة الشيخ للرسالة وجدناه مطابقاً تماماً لنفس اليوم الذي ذهب فيه السيد إلى ذلك المدّعي وأسلم له أمره وأصبح من مريديه والخلاصة لم ينثني السيد عن عزمه فدار عليه الزمان ورجعت عنه الدنيا وسلّم روحه في الغربة.

٥٠ ـ حكاية:

نقل الحاج عباس فخر الدين والذي كان أحد ملاّكي مشهد قال زرعت في إحدى السنين الكثير من الحمص. ولكن هجم الجراد على المزرعة ولم يبق من الذرع إلا قليل والذي كان سيأكله الجراد أيضاً لو استمر هكذا. فهرعت إلى الحاج الشيخ حسن علي طالباً منه المساعدة فقال لي: للجراد رزق أيضاً. فقلت له: على هذا النسق سوف لن يبقى شيء من الزرع. ففكر قليلاً ثم قال: سأعطي إلى الجراد أمراً أن لا يأكل من زرعك منذ الغد ويرتزق فقط من العلف غير النافع. وبعد أن ذهبت إلى القرية رأيت متعجباً أن الجراد كان يأكل من العلف غير النافع والزائد. وعادت تلك الزراعة عليَّ بربح وفير.

٥١ ـ حكاية:

يقول الحاج عبد الحسين حقير: كنت مستأجراً الأراضي في أطراف ونواحي «تربت جام» مجاورة لقبر العارف الجليل «شاه قاسم أنوار». ولكن الجراد هدّد فعلاً مزرعتي بالفناء. فذهبت إلى الشيخ وعرضت له حاجتي فقال لي: مقبرة الشاه قاسم تميل إلى الخراب، أصلحها ليبتعد عن مزرعتك شر الجراد. وقد أقسم أنه بمجرد اصلاح المقبرة لم يبق أثر للجراد.

٥٢ ـ حكاية:

يقول الحاج شعاع التولية من خدّام وأصحاب المناصب في الحضرة الرضوية المقدسة يقول: كانت إحدى غرف الصحن القديم في تصرّفي. وعندما عزمت على السفر أودعت مفتاح الغرفة عند الحاج ملاّ هاشم الذي كان من فضلاء وعلماء مشهد. وفي نفس هذه المدة كان الحاج الشيخ حسن علي طاب ثراه قد طلب من الحاج ملاّ هاشم غرفة في الصحن القديم ليرتاض فيها أربعين يوماً. فأعطاه الحاج ملاّ هاشم مفتاح غرفتي وبعد مدّة رجعت من السفر وكان مصادفاً لأيام العيد وكان يجب على كل من له غرفة في الصحن القديم أن يزيّن الشرفة بالأضواء المتلألئة. ولهذا السبب طالبت الحاج ملاّ هاشم بالمفتاح فقال لي: المفتاح عند الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. ولم أكن آنذاك أعرف الشيخ. ولكن لم أعرف لماذا لم يطلب الحاج ملا هاشم المفتاح من الشيخ، وكنت قد انزعجت كثيراً لأني لم أستطع أن أزين شرفة الغرفة بالمصابيح ليلة العيد. وذهبت في اليوم الثاني إلى الصحن القديم قرعت باب الغرفة، ففتح الشيخ الباب

ولكن لم يأذن لي بالدخول. فعاتبته عتاباً مرّاً وقلت له: لأي سبب لم تحول مفتاح الغرفة؟ وكنت حاداً معه جدّاً. ولكن الشيخ أصغى إلى كلامي بأكمله ولم يجبني بشيء. ثم رجع إلى داخل الغرفة وبعد لحظة خرج حاملاً سجادته. فظننت أنه سيأتي بحمال لينقل أثاثه من الغرفة. فانتظرته فلم يرجع. فاضطررت للدخول في الغرفة فرأيتها خالية. فبقيت متحيّراً كيف استطاع هذا الشيخ أن يبقى طيلة هذه المدة في الغرفة بدون أي وسيلة. فندمت على ما صدر منّي. وفي اليوم التالي أخبرت الحاج ملا هاشم بما دار بيني وبين الشيخ وقلت له: لقد لمت نفسي كثيراً على ما كان منّي بحق هذا الشيخ. فقال لي: أنت لا تعرف هذا الشيخ وإلا لما كنت كلمته بمثل هذه الجسارة. وربما ستدفع الثمن غالياً لما سببته له من الأذى.

يقول شعاع التولية: فبقيت مدة منتظراً الفرصة للاعتذار من الشيخ وأعوّض ما كان من تقصير إزاءه.، ولكن إلى الآن ما زلت نادماً على عملي ذاك.

٥٣ ـ حكاية:

سمعت من السيد أبو الحسن المرتضوي ابن المرحوم الحاج السيد كاظم الأصفهاني يقول: كنت في مشهد بخدمة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني حين جاءه رجل وقال له: كنت أقرأ الفاتحة على قبر الشيخ الطبرسي إذ لدغتني عقرب. فسأله الشيخ: ثم ماذا كان من العقرب؟ فقال: التجأت إلى ثقب. فقال الشيخ: لقد أضاعت هذه العقرب ثقبها، اذهب إلى هناك وقل لها قريباً من ذلك الثقب: إن الشيخ يقول اخرجي. وعندما تخرج من الثقب، اقبض عليها بهدوء وأوصلها إلى مقبرة المحلة في انتهاء الشارع وضعها قرب الثقب

الفلاني حتى تشفى يدك، فإذا فعلت ما أمرتك به فارجع إلى هنا وأخبرني.

يقول ناقل القصة: اني ما زلت جالساً عند الشيخ حتى رجع ذلك الرجل الذي لدغته العقرب وقال: فعلت ما أمرتني به وقد شفيت يدي في نفس الوقت الذي وضعت العقرب فيه هناك والتأم الجرح.

٥٤ ـ حكاية:

يقول السيد محمد رضا الكشفي ابن المرحوم السيد مهدي الكشفي نقلاً عن والده: كنت ساكناً في قم سنة ١٣٥٨ هجري قمري قبل حوادث شهريور ١٣٢٠ هجري شمسي فصممت في نفسي أن أختم دعاء السيفي من أجل تحسين أوضاع المجتمع. فوصلتني رسالة من الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني يقول فيها: لا يحتاج الأمر أن تختم دعاء السيفي، فإن صاحب الزمان عليه السلام ناظر ومراقب للأوضاع، وعندما يرى المصلحة في ذلك فإنه سيغيّر الأوضاع.

٥٥ ـ حكاية:

يقول الآقا عبد الرسول الأصفهاني: يقول أحد أصدقائي الطهرانيين: ذهبت بصحبة المرحوم مقوّم السلطان إلى مشهد بخدمة الشيخ رضوان الله عليه وطلبنا منه الدعاء لشفاء مريض لنا في شيراز. فأعطاني الشيخ تمرة لآكلها. وعندما أكلت هذه التمرة شفي مريضنا في شيراز.

٥٦ ـ حكاية:

نقل السيد محمد رضا الكشفي عن والده أيضاً: عندما شرعت بتدريس كتاب «كفاية الأصول» وصلتني بعد يومين رسالة من الحاج الشيخ يقول فيها: «يكفي أنكم درستم الكفاية يومين، اتركوها».

٥٧ ـ حكاية:

يقول المرحوم الحاج سيد علي الموسويان أحد تجار مشهد: طلبت من المرحوم الشيخ أعلى الله مقامه دواءً لتطبيب مرضي فقال لي: تحتاج إلى ترياق أوراقه حمراء فقلت له: ليس من اسهل الحصول على مثل هذا الترياق. فقال لي: خذ هذه الحبات من الخشخاش وازرعها في حديقة المنزل وهيىء منها الترياق اللازم. فقلت له: يحتاج هذا العمل إلى أشهر. فقال لي: اعمل ما أقول لك وستصل إلى النتيجة بسرعة. وعلى كل حال فقد زرعت الخشخاش في حديقة المنزل وخلال اسبوع اخضر ونما وخرجت أوراقه وصار جاهزاً للعمل. فأخذت عصير هذه الأوراق وجئت بها إلى الشيخ، فصنع لي منه دواءً وباستعماله شفيت من مرضي.

٥٨ ـ حكاية:

نقلت زوجة المرحوم الحاج الميرزا محمد صادق الخاتون آبادي أحد العلماء البارزين في عصره في أصفهان نقلاً عن لسان زوجها: في إحدى ليالي الجمعة ذهبت مع الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني إلى المقبرة المعروفة بـ«تخت پولاد» وبتنا في تكية «مادرشاهزاده». وقبل طلوع الفجر بقليل قال لي: سأخرج من التكية ولكن لا تخرج أنت منها حتى أجيء.

وبعد مدّة وسوست لي نفسي بالخروج خلف الشيخ. وعندما خرجت من التكية رأيت هذا الرجل الجليل واقفاً للصلاة واصطفت خلفه صفوف كثيرة من المصلّين يرتدون الملابس البيضاء. فأغمي علي وفقدت وعيي إلى أن جاء الشيخ إلى وسادتي وقال لي: ألم أقل لك أن لا تخرج؟.

٥٩ ـ حكاية:

نقل المرحوم الحاج السيد أبو الفضل الخاتون آبادي: عندما تشرّفت بزيارة مشهد المقدسة. وفي إحدى الليالي كنت ضيفاً في منزل الحاج الشيخ حسن علي وبعد تناول طعام العشاء رجعت إلى محل سكني في مدرسة «حاجي حسن». ولكن عرض لي في منتصف الليل عطش شديد ولم يكن في الغرفة ماء، فاضطررت أن آخذ الجرة لأملأها ماءً من المخزن المقابل للمدرسة، ونزلت بصعوبة من السلّم المظلم للمخزن وملأت الجرة ماء. وما أن صعدت بعض درجات السلّم فكأنه قد أخذ الجرة من يدي شخص وأفرغها من الماء، ثم ذهبت ثانية وملأت الجرة من الماء، ومرة أخرى أفرغت من الماء. وهكذا تكرر هذا العمل مرات عديدة. فاضطررت إلى الصراخ قائلاً: أنا ضيف الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني وإذا آذيتموني فإني سأشكوكم إليه فلم يتعرّض لي بعدها أحد. وفي عصر اليوم التالي عندما ذهبت بخدمة الشيخ وقبل أن أتحدث له عما حدث قال: لو لم تأتِ باسمي البارحة لما سمحوا لك بأخذ الماء.

٦٠ ـ حكاية:

يقول أحد معارفنا باسم العقيد عباس علي الميرزائي: كنت

مسافراً إلى مشهد المقدسة، وذهبت إلى محل بيع القبعات لشراء قبعة، ودار الحديث مع صاحب المحل حول المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. فقال صاحب المحل: كنت في يوم وفاة المرحوم الشيخ في دكان الحلاق، وكان يجلس شخص على كرسي التزيين. وعندما ارتفعت أصوات المشيعين سأل الشخص الجالس: ما الخبر؟ فأجاب الحلاق: انه تشييع جنازة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. وبمجرد أن سمع الشخص الجالس هذا الخبر أخذ يئن وينحب. فتصورنا أنه من أقرباء الشيخ. وعندما سألناه عن ذلك قال: ليس لي علاقة قرابة بهذا الرجل العظيم، لكن توجد بيني وبينه حكاية سببت اضطراب حالي. ثم قصّ حكايته هكذا: كان والدي عمدة قرية «نخودك»[1] وكنت أنا أعمل في مخفر الدرك. وذات يوم قال الحاج الشيخ لوالدي: إذا لم تكن محتاجاً فاستقل من عملك كمختار وعمدة للقرية. فاستقال والدي من عمله استجابة لطلب الشيخ. وعند علمت بالأمر أكننت في قلبي بغضاً على الشيخ، وأخذ آخرون يغذّون هذا الغضب والحقد حتى صممت أخيراً على قتله. ولأنه أحياناً عندما أرجع من عملي في منتصف الليل أرى المرحوم الشيخ يخرج وحده من القرية عزمت أن أطلق عليه الرصاص في إحدى تلك الليالي. وفي ليلة من ليالي الشتاء المظلمة عندما كنت آتياً من المدينة رأيت الشيخ واضعاً عباءته على رأسه يريد الخروج من القرية. وفكرت في نفسي أنه وصل وقت الانتقام، ولكن الأفضل أن أصبر قليلاً حتى يبتعد عن القرية فلا يسمع أحد صوت اطلاق الرصاص. وعلى كل حال فقد سرت خلفه بهدوء ليخرج تماماً من القرية. وفي ذلك الوقت الذي

---

(١) «نخودك» من مزارع أطراف مدينة مشهد. وقد سكن المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني سنوات فيها. ولهذا السبب يسميه البعض الحاج الشيخ حسن علي النخودكي.

وضعت فيه البندقية على كتفي واستعددت لإطلاق الرصاص التفت إليّ فجأة وقال: حبيب أين تريد؟ وبصورة عفوية أجبته: جئت بخدمتكم. ووقع في قلبي رعب شديد. فقال لي: تعال لنذهب سوية لزيارة أهل القبور. وقبلت فوراً وذهبنا إلى مقبرة القرية التي تبعد عن القرية مسافة، وقرأنا الفاتحة. وحينئذٍ قال لي الشيخ: أتحب أن نذهب إلى المدينة ونزور الإمام الرضا عليه السلام؟ فقلت له: نعم. فقال لي: تعال خلفي. ولم نسرِ إلاّ خطوات قليلة حتى وصلنا إلى باب الصحن الشريف للإمام الرضا عليه السلام. ولأن الأبواب كانت مغلقة، فأشار إليها وفتح الباب، ولكن لم أرَ أحداً قد فتح الباب. فأمرني أن أتوضأ فتوضأت من ماء الساقية. واتجهنا نحو الحرم المطهّر، وكانت الأبواب هناك أيضاً مغلقة وبإشارة من الشيخ فُتحت الأبواب ودخلنا الحرم وأدّينا مراسم الزيارة. وفي أثناء الرجوع أغلقت الأبواب خلفنا الواحدة تلو الأخرى. وعندما خرجنا من الصحن الشريف قال لي: أتحب أيضاً أن تزور أمير المؤمنين عليه السلام؟ فأجبته: نعم. ولم أسر معه سوى خطوات قليلة حتى وصلنا إلى صحن وحرم الامام، ولأني لم أذهب إلى الآن لزيارة مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فلم أعرف مرقده عليه السلام عندما رأيته. وعلى كل حال فقد كانت أبواب الصحن الشريف والحرم المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام مغلقة وفُتحت بإشارة من الشيخ أيضاً فأدّينا مراسم الزيارة وخرجنا. وفي هذه الأثناء قال الشيخ: حبيب لقد مضى الليل وأنت أيضاً تعبان فمن الأفضل أن نرجع إلى «نخودك». فقلت له: أيها الشيخ افعل كل ما تراه صلاحاً، وفجأة وجدت نفسي في المكان الأول الذي التقينا به. وبعد ذلك قال لي: حبيب إذا حدّثت أحداً بما كان من أمرنا هذه الليلة فستعمى عيناك. ولا تأتي لي مرة أخرى أبداً، سلّم عليَّ من بعيد والسلام. فهل بعد هذه الكرامات التي رأيتها من هذا الرجل العظيم لا

يحق لي النوح والبكاء عليه رحمة الله ورضوانه عليه.

٦١ ـ حكاية:

حدّثني صديق ثقة قائلاً: في يوم وفاة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه رأيت امرأة مسيحية تبكي وتضرب رأسها وصدرها في التشييع. فقلت لها: ألستِ مسيحية وهذا الرجل من علماء الدين المسلمين؟ فقالت لي: لقد كانت هاتان البنتان اللتان معي الآن قبل فترة مريضتان بمرض خبيث، ولم ينفعهما دواء، حتى لقد عجز أطباء المستشفى الأمريكي عن مداواتهما. وعلى كل حال فقد اشتد بهما المرض وكانتا على وشك أن تلفظا أنفاسهما الأخيرة. وعندما رأت جارتي المسلمة هذه الحالة قالت لي: إذا أردت شفاء بنتيك فاذهبي إلى الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني في قرية «نخودك» فإن عنده دم عيسى واطلبي منه المساعدة. فخذي عباءتي وضعيها على رأسك واذهبي إلى هناك. فأخذت عباءتها وحجبت بها شعري وبدني وذهبت سائلة هذا وذاك حتى وصلت إلى الشيخ فوجدته جالساً في عتبة داره وقد اجتمع حوله عدد من أصحاب الحاجات. وبدون أن أبيّن ديني عرضت له حاجتي. فقال لي: خذي هاتين الحبتين من التين وأعطيها إلى جارتك المسلمة ولتكن على وضوء ثم تضعهما في فم الصبيتين لتأكلانهما. فقلت له: إنهما لا تستطيعان أكل شيء. فقال لي: فلتذيبهما في الماء ليشربانهما. فرجعت إلى المدينة وأعطيت هاتين التينتين إلى جارتي المسلمة، فوضعتهما هي في الماء بعد أن توضأت وصبتهما في فم المريضتين. وفجأة بعد عدة دقائق فتحتا عينيهما وعُوفيتا تماماً. نعم لقد فقدنا مثل هذا الرجل.

٦٢ ـ حكاية:

حكى المرحوم السيد ذبيح الله أمير الشهيدي نقلاً عن المرحوم نجم التولية: عندما كنت ذاهباً إلى خدمة الحاج الشيخ في «حصار سرخ» وبينما كان الشيخ قائماً يصلي في جانب التل. فجأة جاءت إلي امرأة مضطربة الحال فقالت لدغت ولدي أفعى فاعطني دعاءً ليشفىٰ. فقلت لها: لست من أهل هذا العمل، اذهبي إلى ذلك الشيخ المشغول بالصلاة. فذهبت المرأة إلى خدمة الشيخ وعرضت عليه حاجتها. فناداني الشيخ رحمة الله عليه وقال لي: اذهب إلى ذاك الطرف من التل وجئني بأعشاب صفتها كذا لتدقها وتضعها على موضع سم الحية. وذهبت كما أمر الشيخ إلى الطرف الآخر من التل وجئت بهذه الأعشاب، وقد شوفي هذا الولد بعد استعمالها.

وأنا أعجب من هذا الرجل الجليل القدر كيف عرف بوجود هذه الأعشاب في الطرف الآخر من التل في الوقت الذي لم يذهب فيه خلف التل.

٦٣ ـ حكاية:

يقول سيد من إحدى العوائل المحترمة في مشهد: انتقلت من مشهد إلى طهران قبل أربعة عشر عاماً. وفي عام ١٣١٧ رجعت إلى مشهد للزيارة، وقد كلّفني أخ زوجتي المرحوم نظام التولية حمل أمانة أوصلها إلى المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. وفي اليوم الأول من وصولي إلى مشهد ذهبت إلى قرية «نخودك» وأوصلت الأمانة إلى بيت الشيخ حسن علي الأصفهاني وقلت: إذا لم يكن لكم أمر فسأرجع إلى المدينة فأمرهم أن يطلبوا مني الدخول إليه، وفكرت

في نفسي بأني رجل ملوث بالذنوب وليس عندي لياقة الحضور عند هذا الرجل الجليل وخجلت من لقائه ولهذا السبب قلت: ليس لي عمل فإذا لم يكن عنده أمر فسأرجع. فجاءني شخص من عنده وقال: يقول الشيخ: لدي شغل معك فادخل. فتخيلت أن الشيخ قد اشتبه الأمر عليه بيني وبين أخي الذي كان يتردد على الشيخ. ولكن عندما وصلت بخدمته كلّمني باسمي وسألني عن أحوال أخي، وحينئذٍ عرفت أن الأمر لم يشتبه عليه ثم قال لي يا فلان لو قُسمت سيئات العالم فلن تكون حصتك أقل من الذي كان منك. ويجب عليك التوبة من المعاصي والذنوب. لماذا أنت مقصر في اداء صلاتك؟ يجب عليك بعد هذا الاهتمام بها. فقبلت فوراً. ثم قال لي: يجب عليك أن تترك شرب الخمر. وقبلت في باطني أيضاً ألا أعود إلى هذا العمل. ثم قال لي: يجب عليك أن تصرف النظر عن النساء الساقطات. ولكني لكثرة ذنوبي وحبي لهذا العمل القبيح لم أستطع قبول قوله في أن أنتهي عن ارتكاب هذا العمل وفكرت في نفسي أن أحل هذه المشكلة عن طريق الزواج المؤقت. ولكن الشيخ فجأة قال لي: إن النساء الساقطات لا يراعين العدّة، ولهذا السبب فإن عقد المتعة معهن لا يحل المشكلة. يجب عليك أن تنتهي عن هذا العمل وترجع إلى المدينة وتغتسل غسل التوبة وتزور الإمام الرضا عليه السلام وتشتري تذكرة السفر إلى طهران اليوم لترجع غداً. وستجد في الكراج سيارتين لنقل المسافرين إلى طهران فلا تذهب بالسيارة الأولى وهي سيارة جديدة، واذهب بالسيارة الثانية العتيقة تقريباً، فقلت له: لقد كنت أربعة عشر عاماً بعيداً عن مشهد ولم يمض يوم من مجيئي ولم أوفق إلى الآن لزيارة معارفي وأقاربي، فقال لي: صلاحك في رجوعك غداً إلى طهران. وتعال إلى هنا غداً عصراً لأعطيك برنامجاً وترجع بعد ذلك إلى طهران وشئت أم أبيت فقد نفذت ما أمرني به الشيخ،

وذهبت في عصر اليوم الثاني إلى الشيخ فأعطاني البرنامج، وفي غروب هذا اليوم سافرت إلى طهران بالسيارة الثانية.

ولكن لم تمضِ أكثر من أربع فراسخ عن سبزوار حتى رأيت السيارة الأولى مقلوبة وقد تلطخت أجساد المسافرين بالدماء، فأوصلنا بعضاً منهم إلى مستشفى سبزوار. وعندئذٍ فهمت سرّ وصية الشيخ لي للسفر بالسيارة الثانية.

وعندما وصلت إلى طهران والتقيت بأصدقائي القدماء أخذوني معهم إلى مقهى في ساحة دار المدفعية (ميدان توپخانه)، وخرجت في منتصف الليل من هناك سكراناً ولأن الحصول على امرأة في هذا الوقت المتأخر ليس أمراً سهلاً فقد أخذت معي مخنثاً إلى البيت، ولكن لفرط سكري لم أفعل شيئاً وألقيت نفسي بملابسي على السرير لكن وقبل أن أغط في النوم رأيت المرحوم الحاج الشيخ حسن علي فجأة واقفاً عند رأسي يقول لي: أبو القاسم ألا تستحي؟ ألا تخجل؟ أو لست تائباً وبهذه السرعة تنقض توبتك؟ وتريد أن تُذنب ذنباً أسوأ من الزنا؟.

فأعاد هذا الحديث إليّ وعيي، وفركت عيني فلعل الذي رأيت كان في عالم النوم والسكر. ولكن تيقنت أني لم أكن نعساناً وكان الشيخ حقيقة واقف عند سريري. ومضت هذه اللحظات عليّ بصعوبة وكنت أرجف من رأسي إلى قدمي من شدة الخوف. ولكن بعد لحظات أغلق الشيخ الباب بشدّة وخرج، بحيث أوقظت قوة ضرب الباب هذا المخنث وسأل: ماذا حدث؟ فقلت: جاء سارق إلى البيت ومن الأفضل أن تخرج الآن قبل أن يصلك أذى.

والخلاصة فقد مضى بعد منتصف الليل ساعتان، فناديت عربة لتوصل هذا الولد إلى ميدان التوپخان ودفعت الأجرة، وأعطيت له

أيضاً مبلغاً قليلاً. ولكن لم أستطع النوم حتى الصباح ومضت سنوات على هذه الحادثة ولم أرتكب خلالها مثل هذه الأعمال.

وفي إحدى ليالي الشتاء كانت امرأة أيم كان لي بها علاقة تصرّ عليّ أن أزورها في البيت. وعندما كان آخر الليل خلعت ملابسي لأهيىء نفسي للنوم. وفجأة رأيت الحاج الشيخ حسن علي أيضاً واقفاً جانب السرير وهو يقول لي: يا سيد ألا تستحي؟ ما هذه التوبة التي تبتها؟ وعندما رأيت هذا المنظر نهضت من فراشي وخرجت من الدار بملابسي الداخلية. وقد كنت مضطرباً جداً بحيث تصورت تلك المرأة بأني قد أصبت بالجنون. وعلى كل حال فقد وصلت إلى البيت بهذه الحالة وتسلقت الجدار ودخلت المنزل. وبعد عدّة أيام جاؤوا بملابسي. وبعد مضي مدة اصطحبني بعض أصدقائي بسيارة إلى كراج، وكانت معهم امرأة. فقلت لهم قبل أن نذهب: لا تصحبوني معكم فقد أسبب لكم بعض المشكلات. وفي منتصف الطريق انقلبت السيارة وأصبت بأذى، فانفصلت عنهم.

وبعد عدة سنوات تعرفت على امرأة في الطريق وجئت بها إلى البيت. وبمجرد وصولنا أصيبت المرأة بصداع شديد وارتفعت درجة حرارتها جداً وكانت حالتها وخيمة جداً بحيث دعوت الله سبحانه أن لا تموت في داري وعاهدت الله أن لا أرجع إلى مثل هذه الأعمال مرة أخرى.

وعند الصباح تحسّنت صحتها فأعطيتها مبلغاً من المال وخرجت. ولم أعد بعد ذلك إلى مثل هذه الأعمال القبيحة. ولكن أحياناً كنت أعاقر الخمرة.

وفي صباح يوم من أيام الشتاء دقّ جرس الدار، فنهضت من

السرير غضباً متصوّراً بأنه كنّاس البلدية لأعترض عليه. وعندما فتحت الباب رأيت شخصاً يرتدي الملابس الخاصة لكنّاسي البلدية فابتدأني بالكلام دون اعطائي المجال قائلاً: يا سيد أنت تدّعي محبة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني فلماذا ترتكب المنكرات؟ وأخذ يعدّد ذنوبي واحداً واحداً. فكنت متحيّراً باطلاع هذا الشخص المجهول على ذنوبي المستورة وعندما انتهى من كلامه قال: انتظر من الآن فصاعداً جرّة الإذة حتى تصير آدمياً.

وابتعد خطوات قليلة ثم اختفى عن نظري. فنظرت هنا وهناك في الشارع والذي كان خالياً في الصباح فلم أر أحداً. فسألت العطار المجاور لمنزلي: أرأيت الآن شخصاً بهذه الأوصاف؟ فأجابني بعدم رؤيته.

ولم تمض أيام قليلة حتى بدأت تزدحم عليَّ المشاكل والمصاعب فخرجت من طهران أشهر عديدة. فكان ابتعادي عن طهران هذه المدة توفيقاً للابتعاد عن الذنوب. ولهذا السبب أخذت أجد الوضوح والصفاء رويداً رويداً. وفي يوم كتبت إلى الشيخ رسالة أقول له فيها: كيف سيكون حالي أمام الله تعالى مع كل هذه الآثام والخطايا؟ فكتب في جوابي.

إذا كان هناك لوث في حاشيتك فلا يخيف إذ أنك من أصل طاهر ومن نسل حيدري.

٦٤ ـ حكاية:

يقول محمد جعفر لؤلؤليان: كنت ساكناً في مدينة زاهدان لعدة سنين ثم سافرت إلى الهند. وذات يوم ذهبت إلى مقبرة السيد جلال الدين حيدر ودخلت بيت الدراويش هناك حيث كان درويش (صوفي)

يجلس عل كرسي وقد اصطف مقابله قريب مائة نفر وقوفاً احتراماً له. وعندما سلّمت عليهم، استقبلني هذا الدرويش الشاب والذي كان قطبهم وأعطاني مكاناً إلى جانب أحد الدراويش، وأمر أن يأتوا لي بشاي. فلما أتوا بالشاي كان أخضراً ففكرت في نفسي أن الشاي لو كان أسوداً لكان أفضل. فاطلع هذا الدرويش الشاب على نيتي وأمر فوراً أن يأتوا لي بشاي أسود بدله. وعيّن لي في الليل غرفة خاصة وأمر بضيافتي. فبقيت مستيقظاً حتى الصباح أوبخ نفسي ما الذي جاء بي إلى هنا؟ وكيف تركت زيارة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد وجئت إلى هذا الشاب الذي لا أعرف من أمره شيئاً.

وفي الصباح أحضرني الشاب الدرويش عنده وقال لي: نحن لم نأت بك إلى هنا، أنت أتيت بنفسك، فلماذا تظن البارحة بي سوءاً؟ وعندها علمت بأن هذا الدرويش مطلع على كل خواطري النفسية. وحينئذٍ قال لي، لماذا لم تذهب إلى خدمة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني في مشهد؟ فأجبته: أنا لا أعرف مثل هذا الشخص. فقال لي: الحاج الشيخ حسن علي مقتدانا جميعاً.

وبقيت ثلاثة أيام في بيت الدراويش، وفي الليلة الرابعة توسّلت بالسيد جلال الدين حيدر. وعند الصباح قال لي الدرويش الشاب: لقد توسلت البارحة بشخص ذي مقام أعلى فخرج أمرك من يدي. وأعطاني برنامجاً وقال لي: اذهب إلى مشهد لزيارة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني في «نخودك». ثم قال: ذهب اليوم ولدك مهدي من زاهدان إلى مشهد، وقد أخذ مساعد سائق السيارة غذاءه فأكل الغذاء ورمى الماعون خارجاً في الصحراء وقال له: لقد ضاع ما عونك. وفي أثناء الطريق أخذت الريح منه قلنسوته وبمجرد وصوله إلى مشهد اشترى بخمس تومانات قلنسوة جديدة.

وبعد رجوعي من الهند ذهبت إلى مشهد وعندما سألت ولدي عن ضياع الماعون وأخذ الريح لقلنسوته فكان الواقع كما أخبرني به الدرويش الشاب. وبعد عدة أيام من وصولي إلى مشهد وذات صباح تشاجرت مع زوجتي وخرجت غاضباً من البيت. ووقع في خاطري أن أذهب إلى خدمة الحاج الشيخ حسن علي في «نخودك». وحينما وصلت إلى بيته وطرقت الباب جاء خلف الباب شخص وقال: من تريد؟ فقلت: أريد رؤية الحاج الشيخ. وبعد لحظات تأمل أجابني: انه ليس في البيت، ذهب إلى المدينة فقلت في نفسي: انه حتماً في البيت ولكن لم يرد استضافتي، أهذا الرجل من أولياء الله! ثم رجعت إلى المدينة.

وبعد يومين جاءني رجل تاجر باسم سيد علي أصغر اعتماد زادة وقال لي: الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني يريد حضورك. فسألته: ومن أين علم الشيخ بعلاقتي معك؟ فأجابني: لا أدري، جاء إليّ صباحاً وأمرني أن أخبرك أن تذهب غداً إلى «نخودك» للقاء به.

تشرّفت في اليوم الثاني بالحضور عند الشيخ وبعد السلام قال لي: الذي يريد أن يزور صديق له ينبغي أن يكون على راحة نفسية وسلامة فكرية. لقد تشاجرت مع زوجتك وجئت لزيارتي وأنت غاضب. وعندما لم أكن موجوداً في البيت فكرت في نفسك بأني موجود في البيت قطعاً ولكني لم أضيّفك وحينئذٍ قلت: أهذا من أولياء الله! فتحيّرت جداً من علمه بهذه الأمور. وبعد أن تحادثنا قليلاً قال لي: اذهب الآن إلى المدينة مسرعاً واحرق كل ما في بيتك من الأوراق وضع الرماد في قطعة قماش وأرمه في البالوعة فسألته: ولماذا؟ فأجاب: في هذا مصلحتك، لأنه ستأتي الشرطة بعد ساعة إلى دارك للتفتيش.

فذهبت فوراً وبلا اختيار منّي إلى المدينة مسرعاً وفعلت كل ما أمرني به الشيخ. وبعد قليل جاءت الشرطة فجأة وفتشوا البيت تفتيشاً دقيقاً ولكن لم يعثروا على شيء، ونجوت من هذا الخطر. وأثناء الليل رأيت في عالم الرؤيا بأن مجلساً حسينياً منعقداً في بيتنا والأعلام الخضراء منتشرة فيه، فجاء شخص وجمع هذه الأعلام وذهب.

وتشرفت في اليوم الثاني بخدمة الشيخ وحكيت له ما رأيته في عالم الرؤيا. وبعد أن تأمل قليلاً قال لي: لقد أحرقت البارحة وبدون التفات منك برنامج العمل والذكر الذي أعطاه لك الدرويش الشاب مع الأوراق الأخرى. وبعد رجوعي إلى المنزل بحثت كثيراً فلم أعثر على الأوراق التي أعطانيها ذلك الدرويش وفهمت بأني قد أحرقتها مع سائر الأوراق الأخرى لاضطراب حالي.

٦٥ ـ حكاية:

يقول السيد مهدي هزاوه اي: عندما ذهبت إلى مشهد قبل عدة سنوات كنت بعد التشرّف بزيارة الحرم المطهر للإمام الرضا عليه السلام أذهب لزيارة قبر الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه وأجلس ساعة لقراءة الفاتحة وطلب المغفرة لهذا المرحوم لما كنت أكنه له من الحب والاحترام البالغ أيام حياته. وفي ذات يوم رأيت شخصاً يقرأ الفاتحة على قبر المرحوم الحاج الشيخ بتوجّه خاصّ ويبكي بحرقة فترك حال هذا الرجل عليَّ أثراً كبيراً بحيث اضطرني أن أنتظره حتى الانتهاء. وعندما أراد الذهاب أقبلت وسلّمت عليه وقلت له: لا بدّ أن يكون هذا النحيب والبكاء على هذا الشيخ بسبب أمر استثنائي. فأجابني: هو كذلك. قبل عدة سنوات أصيبت زوجتي بمرض جرح الخنازير، فانفقت كل ما أمتلك على علاجها فلم يجد

نفعاً. كما أن حضانة أربعة أولاد ورعاية هذه المريضة اضطرني إلى ترك عملي، فأدّى ذلك بي إلى العسر والفقر المدقع.

وذات يوم أرشدني أحد معارفي إلى الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه. وحينما تشرّفت بخدمته حكيت له بالتفصيل حال زوجتي وما وصل إليه حالنا من البؤس والشقاء. وفي أثناء ذلك كان قد أغلق عينيه بحيث بدا لي بأنه قد أعرض عنّي ولم يهتم بحديثي، ولذا كنت يائساً من مجيئي إليه. وعند ذاك فتح عينيه وقال لي: تعال يوم الأربعاء آخر السنة واجلب معك كمية قليلة من التمر فقلت له: وما هو تكليفي إلى يوم الأربعاء آخر السنة؟ وماذا أعمل خلال هذه المدة؟ فقال لي: نفس العمل الذي تؤديه الآن.

وتشرّفت بالحضور عنده في اليوم المحدّد آخذاً معي مقداراً من التمر. فأخذ بكفه تسع تمرات وقرأ عليها شيئاً ثم نفخ عليها وقال: لتأكل هذه المريضة في كل يوم تمرة واحدة وبعد ذلك لا يجوز لها أن تأكل التمر إلى آخر حياتها. ثم أرجع التمر الباقي وأذن لي بالذهاب. وبعد ثلاث أو أربع أيام وقبل أن تتم تناول التمرات الباقية عوفيت من مرضها بصورة كاملة. وكُتبت لنا حياة جديدة. وبحمد الله تعالى ومنّته أعيش أنا وعائلتي الآن بوضع جيد ومرفّه. ثم قال: والآن وبعد هذا ألا يحق لي أن أتألم على هذا الرجل العظيم.

٦٦ ـ حكاية:

نقل جناب الحاج الشيخ محمد مهدي تاج أحد وعاظ طهران المحترمين يقول: نقل أن أحد تجار طهران يقول: اشتريت بستاناً في «شميران» لا تصل إليه المياه، وكذلك لا تصل إليه مياه الأنابيب. ولذا اضطررت إلى حفر بئر عميقة في إحدى نقاط البستان لكي

استخرج الماء بواسطة الماكنة وأسقي به البستان. ولكن كل نقطة نحفر فيها بئراً لا نجد فيها ماءً، وصرفت مبالغ طائلة ولكن لم أصل إلى نتيجة. إلى أن عزمت على الذهاب إلى مدينة مشهد المقدسة لزيارة ثامن الحجج الإمام الرضا عليه السلام.

ونتيجة لعلاقتي السابقة بالشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه فقد تشرّفت بزيارته هناك. فعرضت عليه قضية حفر آبار متعددة داخل البستان دون جدوى وقد بذلت في هذا العمل أموالاً طائلة. فقال لي: أنا أعطيك دعاءً في أي نقطة حفرت في البستان ستصل إلى الماء، وسوف لن ينفد الماء فيه أيضاً، وسيكفي كل احتياجاتك بشرط أن تضع خارج البستان حنفية يستفيد من هذا الماء أيضاً المارة والجيران. فوافقت على هذا الشرط. فأخذ قطعة من الورق وكتب عليها عدّة جملات من الدعاء، وأعطانيها وقال لي: في أي نقطة تريد أن تحفر بئراً فضع هذه الورقة أولاً في ذلك المكان ثم ابدأ بالحفر، وعندما تصل إلى الماء ارمِ هذه الورقة في البئر .

وعند وصولي إلى طهران فعلت كما أمرني الشيخ، ووصلنا إلى الماء في أول بئر حفرناه. وقد مضت سنوات على استعمالنا لهذا البئر ولم نلحظ أي نقص في مستوى المياه. وقد وضعت حنفية خلف البستان يستفيد من مائها المارة والجيران.

٦٧ ـ حكاية:

يقول الحاج الشيخ محمد مهدي تاج: من القصص التي سمعتها ونقلت بطرق مختلفة قصة المرحوم الشيخ إبراهيم ترك. وقد ذكرت هذه القصة في كتاب «التقوى وما أدراك ما التقوى» المؤلف في أحوال المرحوم الحاج الشيخ محمد تقي البافقي اليزدي رضوان الله تعالى

عليه. وقد ذكرها أيضاً في كتاب التوسلات أو «طريق الآملين». والقصة هكذا:

تشرّف شخص يدّعى الشيخ إبراهيم ترك بزيارة الحرم المطهّر للإمام الرضا عليه السلام. وبقي في مشهد مدة طويلة بحيث نفد ماله، فبقي على أمل تحصيل مبلغ معيّن يؤمّن رجوعه وشراء هدايا لأهله. يقول: ومن أجل تهيئة مبلغ يؤمن سد احتياجاتي نظمت قصيدة في مدح محافظ مشهد على رجاء الحصول على صلة منه. ولكن خطر بقلبي بعد ذلك أنه ليس من اللائق أن أمدح أحداً غير الإمام الرضا عليه السلام في جوار قبره الشريف أو أطلب حاجة من أحد.

فاستغفرت الله فوراً ونظمت قصيدة أخرى في مدح الإمام الرضا عليه السلام. وأتيت إلى الحرم المطهّر وبعد الزيارة خاطبت الإمام عليه السلام: يا سيدي سأنشد قصيدة في مديحك انتظاراً لصلتك. وقرأت القصيدة بصوت منخفض، ثم اقتربت من الضريح المقدّس وقبلته وعرضت حاجتي عليه. وبعد وقوف قصير لم أحصل على الصلة المأمولة. فانزعجت من ذلك وخاطبت الإمام عليه السلام ثانية: يا سيدي لو أني قد قرأت هذه القصيدة لغيرك فإنه قطعاً سيعطيني جائزة على ذلك، ولكن لم أحصل منك على شيء. وخرجت من الحرم منزعجاً، وعندما أردت الخروج من باب الصحن أقبل نحوي فجأة شيخ جليل القدر وصافحني وقال: خذ صلة الإمام عليه السلام ولكن لا تخاطب الإمام ثانية بوقاحة. وبعد المصافحة وجدت ظرفاً في يدي، ولم أستطع الحديث مع هذا الشيخ لهيبته. وفتحت الظرف فوجدت فيه مبلغ مائة وعشرون توماناً، وكانت كافية لجميع حوائجي. وبعد عدة دقائق من وقوع هذه الحادثة ومن أجل معرفة هذا الشيخ الجليل القدر اقتربت من الصحن وسألت من أحد الخدّام الذي كان قد

شاهد لقائي مع هذا الشيخ: مَن كان هذا الشيخ الجليل الذي صافحني؟ فأجابني: هو الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني والذي له علاقة مباشرة مع الإمام الرضا عليه السلام. .

٦٨ ـ حكاية:

يقول الشيخ محمد مهدي تاج: ذكرت يوماً على المنبر بعض كرامات الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه. وعندما نزلت من المنبر اقترب مني شخص وسألني: هل رأيت الشيخ حسن علي؟ قلت له: كلا قال لي: لقد زرته مرة ولي في لقائي به حكاية. عندما ذهبت إلى مشهد مع مجموعة من الأصدقاء بقصد زيارة الإمام الرضا عليه السلام. وعند وصولنا أظهروا رغبتهم بالذهاب إلى «نخودك» لزيارة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني ورفع بعض حوائجهم إليه ودعوني أيضاً للذهاب معهم. ولكني قلت لهم: كل من تشرّف بزيارة الإمام الرضا عليه السلام لا ينبغي له أن يتوسل بغيره. وامتنعت من الذهاب معهم. وأصرّوا عليّ للذهاب معهم وقالوا: وافق على المجيء معنا فقط ولكن لا تطلب منه شيئاً. فقبلت بهذا وذهبت معهم. ووصلنا بخدمته رفع الأصدقاء حوائجهم إليه فأخذوا أجوبتهم وكنت واقفاً على بُعد أنظر إليهم، وفي هذه الأثناء ناداني الحاج الشيخ ووضع فمه في أذني وقال: مَن قال بأن اللقاء بالحاج الشيخ ينافي زيارة الإمام الرضا عليه السلام؟.

٦٩ ـ حكاية:

أتذكر أن شخصاً جاء من طهران بخدمة والدي رحمة الله عليه وقال: جاءنا سارق وسرق كل أثاث منزلي. فتأمل والدي قليلاً ثم قال

له: اذهب اليوم إلى طهران، واذهب في صباح يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس إلى ساحة حسن آباد، وقف على الجهة اليسرى من الشارع، وفي هذه الأثناء ستعبر من هناك ثلاث مجموعات أربع نفرات وخمس نفرات وسبع نفرات متباعدة عن بعضها الشخص السابع من المجموعة الثالثة والذي يحمل تحت ابطه صرة ألبسة هو سارق دارك. ونقل هذا الشخص بعد ذلك أنه عمل كما أمره الشيخ وقبض على اللصّ واسترجع أمواله.

٧٠ ـ حكاية:

تعرّض منزل أحد الأشخاص في طهران إلى سرقة جميع أثاثه وأمواله. ولم يحصل على نتيجة من مراجعة مركز الشرطة. فأرشده أحد معارفه على الشيخ حسن علي فكتب الشخص المسروق منه رسالة إلى الشيخ يطلب فيها معرفة السارق واسترجاع أمواله. فجاءه الجواب من الشيخ: مفتاح مشكلتك بيد «جناب». فتأثر الشخص المذكور من جواب الشيخ وكتب له مرة أخرى رسالة عتاب يقول فيها: لقد توسلت بجنابكم لحل مشكلتي فتكتب لي بأن مفتاح مشكلتك بيد «جناب»، فمن أين أعلم من يكون «جناب» هذا؟ وأين هو حتى أراجعه؟

وعندما كان الشخص المزبور يريد إلقاء الرسالة في صندوق البريد فإنه ولشدة قلقه واضطرابه كان يمرّ جنب صندوق البريد مرّات عديدة ويرجع دون أن ينتبه لوجود الصندوق مما أثار شكّ أحد أفراد الشرطة السرية ـ وقد كانت الرقابة على الناس شديدة في زمان رضا شاه ـ فألقى القبض عليه بعدما ألقى الرسالة في الصندوق وسأله: من أنت؟ وماذا تعمل هنا؟ فقال له الشخص المذكور: أنت مَن تكون؟ فأجابه الشرطي: أنا جناب من شرطة دائرة التحري والتعقيب. وعندما

نظر الشخص المذكور إلى الشرطي انتبه إلى أنه يرتدي ملابسه المسروقة. ولهذا قال للشرطي: أنا أبحث عنك. وجذب كل الآخر من قميصه. وذهبا إلى دائرة التحري والتعقيب فقال الشرطي لرئيس الدائرة المذكورة: لقد أثارت تصرّفات هذا الشخص شكوكي، وعندما قبضت عليه جذب قميصي وهو يقول: قد كنت أبحث عنك ولا أدعك تذهب. وحينما استفسر رئيس التحري عن حقيقة القضية من الشخص المذكور قال: اجلب رسالتي التي ألقيتها في صندوق البريد ليتضح لك حقيقة الأمر. فجلب رئيس التحري الرسالة من صندوق البريد بعد مراجعة دائرة البريد وقرأها، وعندما سأل الشرطي عن اسمه قال: اسمي جناب. وقال الشخص المسروق: عندما كنت واقفاً أفكر جنب صندوق البريد وجاء هو إلى جهتي رأيته يرتدي ملابسي ولذلك لم أتركه. فسأل رئيس التحري هذا الشرطي: من أين اشتريت ملابسك هذه؟ فأعطاه عنوان البائع الذي اشتراها منه. فأمر رئيس التحري باحضار ذلك البائع. وبعد التحقيق معه شخصت هوية السارق وألقي القبض عليه وأرجعت الأموال المسروقة.

٧١ ـ حكاية:

نقل محمد تقي البخاري أحد الهاربين من بخارى بعد الثورة الشيوعية في روسية ما يلي: شكّت حكومة رضا شاه في أمري فأبعدت إلى مدينة «كاشمر» ثم أودعت السجن. وفكرت في نفسي في السجن أن أكتب رسالة توسّل إلى الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني لأتخلص من السجن. ولكن خشيت أن تكون هذه الرسالة سبباً لتعرّض الشيخ إلى الخطر كما أنها ستسبب لي أيضاً متاعب أخرى، ولذا أعرضت عن هذه الفكرة، وبعد أيام وصلتني رسالة من الشيخ

حسن علي الأصفهاني كتب فيها: خشيت أن تكتب لي رسالة ولكني لا أخشاهم. وكتب أيضاً: داوم على هذا الذكر. ليُفرج عنك من السجن. وبيّن له الذكر. يقول: فداومت على الذكر المذكور وأُفرج عنّي من السجن.

٧٢ ـ حكاية:

نقل محمد تقي البخاري أيضاً: كان الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني يوصي أصحاب الحوائج بالنذر لسادات بخارى الهاربين لتقضى حوائجهم. وذات يوم قال لي أحد التجار: عندي كمية من الجلد الأسود ولم يشترها أحد. فإذا حصلت لي على دعاء من الشيخ وبعت هذه الكمية فسأعطي مائة تومان إلى السادات وعشر تومانات لك. وتشرّفت بخدمة الشيخ وعرضت عليه حاجتي فقال لي: قل له ستبيع بضاعتك بعد أربعين يوماً.

وبعد مضي عشرون يوماً رآني التاجر المذكور فقال لي: لقد مضت عشرين يوماً ولم أبع شيئاً. فصممت مراجعة الشيخ. فرأيت في تلك الليلة في عالم الرؤيا كأني قد تشرّفت بالحضور عند الشيخ وكان مشغولاً بالذكر تحت شجرة. فسألني شخص كان هناك: ما هي حاجتك؟ ولأي عمل جئت؟ فعرضت عليه حاجتي. فقال لي: اذهب وانظر إلى أوراق الشجرة فإن كُتب اسمك عليها قُضيت حاجتك. فذهبت إلى الشجرة ورأيت اسمي مكتوباً على ورقة من الشجرة، وفجأة نهضت من النوم.

وفي اليوم التاسع والثلاثين رآني التاجر المذكور وقال: لم يبق سوى يوماً واحداً وإلى الآن لم ألحظ أثراً. فقلت له: اصبر إلى غد فإذا لم تبع الجلود فسأذهب ثانية إلى الشيخ.

وفي صباح اليوم الأربعين جاء شخصان المانيان من طهران إلى مشهد لشراء الجلود، وقد اشتروا كل ما عند التاجر المذكور من الجلود، وفي ذلك اليوم وصلت إليهما برقية من طهران تأمرهم ألاّ يشتريا كميات أخرى من الجلود. فرجعا إلى طهران. وقد وفى التاجر المذكور بنذره.

٧٣ ـ حكاية:

بعد عدّة سنوات من وفاة المرحوم والدي قدس سره جاء بالعربة إلى منزلنا مريض، وجاء معه سائق العربة أيضاً وقال: منذ سنوات عدّة وأنا أود لقاءك فلم أوفق، واليوم فإنّ هذا المريض كان سبب لقاءنا، وغايتي من هذا اللقاء هو سرد حكاية لكم عن كرامة من كرامات الشيخ رحمة الله عليه.

كان من عادة المرحوم الدكتور الشيخ حسن خان العاملي عندما يركب في العربة لا يقول للسائق بمقصده وإنما يقول: يسار أو يمين فيرشد السائق إلى أن يصل إلى مقصده. وذات ليلة كنت عابراً أمام عيادة الدكتور فوجدته واقفاً على جادة الطريق، وتوقفت باشارة منه وعندما صعد قال لي: اذهب. وبعد أن سرت قليلاً حدست أنه يريد الذهاب خارج المدينة فقلت له: جناب الدكتور عربتي ليس فيها مصابيح فإذا كنت تريد الذهاب خارج المدينة فاستأجر عربة أخرى. ولكنه لم يعر لكلامي أهمية وقال: اذهب. وحين وصلنا إلى بوابة المدينة أمرني بالذهاب في أزقة البساتين وهي مملوءة بالحفر والجداول المتروكة فقلت له ثانية: جناب الدكتور الوقت ليل ومظلم وليس في العربة مصابيح وسنقع حتماً في إحدى الحفر فأرجوك أن تعفيني من الذهاب من هناك. فقال الدكتور: اذهب، ألا تعلم إلى أين

نريد الذهاب! فواصلنا السير في ذاك الطريق الوعر، وفجأة سقط الجوادان في إحدى الآبار المتروكة وكانت العربة في أثناء السقوط داخل البئر فصرخت: هلكنا يا دكتور. وفي تلك اللحظات العصيبة أجابني الدكتور بهدوء: لا تخف لا يحدث شيء. ولم تمر سوى لحظات وفجأة وبكل دهشة رأيت أنفسنا خارج البئر ونحن جالسان في مكاننا الطبيعي، فسألت الدكتور متحيراً: ماذا حدث؟ فقال الدكتور: ألم أقل لك لا تخف؟ لأننا ذاهبون بخدمة الشيخ حسن علي في «نخودك». وواصلنا السير إلى «نخودك». وكان الدكتور الشيخ حسن خان بخدمة الشيخ حسن علي إلى قرب أذان الصبح، ثم رجعنا إلى المدينة. ومن ذلك الزمان وأنا متحيّر كيف كانت هذه الحادثة؟ ومَن ذا الذي أنجانا بحيث لم نُصب بأي أذى؟ إلى الآن لا أعلم.

٧٤ ـ حكاية:

نقل نظام التولية رئيس حرّاس الحضرة الرضوية المقدسة: في ليلة من ليالي الشتاء القارسة البرودة والسماء فيها تمطر ثلجاً كان دوري في الحراسة. فجاءني أحد خدّام الروضة المباركة وقال لي: لا يوجد زائر في حرم الحضرة الرضوية بسبب برودة الجو ونزول الثلج فأذن لنا في غلق أبواب الحرم. فأعطيتهم إذناً بذلك. فأغلقوا أبواب الحرم وجاؤوا بالمفاتيح، وجاء مسؤول سطح الحرم المطهر وقال: الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني من أول الليل إلى الآن فوق السطح مشغول بالصلاة أسفل القبة وهو راكع منذ مدّة، وذهبت إليه مرات عديدة ولا زال في حال الركوع فأذن لي أن أخبره بأنّا نُريد غلق الأبواب فقلت له: كلا اتركوه بحاله واتركوا كمية من الحطب في غرفة المستخدمين في أعلى السطح ليستفيد منه عند الفراغ من صلاته وأغلق

باب السطح ففعل المسؤول المذكور ما طلبت منه، وذهب الجميع إلى منازلهم. ونزل في تلك الليلة ثلج كثير. وعندما جئنا في السحر لفتح أبواب الحرم قلت لمسؤول السطح: اذهب وانظر الشيخ حسن علي في أي حالة؟ وبعد دقائق رجع الخادم المذكور وقال: ما زال الشيخ راكعاً وقد وصل الثلج إلى مستوى انحناءة ظهره. فعلمنا بأنه ما زال راكعاً من أول الليل إلى السحر ولم يشعر بالبرد القارس في تلك الليلة، وفرغ من صلاته حين شروع أذان الفجر.

٧٥ ـ حكاية:

يقول الحاج السيد محمد دعائي الزارچي الذي كان من وعّاظ يزد المعروفين: تعرّفت بواسطة صديقي ملاّ حيدر الذي كنت أدرس وإياه في أصفهان على المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. وذات يوم قلت له: سافر والدي لزيارة العتبات المقدسة وليس لدينا خبر عنه، فتأمل الشيخ دقائق ثم قال لي: والدك في خمين ضيف عند علي أكبر سردار، وهو الآن جالس تحت شجرة المشمش يشرب لبن شاة. وتعجبت من كلام الشيخ الأخير لأن والدي لا يشرب لبن الشاة أبداً.

يقول السيد دعائي: ولأن المسافة بين خمين وأصفهان قليلة فقد ذهبت في اليوم الثاني إلى بواب المدينة لاستقبال والدي. وسألته عن وضعه وحاله في الأمس. فكان كما قال لي الشيخ تماماً. فسألته: لماذا شربت أمس لبن شاة وأنت لا تشربه أبداً؟ فقال لي: عندما رجعت من الحمّام كنت عطشاناً جدّاً. فقال لي عمدة القرية: هذا اللبن من أغنامنا وقد وضعنا في حليبه سكراً وتركناه في البئر فهو بارد جداً. فشربته لأرتوي من العطش.

٧٦ ـ حكاية:

نقل الحاج السيد محمد دعائي أيضاً: عندما كان ملاّ حيدر في «ظفرة» تناقش هناك مع أولاد ملا محمد علي عمدة القرية وغلبهم. فشق الأمر على ملاّ محمد علي وأمر أن يوثق ملاّ حيدر على الشجرة ويضرب بالعصا. وبعد هذه الحادثة رجع ملاّ حيدر إلى أصفهان وأخبر الشيخ حسن علي بما جرى عليه. فأرسل جناب الحاج الشيخ رسالة إلى الحاج آقا نور الله ابن المرحوم آقا نجفي يأمره فيها بعزل ملاّ محمد علي عن منصبه وأن يوثقه على شجرة ويضربه، وأن يعيّن بدله ملاّ حيدر عمدة للقرية. ولكن الحاج نور الله لم يقبل بذلك. وفي اليوم الثاني شرّفني الشيخ وقال لي: إذا كنت تريد رؤية حادثة فتعال لنذهب سوية. وكنت حينها مشغولاً بزيارة عاشوراء فأومأت له بيدي أن يصبر قليلاً. وبعد اتمام قراءة الزيارة ذهبنا معاً إلى ميدان شاه (ساحة الملك). وفي هذه الأثناء كان الحاج نور الله يعبر بالعربة من هذه الساحة. فقرأ الشيخ شيئاً وأشار باصبعه وفجأة رُجمت عربة الحاج نور الله بالحجارة وسقط سائق العربة في زاوية وجُرح الحاج نور الله برأسه. فاجتمع الناس حول العربة متحيّرون وأصلحوا العربة. وكان الحاج نور الله متعجباً ومدهوشاً من وقوع هذه الحادثة، وصعد ثانية إلى العربة وعندما أراد الخروج من الساحة اقترب منه الحاج الشيخ حسن علي وقال له: ما دمت لم تعزل كلبك عن منصبه في «ظفرة» ولم تطع أمري فإنه سيصيبك كلّما خرجت من دارك ما أصابك الآن ثم ذهبت بصحبة الشيخ إلى المدرسة. وبعد ساعة جاء أبو الفقراء خادم الحاج نور الله وقال للشيخ حسن علي: إنّ الحاج نور الله يريد اللقاء بك. فأجابه الشيخ: ليس لي عنده حاجة،

وإذا كان له حاجة فليأتي هو إلى هنا، وقل للحاج نور الله: الكلام هو الكلام. فأوصل أبو الفقراء كلام الشيخ إلى الحاج نور الله. فأطاع أمر الشيخ وعزل ملا محمد علي من منصبه وأوثقه على شجرة وضربه بالعصا وعيّن ملاّ حيدر عمدة للقرية بدله. وبعد عشرة أيام أرسل الشيخ حسن علي إلى ملا حيدر رسالة يطلب منه الاستقالة من منصبه والعودة إلى طلب العلم.

٧٧ ـ حكاية:

نقل الحاج السيد محمد دعائي أيضاً: حدث نزاع وخصومة بين مدينتي أصفهان ويزد، فانقطع الذهاب والمجيء بينهما. ولم يكن عندي خبر عن والدي الذي كان في يزد فكنت قلقاً. وعرضت مشكلتي على الشيخ حسن علي فقال لي: سآتيك اليوم عصراً وأدخن عندك النرجيلية. وعندما شرّفني بالمجيء عصراً جلس خلف طاولة صغيرة، واستغرق مع نفسه دقائق ثم أعطاني حبّة قند (قطعة سكر صلبة) وقال لي: الآن جالس والدك مع أختك يشربان الشاي ويريد أن يعطي حبة السكر هذه إلى أختك فسقطت من يده وأخذتها أنا، والاثنان سالمين وبحالة جيدة. وقد كان شكل حبة السكر مربعة، وتشبه تماماً حبات السكر عند والدي، فقد اعتاد أن يكسر قطعه على شكل مرعبات. وبعد مدّة عندما وفقت للقاء بوالدي حكيت له حادثة حبّة السكر في ذلك اليوم. فأيّد ما قلت وقال لي: لم أفهم أين صارت حبّة السكر حينما سقطت من يدي إذ قد اختفت تماماً.

٧٨ ـ حكاية:

يقول الحاج السيد محمد دعائي أيضاً: اجتمع ذات سنة العلماء

في قم مع كثير من الزوّار بقصد السفر إلى كربلاء. فمنعنا المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني من ذلك السفر. ولهذا السبب عزمت الذهاب إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام. وفي سبزوار صادفت السيد مهدي الخرونقي، فذهبنا معاً إلى مشهد، ودخلنا إليها من البوابة السفلى. وعندما كنت مشغولاً ببعض الأوراد انتبهت إلى وجود شيخ يطوي الأرض في جنب فرسي. ولأنه مرّت سنوات طويلة على فراقي عن الشيخ لذلك لم أعرفه أولاً. ولكن بعد التأمل قليلاً عرفته. فأردت النزول من الفرس، فأقسم عليَّ أن أواصل الطريق هكذا وقال: أودّ أن أواصل الطريق معك ماشياً. وحين وصلنا إلى فندق أهل هرات ونزلنا فيه واسترحنا قليلاً. حينئذٍ قلت للسيد الخرونقي: هيىء نفسك للزيارة. وبعد دقائق جاء وقال: لست مهيئاً للزيارة لأن كتاب المفتاح وما بداخله من الأسانيد الرسمية وغير الرسمية قد أضعته في الطريق. وفي هذه الأثناء قال الشيخ: لا تقلق سيصلك كتاب المفتاح مع ما في داخله من الأسناد الرسمية وغير الرسمية في أذن الدخول الثاني. ثم افترق الشيخ عنّا. وذهبنا إلى الحمّام واغتسلنا ثم قصدنا الحرم المطهّر. وعند اذن الدخول الثاني رأينا الشيخ قد اقترب منّا وأعطى كتاب المفتاح للسيّد ثم ابتعد عنّا فوراً. وفتح السيد مهدي كتاب المفتاح ورأى كل الأسناد موجودة في داخله. وبعد اتمام قراءة الزيارة ذهبنا إلى قرب الرأس الشريف لصلاة ركعتي الزيارة وهناك رأينا الشيخ قد جاء فقبض السيد مهدي على حاشية ملابس الشيخ وأصرّ عليه بمعرفة المكان الذي كان فيه الكتاب. فقال له الشيخ: كان في أول منزل في طريق يزد، في الغرفة التي جلست فيها للاستراحة، واحتراماً منك لكتاب المفتاح فقد أخرجته من بين أثاثك ووضعته في أعلى الرف الموجود في الغرفة، وعند أثناء خروجك نسيته هناك.

٧٩ ـ حكاية:

نقل الحاج السيد محمد دعائي الزارجي أيضاً: في عام ١٣١٨ أودعت السجن في يزد لمنعي من الخطابة. وفي أثناء أذان الظهر حين كنت مشغولاً بالأذان أمرني حارس السجن أن أقطع الأذان فرفضت وقلت له: الآن وقت الظهر ويجب أن يقرأ الأذان في كل مكان، فغضب وانهال عليَّ ضرباً. ثم أمر بسجني في زنزانة انفرادية. وبعد أربع وعشرين ساعة تنبّه رئيس الشرطة شاهزاده دولتشاهي بعد أن تعرّض إلى حوادث سيئة وجاء معتذراً ثم أرسلني إلى مستشفى الشرطة بسبب مرضي، ووضعت هناك في غرفة مناسبة وجيدة وأذن لأهلي وأصدقائي بزيارتي. جاءني أحد الأصدقاء وقد مضى عليّ أكثر من سنة وأنا في السجن فقال لي: أريد الذهاب إلى مشهد فهل لديك عمل هناك أنجزه لك. فطلبت منه الدعاء وقلت له: عندما تذهب إلى مشهد فاذهب بخدمة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني وقل له: إنّ السيد يقرئك السلام ويقول: أنت الذي تمتلك القدرة لماذا لم تغيّر الوضع حتى أتخلّص أنا من السجن. وبعد شهر رجع صاحبي إلى يزد وجاء لعيادتي وقال: عندما ذهبت إلى مشهد وتنفيذاً لطلبك فقد سألت عن الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني فقيل لي: إنه يأتي يوم الأحد قبل الظهر من خارج المدينة ويذهب إلى مدرسة خيرات خان وفي صباح يوم الأحد ذهبت إلى مدرسة خيرات خان وانتظرته مع مجموعة كبيرة من الناس كانوا في انتظاره. وقريب الظهر دخل الشيخ من باب المدرسة وأنا لا أعرفه ولكن عرفته من هجوم الناس المجتمعة عليه. وجلس الشيخ على مصطبة في باب إحدى غرف المدرسة والتف الناس حوله على شكل حلقة. ففكرت في نفسي أنه سيستغرق انتظاري

ساعات أخرى ليصل دوري. وفجأة رفع الشيخ رأسه المبارك وقال: ليتقدم الشخص الذي جاء من «يزد» وعنده وصيّة لي. فذهبت فوراً إلى الامام وسلّمت عليه، وقبل أن أبدأ حديثي ابتدرني قائلاً: أوصل سلامي إلى سيد محمد وقل له: إن هذا الأمر الفضولي غير مرتبط بي، وفي أي وقت يريد الأب الأكبر تغيير الوضع فإنه سيفعل ذلك. وقل له: سيطلق سراحك بعد شهرين. فقال لي صاحبي، لم يبق لنا معه حديث. ولكن بعد قليل فكرت في نفسي أن سيد محمد لو سألني مَن هو (الأب الأكبر) فماذا سأقول له؟ فرجعت فوراً إلى الحاج الشيخ وقلت له: لو سألني سيد محمد مَن يكون الأب الأكبر فماذا سأقول له؟ اذهب وقل له: إن إمام الزمان عليه السلام مراقب لجميع الأوضاع ومتى يريد تغيير الأوضاع فإنّه سيفعل ذلك ومثل هذه الأمور غير مرتبطة بي وبك.

يقول السيد محمد دعائي: وهكذا كان فقد أفرج عنّي من السجن بعد شهرين.

٨٠ ـ حكاية:

حكى الحاج السيد محمد دعائي الزارچي أيضاً: عندما ذهبت بصحبة الآخوند ملاّ حسين الأشكذري إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام دعانا الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني ليلة إلى منزله. وبعد الانتهاء من تناول طعام العشاء أعطاني الشيخ قطعة كبيرة كاملة من السكر وقال لي: عندما تصل إلى «خرونق» أعطي هذه القطعة من السكر إلى السيد مهدي الخرونقي وقل له: إنّك لم تخبرنا بزواجك ولكن خبره عندنا، وهذه أيضاً هدية زواجك. وعند رجوعنا من مشهد ووصولنا إلى «خرونق» ذهبنا إلى منزل السيد مهدي الخرونقي. وفي

أثناء الليل في ضمن حديثنا أخبرته برسالة الشيخ وأعطيته قطعة السكر. فسألنا السيد مهدي: في أي ليلة كنتم بخدمة الشيخ؟ فأعلمناه بذاك التاريخ، فكان في نفس الليلة التي تزوج فيها سرّاً ولم يعلم أحد بهذا الأمر. ومن باب الاتفاق والمصادفة كانت زوجته الأولى تسترق السمع من وراء الباب فعلمت بالأمر الذي كان مخفياً عليها أيضاً. وعندما خرج السيد من الغرفة سمعنا العتاب المرّ له من زوجته الأولى.

٨١ ـ حكاية:

قال والدي المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني رحمة الله عليه: عندما كنت أطلب العلم أيام شبابي فُقد كتاب كان عندي أمانة. فأخبرت أستاذي بذلك وقلت له: ربما لا يصدّق صاحب الكتاب بادّعائي هذا ويتخيل بأني إنما أقول ذلك حتى لا أعطيه الكتاب. فقال أستاذي: أعطيك ورداً إذا فعلته فسترى مكان الكتاب في منامك. وعملت باقتراح أستاذي فرأيت الكتاب المذكور في عالم الرؤيا تحت كتب أحد الطلاب في إحدى غرف المدرسة. وأخبرت أستاذي أثناء الصباح عمّا رأيت في عالم الرؤيا فقال لي: راقب هذا الطالب ومتى خرج من غرفته فادخل وخذ كتابك، ولكن لا تخبر أحداً بذلك لئلاّ يذهب ماء وجهه. فعملت كذلك.

وقال أيضاً: وبعد مدّة في أيام العشرة الأولى من شهر محرّم ذهبت إلى بيت العالم العارف المرحوم الحاج السيد حسين نايب الصدر الخاتون آبادي للاشتراك في مجلس التعزية الحسينية الذي يُقام هناك. وكان مشير السلطنة معاون ظل السلطان حاضراً في المجلس. فقال: ضاع صندوق المجوهرات لظل السلطان في غرفة نومه. فألقى

القبض على عدّة أشخاص وأودعهم السجن وهو يقول: إذا لم أستطع الحفاظ على ثروتي والعثور عليها فكيف أحفظ أموال الناس؟ والآن مجموعة من الأشخاص الأبرياء يتعرّضون للتعذيب بسبب هذا الموضوع.

فقلت له: إذا كان ظل السلطان مستعداً لعدم المطالبة باللص فسأدلّه على أمواله. وفي اليوم الثاني جاء مشير السلطنة بخدمة آقا سيد حسين وقال لي: ظل السلطان موافق على شرطك. فقلت له: يجب أن يتعهد ظل السلطان خطياً بأنه لا يطالب باللص، لأنه بعد العثور على المجوهرات لعله يقول أريد اللص أيضاً. وفي غد اليوم الثاني جاء مشير السلطنة ومعه التعهد الخطي لظل السلطان بعدم المطالبة بمعرفة اللص. فقلت له: قل له: توجد قناة متروكة خارج المدينة في النقطة الفلانية أحفر الأرض في قعر البئر ستجد صندوق المجوهرات.

وبعد عدّة أيام من العثور على المجوهرات جاءني مشيرُ السلطنة وقال: يقول ظل السلطان: أريد اللص، وهذا الشيخ شريك مع السرّاق قطعاً. وعندما رأى بأن الحقيقة ستظهر قريباً على الملأ استعمل هذا الأمر، وانه لا وسيلة للتخلّص من ذلك إلاّ باعطائهم علامة السارق. وقال مشير السلطنة: لقد بذلت جهداً كبيراً لينثني عن طلبه هذا ولكنه رفض، وأحسست بأني لو ألححت عليه أكثر من هذا فربما يتهمني ويعتبرني شريكاً معكم أيضاً في السرقة. ولهذا فمن الأفضل أن تذهب إليه بنفسك وتكلّمه.

وذهبت في اليوم الثاني إلى بناية الحكومة والتقيت بظل السلطان وقلت له: أنت ابن ناصر الدين شاه، ملك هذه الدولة. وحاكم أصفهان، فكيف تسمح لنفسك أن تخالف تعهّدك الخطي ولا توليه أي اعتبار؟ فقال ظل السلطان: أنا لا أفهم هذا الكلام، أنا أريد اللص.

فقلت له: لقد شرطت عليك أولاً بأني لا أستطيع أن أعطيك علامة اللص وقبلت أنت بذلك، والآن أقول لك أيضاً: أني لا أقدر على هذا العمل.

فقال ظل السلطان: أنا آمر أن توضع تحت التعذيب حتى تعترف باللص. ثم أمر فرّاشيه أن يأتوا بالفلقة لأُضرب. وحينئذٍ قال: خذوا هذا الشيخ إلى ساحة البناية واضربوه. وعندما وصل الأمر إلى هذا الحد قلت له: إذا كان القرار بأني سأُضرب فإنك أولى بهذا الأمر، ولذا أمرت أن يأخذوك إلى ساحة البناية وتوثق على العمود وتضرب بالعصا. وجاء الفرّاشون والخدّام ليمنعوا من هذا العمل، ولكنهم ضُربوا أيضاً فهربوا.

وقد عزمت وأنا في ساحة النباية الحكومية على السفر إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وأوصيت أحد معارفي أن يُخبر والدتي بذلك.

وقد نقل لي بعد ذلك أحد الأشخاص المحترمين في أصفهان أن مشير السلطنة كان يقول: ضرب ظل السلطنة مدة نصف ساعة تقريباً، ولم يجرؤ أحد أن يتقدم إليه حتى تركه الموكّلون به وذهبوا، وحينئذٍ حملناه ووضعناه على السرير، وبعد ساعة عاد إليه وعيه وسأل: أين ذلك الشيخ؟ فقلنا له: لا ندري أين ذهب. يقول مشير السلطان: ومنذ تلك الحادثة فإن ظل السلطان كلّما راجعه شخص معمم كان يحترمه ويقضي حاجته ويخرج معه ماشياً لتوديعه وحينما قلنا له: ليس الجميع مثل ذلك الشيخ. كان يقول: نعم ولكني أحتاط.

٨٢ ـ حكاية:

قال والدي الجليل: في سفري إلى الحج عندما وصلنا إلى

الحجاز كان شريف مكة يأخذ أتاوة من كل مسافر يريد دخول مكة. ولم يكن معي أي مبلغ من المال فلذلك عزمت مع مجموعة من المسافرين على الدخول إلى مكة من طريق فرعي آخر. ولكن صادفنا في وسط الطريق شرطة الحكومة ومنعونا من مواصلة الطريق وقاالوا: تبقون في هذا المكان إلى أن يأتي عمال الضرائب فيأخذوا من كل واحد منكم المبلغ المقرر. وجلسنا جميعاً في ظلال النخيل وهيأ جميع المسافرين المبلغ المذكور وقالوا لي: هيىء نقودك أنت أيضاً فقلت لهم: ليس معي مال. فقالوا: إذا كنت تطمع أن نعطيك مالاً فسوف لن نعطيك شيئاً، وإذا لم يكن لديك مال فلا تستطيع الوصول إلى بيت الله. فقلت لهم: ليس طمعي بكم، بل طمعي بالله تعالى أن يساعدني. فقالوا لي: كيف سيعينك الله في هذه الصحراء العربية؟ فقلت لهم: ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ما مضمونه: أنّ مَن سعى في قضاء حوائج الناس لم يرد بذلك غير وجه الله تعالى، فإن الله تعالى ينجيه ولو كان في صحراء وجرى عليه سيل من جبل فأحاط به فإن الله تعالى يعينه ويجعل له طريقاً ينجيه. وبعد ساعة كرّروا نفسَ السؤال فأجبتهم بمثل جوابي الأول أيضاً. فقالوا مستهزئين: إن هذا الشيخ قد دخن حشيشة فهو يتكلم بلا وعي، وإلا فلا يوجد غيرنا في هذه الصحراء ليساعده ونحن أيضاً لا نساعده أبداً. ولاح شبح من بعيد، فقلت لهم: هذا خير قد جاء مقبلاً نحوي. فسخروا منّي، ثم اقتربوا فتبيّنوا أكثر فكانوا شخصان يمتطيان فرسين ويسحبان معهما جواداً احتياطياً. فقال أحدهما: مَن هو الشيخ حسن علي الأصفهاني من بينكم؟ فدلّوهم عليَّ. فقال لي: أجب دعوة أمير مكة. وعندما وصلت إلى خيمة شريف مكة رأيت المرحوم الحاج الشيخ فضل الله نوري رحمة الله عليه والمرحوم الحاج الشيخ محمد جواد البيد آبادي ـ واللذان كانت لي معهما علاقة ومودّة سابقة ـ

جالسين هناك أيضاً. وكانت لشريف مكة حاجة فقضيتها له بمشيئة الله وعونه. وبعدها علمت ان شريف مكة قد عرض حاجته أولاً على المرحوم الحاج الشيخ فضل الله نوري رحمة الله عليه: فقال له المرحوم الشيخ فضل الله: قضاء حاجتك على يد شخص بهذا الاسم فأمر بالبحث عنه والاتيان به إلى هنا وهو قطعاً ضمن الأشخاص الذين جاؤوا إلى مكة مشياً. فأعطى الشريف أمراً لأعوانه بالبحث عنّي بالطرق الفرعية وأن يأتوا بي إليه.

٨٣ ـ حكاية:

نقل المهندس فرزانة: قبل خمسة عشر عاماً عزمت على زيارة مدينة مشهد بصحبة أحد أصدقائي بقصد شراء أرض لإنشاء معمل فيها وقال صديقي والذي هو شريكي في هذا المشروع: إن لي صديقاً باسم لهراسب الزردشتي يسكن في كندا يجب أن يكون له سهم في هذا المعمل ويأتي معنا إلى مشهد. وتشرّفنا جميعاً بالوصول إلى مشهد بالطائرة. وأثناء نزولنا سألني الرجل الزردشتي: أتعرف شخصاً في مشهد باسم «النخودكي»؟ فقلت له: عرفت مَن تريد، انه انتقل إلى رحمة ربّه، ولكن قل لي ماذا تريد منه؟.

وبعد نزولنا من الطائرة ووصولنا إلى الفندق واستقرارنا فيه سألت لهراسب مرة أخرى: ماذا تريد من النخودكي؟ فقال لي: كان جاري في كندا جنرال أمريكي متقاعد. وعندما عزمت على المجيء إلى إيران ذهبت إليه أودّعه. فقلت له: إني عازم على السفر إلى إيران ومدينة مشهد. فأكد عليَّ الجنرال المذكور أن أذهب لزيارة النخودكي في مشهد. وعندما استفسرت منه عن علّة هذا الأمر قال لي: قبل عدّة سنوات كنت ضابطاً برتبة مقدم في الجيش الأمريكي وكلّفت بالخدمة

في مدينة مشهد،وكان سكني في إحدى البيوت الملحقة بالمستشفى الأمريكي في مشهد. فأصبت هناك بمرض عضال عجز الأطباء الأمريكيون عن علاجي، وكانت زوجتي مضطربة جداً فقال لها أحد المراجعين: إذا كنت تريدين شفاء زوجك فعليك بالذهاب إلى الشيخ حسن علي في نخودك. فذهبت زوجتي بصحبة طبّاخ المستشفى إلى نخودك. وعندما وصلوا إليه سألهم: هل يعتقد هذا المريض المسيحي بدينه؟ فأجيب: انه كان يذهب أيام سلامته كل يوم أحد إلى الكنيسة. فأعطى الحاج الشيخ تمرة إلى طبّاخ المستشفى وقال: كل هذه التمرة واذهب فإن مريضكم يشفى. وكان هذا الأمر بالنسبة إلى زوجتي غير قابل للتصديق طبعاً. فرجعت إلى المستشفى آيسة، وحينما وصلت إلى غرفتي وجدتني سالماً معافى جالساً على السرير. فسألتني كيف حدث هذا؟ فقلت لها: قبل ساعة جاء السيد المسيح إلى وسادتي وقال لي: لقد عوفيت من مرضك وصحتك الآن جيدة. فانتبهت فوراً من حالة الاغماء ورأيت نفسي معافىً تماماً. وعندما اطلع أطباء المستشفى على أمر شفائي قالوا: لا شكّ إن هذه معجزة وإلا فإنك كنت ميّتاً.

٨٤ ـ حكاية:

نقل الگرگاني أن الشيخ محمد عبده يقول: عندما دخل الروس إلى إيران لم يكن ولدي معنا في البيت إما بسبب السفر أو بسبب أداء الخدمة العسكرية ولهذا كنّا قلقين جداً عليه. فسافرت إلى مشهد للتوسّل بالإمام الرضا عليه السلام، وضمناً بواسطة أحد الأصدقاء أرشدني إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني فوصلت بخدمته وعرضت حاجتي عليه فقال لي: لا تقلق على ولدك، هو سالم. واطلب من

الإمام عليه السلام ما تطلبه زوجتك الآن في الحرّم المطهر لولدها. ثم علمني أن أطلب من الإمام عليه السلام كذا لولدي فقلت له لقد تركت زوجتي في طهران. فقال لي: وصلت إلى مشهد قبل ساعة وهي الآن في الحرم المطهر للإمام الرضا عليه السلام. فاستأذنت من الشيخ وأتيت إلى الحرم المطهر، فالتقيت بزوجتي هناك، فسألتها عن سبب مجيئها من طهران فقالت: لقد نفد صبري وجئت أطلب من الإمام عليه السلام الأمر الكذائي لولدي. فكان هذا الطلب هو نفس ما علمني الشيخ أن أطلبه من الإمام عليه السلام لولدي.

٨٥ ـ حكاية:

نقل السيد إبراهيم شجاع الرضوي: ابتليت في أيام شبابي بمرض الحصبة، وقد اشتدّ بي المرض لأني لم أكن أحتمي وأحتاط أثناء مرضي. ويئس الطبيب من شفائي. وكنت في حالة الإغماء حينما طلب والدي من الشيخ حسن علي الأصفهاني الحضور لعلاجي. فرأيت في تلك الحال إني على سطح الحرم المطهّر والإمام الرضا عليه السلام جالس على كرسي والشيخ حسن علي واقف إلى جنب ذلك الكرسي. فقال لي الإمام الرضا عليه السلام: سيد إبراهيم إذا كنت تريد الشفاء فقد أخذ الشيخ حسن علي شفاءً لك منّي، وإذا كنت تريد المال فراجع قائمقام. وكان المرحوم الحاج قائمقام مشرفاً على أوقاف السادات الرضوية وعندما عدت إلى وعيي من اغماءتي رأيت بدني غارقاً بالعرق والمرحوم الحاج الشيخ حسن علي جالساً في أعلى فراشي.

٨٦ ـ حكاية:

في الأيام التي كان فيها پاكروان محافظاً لخراسان ونائباً لمتولي

الحضرة الرضوية المقدسة أُبتلي بعدم النوم وعجز أطباء مشهد عن علاجه. فاقترح عليه بعض أصدقائه أن يرسل شخصاً بخدمة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. فوافق على هذا الاقتراح وأرسل أحد المقرّبين إليه إلى الشيخ. فكتب المرحوم والدي دعاءً في ظرف صيني وقال: ليغسل المريض الدعاء الموجود في الظرف الصيني ويشربه ثم يضع هذا الظرف تحت رأسه عند النوم. فعمل على طبق ما قال له وغطّ في نوم عميق مدة ٢٤ ساعة لا يُوقظ إلاّ في فترات تناول الطعام.

ونقل رئيس الخدم في بيت پاكروان: وبعد مدّة من هذه الحادثة أُبتلي پاكروان أيضاً بإسهال دموي ولم تنفعه أيضاً معالجة الأطباء فقرّر أن يسافر إلى طهران للعلاج. وكانت الرحلات الجوية بين مشهد وطهران في ذلك الوقت مرّتين في الأسبوع، ولذا كان عليه أن يصبر يومين وجاء عدّة أشخاص من وجهاء مشهد لعيادته فحكى لهم مرضه، فاقترحوا عليه أن يُرسل شخصاً ويطلب المساعدة من الشيخ حسن علي الأصفهاني فقال الشخص المذكور: فأرسلني پاكروان بخدمة الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني لأشرح له مرضه وآتية بجواب الشيخ. فذهبت فوراً بالسيارة بخدمة الشيخ وعرضت عليه حالة پاكروان الصحية. فسكت الشيخ ثوان عديدة ثم قال: اذهب إلى پاكروان وقل له: في هذه المرة ضع يدك على بطنك وقل لها: يقول الشيخ ارجعي، وسيشفى من مرضه. قال : فرجعت فوراً إلى پاكروان وأخبرته بما قاله الشيخ وكانوا ضيوفه لا يزالون حاضرين. فتعجب واستمع كلام الشيخ غير مصدّق به. ولم تمض سوى دقائق قليلة حتى احتاج إلى قضاء الحاجة وذهب إلى المرافق الصحية. وبعد فترة قصيرة رجع وهو مندهش وقال للضيوف: وضعت يدي على بطني

وخاطبتها: يقول الشيخ ارجعي. فسكن الألم قليلاً قليلاً. ثم ارتفع الألم نهائياً.

وهذه الحادثة كانت سبباً لمحبة واحترام پاكروان لوالدي. وأرسل بعد مدّة إلى والدي رحمة الله عليه رسالة بواسطة عبد الحسين معاون من وجهاء مشهد يقول فيها: أرجو أن تأتي لرؤيتي لا لأنّي محافظ مشهد بل لأني خادم من خدّام الحضرة الرضوية المقدسة. ومن المحتمل أنّه كان يخشى أن يصل إلى الشاه خبر ذهابه إلى الشيخ، لأنه مطّلع على أن رضا شاه كان غير مرتاح من مراجعة رؤوساء الادارات للشيخ. فقبل والدي رحمة الله عليه، وقال: الشيخ مؤمن هو الذي أمرض هذا الرجل. وهو راجعني لأقول له لا تهدم قبر الشيخ مؤمن لأنهم قد صمّموا على هدم قبره. ولهذا ذهب والدي في إحدى الليالي للقاء به. وهناك قال لوالدي: أتريد منّي شيئاً؟ فقال له والدي رحمة الله عليه: لا تهدم قبر الشيخ مؤمن بل رممّه.

يقول رئيس بلدية مشهد آنذاك محمد علي روشن والذي كان من محبّي والدي: بعد هذه الحادثة كان پاكروان يكرر قول: لقد فعلنا حسناً إذ لم نهدم قبر الشيخ مؤمن. لأنه قبل هذه الحادثة كنت أمانع من هدم هذا القبر بأمر الشيخ حسن علي.

ولكن بعد مضي شهرين جاء سعيدي كرماني رئيس حسابات الحضرة الرضوية المقدسة حاملاً معه رسالة مغلقة ومختومة من پاكروان إلى والدي وقال: يقول پاكروان يجب أن تصل هذه الرسالة بيد الشيخ مباشرة فقبل والدي رحمة الله عليه ذلك وفتح الرسالة فكان فيها: لقد قُرّر في وزارة الداخلية تخريب وهدم قبر الشيخ مؤمن وأحدث شارع يمرّ من هناك، وسيأتي رضا شاه بنفسه بعد عدّة أشهر

إلى مشهد لافتتاح هذا الشارع. فقال والدي رحمة الله عليه لهذا الرسول: قل له لا تهدم القبر وبعد عدة أشهر فلا رضا شاه سيبقى في إيران ولا أنت في مشهد. يقول سعيدي: فرجعت وأوصلت جواب الشيخ إلى پاكروان. فسألني: عندما قال هذا أكان شخص آخر موجود هناك أيضاً؟ فقلت له: كلا فقال لي: لا تحدّث أحد بهذا ففيه خطر على حياتي.

وبعد عدّة أشهر وقع ما قاله الحاج الشيخ حسن علي فحدث انقلاب شهريور وهرب رضاه شاه من إيران وكذا پاكروان، ولكن بقي قبر الشيخ مؤمن رحمة الله عليه، فقد مضت خمسون عاماً على هذه الحادثة وهو باق على حاله.

٨٧ ـ حكاية:

حكى المرحوم الميرزا محمد آل آقا ابن المرحوم آية الله الميرزا عبدالله الچهل ستوني: أصيب صاحب دكان لبيع الأسلحة في دهليز مدرسة خيرات خان بغدة خبيثة كبيرة جداً في رأسه ورقبته. وكنتُ يوماً مع الحاج الشيخ حسن علي ذاهبين إلى «نخودي» وكان هذا الرجل يهرول خلف الشيخ وهو يصيح: يا شيخ إمّا أن تشفيني أو تقتلني. والشيخ لا يعير له أي اهتمام حتى وصلنا إلى وسط الطريق انحنى عليه وألقى في أذنه كلمات بهدوء. فصاح الرجل بصوت مرتفع: أقبل ذلك وأتعهد. ثم قال له: إذن سأقتلك. فقال الرجل: اقتلني. فنزل الشيخ من العربة التي كان راكباً فيها وأمره بالجلوس على حافة المنخفض، وأخرج سكيناً من جيبه وشقّ بها رقبة الرجل واستخرج الغدة، وخرج من الجرح قيح ودم كثير، ثم ضغط بالسكين على أطراف الجرح ليخرج ما تبقى من الدم والقيح. ثم بصق على

مكان الجرح ومسحه بالسكين وقال له: الآن ضمّد رقبتك بالمنديل واذهب وستشفى تماماً بعد عدة أيام.

وبعد عدة سنوات من وفاة الشيخ رأيت هذا الرجل قد عاد إليه مرضه ثانية. فسألته ماذا قد همس لك الشيخ في أذنك فقلت له في جوابك أنا أتعهّد. فقال لي: كانت لي علاقة غير مشروعة بنساء ذوات أزواج فقال لي الشيخ: إذا تتعهد بأن لا تعمل هذا العمل القبيح ثانية فإني سأعالجك، وإذا ارتكبت بعد ذلك مثل هذا العمل القبيح فسيرجع إليك مرضك مرة أخرى وتموت. فقبلت بذلك. وبعد عدة سنوات وسوّس لي الشيطان وأغواني على فعل تلك المعصية فعاد لي مرضي وسأموت بسببه. ولم تمض الأيام حتى مات هذا الرجل بسبب هذا المرض.

٨٨ ـ حكاية:

نقل المرحوم الميرزا محمد آقا أيضاً: عندما تشرّفت بزيارة مشهد ذات سنة، مضت فترة من الزمن ولم أعرف شيئاً عن أخبار عائلتي. وفي ليلة جمعة ذهبت إلى قلعة «نخودك» بخدمة الحاج الشيخ كنت مضطرباً ومشغول البال. وفي منتصف الليل قال لي الشيخ: يبدو أنك قلق جداً على عائلتك. فأجبته: نعم. فقال لي: كُل هذا الحز من البطيخ. وبمجرد أن أكلت البطيخة رأيت نفسي فجأة في منزلنا جالساً عند رأس زوجتي، فأوقظتها من النوم، ثم نهضت لأشرب ماءً من الجرّة الموضوعة جنب نافذة الغرفة، وفجأة سقطت الجرّة من يدي وانكسرت، وعدت إلى وعيي بسبب صوت انكسار الجرّة ووجدت نفسي عند جناب الشيخ جالساً. فقال لي: اطمأننت؟ فقلت له: نعم. وبعد مدّة رجعت إلى طهران فقالت زوجتي غاضبة: أنت في طهران وتقول أنا مسافر إلى مشهد وتأتي إلى البيت منتصف الليل وتوقظني

من النوم وتكسر جرّة الماء وتثير خوف أهل البيت، فهل تشكّ بي حتى تقوم بمثل هذه الأعمال؟.

٨٩ ـ حكاية:

نقل صدر الرشتي أحد وعّاظ وفضلاء مشهد: كنت مبتلياً بمرض البواسير، وكانت تسيل مني دماء كثيرة. وعندما اقترب شهر محرم ذهبت بخدمة الحاج الشيخ وقلت له: اقترب شهر محرم ولا أستطيع أن أصعد المنبر وأنا مبتلى بهذا المرض لأن المبنر سيتلوث دماً. فقال لي: تعال يوم الأربعاء آخر شهر صفر لأعطيك العلاج. فقلت له: إني أؤمن عيشي خلال سنة كاملة من صعود المنبر خلال هذين الشهرين فكيف أصبر إلى آخر شهر صفر، وأنا لا أستطيع أن أؤدي عملي المنبري وأنا بهذا الوضع؟ فقال لي: أنا ماذا أفعل؟ فقلت له: لا أدري أنت تدري. فقال بحدّة: اذهب فقد توقف دفع الدم قال: فكتبت لي السلامة والعافية بعد ذلك وتوقف تدفق الدم.

٩٠ ـ حكاية:

نقل ظفر السلطان من محترمي نهاوند: تشرّفت بخدمة الشيخ وقلت له: ليس لزوجة ولدي أطفال لأنه قد أجري لها عملية استئصال المبيض وقال الأطباء انها سوف لن تحمل أبداً. فقال لي: ان تريد أولاداً لإبنك فلا يعنيك أن يكون لها مبيض أو لا يكون. ثم أعطاني دعاءً وعدّة تمرات فرزقهم الله بعدها أولاداً.

٩١ ـ حكاية:

نقل شخص: أنه بعد وفاة المرحوم الحاج الشيخ حسن علي

رأيت طفلاً في حجر والده في دكان بقالة يشبه كثيراً الشيخ حسن علي لفت نظري جداً. فانتبه والده وسألني عن سبب توجّهي الشديد للطفل. فقلت له: كان في مشهد رجل جليل القدر يدعى المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني وهذا الطفل يشبهه جدّاً. فقال لي: صحيح لقد مضت سنوات طويلة عليَّ وعلى زوجتي دون أن يكون لنا طفل حتى وصلنا إلى سن اليأس والشيخوخة بحيث لا يكون لمثلنا بحسب العادة طفلاً. فذهبنا بخدمة الحاج الشيخ حسن علي وقلنا له: عندنا رغبة شديدة في أن يكون لنا ولد ولكن الله تعالى لم يرزقنا والآن قد وصلت مع زوجتي إلى سن الشيخوخة فقد انقطع أملنا. فقال لي: أنت تريد ولداً فما عليك أن تكون زوجتك يائسة أو غير يائسة. ثم أعطاني دعاءً وقال لي: إن الله تعالى سيعطيك ولداً فسمّه حسن علي. وهذا هو الولد الذي أكرمنا الله به من أثر نفس الشيخ المباركة.

٩٢ ـ حكاية:

قبل سنة من انتهاء حكومة رضا شاه بهلوي جاء إلى المرحوم والدي ليلاً ثلاثة أشخاص من طلاب العلوم الدينية في بستان سمرقند وقالوا: ألقي القبض اليوم على الشيخ محمود الكلباسي بأمر رئيس الشرطة، ومن المقرّر أن يُرسل غداً إلى طهران، ويحتمل أن يكون هناك خطر على حياته، وزوجته العلوية قلقة جداً عليه وتبكي وتتضرّع، ولهذا ولأن رئيس الشرطة من المحبّين لك مره أن يفرج عن الشيخ. فقال لهم المرحوم والدي: اذهبوا سأفكر بطريقة.

وفي صباح اليوم الثاني تهيأنا للرجوع إلى المدينة وكنّا في طريقنا إلى المدرسة عندما قال لي والدي: اذهب إلى بيت الشيخ

صالح شايسته وقل له: اذهب إلى نصرت الملك ملكي، وهو يذهب إلى جليل الملك رئيس دائرة مدير الشرطة، الذي يذهب بدوره إلى مدير الشرطة ويقول له نقلاً عنّي أن يطلق سراح الشيخ محمود الكلباسي. وفعلت ما أمرني به أبي.

وبعد عدّة أيام جاء إلى المرحوم والدي المرحوم الگنابادي المدّعي العام لمحافظة خراسان والذي كان أحد تلاميذ والدي وقال: طلبني مدير الشرطة العقيد وقال قبل ثلاثة أيام للحضور عنده وقال لي: خلال مدة أسبوع أرسلوا لي من طهران رسالتان وبرقية بأن ألقي القبض على الشيخ الكلباسي وأرسله إلى طهران، وألقينا القبض عليه أمس وهو الآن في السجن، واسمه في دفتر السجن، والآن يطلب الشيخ حسن علي منّي إطلاق سراحه فماذا تقول؟ يقول الگنابادي: فقلت له: تعال فلنذهب سوية بخدمة الحاج الشيخ ونخبره بما وقع ونقول له إذا كان أمرك هذا قبل إلقاء القبض عليه فمن الممكن أن لا نقبض عليه ولكن الآن هو مودع في السجن واسمه مكتوب في دفتر السجن فلا يمكن أن نعمل شيئاً ونطلق سراحه لأن فيها مسؤولية إدارية. يقول الگنابادي: فقال لي العقيد في جوابه: لقد مضت ساعة وأنا أفكر بهذا الموضوع ماذا أفعل؟ ولكني صمّمت على اطلاق سراحه اطاعة لأمر الحاج الشيخ. فقلت له: وماذا سيكون جوابك لطهران إذا طلبوه منك ثانية؟ فقال: نذهب إلى خدمة الشيخ ونقول له قد أطعنا أمرك باطلاق سراح الشيخ الكلباسي من السجن فأعطنا جواب طهران. ولكن اعلم ما دام طلب منّي أن أطلق سراحه فلن يطلبوه منّي ثانية ثم يأمر بإحضار الشيخ الكلباسي من السجن فوراً وقال له: اخرج الساعة إلى مدينة أخرى فاستجاب الشيخ الكلباسي لذلك وسافر فوراً إلى شيراز. وكما توقع العقيد وقار فلم يطلبوا الشيخ الكلباسي منه ثانية ولم تحدث مشكلة.

٩٣ ـ حكاية:

نقل لي الحاج السيد عباس الكلالي: قبل الحرب العالمية الثانية كانت لي أرض زراعية في «تربت جام» قرب الحدود الأفغانية. وكنت أعمل بالزراعة فيها ومحل سكني فيها أيضاً وكان هناك حالة عداء بيني وبين شخصين من عشيرتنا وهما صارم كلالي وهژبر كلالي. وكان في تلك الأيام لص يسرق الأغنياء ويحتفظ بهم رهينة في أحد الجبال مقابل مبلغ معيّن من المال ثم يطلق سراحهم فطلبت مني ادارة شرطة الحدود التعاون معها للقبض على هذا اللص. ولكني رفضت ذلك لعلمي بعلاقة الإدارة المذكورة مع هذا اللص. وبعد مُدة قتل هذا اللص. فاستغل أعدائي هذه الفرصة وأعطوا مبلغاً من المال إلى شخصين من أفراد أيل كلالي ووعدوهما أيضاً بمبالغ أخرى وقالوا لهم: اذهبوا وقولوا أن عباس خان كلالي أعطى كل واحد منّا ألف تومان وسلاح حتى نذهب لقتل اللص، ونحن أيضاً قتلناه وأعطينا المال الذي كان عنده ومقداره مائة ألف تومان إلى عباس خان كلالي وعمل هذان الشخصان كما قيل لهما بالضبط فاستدعيت من قبل الجيش للمحاكمة. فجئت من «جام تربت» إلى مشهد وذهبت إلى بيت أمير تيمور كلالي وحكيت له ما جرى. ولكنه لم يعتنِ بكلامي لقرابته القريبة من صارم وهژبر وثروتهما الطائلة. ولا أعرف شخصاً آخراً في مشهد أتوسل به. وكان مقرراً أن أذهب في اليوم التالي إلى المحكمة العسكرية ولذا كنت خائفاً ومضطرباً جداً. وعندما كنت أسير مع صديق لي في زقاق أرك صادفنا المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الأصفهاني. فقال لي صاحبي: اذهب وتوسّل بالشيخ. فذهبت إليه وسلّمت عليه وحكيت له حالي. فقال لي: اهدي ثواب اثنا عشر ختمة

من القرآن الكريم إلى أرواح المؤمنين في وادي السلام في النجف ستقضى حاجتك ويصلح أمرك. ولكن من شدة اضطرابي صفقت بيدي وأخذت بعباءته وقلت له: غداً سأحاكم وليس عندي فرصة هذا العمل، ولن أتركك حتى تقضي حاجتي وتنقذني من هذه المشكلة. فسحب عباءته من يدي بعصبية وقال لي: اذهب أيها السيد فقد تعرضنا لقضيتك، اذهب مطمئناً فقد انتهت مشكلتك.

ولكن هذا الكلام لم يكن مقبولاً بالنسبة لي. فقلت له: انتظر لأقول لك شيئاً آخراً. ولكن أمسك صاحبي يدي وقال لي: اسكت وابتعد عن الشيخ، وسار الشيخ مستمراً في طريقه. ثم قال لي صديقي: عندما يقول لك الشيخ صَلُح عملك وحُلّت مشكلتك فاطمئن إلى ذلك. ولكن على كل حال بقيت قلقاً ومتحيراً وواصلنا طريقنا. وفي الساعة العاشرة صباحاً صادفت أحد أصدقائي من أهل مشهد، وبعد السلام قال لي: قبل ساعتين استدعاني قائد الفرقة وقالي لي: إن لي حاجة عند سيد عباس كلالي ساكن «تربت جام» فاذهب بسرعة وأوصله لي. فقلت له: سيد عباس ليس في مشهد حتى أجده لك. فقال لي: لا أدري أريده غداً هنا. فقلت لصديقي المشهدي: ألا تعلم ماذا يريد منّي؟ قال: كلا.

وذهبت في الساعة السابعة من صباح اليوم الثاني بصحبة صديقي المشهدي إلى قائد الفرقة وسلّمنا عليه. وعرّفني صديقي له. فأظهر القائد احتراماً كبيراً لي في الوقت الذي لم التقِ به سابقاً وليس لي معه علاقة. ثم طلب منّا الجلوس على الكرسي وقال لي: آقا سيد عباس ان لي عندك حاجة. فقلت له: أمرك مطاع. فقال لي: ليس مجاناً بل سأعطيك مبلغ خمسمائة تومان مقابل هذا العمل. ثم قال لي: عندنا ضابطان مهندسان سيكونان ضيوفك مدّة أسبوع في محلّ سكنك

في «تربت جام» فأحسن ضيافتهما وفي العصر قريب الغروب اذهب معهما وارشدهما إلى منطقة الحدود الايرانية الأفغانية ليرسموا الخرائط اللازمة. فقلت له: أطيع أمرك ولكن عليّ شكوى في المحكمة العسكرية. فاستدعى رئيس المحكمة وقال له: تحاكمونه الآن وتخبروني بنتيجة المحاكمة.

فذهبت مع رئيس المحكمة إلى غرفته وأحضر الشخصين اللذين اتهماني من السجن وسألهما، فكرّرا كلامهما السابق. ثم سألني: أتدافع عن نفسك؟ فوقفت في مقابل هذين الشخصين وقلت لهما: أقسم عليكما بالعباس عليه السلام هل لي علاقة معكما وتحريض على قتل اللص المذكور؟ فسكتا قليلاً وفكرا في أنفسهما ثم رفعا رأسيهما وقالا: كل ما قلناه كذب وافتراء محض وكان بتحريض من صارم وهژبر كلالي أن نتهم سيد عباس بالقتل، فلم يعطنا مالاً ولا سلاحاً ولم يعمل مثل هذا الشيء. وبعد اعتراف هذين الشخصين بُرِّئت. وجاء رئيس المحكمة بحكم براءتي بنفسه إلى قائد الفرقة الذي قال لي اذهب بسلامة وانجز وظيفتك كما قلنا لك، وأعطاني مبلغ خمسمائة تومان. ورجعت بصحبة الضابطين المهندسين إلى تربت جام.

٩٤ ـ حكاية:

نقل المرحوم أمير الشهيدي أنه غضب رضا شاه على وزير الطرق المرحوم السيد عباس خان آريا، وأمر الشاه بسجنه ومنع من زيارته فأرسل إليَّ من السجن رسالة بواسطة أحد الأصدقاء يطلب فيها مني الاستعانة بالحاج الشيخ حسن علي في حلّ مشكلته. وأوصلت الرسالة بدوري إلى الحاج الشيخ عن طريق أحد المسافرين. وجاء الجواب من الحاج الشيخ: ليقرأ ختمتين من القرآن الكريم ويهدي

أحدهما إلى مؤمني النجف والأخرى إلى مؤمني مشهد وبعد الانتهاء من الختمتين سيطلق سراحه.

يقول المرحوم أمير الشهيدي: عندما وصلني هذا الخبر لم يكن هناك شخص مستعد أن يبلغه إلى السيد عباس خان آريا إلاّ العقيد غفاري الذي كان صديقاً مشتركاً لنا ولكنه كان ملحداً. فقلت له: لا تهمني عقيدتك في المسائل الدينية ولكن تستطيع أن توصل هذا الخبر إلى السيد عباس خان آريا؟ فقال لي: نعم. فأخبرته بجواب الشيخ وبدوره أبلغه إلى آريا الذي شرع بالعمل به. قالوا: قال المرحوم آريا بعد ذلك: عندما شرعت بختم القرآن لم يكن هناك أي بارقة أمل لخروجي من السجن، وكذلك لم يجرؤ أحد للتوسط لي عند رضا شاه، وكان احتمال قتلي كبيراً وبعد مضي عدّة ليالي وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل حينما كنت مشغولاً بالختمة الثانية للقرآن الكريم وفي الوقت الذي انتهيت من تلاوة سورة **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** فتح باب السجن ودخل ضابط وقال لي: انهض يا سيد وخذ حاجياتك معك لنذهب. فتيقنت في هذه الساعة بأنهم قد حكموا عليَّ بالموت لأنهم لو كانوا يريدون غير ذلك لكانوا يخبرونني بالنهار. وعلى كل حال فقد أخذت ملابسي وكتبي وقرآني وقد يئست تماماً من الحياة وذهبت مع الحارس إلى غرفة رئيس حراس السجن. وبعد السلام قال لي: اتصل الشاه بنا الآن تلفونياً وأمر باطلاق سراحك وتستطيع الذهاب إلى منزلك. فإذا كانت عندك سيارة فاعطني رقم التلفون ليجيئوا بها وإلاّ فسنوصلك بسيارة السجن. فقلت له: عندي سيارة وأعطيته رقم تلفون المنزل. وجاءت سيارتي وذهبت بها إلى البيت. وبعد ذلك كنت أيضاً موضع مودة الشاه.

٩٥ ـ حكاية:

نقل أحد كبار موظفي البلدية قال أخرجت من وظيفتي في البلدية لسبب معيّن. فذهب بخدمة الحاج الشيخ وأخبرته برغبتي في العودة إلى وظيفتي السابقة. فقال لي: داوم على أداء الفرائض اليومية في أول وقتها أربعين يوماً وستقضى حاجتك. وبعد مضي شهر لم يبدو لي أي أثر فراجعت الشيخ ثانية فقال لي: قلت أربعون يوماً. ومضت الأيام الأخرى ولم يحدث شيء. وفي اليوم الأربعين كنت جالساً في مقهى على الشارع. فمرّت من الشارع عربة رئيس بلدية مشهد السابق محمد علي روشن فنهضت من مكاني فسلّمت عليه، فأوقف العربة وقال لي: لماذا أنت جالس هنا، ألا يوجد عندك عمل؟ فأخبرته بطردي من الوظيفة. فقال لي: تعال معي. وأخذني إلى المحافظ، فأصدر فوراً أمراً برفع التهمة عنّي وإرجاعي إلى الوظيفة، وبالضبط فقد قضيت حاجتي قبل ظهر اليوم الأربعين كما قال الشيخ.



جريدة اطلاعات الأسبوعية، العدد: ١٣٩٠ الجمعة ٢٨ تيرماه ١٣٤٧ شمسي:

كتب أبو القاسم فرزانة مقالاً تحت عنوان أسرار الروح والموت والحياة، من أين أتينا؟ وإلى أين نذهب؟ وكتب في الصفحة الأولى بخط عريض: رجل عظيم في خراسان ينظر إلى الأرواح بالعين العاديّة فيعلم أخبارها:

وكتب صاحب المقال بعد ذلك أن علامة الكمال قديماً كانت هي كشف القبور، ثم ذكر الشيخ البهائي وسيد محمد گيسودراز والسهروردي بالمدح والثناء ثم كتب.

وفي زماننا هذا يوجد أشخاص أمثال الشيخ البهائي والسهروردي، وإلى الآن يعيشون في زوايا النسيان وغير مستعدين أن يعرّفوا أنفسهم للناس. وأحد هؤلاء رجل جليل القدر يسكن في مشهد وانتقل في آخر سنوات عمره إلى قرية «نخودك». وقد ارتحل عن هذا العالم قبل عشرين سنة تقريباً عشرات الآلاف من أهل خراسان والمدن الأخرى وحتى طهران قد رأوا الشيخ والتقوا به، وببركة وجوده شفي جم غفير منهم من الأمراض الخبيثة والمزمنة وبمجرد ذكر اسم قرية «نخودك» يعرفون من هو المقصود. وهو الآن معروف باسم

الشيخ النخودكي في خراسان والمدن الأخرى. وكان يملك هذه القدرات الروحية العجيبة منذ أربعين عاماً، وخلال هذه الأعوام السالفة لم يكن يبيّن من هذه القدرة المدهشة لأحد من الناس إلا لمجموعة قليلة جداً الذين كانوا يعرفون مقامه الشامخ. وأخيراً في آخر عمره الشريف انتقل من مدينة مشهد إلى قرية نخودك، وهناك أزاح الستار قليلاً عن هذه القدرة واستطاع الناس مشاهدة جزء من تلك المنزلة الرفيعة بأم أعينهم.

وقد حظيت في أول شبابي بسعادة قربه لمدة سنة في مدينة مشهد وكنت أزوره بصورة مستمرة. وسبب ذلك يرجع إلى أن أحد أقربائي والذي كان قد أخذ على عاتقه أمر تربيتي كان من أولئك النفر القليل الذي كان الشيخ لا يرخي دونهم ستراً.

وأنا أيضاً مثل باقي الناس في ذلك الزمان لم أكن أعرف عن العلم الروماني إلا الاسم وبعض الكلام المتناثر لكني رأيت بنفسي حادثة آنذاك ولكن لم أستطع في تلك الأيام إدراكها بشكل صحيح إلى أن اطلعت بعد سنوات عدّة على أصول هذا العلم فاستوعبت الأمر إلى حدّ ما. والقصة كانت هكذا: عندما كان الشيخ يعبر من جانب إحدى الحمامات تتغيّر حالته ويظهر ذلك على ملامح وجهه وفجأة يضطرب حاله ويصفر وجهه. وعلامة أخرى تظهر عليه وهو الاستغفار وقول «لا إله إلا الله» بلحن التعجب وعدم الارتياح. وعندما سئل الشيخ عن ذلك التغير والاضطراب الذي يعتريه حين عبوره الحمّام قال: ارتحل صاحب هذا الحمّام منذ مدة من الدنيا ولكن روحه كانت واطئة جداً وهي متعلقة بالدينا وأموالها تعلقاً شديداً، وإلى الآن لم يدرك حقيقة موته ولا يدري أنه انتقل من هذه الدنيا إلى عالم آخر، فكان دائماً في باب الحمام يصرخ ويشكو من علة التصرّف في أمواله. ولذلك كلّما

عبرت من جانب هذا الحمام أثار في نفسي الاضطراب وعدم الارتياح.

* * *

نقل أحد أهل العلم: ذهبت مع الشيخ مرّة إلى المقبرة لقراءة الفاتحة، فقال لي الشيخ: اسمع الصوت الذي يخرج من هذا القبر. وعلى أثر توّجه الشيخ سمعت صوتاً في القبر يقول: «خيار أخضر ـ قمح» ثم أشار إلى قبر آخر. فسمعته يقول «لا إله إلا الله». فقال: كان صاحب القبر الأول بقالاً، ومضت على وفاته سنوات عديدة ولكنّه لا زال يتخيّل أنه حيّ ويبيع الخيار. وأما الثاني فقد كان رجل من أهل الذكر والصلاح، وهو في العالم الآخر مشغول بالذكر أيضاً.

بعض رسائل الشيخ قدّس سرّه

هذه الرسالة كتبها الشيخ إلى حفيد آية الله حاج ميرزا حسن الشيرازي الكبير أعلى الله مقامه الشريف:

«السيد الأورع الأتقى العالم العامل. . .

الحبيب الأوحد، رجائي من خالق الليل والنهار ومحرّك الفلك الدوّار أن يسلك بك في سلك الأبرار والأخيار، ويحشرك مع شهداء دار القرار، ويجعلك من المعتصمين بآثار الأئمة الأطهار بحق الحق والنبي المطلق. قلبي لكم ناظر، وحبّي لكم دون الاشباه والنظائر، والشاهد على ذلك قلبك الشريف. أوصيك بأن ترفع نفسك عن هذه الدنيا الدنية فانها ليست بدار القرار، ويجب عنها الفرار. ولا تكن ممن يريد الله أن يرفعك وتريد الخلود، فانه تعالى قال: ﴿**ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض**﴾ واسأل الله أن يريك حقيقة الدنيا حتى تفرّ منها فراراً ولا تطلب منها قراراً. وصر صاحب الهمة العالية، فإذا رفعت الهمّة لا تنظر إلى هذه الخانس الرواجس. وأصحاب الهمّة العالية لا ينظرون أبداً إلى الأعمال الدنية ويعدون أنفسهم ارفع من ذلك. واقتد بآبائك الطاهرين. واسأل الله أن يدخلك في الصراط

المستقيم، ويجعل كتابك في عليّين. قال أبو عبدالله عليه السلام لولده اسماعيل: يا بني اجتهد في تعلّم علم السرّ فإن له بركة كثيرة أكثر مما يُظن. يا بني من تعلم علم العلانية وترك علم السر يهلك ولا يسعد. يا بني إن أردت أن يكرمك ربك بعلم السر فعليك ببغض الدنيا، واعرف خدمة الصالحين، واحكم أمرك للموت فإذا اجتمعت فيك هذه الخصال الثلاثة يكرمك ربّك بعلم السرّ».

٢ ـ كتب رحمة الله عليه في جواب رسالة السيد صدر الدين وصال الشيرازي:

«رجائي من حضرة واهب العطايا وخالق البرايا أن تكون دائماً موفّقاً بالتوفيقات الإلهية ومؤيّداً بالتأييدات الربانيّة. كان مكتوبك الودّي مُشعراً بسلامة مزاجكم، فكان هذا سبباً للحمد الإلهي. يقول سعدي: كل نفس يستنشقه الانسان يمدّه بالحياة، وعندما يخرج يُفرح ذاته. إذن في كل نفس توجد نعمتان... والحال كلّما وصلنا خبر بسلامة صديق فإن ذلك يستوجب منّا شكراً. وشكر النعمة موجب لزيادتها. وقد كتبتم: أنه قد حصل إحالة للأمر. روي أن حضرة روح الله قال للحواريين يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة فاقضوها لي. قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله ومعلوم من قرينة كلامه أنهم كانوا تواً قادمين من سفر فقام فغسل أقدامهم واحداً واحداً فقالوا: كنّا أحق بهذا يا روح الله. فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم لأني إذا رحلت من هذا العالم ستكونون أنتم رؤوساء الناس، فأردت أن تعرفوا بأن لا تتوقعوا خدمة من أحد، بل لتكونوا خداماً لكل

الناس وفي وصايا أمير المؤمنين عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام يقول: «وراح الأخوان في الله» أي لا يكون صعباً معهم ولا يحملهم أي مشكلة.

ولهذا وبأمر هذين العظيمين لا أحب أن آمر في شيء من أمور الدنيا فإن قلتم فلتكن هناك علاقة ما فأقول لكم هي ما أمر الله تعالى بقوله: **﴿ولقد وصيّنا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾** لا تغفل لحظة عن ذلك البدر فلعله نظر إليك حين إذ لم تكن ملتقتاً أول موعظة يبيعها العجوز هي أن تحترز عن الصاحب الذي من غير جنسك.

أرجو أن تكون ثابتاً على الصراط المستقيم. وأن تهتم بالصلاة والتي هي قرة عين النبي (ص). ولا تغفل عن ذكر الله على كل حال.

٣ ـ هذه الرسالة جواب عن رسالة أحد مريديه:

مع وجود العوز والفقر سكر وخمر إذا كيمياء الوجود هذا صير قارون شحاذا.

وصل كتابكم وعلمت مطالبكم. ومن المفيد أن تقرأ ذلك الدعاء والآية للرجوع إلى المناصب الصورية، وهو نافع أيضاً للوصول إلى العوالم المعنوية الجميع يقولون يا الله وكل منهم جعل نصب عينه أمراً فواحد يريد الدنيا فيقول يا الله، وآخر يريد الآخرة فيقول يا الله، وذاك الذي يُريد المولى يقول يا الله. عندي قلب يطلب العون من المعشوق.

إلهي الزاهد يريد منك حوراً فانظر إلى قصوره، يفر في بابك إلى الجنة فانظر إلى شعوره وجودي في الديار التي أنت فيها يكفيني وطلبي أمنية أخرى غاية في عدم الانصاف حيث يوجد ملكنا فالبساط صحراء وإن كان سم الخياط كل له مطلوب، ويطلب نفس المطلوب. فيجب أن تكون همتك عالية، وتطلب المطلوب الذي إذا حصلته ولم تحصل على شيء آخر تكون قد حصلت على كل شيء لا أن تطلب مطلوباً إذا حصلته تكون كأنك لم تحصل على شيء فإن المؤمن يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه. أجل كنت قد كتبت أنه قد استعفيت فإذا استطعت ادراك المقام المنيع أعانك الله وهداك. أما بالنسبة لمسألة طهران فلم يكن الأمر باختياري بل كنت مجبوراً لذا تحركت بسرعة ولم يحصل مجال لرؤية أحد والجميع كانوا عاتبين لكني اخبرت الجميع بأني كنت مجبوراً وإلا:

المدينة ملأى بالدلال والحسان في الجهات الست، يدي خالية وإلا لكنت مشغولاً في كل الجهات أجل إذا استطعت اترك عملك في آخر هذا العمر «اذهب إلى الخمارة وضع رأسك بين ركبيتك».

بالنسبة للذكر في البداية صل على محمد وآله عدة مرات واحضر قلبك ثم اشتغل بالذكر.

ما أحسن أن يمتلىء القلب بالنور من الذكر وأن تقهر النفس من شعاع الذكر وأن يرفع التفكير بالكثرات وأما يصير الذاكر لكنه ذكر وذكر للمذكور كلام رجال الله لا نهاية له. يا علي أعني.

٤ ـ كتب الشيخ قدّس سره هذه الرسالة جواباً على رسالة كان قد بعث بها أحد مريديه:

بسمه تعالى شأنه

يا أخي ورفيقي ويا صاحبي وشفيقي قد قرأت كتابك وفهمت خطابك وعلمت مرجعك وإيابك فطفقت بالجواب ولم يهيىء لي الأسباب حتى يكون توافقاً بين الوسيلة والجواب، وأقول مستعيناً بالله: أيّها الراكب برذون أبي عصام، والمكتري من مكار كأنه حمار دق باللجام، تفكّر في ابتلائك بالأرذال واللئام فإن سببه ما كان إلاّ كفرانك صحبة الأخيار والكرام، فابتلاك الله باللئام حتى تعرف قدر صحبة الكرام. وأما شفاء غليلك بالخيار ففي ذلك أيضاً نكتة التعلّم، إن الحرارة التي حصلت في المزاج من مصاحبة الأشرار لا تطفأ إلاّ ببرد صحبة الأبرار والأخيار. وأما قولك «إن ساعدت الاستخارة» أما سمعت قول القائل الذي كان من الأحرار: أعمال الخير لا تحتاج إلى استخارة أبداً. وأما قولك: «طفقت أكل الخيار بالاختيار» فاعلم ان هذه الاختيار عين الاضطرار، فإن الحرارة قد اضطرك في أكل الخيار، فتفكر واعلم ان هذه الاختيار عين الاضطرار، واستشهد أيضاً لك بقول الأخيار:

جفاء الخلق لك في هذا العلم كنز من ذهب فخفي لو تدري يحاربك الخلق ويسيئون إليك ليضطروك للسير في ذلك الاتجاه.

فترقى مثل البقة من هذه المرتبة الثقة واللقة إلى مرتبة حقة، وانظر بعين بصيرتك لا بعين بصرك فتفكر في جولان نظرك واستمع قول المنادي:

افتتح عين القلب لترى الروح لترى كل ما لا يرى.

فإذا قطعت هذه المفاوز والفيافي والتلال والأوادي تفوز بعالم وسيع وتجوز من المهالك والضيق الفظيع، فترى الحدائق والأشجار، وتصل إلى العيون والأنهار. ولن تصل إلى حقايق الشقايق وشقايق الحقايق حتى تنقطع عن هذه العلائق، وتقطع نفسك عن العلائق والعوائق، ولنعم ما قال شيخ الطريقة ومفتي الشريعة وصاحب الحقيقة:

لن يفتتح لك باب إلى الحقيقة حتى تترك المجاز الذي يعيشه الناس.

فما دام نظرك إلى الرقيقة ناظرة فاعلم ان صفقتك خاسرة، ومبانيك داثرة، ووجهك في القيامة باسرة، تظن أن يفعل بها فاقرة، فجاف جنبك عن هذه الدار الداثرة، وتوجّه إلى الدار الآخرة حتى يصير وجهك ناضرة، وإلى ربك ناظرة. وفي هذا المقام يصح الكلام أن تقول: الحمد لله الذي اذهب عنّا الحزن. فكرّر في هذه الوريقة بصرك، وحوّل في معانيها بصيرتك ونظرك، لعلّك تصل إلى بعض ما حققته ورقمته لك، لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً، وتفكّر في التماس دعاءك أن لا يكون مثل باقي ادعائك، بل دع اللفظ وادع المعنى، فإن المعنى من كل لفظ هو المعنى. وفي هذا المقام جفّ القلم، وسكن القدم، فإن تك أهلاً ففي هذا كفاية، والحمد لله أولاً وآخراً، والسلام على من اتبع الهدى. كتبه العبد الجاني الفاني حسن علي الأصفهاني

في غاية العجلة.

٥ ـ وهذه الرسالة أيضاً من القلم المبارك لحضرة الشيخ جواباً لرسالة أحد الشيوخ العرب من أهالي الكاظمين حين غضب عليه الملك فيصل ملك العراق آنذاك:

«السلام عليك يا شجرة الطور، والكتاب المسطور، اكسير فلزات العرفاء، ومعيار نقود الأصفياء ورحمة الله وبركاته»[١] ثم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، سيما الأخ الأعز الكريم عبد الكريم.

وبعد فقد بلغني كتابك، وفهمت كلامك، وبلغت مرامك، فأسأل الله العظيم ثم نتوسل بنبيّه الكريم وآله الأمجاد الفخيم أن يصلح أموركم، ويرجعكم إلى دوركم، ويمنّ عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة، كما وعد في كتابه الكريم وخطابه الجسيم ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة..**﴾ ثم لا يخفى على جنابكم أن استعينوا في كل الأمور الصعبة بأربابها، وأتوا البيوت من أبوابها، وكلام سيد الأولياء أرواحنا له الفداء «استعينوا على حوائجكم بالكتمان» أن يكون أموركم مكتوم من كل أحد حتى خلّص إخوانكم، ففي إظهار الأمور مفاسد عظيمة.

ثم اعلم يا أخي كتبتم «أن لي يداً في الروحانيات» ليس هكذا قال سيد الموحدين عليه سلام ربّ العالمين: «إلهي كم من قبيح سترته، وكم من عثار وقيته، وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته» هذا فعل ربّ العالمين، وظن اخواني المؤمنين، وإلاّ لسان حالي ومقالي إلى سيّدي ناطق بهذه الفرد بالفارسية:

أنا في الدناءة والرذالة كالكلب   لا شرف لي إلا أني على باب سيدي

---

(١) هذه الفقرة خطاب للإمام الكاظم (ع) أولاً.

وليس في غير هذا. ثم اعلم أن الله تعالى أمر بإتيان بابه، ثم قال: «وابتغوا إليه الوسيلة» فوجب على جنابك أن يتوسل إلى أئمتنا وأني أساعدكم بقولي علماً وعملاً.

أمّا عملاً: فكتبت لكم دعاء وأرسلته إليكم أن يكون معك.

والثاني أن جنابك قد علمت وسمعت أن المرحوم المبرور السيد مرتضى الكشميري قدس سره كان مع علماء النجف حين وقوفي بها، وقد استفدت عند جنابه، وهو سيد جليل بارع في العلم، وكان فريداً في عصره، مستجاب الدعوة، وسمعت اليوم أن أولاده كانوا في عسر شديد، وكان اليوم ابنه الأكبر آقا سيّد محمد حفظه الله في غاية الزهد والتقوى، وتوسّل إلى جنابه ليتوسل إلى جدّه سلطان الأولياء ليرد سلطنتكم، ثم وابعث إليه شيئاً بعنوان النذر والهدية لأنهم سمعت كانوا في غاية العسرة، ثم توسّل إلى سيدتنا المظلومة المعصومة، وكلّما تبعث من إلى السيد محمد كان بعنوان النذر للحضرات الفاطمية، وتوسّل كل ليلة الجمعة أو الاثنين بساعة قبل طول الفجر بركعتين المنسوبة إليها، الأولى بعد الحمد مائة مرّة سورة القدر، والثانية سورة التوحيد، وبعد الصلاة تسبح تسبيحها، ثم الصلاة مائة مرة، ثم تسجد وتهدي ثوابها إلى روحها وتقول: إلهي بحقّ هذه المظلومة ارفع عنّا هذا الظلم. ثم تقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح مائة وعشر مرة يا قاهر العدو، وفي كل شهر أو شهرين تبعث أحداً إليه وتكتب إليه وتسأله التوسّل إلى جدّه وتنذر له نذراً: إذا أصلح الله أموركم تبعث إليه، فإن شاء الله يصلح أموركم، ويرجعون إلى مقامكم ودوركم إن شاء الله».

٦ ـ وهذه أيضاً رسالة أخرى من سماحة الشيخ كتبها لأحد طالبي طريقة العرفان يقول فيها.

«نأمل بلطف الله وعنايته أن يصل طلاب الحقيقة السائرين في مسلك العرفان والطريقة إلى المنزل المقصود، ولفهم ما قيل:

جد في السلوك ولا تكل فإنما فناؤك في هذا الطريق وصول

«ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً».

وبعد! فإن الطريق اليوم مسدود كما أن الطرق السابقة كلها قد سدّت ولكن التكليف اليوم أولاً: الصلاة في أول وقتها. ثانياً: الاهتمام في استحضار القلب أثناء الصلاة وهذا شبيه بالممارسة والتمرين على حسن الخط وتهذيب الاستنساخ فإنه لا يتم في يومين بل يحتاج أوله مقدار غير يسير من الزمان، وبعد هذا، اليقظة والقيام قبل الصبح.

كل كنز سعادة أعطاه الله لحافظ كان من بركة دعاء الليل وورد السحر

٧ ـ وعندما كتب أحد الوجهاء من أهل مدينة مشهد رسالة إلى سماحة الشيخ يلتمسه الدعاء لأحد الأعيان في مشهد قد أصيب بنكبة كتب له الشيخ في الجواب ما يلي.

(هو يا علي مدد)[1] ، أعلم حضرتكم سلمكم الله تعالى، عن وصول رسالتكم وقد وقفت على ما ذكرتموه من طلب العناية [الدعاء] للسيد انتظام الملك، ولنعم ما قيل: (فاقد الشيء لا يعطيه)، أشهد الله أني أرى نفسي أذل وأحقر من كل مخلوق بل لا أليق بشيء ولست بشيء إلا أن هذا حسن ظن من المؤمنين، وما أولاني بقول سيد

(١) اصطلاح معروف عند الصوفيين والدراويش يردّدونه في حلقات الذكر ويبدأون به كلامهم ومقالاتهم، ومعناه: يا علي اغثنا.

الأولياء روحي وأرواح العالمين له الفداء: (إلهي كم من قبيح سترته، . . . وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته)[1] إلاّ أني اهتداءً بالآية الكريمة: **﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**[2]. والحديث القائل: «يا داود لو علم المدبرون عنّي كيف انتظاري لهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً وتقطعت أوصالهم من محبتي»، أقول: لو أصلح المعني بينه وبين ربّه وأوجب رحمة الفقراء على نفسه، وأضمر في نفسه العفوَ عن أعدائه إن أظهره الله عليهم قربةً إلى الله تعالى، فإن النصر والظفر سيكون حليفه إن شاء الله تعالى ولن يقصر هذا الفقير أيضاً في الدعاء له ،وتسدّ عوله الملائكة أيضاً فما قدر هذا الحقير؟ **﴿ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب النار﴾**[3] (ترجمة الشعر):

كل ما ذكرنا ضروري لكنّه لا يكفي إلا بعناية الله وتوفيقه. ومن حُرِمَ من عناية الله وعناية أوليائه، فهو ذو صحيفة سوداء وإن كان ملكاً).

فإن اطمأن قلبه بما ذكرنا وعاهد ربّه على ذلك، فاعلمونا. والسلام على من اتبع الهدى .(التوقيع) أول الفقراء والطلبة حسن علي.

هذا وقد جاءت تلك الرسالة التي حرّرها الشيخ بخطّه المبارك جواباً على الرسالة التالية:

«ألفت انتباهكم إلى ما سمعتموه من الحوادث التي جرت بين

---

(١) عبارات من دعاء كميل.
(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦.
(٣) سورة المؤمن، الآية ٧.

السيد انتظام الملك ومناوئيه وقد عزم على دخول البلد حقناً لدماءِ المسلمين، إلا أن أعداءه يريدون إيذاءه، ولذا فالرجاء أن تحيطوه بعنايتكم (بدعائكم) ليدفع الله عنه كيد أعدائه وينصره عليهم، وسيعمل جهده في دفع الظلم عن الفقراء». وكان جواب انتظام الملك على رسالة سماحة الشيخ قدس سره كما يلي:

«هو الله تعالى، ألزمت نفسي بالعمل بكل ما أوصيتم به، أسأل الله أن يوفقني لخدمة (مساعدة) كافة عباده، وأن لا أمنح أسبابه الظلم والفسوق، إن شاء الله تعالى. أرجو دعاءكم».

٨ ـ وهذه أيضاً رسالة كتبها سماحة الشيخ قدس سره في جواب طالب علم الكيمياء، وهي كما يلي:

أيّها الطالب طريق الهدى والسالك نهج الحقيقة، اعلم أن بحثك عن الكبريت الأحمر تضييع للعمر، هلُمّ إلى الصواب وعفّر جبينك بالتراب فإنك تحظى بإكسير الحياة ولله درّ الشيخ البهائي عليه الرحمة حيث يقول:

ترجمة الشعر [هبِ أنك أبدلت النحاس إلى ذهب، ولكن أنى لك أن تصِفي النفس من الدرن وتنقيها من الغش وتجردها من الفضولات]؟.

اعلم أيها الأخ، إن من رحل عن هذه الدنيا ودخل الدار الآخرة لا تنفعه القناطير المقنطرة من الذهب الأحمر. ولنفترض أن إنساناً أنفق عمره في اكتساب هذا العلم ونال المقصود، ثم أدركه الأجل وانتقل إلى العالم الآخر فهل ينتفع مثقال ذرّةٍ بعلمه؟ إذاً عليك أن تطلب إكسيراً ينفعُك في ذلك العالم. ولن تحصل عليه إلا باتباع ما أنزل الله على نبيّه الأكرم محمد بن عبدالله عليه آلاف التحية والثناء،

وهو قوله عز وجل: .

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[1]. واعلم أنه ينبغي للإنسان أولا أن يبحث عن مقدمة الصلاة وهي الخشوع، فإذا حصل الخشوع تيسر له اكتشاف ذلك الإكسير، وقد أفلح من نال تلك الدرجة وبلغ ذلك المقام، ولن يناله إلا ذو حظ عظيم، لأنه صعب الحصول لا يتيسّر إلا بالاستمرار والمواظبة وكما ينبغي للطالب أن يتمرن على الاجادة في الاستنساخ وليس بإمكانه أن يصبح جيّد الخطّ مرة واحدة فكذلك أيضاً يصعب على الإنسان استحضار القلب في الصلاة دفعةً واحدة ولا يحصل ذلك إلا بمقدمات منها: المواظبة الدائمة على إقامة الصلاة في أول الوقت، وأن يتجه الإنسان إلى صلاته تاركاً كل أمرٍ يشغله وأن يدرك معاني القراءة والأذكار في الصلاة، ثُم أمور أخرى وأصل جميع الأعمال الالتفات إلى معاني الصلاة في طريقة العبد الفقير ومن ثم الأمور الأخرى.

٩ ـ وهذه أيضاً رسالة أخرى كتبها الشيخ قدّس سره في جواب أحد أتباعه: .

«. . . وبعد فيظهر لي ما ذكرتم في رسالتكم أنه لولا استقباح العقل لبعض الأفعال لفعلت ما ينبغي أن أفعل، يظهر من عبارتكم هذه أنكم بلغتم إلى عناية الاضطرار.

وجدير بأن أعلمكم أن حالة اضطراركم هذه هي من أسباب استجابة الدعاء، كما في الآية الشريفة **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾**، فليأخذ الشوق مأخذه، ولنعم ما قيل. ترجمة الشعر:

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٥.

عشر بحب الله صبّاً مع العسر، فوجدك بالله إكسير الحياة يجعلك قاروناً مع الفقر.

وقيل أيضاً: ترجمة الشعر:

نــم قــريــر العيــن سيــف الحبيــب فقتيله محمود العواقب والمثيب

وقيل أيضاً ترجمة الشعر:

لا تجــزّعــنّ مــن البــلاء فــإنمــا سَرَى النبيّون مـن الهجـر أو النـار

فمن النار عرج خليل الرحمن إلى ربه، ومن بطن الحوت في أعماق البحر عرج يونس إلى ربه، فهذا وإن كان في الظاهر بلاءً ونقمة إلا أنه في الواقع رحمة ونعمة: [عسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرٌ لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم] ترجمة الشعر:

عيــن البصيــرة تدرك التأويلا إن لــم تجدها فاستـعر بديلاً

أملي أن تتبدّل المصاعب. والآلام إلى مسرّات وأفراح بعد التدبّر فيما سطرته والتأمل فيما حرّرته، وإن شئت مرتبةً فوق ذلك، فاعتبر ما أصابك من المحبوب، واستمع إلى المثل المضروب: «ضرب الحبيب لا يوجع» ترجمة الشعر:

كــل قضــاه ربنــا فــي العــالــم لا يــدركــه غيــر سعيــد حــازم

وفي المأثور، إذا أحب الله عبداً ابتلاه. ترجمة الشعر:

فــإن كــان هــوى ليلــى لغيــري لمــاذا حطّمــتَ كــأســي وديــري

ولكنها مرتبة سامية، لا تفي هذه الألفاظ ببنائها والكشف عن معانيها بل تحتاج إلى زمان طويل مع مجاهدات كثيرة للنفس، ولنعم ما قيل: (دع الدعوى فما بالرقي ترقى إلى وصل رقى)، إلا أن أملي أن يحصل لكم شيء من السكينة والاطمئنان تدريجاً وعلى مرور

الزمان، مع التأمل والتدبر في ما مرّ ذكره وأعتذر منكم لتطويل الكلام وتضييع وقتكم: [إذا كان الخليل يريد شرحاً فما يسع الخليل سوى الكلام]، ولنختم الآن مقالنا بكلام سيد الأولياء: حيث يقول: [يا من أذمة الأمور طُرّاً بيدك ومصادرها عن قضائك]، وأنتم حينما تتأملون في هذه العبارات، تذكروا أنكم من أي صلب تنحدرون وإلى من تنتسبون؟ فإن سلفكم خير سلف. ترجمة الشعر:

لإن علقت بي من الدنية غبرة فلا ضير اني إلى الكرار أنتسب

١٠ ـ وهذه أيضاً رسالة كتبها الشيخ أعلى الله مقامه إلى أحد وجهاء رفسنجان. «هو».

نسأل الله بألطافه الخفية وعناية مولانا ظل الله في أرضه، أن يُمنَّ على سالكي هذه الطريقة، السائحين في هذا الوادي في طلب الحقيقة أن يمنَّ عليهم بالوصول إلى المنزل المقصود. ويريحهم من تعب الحيرة انه ولي التوفيق. وبعد فقد وصلتني رسالتكم الشريفة ووقفت على مضمونها. اعلموا أن الأمور منذ بداية الخلق وإلى يومنا هذا لم تدل على وجهين: نور وظلمة، حق وباطل، خير وشر. ترجمة الشعر:

لم تزل الأمور حلوةً ومرّة وهكذا تسير إلى نفخ الصور

لكل موسى فرعون في كل زمان، ولكن، (شعر):

القمر يشعّ نوراً والكلب ينبح وكل إناء بالذي فيه ينضح

لأتباع الرحمن أعمال تخصُّهم، ولاتباع الشيطان أيضاً أعمال تخصهم، ولن يصدر عمل هذه الفئة من الفئة الأخرى، إلاّ أن يلتبس التمييز بينهم. (شعر):

ربّ شيطان تلبسن بصورة الإنسان فاحذر ولا تأمنه بالظاهر العيان

وقد انتهج البعض لهذا الطريق للتمويه وتظاهروا بمظاهر الآدميين مع أنهم ليسوا كذلك وما ذكرتموه في رسالتكم، [إن كل من أعان أحداً، أو قضى حاجة أحد، فهو إنسان طيب خير]، يجب أن تعلموا أولاً قصده ونيّته والباعث الذي دعاه إلى القيام بذلك العمل، ثم تقضوا بعد ذلك بخيره أو شره، واعلموا أن الخبيث لا يصدر منه عمل طيب إلا أن يكون تمويهاً واغفالاً للآخرين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: يُريك الشيطان تسعة وتسعين طريقاً للخير، ليموّه عليك فيدلك إلى طريق واحد من الشر(١).

ومن هنا قيل: «كم من شيطان ظهر بصورة إنسان». وأما ما ذكرتم من مقاطعتكم إياهم خمس سنين، فأقول إذا اشتبه الأمر على طالب الحق ودخل في الباطل لظنه حقاً فإنه لن يبقى ضالاً بل سيهديه الله كما تقول الآية الكريمة: ﴿**ولنهدينهم سبُلنا**﴾ ويرجع عن الباطل عندما ينكشف له الإلتباس.

وأما الشيخ... والشيخ... فلم يكون أي منهما طالباً لطريق الله أبداً إذ أنهما ما أن شاهدا الرئاسة قد تحققت لفلان... وأن ابنه... شديد الضعف قليل التأثير دخلا في هذا الأمر طمعاً في استلام الرئاسة بعده، وحين أحسَّ.... بذلك وأدرك قصدهما، أحكم أمر ابنه. ثُم أن بعد وفاته قام.... يأخذ ابنه الأصغر... معه وجرى بينه وبين الشيخ... جدال طال سنتين، وحينما وجده مفسداً غير مصلح، ترك له منصب شيخ المشايخ، واستراح. ولما وجد المسكين... ان ثمرة تعبه وجهده وقعت بيد غيره، أخذ يفسد في

(١) لم أقف على نص الحديث وإنما نقلته بمعناه إلى العربية ولعل فيه شيء من التقديم والتأخير أو تغييراً في الألفاظ الواردة نصّ الحديث.

الأمور، وما سوى هذا، فلست ترى طيّباً يميلُ إلى الشر ولا خبيثاً يميل إلى الخير، إلا أن يتلبس الخبيث بلباس أهل الخير ليمُوّه على الناس المؤمنين ويخدعهم حتى يترأس عليهم كما فعل الخليفة الثاني لأن المؤمنين لا يفضلون أحداً على أهل الخير المتمسكين بالحق.

وأما ما ذكرتم من أن الكذب من أسوأ المعاصي فأنتم تعلمون أن الكذاب موصوف بعدوّ الله، بينما لم يوصف الزاني ولا اللّواط ولا الخمار بهذا الوصف.

وأما ما ذكرتم من أنه ليس لكم مقصد سوى الله، فإن ذلك ينبغي للجميع وأن لا يطلب أحد سوى الله. إلا أن الأمور مناطة بأسبابها وأن العالم هو عالم الاسباب فلا بدّ أن تطلب الأسباب، وقد أبى الله أن تجري الأمور إلا بأسبابها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وهو أوّل المتوكلين ورأس الموحدين، يصل الكفار لتأليف قلوبهم، ويطلب الأسباب بمقتضى الظواهر في نشر الدعوة وتجهز الغزوة. كما بعث الله نبيّه موسى إلى النبي شعيب ليخدمه عشر سنين، لأن العالم هو عالم الأسباب، ولكن الأمر كما تقدم ذكره، وإن الله لن يُضلَّ طالب الحقيقة بل يهديه إلى الصراط المستقيم كما وعد في الآية الكريمة ﴿**ولنهدينهم سبلنا**﴾ وينجيه من كل ورطة ومعضلة ويبلغه المنزل المقصود. (شعر):

أيها السالك جد في الطلب فإن طلبك خير قائد لك

والأمل أن يوصلك الطلب إلى المنزل المقصود. أما الحقير أنا، فقد شاهدت شخصيتين كبيرتين منذ أيام طفولتي حتى أوان البلوغ والتكليف، ورأيت فيهما سمات وصفات بارزات، ولكن لم يسعدني الحظ أن أستفيض من بركاتهما توفي أحدهما وأنا في سنّ العاشرة، والتقيت بالآخر أثناء سفري من مشهد (مشهد الإمام الرضا (ع)) إلى

أصفهان قاصداً زيارة كربلا التقيت به في بلدة شاه رضا من توابع أصفهان، فقلت في نفسي سأصل إلى خدمته بعد زيارة كربلا، ولكن يا للأسف، فقد وصلني نبأ وفاته وأنا في كربلا وبعدها ما التقيت بأحد.

وربما طلب مني البعض التصدّر لهذا المنصب، فما كان جوابي إلا أني لا أجد نفسي أهلاً لهذا المنصب، ولكن تبعاً للفقهاء في قولهم بوجوب أخذ الناس العوام مسائلهم الشرعية من كتابي الجامع العباسي للشيخ البهائي، والحديقة للمجلسي فيما إذا كان أولئك العوام في محل ليس فيه مجتهد ولا يمكنهم الوصول إلى المجتهد أيضاً وحصل فيهم من يمكنه تدريس الكتابين المذكورين وشرحهما، تبعاً لهذا القول كنتُ ولا أزال أنقل ما سمعته من كبراء هذه الطريقة إلى الطالبين الذين لا يسعهم الوصول إلى أحد.

وأمّا التماسكم الدعاء، فإني أسأل الله أن يوفقني للدعاء في حق الطالبين وأن لا أقصّر في ذلك، لأني طالب وأعرف حالة الطالبين ولنعم ما قيل (شعر):

رَقّ قلبي لطالب سيّاح　　يسري الطريق بعولة ونياح
والهفتاه لم يصل لمنزلٍ　　يبغيه في الآفاق والنواحي

وأنا أيضاً ألتمسكم الدعاء في حق هذا الفقير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعتذر ان وجدتم تقصيراً لوقوع التحرير ليلاً وغلبة النوم.

١١ ـ وأخيراً كتب الشيخ قدّس سره في رسالة لأحد طالبي الحقيقة ومنتهجي الطريق ما يلي: (شعر):

لا تغفلوا عن مشاهدة المحبوب طرفة عين لعله يلحظكم بلحظة

وأنتم في غفلة عنه[1].

اعلم أن التقوى طريقة الأعيان وحلية أهل الإيمان وقد جاء في القرآن الكريم ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾[2] وقد نظم العلامة الشيخ البهائي هذا المعنى بقوله: (شعر):

لا زاد في السير سوى التقوى   دَع ما سواه من خبز ومن حلوى

أي ما دمت أسير الشهوات طائعاً هوى نفسك فأنت محروم من نفحات الرحمان (شعر):

منهج الحبّ حقيق بالنصب   فيه ذُلٌّ وهون وتعب

ومن أجل الخلاص من شرّ النفس والشيطان جاء في الآية الكريمة ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾[3].

نختم وبه الكفاية لمن كان له أذن واعية.

وفيما يلي منتخبات من عدّة رسائل بعثها الشيخ قدّس سرّه إلى أحد الأشراف من مدينة قم.

بسم الله الرحمن الرحيم أحاطكم الله بألطافه وشملتكم عناية أوليائه، سيّما ظل الله في العالمين. وبعد وصلتني رسالتكم الشريفة فلا أدري ماذا أكتب لكم، وما أحسن ما قال صاحب بديع النظم والمعاني كمال الدين الأصفهاني. قدس سره. (شعر):

دُلنا أيها الساقي على طريق الحانة فإن لدينا مؤيداً من الشوق

---

(١) جاء في الدعاء المأثور: اللهم الحظني بلحظة من لحظاتك.
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٦.
(٣) سورة البقرة الآية ٤٥.

والهوى وابن حانة وأوقفه على أهل الهوى فما كان خالصاً من الرياء خير من مائة صراط[1].

في كل يوم وليلة نخاطب ربنا خمسر مرّات، بقولنا ﴿اهدنا **الصراط المستقيم**﴾ وبعث الله مائة وأربعة وعشرين ألف نبي مقابل كل نبي ولعله عشرة أولياء على أقل تقدير، وقد جاء هذا الجمع كله ليدُلنا على الطريق قال أحد الأنبياء في مناجاته (ربي أين الطريق إليك)، فأتاه الجواب: (دع نفسك وتعال) شعر:

مادام غير الله في قلبك وجودك في المسجد والدير سيان فإذا خلص قلبك لله ولم يبق فيه سواه عندها ترى المسجد كالدير خالف النفس الكافرة تفلح في أي حالة كنت.

عندما تشرفت بزيارة الحضرة المقدسة كان في ذهني أمور، ولكني رأيتك في وادٍ آخر ولنعم ما قيل: (شعر):

هوىَ ناقتي خلفي وقدّامي الهوى واني وإياها لمختلفان وبعد مدّة انكشف لي سِر ابتلائكم. شعر:

ان سيّىء الأدب لا يضرّ نفسه فحسب بل يحرق الآخرين بسوء أدبه.

وبناءً على ما وهبني الرب من الذكر الجميل وانتشار الصيت وبما منّ الله علي بابقائه ما وهب ولسان حالي يقول [كم من عثارٍ وقيته، وكم من ثناءٍ جميل لستُ أهلاً له نشرته] وبما تفضل عليّ من ستر العيوب فنطق لساني بحمده كل يوم يقول [الحمد الله الذي ستر عورتي ولم يفضحني بين الناس]، أخذ كثير من الناس ينتسبون إلي

---

(١) أي أن العمل الخالص لله خير من الأعمال المنسوبة بالرياء، وإن كانت في الظاهر أعمالاً مستحسنة.

وقد ظهر منهم كذاب افترى عليّ أعمالاً، وقال انه أخذها عنّي ومن هنا قال الأصحاب، لو كان صادقاً في ما ادعاه، لكنا نحن أولى منه بالأخذ[1]، ولكن لا صحة لذلك، وكان افتراؤه سبباً لعواقب غير محمودة، كفانا الله شرّه.

وفي الجملة، فقد نقل أحدهم: أن فلاناً توفي، وذهب صهره إلى فلان فقلده المشيخة وأعطاه نسخة هذا العلم، فأجهد نفسه وأشغل ذهنه حولاً كاملاً ولم يحصل على شيء، وعاد ثانية فقيل له، فسد الأمر الكذا، وأخذ نسخة ثانية وأتعب نفسه حولين كاملين فما حصل على بُغيته، وكان ينوي العودة مرة أخرى فتوفي.

أما هذا الحقير، فعندي ما يقرب من أربعمائة نسخة بخط أساتذة هذا الفن، كما توجد لديّ أيضاً حدود ثلاثة آلاف نسخة صحيحة بخطوط غير أصحابها، كلما نظرت فيها لم أجد من يتحمل عبأ العمل بها، وإن وجد أحد فإنه لم يبلغ أوان ظهوره ولهذا لم أقل له شيئاً لأني لو قلت له لكان سبباً لتضييع ماله ووقته، ومن هنا أرجح السكوت، وان فسر الناس سكوتي بُخلاً ولكني أشهد الله على بطلان ذلك (شعر).

ما صُنع للرجال بيع للنساء — فاذهب واصنع للنساء يبتاعه الرجال

وحيث كانت هذه حالة الناس، قالوا: [هذا زمن السكون وملازمة البيوت]. لأن أهل هذا الزمان يريدون من يتبع هواهم، رجل دين كان، أم واعظاً أم خطيباً أم مفتياً.

دع الزاهد والشيخ والمفتي — واحتسي كأساً فما قالوه تزوير ورياء

---

(١) أي بالأخذ عن الشيخ.

وفي الحديث إن الله (عز وجل) يقول: «لا تجعل بيني وبينك عالما قلبه مفتون بحبّ الدنيا، فانهم قُطاع طريقي» وسُئل النبي عيسى عليه السلام، من نجالس؟ فأجاب: [من يذكركم الله رؤيته، ويزيدكم في العلم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله]. ولكن الناس يطلبون من يُحسِّن إليهم هواهم ويساعدهم على استحلاب دنياهم، ومثلهم في ذلك كمثل صاحب بقالة، توفي أبوه فأراد أن يستأجر من يُصلّي ويصوم قضاءً عن والده وكان عنده زقُّ دبس، وقع فيه فأر ومات فيه، فاتفق مع رجلٍ يصلي ويصوم قضاء سنةٍ كاملة عن والده، وأجرته ذلك الزق، وبعد مدةٍ أراد صاحب البقالة أن يتحلل من المُصلي، فأخبره أن ذلك الزق كان قد وقع فيه فأر ومات فيه، وطلب منه براءة ذمته! فقال له المُصلي لا أبرء ذمتك حتى تبرأ أنت ذمتي أيضاً! فسأله صاحب البقالة متعجباً، من أي شيء تطلب براءة الذمة؟ فأجابه المستأجر: من تلك الصلاة التي صليتها قضاءً عن والدك، وذلك أني كل ما ركعت فيها خرج مني ريح لا أعرف سببه وقد اتضح لي الآن سببه.

فهؤلاء الناس يريدون رجل دين، يتعاملون معه أوّلاً لمنافع دنياهم، ويفيدهم ثانية لآخرتهم، ولهذا تجد الأمور في هذا العصر لا تجري إلا بالمكر والخداع والعمل للدّنيا فحسب. «فارجع البصر هل ترى من فطور اني منذ بلوغي سنّ التكليف أمرت بصيام الأيام البيض وقراءة الآية [قل إنما] وفي هذه الأيام الثلاثة كانت تقرأ على هذا القلب القاسي **﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً﴾** ثلاثة آلاف مرّة ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا، لم يزل حبُّ اللقاء ثابتاً في قلبي. لا بُدّ من التخلص من حبّ الدنيا، [لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً]. قال النبي عيسى عليه السلام: [أنّ الزقّ ما لم يتخرّق أو يبخل يوشك أن يكون وعاءً للعسل]، **﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها**

أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾، فيا اخواني عليكم بموعظة الشيخ حتى تحيى قلوبكم الميتة، واعملوا عملاً صالحاً لعل الله يرزقكم لقائه.

ابـذلـوا أرواحكـم يـا عـاشقيـن   أن تكـونـوا فـي هـوانـا صـادقيـن
تهـون علينـا فـي المعـالـي نفـوسنـا   ومن طلب الحسناء لم يغله المهر
فـالـروح نقـداً أولاً تـأتـي بهـا   فـي وصلنـا ان كُنـت مـن خُطـابنـا

سَبقَ أن ذكرت لكم أكثر من مرة أن الباب مسدود في عصرنا، وأنتم تقولون وصل السالكون إلى المنزل ولكن الأمر غير ذلك.

كـذبتـك عينـاك أم رأيـت بـواسـطٍ   غلـس الظـلام مـن الـربـاب خيـالا

مرَّ عليّ فترة من الزمان وأنا أرى الناس صنفين لا ثالث لهم، صنف منهم أهل مكر وخديعة، والصنف الآخر السذّج البسطاء ذوو القلوب السليمة يحسبون السراب ماءً ويتخذون المسك المصنوع بدل المسك الأصيل، ولم أرى واصلاً إلى المنزل المقصود. إلا أنه لا ينبغي ترك السلوك، فالبون شاسع بين الواقفين خلف ذلك الباب المسدود، وبين التائهين في البيداء، لأن الواقفين خلف ذاك الباب، يعلمون أن معشوقهم في تلك الدّار غير أن الباب مسدود دونهم، أما التائهون في البيداء فهم لا يعلمون مصيرهم. ولا يدرون إلى أي ظلمةٍ يصيرون (شعر):

رب شيطان تلبس بصورة الإنسان   فاحذر أن تضع يدك في كل يد تمتد

نعم! فرق بين من يعلم أنه يسير في طريق واضح ولكن لا يدري متى يصل إلى المقصد وهو يعلم أيضاً أن [لو أدركه الموت فقد وقع أجره على الله]. وبين من يسير في بيداء مظلمة تميل به الرياح يميناً

وشمالاً وهو لا يعلم مصر أمره ونهاية سيره كتبتم أنه لا يعنيكم أمر أحد، ولكن ينبغي أن تعلموا، أن للأمور ملاكات متعددة فتارة تكون مرّة على الوجه التالي: إذا خلص إنسان أحداً من مشكلةٍ خلصه الله تعالى، وتكون مرة بصورة حكم يتوجه للإنسان [قوا أنفسكم وأهليكم] و [لا تجعل رقبتك للناس جسرا]، إذاً الانقباض والانبساط من مستلزمات الطريق ليعلم السالك (شعر):

ما لم يكن جذب من المعشوق   لا يجدي سعي العاشق الموبوق
فكل توفيق يحصل لك أيها الدرويش   اعتبره هدية الحق لا عملك أنت

ليعلم أن الحسنات كلها من الله، والسيئات كلها من عندنا، كما جاء في الحديث «أنا أولى بحسناتك». وعلى كل حال فإن الباب اليوم مسدود ولا تحصل فتوحات مثل ما كانت سابقاً، ولكني لا أقول أن يترك الطريق وينام، لأنه (شعر):

يألف العشاق هذا الاضطراب   سعيه الخايب خير من أياب
سعيُ وجدُّ يقتضي هذا السبيل   إياك والغفلة عنه يا خليل

عليك بتلاوة القرآن في الأسحار وتدبر معاني الآيات وإقامة الصلاة في وقتها وحضور القلب في الصلاة.

لا أدري ماذا حدث في هذا الزمان حيث تراكمت الأشغال وغلبت الموانع فعوّقتنا عن المقصد المطلوب.

إن القلم لا يفي بشرح بعض الأمور، ولكني أشير إلى أمرين. الأول، من واجب الإنسان أن يجدّ ويجتهد ليطمئنَّ أن الطريق الذي يريد سلوكه طريق حقّ، فإذا اتضح له الحق في سلوكه، لزم أن يكون صبوراً، وأن لا يَمُلَّ ولا يضجر إذا أبطأ الفتح عليه. وأن لا يبدأ الإنسان طريقه بدون علم ودراية فتراوده الشكوك في صحة طريقه

وصدق دليله.

الثاني: إن الإنسان إذا عمل بوظيفته هداه الله إلى الحق إينما كان وفي أي زمان ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾.

عليك بالتأمل في الصلاة والتفكير في أعماقها، وقراءه [رسالة، أسرار الصلاة] للشهيد الأول[1]، والتأمل في القرآن الكريم وقراءة المناجات الخمس عشرة في صباح كل يوم تقرأ واحدةً منهنّ، فإذا أتممتهن، أعد القراءة مرّةً أخرى من الأول وتدبّر في معنى الآية ﴿**ومن يتق الله**﴾، وسيُصلح الله لك الأمور إن شاء تعالى: ترجمة الشعر: .

لا تيأس إن طُردت اليوم عن المحبوب فعسى أن يدعوك غداً وإذا سُدتّ عليك الأبواب والطرقات يوشك أن يفتح لك باباً لا يهتدي إليه أحد وإذا سدّ الباب بوجهك فاصبر ولا ترجع عن بابه فانه سيدعوك إلى المحل الأرفع.

بلغوا عني جميع الأحباء، ان طريقتي غير ما سمعتم ليعلم الجميع أن طريقتي قائمة على تعظيم الشرع والإهتمام بأحكامه خلافاً لسائر الطّرق التي لا اهتمام لها بالشرع، كالسيّد حسن المرتاض الذي يقول: «لو أخبر المعصوم باستحباب الصيّام في الأيام البيض لخالفته في ذلك. إن للصلاة في طريقتي شأن عظيم فلتكن أهم أموركم، واعلموا رحمكم الله، إن مدار الأمر يدور على ثلاثة أشياء: السهر، والأكل الحلال، والتوجه في الصلاة وحضور القلب فيها.

وليداوم الإخوة على قراءة الأدعية التي أبعثها إليهم.

---

(١) المعروف أن أسرار الصلاة هو للشهيد الثاني الأول «المترجم».

يعتب البعض عليّ: إني لم أكرمهم بذكر خاص. الواقع أني لا أحبّ أن أفوه ببعض القضايا، لأني أرى طريقتهم السابقة خطأً وينبغي عليهم أن يبدأوا الطريق من الأول، أقول هذا لا من تلقاء نفسي بل حسب اجازتي من أحد المشايخ الأجلاء، وكل عمل أمرت به أو طريق دللتُ عليه فهو نقل عن ذلك الشيخ الجليل. أما أنا فجلّ اهتمامي في الصلاة لأنها معراج المؤمن، أما أن يرى الإنسان طيفاً أو طيفين، أو يشاهد نوراً عند تلاوته بعض الأذكار فهذا ليس بشيء ولا أعتني بهذا وكل ما يعنيني أمره فهو الصلاة والطعام الحلال، إذا صلح هذا، صلح ما سواه، وإصلاح القلب من أهم الأمور، ويُستعان على هذا كله بترديد هذا الذكر [يا حي يا قيوم] في الأسحار.

ولكن الإخوان يجهلون طريقتي ولا يرون إلا الطرق المتداولة في عصرنا، وهي مرفوضة عندي، ومن هنا يقفون موقف الردّ والاعتراض عليَّ ولو أمعنوا النظر ودققوا الفكر لظهر لهم حقيقة ذلك.

دمتم مؤيدين وموفقين، علمتُ المضامين وفيه أني كتبت لكم أن الماضي قد منعوا، إلا أني كنت قد كتبت لكم.

دع الماضين يذهبون حيث ذهبوا: (شعر).

العنف والجموح في الهوى قديم فليعتزل عن الهوى السقيم

أودّ لو كان بإمكاني أن أرى مناهج السابقين بأم عيني، كم باباً طرقوا وكم طريقاً قطعوا!.

فتح البعض في هذا الزمان باباً للتجارة في هذا السبيل، وألقوا حبالهم للاصطياد وما هو إلا ضُلّة وتضليل. يعمل أحدهم في دعوة الناس للانضمام إليهم، أنواع المكر والخداع [فهو لحلوائهم هاضم، ولدينهم حاطم] ولنعم ما قيل (شعر).

عانى الأوحدي مشقة ستين سنة فأتته السعادة في ليلة واحدة

عندما صحب النبي موسي الخضر عليهما السلام، وقتل الخضر ذلك الغلام طرحه موسى على الأرض وجلس على صدره وهمّ بضربه وقال له [أقتلت نفساً زكية بغير نفس]! فقال له الخضر، [ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا؟]، فقام موسى عن صدره واعتذر منه ولم يعاتبه على ذلك، ولكن لما أقام الخضر ذلك الجدار المنقض، وقال له موسى (ع) [لو شئت لاتخذت عليه أجراً]، قال له الخضر (ع) هذا فراق بيني وبينك! هذه طريقة الأجيرين لا طريقة العاشقين! أي لا تعمل من أجل الثواب (شعر):

كفاني في الحبّ أجراً أنني مقيم حيث أنت مقيم
فإن ابتغيت غير هذا حاجةً فللانصاف حقاً أنني لعديم

الكُبراء لزوم الابتعاد عن أهل المنكر، والإحتراز عن مجالستهم وقالوا، إن الضرر الذي ينتج عن وسوسة واحدة لا يمكن رفعه في سنين عديدة (شعر):

الصاحب السيىء أسوأ عاقبة من الأفعى فإن ضرر الأفعى يقتصر على جسمك فقط بينما الصاحب السيىء يضرّك في نفسك وايمانك.

﴿ربّنا أرِنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا﴾. وحكاية بنت كيخسرو، وعشاقها البؤساء كتبها الكبراء وهي معروفة تشير إلى هذا المعنى.

أسأل الله أن يثبتني على ولاية أهل البيت (ع) وحبهم، ولكن للطريقة وجوه أخرى، واني لستُ إلا خادماً، وبيان تلك الوجوه، وردّها أو قبولها ليس من شأني، بل هو اختصاص غيري. كتبت لكم فيما مضى عن رجل رأيته ليلةً يكثر من ادّعاء السلوك لنفسه، ويحسب

نفسه سالك طريقة ورأيت رجلاً جليلاً يخاطبه ويقول:

إنّك لن تصل الكعبة أيها الأعرابي   فإنّ طريقك هذا يوصلك إلى بلد آخر

يقول صاحب كتاب [مرآة المحققين]: لا ينعقد من نطفة الإنسان إلا النزر اليسير ويسقط الباقي، ثم بعد الولادة يموت بعضهم ولا يصل إلى حد التكليف إلا بعضهم. ثم إن بعضاً من المكلفين يسيرون في طلب الطريق إلى الله، وفي النتيجة لا يُنهي الطريق إلا واحد فيكون سالكاً، إذاً للسلوك مراحل وعقبات وشروط كثيرة.

نسأل الله أن يوفقنا للأدب فإن فاقده محروم من اللطف والفيض الإلهي وإن فاقد الأدب لا يُسيء إلى نفسه فحسب بل يقذف ناراً في جميع الآفاق.

لا أدري ما الذي حدث، حيث لم يبقى أحد يعرف من السلوك كلمةً واحدة كل يدعي الطلب وكفى. على كل حال أسأل الله أن لا يضعنا موضع الاختبار [وفرّ من الناس فرارك من الأسد والأفاعي] والسلام عليكم.

تفديك نفسي لقد تبدلت المقاييس في هذا العصر، وانعدم الصدق والأمانة تماماً بل أصبح من الأساطير، ومن يتحدث عن الصدق يُعدّ سفيهاً لا عقل له، تغيّرت طباع الناس فقد كانوا على حالة واليوم على غيرها.

سأل أحدهم عن الحديث القائل [علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل وأفضل من أنبياء بني اسرائيل] فأخذ الجواب ونشر فيه كتاباً، فرأيتم ما أحدث الكتاب من ضجة كأنما كان الأمر بمنزلة احياء ميّت وأهم من ذلك، فقد خُيّل لهم أن الجنان والأنوار والدرجات العالية كلّها طوع

أيديهم. أما أنا فلا أرى نفسي أهلاً لذلك. وأرى الطريق مسدود في هذا العصر. كان أملي فيك أن تصبح مؤهلاً لإرشاد الناس تعين الطالبين لهذا المسلك. إلا أنك تسأل، عن سلوك أودية الفقر السبعة. قلت لكم أن الطريق مسدود، فإن كان القصد انتحال هذه الظواهر وادعاء الحصول على هذه المراحل، فلستُ بفاعلٍ ذلك. **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾**.

والفرض من قولي أن الطريق مسدودان، هو الأودية السبعة التي كانوا يجتازونها سابقاً. وأؤكد لكم كما سبق أيضاً أن جوهر طريقتي وأساسها مبني على الصلاة وفهم معانيها ونكاتها جزءاً بجزء، فعلى طالبي هذه الطريقة أن يفهموا معنى أجزاء الصلاة وأعمالها ثم التأويلات التي ذكرناها والنكت الأخر فيها، كما عُرف من حالة مولانا الصادق عليه السلام، في كلمة [إياك نعبُد] حيث كررها حتى غشي عليه.

أما عدم الإعتناء بالأحكام الشرعية والركون إلى الأذكار والإكتفاء بها فهو مرفوض عندي. ينبغي أن تؤخذ الطريقة من الشريعة وأنا طالب لهذا المقام وسالك هذا الطريق، فليعلم كل المنتسبون إلى ذلك، إن الحقيقة التي نحن في طلبها لا يمكن تحصيلها إلا من الشريعة فحسب كما عمل أئمتنا عليهم السلام وتعلمها مشايخنا. أما طريقة الآخرين فتختلف عن طريقتنا ولسنا من الطالبين أو السالكين لها.

الله يعلم أن عقيدتي غير ما نظن، ولكن ما الذي أصنعُه، فأنت تظن غير ما أتصور، وأعلم أن كل ما لدي قد حصل لي من هذه الطريقة ولكن تحتاج إلى الصبر، وذلك ليس بطوعي، حيث لم يشأ الله ذلك.

كـــن عـــن أمـــورك معـــرضـــا وكـــل الأمـــور إلـــى القضـــا

تفديك نفسي هكذا كانت طريقتي، فدع تصرفاتك جانباً وكل نفسك إلى الله ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾؟ أسأل الله الفرج القريب. ومعنى التوكل أن يكل الإنسان أمره إلى الله وكفى..

على الله توكل في أمورك حافظ يكفيـك جُهـداً فـي الحيـاة الـرازق

قلت مراراً ان هذا ليس كلامي ولا هو من تقريري بل أنقله لكم عن شخص جليل القـدر هو ذلك الشخص الذي قال لك في عالم الطيف «أنت أيضاً ذهبت». ما كان يخصُّني من كتابة الدعاء فقد أجزتك وأما ما كان من تعليم ذلك الشخص الجليل وأوامره فقد ذكرتها لك، فرفضتها، ولم يبق عندي شيء، أخلصتُ لك الولاء فرددت ذلك.

ملخص الكلام إن ما يقرب من ثلاثين نفراً كانوا يستهدون ويسترشدون بك ويلجأون إليك وقد تركتهم في حيرةٍ واضطراب لكلمة سمعتها من شخص واحد. وقد سبق أن ذكرت لك أني رأيت ذلك الشخص في عالم الرؤيا، في وسط جماعة وهو يدعّي لنفسه ما لا يليق به، وهناك شخص جليل القدر يَرُدّ عليه بهذا البيت:

إنك لن تصل إلى الكعبة أيها الأعرابي

فإن طريقك هذا يوصلك إلى بلد آخر

ومع هذا ما كان ينبغي لك أن تقتفي أثره.

كنت قد طلبت منّي النصيحة، فقلت لك اني لا أرى نفسي أهلاً لذلك ولكني أُعلمك شيئاً تعمل به ما دمت لم تحظى بمن هو أهلٌ لهذا المقام، فإن حظيت به فاترك ما علمتُك واعمل بما يأمرك به. فإن كنت قد حظيت الآن بذلك المرشد الكامل فما حاجتك عندي؟ وإن

كنت لم تحظ به حتى الآن فلِمَ تركت ما علمتك؟ ثم اني لم أكن إلا واسطة بينك وبين صاحب التعاليم! فإذا كنت أنت الذي تركت ذلك فما الذي أصنعه أنا؟ فإن قلت لم أترك ذلك، فعليك بالمداومة عليه ولا حاجة إلى الاستئذان ثانية.

لا تغفل عن بلاء هذا الزمان ونحاسة أهله! لا أدري هل اتفق لك أن كنت في صحراء فأصبت بعاصفة شديدة تخالفُك في المسير بحيث لا تبقى طاقة لأحد على الحركة أصبنا ليلةً برياح عاصفة على مثل ما ذكرت لك، فأنزلنا المحامل، وانكبَّ الناس على وجوههم لشدة تلك العاصفة التي رَمَت وجوهنا بالرمل والحصى، ولم تبقِ لأحد قدرة على الحركة، حتى الرواحل فقدت قدرة السير، هكذا نحن في هذا العصر فإن العواصف والتيارات المخالفة للمسير قد منعت الجميع من الحركة والتقدم إلى الأمام. ثم إن للسالك انقباضاً وانبساطاً يتُمُّ فيه أمره، وبقدر ما يمتد أمد الانقباض ينبسط أيضاً:

ليس بحزم سالك الطريقة | سعيك كشف غامض الحقيقة
لم يقطع السائر درباً في سَفر | إذا ابتغى للبُعد والقرب الخبر

ينبغي على الإنسان أن يتحقق أولاً من طريقة سلوكه، فإذا اطمأن أن طريقه حق سار غير مبالٍ بالتأخير في الوصول ولنعم ما قيل:

لا تترك الطلب فإن الهلاك في سبيل التقوى
هو عين الوصول إلى المنزل المطلوب

﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركُه الموت فقد وقع أجره على الله﴾[1].

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٠.

المثل المعروف يقول: «ما يتمنى الأعمى؟ عينين بصيرتين» وجدير بالذكر أن «إن قلت، أن قلت»[1] لا يُجدي نفعاً في هذا الطريق ولا أقصد بذلك أن يكون الإنسان بسيطاً يصدق كُل ما يسمع، فإن هذا حالة سيئة جدّاً سيما في هذا الزمان الذي أصبح فيه حصى البر من السُواق أيضاً.

خليلي قطاع الفيافي إلى الحُمى كثير وإن الواصلين من قلائل

ينبغي على الإنسان أن يبحث بدقة في بداية الأمر، كي لا يتبع من ليس أهلاً للاتباع، ولكن إذا اطمأن أن دليله مؤهل، لذلك ليترك البحث والجدال. وأن يعتني بين جميع أموره بأمرين هما أساس عمل هذا الحقير.

الأول: حليّة طعامه، ليعتنى بهذا الأمر أشد الاعتناء، ولكن لا إلى حد يصبح عاطلاً عن العمل بل بالحد المقدور.

الثاني: حضور القلب في الصلاة والالتزام بإقامتها في أول وقتها، فإن «الصلاة عمود الدين إن قبلت قُبل ما سواها». أضعنا ظواهر الشريعة شيئاً فشيئاً وبقدر ما قويت طريقة الأصول، ضعفت طريقة الاحتياط، حتى بلغ الأمر إلى ما بلغ، فعليكم بالتقيد بالظواهر والمستحبّات والاحتياطات وليكن بالنمط الأوسط قسموا وقتكم بين الطلوعين أربعة أقسام، قسم للأذكار والتسبيح، وآخر للأدعية، والثالث لقراءة القرآن والأخير في محاسبة أنفسكم على أعمالكم في اليوم المنصرم، فإن كنتم قد وفقتم لطاعةٍ فاشكروا الله على ذلك، وإن كنتم لا سمح الله قد ابتليتم بمعصيةٍ فاستغفروا الله. تصدّقوا كل يوم ولو بمالٍ قليل. فكروا في الليالي بحقارة الدنيا، وتقلباتها واعتبروا بما

(١) كناية عن الجدل والمشاجرة.

صنعت بأهلنا.

يقال إن ما يأكله الإنسان ثلاثة أنواع، وكذلك يمكن تقسيم معاشريه إلى ثلاثة أنواع: نوع منهم بمنزلة الطعام اليومي، والنوع الآخر بمنزلة الدواء الذي يحتاج إليه في السنة مرة واحدة، والنوع الثالث بمنزلة السم الذي يلزم اجتنابه.

أخ السوء لا تصحب واجتنبه فإنها نصيحة الشيخ من دكة الخمار تأتيكا

اشكروا الله الذي وفقكم للاشتغال بذكره في هذا العصر الذي هبّت عواصف الغضب الإلهي التي تقلع الأشجار العتيقة من جذورها، (كأنهم اعجاز نخل خاوية) ينبغي الصبر والتضرع، والله يصلح الأمور إن شاء.

لا تغفلوا عن مشاهدة المحبوب ذرفة عين لعله يلحظكم بلحظةٍ وأنتم في غفلة عنه.

(إن لربكم في أيام دهركم نفحات)، كثرت شكوى الأخوان من الهواجس النفسية قولوا لهم ليتدبّروا الآية الكريمة في آخر سورة الفرقان، **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾**، انظروا كيف وصف الرب عباده حاولوا ما استطعتم أن تؤدبوا، أنفسكم بتلك الآداب وعلى أي حالٍ لا تُضيعوا وصية الله ورسوله (ص) والأئمة (ع) والمشايخ الكرام في التقوى. نعم عصرنا هذا، عصر التقدم، ومشايخ هذا العصر تقدموا حتى فاقوا الأئمة (ع)!! وصاروا يأذنون لمرُيديهم [اتباعهم] أن يتصرفوا، بأي مالٍ وحيثما وُجد، بينما لم يصلنا حكم كهذا من الأئمة كي نأذن لكم التصرف في كل مال. كان قطب الأقطاب الشيخ صفي

الدين الأردبيلي، الذي هو شمس حقٍ لا نظير لها، له عناية شديدة بهذا الأمر. حتى نُقل أنه اجتمع يوماً بعلاءِ الدولة السمناني في مجلس السلطان وعندما وُضعت المائدة امتنع من أكل الطعام، فقال له السلطان: إن كان طعامي حراماً كيف يأكله علاء الدولة؟ وإن كان حلالاً فلم لا تأكل أنت؟ فاعتذر الشيخ بأن علاء الدولة بحر والبحر لا يتنجس. وعندما أشكل عليه أحد مريديه بسبب أكله من مال طائفةٍ معروفة بالسرقة، أجاب الشيخ: متى رضيتُ أنا ذلك يا بُني؟ ولم يقل أنا قطب ولا مانع من أكلي كُل شيء. أنا منذ أول عمري ما أحببتُ الاختلاط والاندماج بالناس، تصفحت ليلةً كتاب [مجمع البحرين] قبل أن أبلغ الحلم، فوقفت على حديثين أحدهما: قال معروف الكرخي للإمام الصادق (ع): [أوصني يا بن رسول الله]، فقال له الإمام: [أقلل معارفك]، قال معروف زدني قال الإمام [أنكر من عرفت].

لا أدري ما الحكاية، يقول الله (عز وجل)، [يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد]. عندما أردت أن أختار لي زوجةً، قلت لصديقٍ لي اني أتحذر وأحتاط في هذا الأمر كثيراً، وأنا على يقين ان هذه الإحتياطات مقدمة لوقوعي في البلاء فيما إذا كان قد حُفر لي بئراً في هذا الطريق، فقال لي صديقي إذاً ما معنى الإحتياط؟ قلت: هو تكليف ولا بد من العمل بالتكليف. وفيما يَخُصُّ أخي فقد ورد في الحديث عن الرسول الأكرم (ص): [ما أخاف على أمتي الفقر ولكن أخاف عليكم سوء التدبير فعليكم بحسن التدبير]، كُلما أردت أن أكشف له حقيقة الأمر لم أستطع بل رأيته يحسب سوء تصرّفه توكُّلاً على الله، فهو لا يعير أي اهتمام لما أقول، ومن هِنا فلا مفرّ من وقوعه في البلاء. ينبغي أن تُؤخذ العقائد من أهلها كما تؤخذ مسائل الصلاة من الطهارة والشك والسهو من أهلها.

ولكننا نجد كل من سُئِل عن أصول العقائد في هذا الزمان، أجاب حسب تصوّره كما قالت تلك الضعيفة: [أفديك يا رب، كيف يوجد نوعان من الجوّ على سطح دارٍ واحدة، جوٌّ حار في جانب من سطح الدار، وجو بارد في الجانب الآخر؟]. إنه لا يكل أموره الدنيوية لأحد بل يتشبث بكل حيلة وخديعة وتزوير، ولكنه في الأمور الأخروية يتوكل على الله ويقول إن الله غفوراً رحيم **﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾**. إن التدبير والاحتياط ضروري وإن كان الجميع خاضعين لقلم التقدير.

إذا جاء القضاء صار السكنجبيل[1] سبباً في زيادة الصفراء وسبّب زيت اللوز يبوسة وزادت الإهليلج في القبض وصار الماء كالنفط يزيد النار لهباً وصراما.

﴿فاعتبروا يا أولي الألباب﴾. يقول العلامة الفيض قدّس سره:

أنا كالسمكة الضعيفة في شدة جريان الماء لا أملك أمري وإن كان مفوضاً لي.

قال الوالد رحمة الله عليه، عندما اتصلت في النجف بالمرحوم السيّد مرتضى الكشميري قلت له: ثبت عندي بالمكاشفة والقرائن الموجودة انّي من ذريّة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فأجاب السيد، الأولى أن تسلك طريق الاحتياط فتجتنب الصدقات. قال الولد كنت أكتب للسيد مرتضى بالأجرة، بثمن ثلاثة توامين لألف سطر من الكتابة، وحيث أن استنساخي كان عارياً من الأغلاط كان السيد يعطيني أربعة توامين، ولهذا فقد كان مديناً لي فدخلتُ عليه يوماً وقلت له منذ أسبوع لم آكل شيئاً وما كان افطاري إلا على الماء.

---

(١) شراب يصنع من الخل والسكر يمزجان بنسبة ١٧٥ جزء سكر و ١٠٠ جزء خل فيوقد على المزيج حتى يغلي وهو نافع للحمى وقاطع للصفراء.

أرجو أن تعطيني شيئاً من ديني إذا أمكن ذلك. فقال لي السيد، ليس عندي من المال ما تأكله أنت: فدخلت صحن حرم أمير المؤمنين (ع)، وشكوت له حالي، وقلت، منذ اسبوع لم أذق الطعام، فظهر لي الإمام في حالة المكاشفة وقال: أما تستحي جئت تشكو انك لم تذُق الطعام منذ أسبوع بينما حفظناك من المعاصي في مواطن عديدة، وذكر لي علائمها، فحصل لي خجل شديد امتنعت معه اسبوعاً من الزيارة خجلاً من عتاب أمير المؤمنين (ع).

وهذه رسالة عُثر على سوادها بخط الوالد في كرّاس من أوراقه، يظهر أنه كتبها إلى المرحوم السيد مرتضى يطلب منه أن يُرشده إلى مهنةٍ يكتسب بها فأمره السيد بالكتابة وهذا نصّ الرسالة:

(الرسالة الأولى): روحي فداك:

سلام من الرحمن نحو جنابكم فإن سلامي لا يليق بباكم

نسأل الله تعالى أن يمد ظلكم الداني العالي على رؤوس الداني والعالي بل نسأل أن يُستدام حتى يستدام علينا أنعامه بحق الحق والنبي المطلق.

وبعد فاعلم يا سيدي أني بعد التسليم عليكم، والدعاء لكم، ما أردت من هذه العريضة الا كشف حالي لديكم وقد قال جدّي علي عليه السلام.

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً فلقاؤه يكفيه والتسليم
وإذا رآك مسلماً ذكر الذي حملته فكأنه ملزوم

فاعلم يا سيدي: إني وإن أتلفت شطراً من عمري في بيداء الجهالة، وانقضى شبابي في فيافي الغواية ولكن: لقد منّ الله عليّ قبل إشراف شمس الشباب على الأفول؛ وتمكن كواكب القوى في زوايا

الخمول، فأبصر، عيني بنور العناية، وهداني إلى طريق الهداية.

فشمرت عن ساق الجد والطلب، وصرفت عناني نحو العلم والأدب وتركت في طلبه الأقارب، والأباعد، ورفضت في تحصيله لأماثل والأماجد، وتخليت بالي عن كل هم يزاحمه، وأخرجت عن قلبي كل غم يصادمه، ولكن بقي لي هم يزاحمني أشد التزاحم وغم يصادمني أصعب التصادم، وهو هم الكتاب. والأسباب الذي حار لعدمه أولوا الألباب. فشكوت حالي إلى الله ثم إليك وجعلته في دفع همي شفيعاً لديك.

شفيعـــي إليـــك الله لا شـــيء غيـــره   وليـــس إلـــى رد الشفيـــع سبيـــل

فالمسؤول في جنابكم أن تقرر لي شهرية تدفع بها الهموم ويرفع منها الغموم، واشتغل فراغ البال، بالدعاء والتحصيل، والدعاء لكم. كيف وقد أنار نوركم الأقارب والأباعد، وأسنى ضياؤك الداني والأماجد، وأفاض فيضك على القديم والجديد سيما طلاب العلوم، ولا سيما أهل بيت النبي المعصوم. ولنعم ما قيل بالفارسية (ما مضمونه).

أربعة أمور لو جمعت في حجر صار ياقوتا.

طهارة الطينة وكون الأصل جوهرا والاستعداد والتربية وجميع تلك الصفات الثلاث موجودة في لكن يجب أن تكون التربية منك إذ أنك شمس العالم التي تزينه.

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

اعلم أن التوحيد على ثلاثة أقسام: توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال. ومقابل كل واحد من هذه الثلاثة يتصور الشرك الجلي والشرك الخفي. وتجري على الشرك الجلي أحكام الكفر. فالقابل للتصور إذا ثلاثة أنحاء من التوحيد وستة أنحاء من الشرك. ويمكن القول بوجود توحيد رابع أيضاً، وهو التوحيد في العبادة. فإذا يمكن فرض أربعة أنحاء من التوحيد وفي مقابلها ثمانية أنواع من الشرك، أي أربعة أنحاء من الشرك الخفي وأربعة من الشرك الجلي.

أما التوحيد الأول أو «توحيد الذات» فهو أن يعتقد الإنسان ويعترف بوجود واجب الوجود وبأن منبع الوجود واحد لا اثنان. والشرك المتصور في مقابل هذا التوحيد جليّ وخفي.

الشرك الجلي هو أن يقول الإنسان كالثنوية بوجود واجبي وجودة أحدهما يزدان (الله) والآخر أهريمن (الشيطان)، ويعتقد بأن جميع الموجودات مرتبطة بهذين المنبعين الرحماني والشيطاني فيزدان (الله)

منبع الخيرات واهريمن منشأ السيئات.

وسبب شبهة الثنوية هو أنهم حيث يرون الخيرات والشرور وكذلك النفوس الطيبة والشريرة موجودة إلى جانب بعضها في العالم كمثل الشوك والورد والغراب والبلبل والنور والظلمة والعلم والجهل والكفر والإيمان والرفق والخرق والعسل واللدغ والسم والترياق، فاستنتجوا أنه لا يمكن نشوء شيئين متضادين من منبع واحد، ولذا قالوا بوجود منبعين أحدهما منشأ للخيرات واسمه الرحمن والآخر منشأ الشرور واسمه أهريمن.

يقول النبي عيسى (ع): «زِنوا باطن الشخص بكلماته وأعماله» إذ أن نبتة الشوك لا تحمل التين. فكل ما يرشح من اللسان فهو نابع من القلب. والشخص الفحاش والبذيء، حيث أن قلبه معدن للنجاسات يرشح ذلك من لسانه إلى الخارج أيضاً. ولذا عندما أساء أحدهم القول للنبي عيسى (ع) قام (ع) بالدعاء له. فسألوه: إن هذا الشخص قد أساء وأنت تدعو له؟ فأجاب (ع) أن كلا ينفق مما في خزائنه.

القمر يشع بالنور والكلب ينبح فكل إناء بما فيه ينضح

فلقد انفق علي من خزائنه وأنا أيضاً لم أبخل وأنفقت عليه من خزائني.

والخلاصة أن الثنوية وبسبب مشاهدتهم الخيرات والشرور في العالم قالوا بوجود واجبي وجود غافلين عن قوله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾** فالله تعالى خلق النحل وأعطاه العسل واللدغ، والإنسان أيضاً تارة تغلب عليه الخيرات فيشتغل بالعبادة وتارة تغلب عليه الحالة البهيمية فيشتغل بالشهوات.

والثنويه بعد الاعتقاد بوجود مبدأين، ولاعتقادهم بأن الرحمن

يصلح واهريمن يفسد فهم يرونهما في حالة صراع مستمر، ولكنهم يعتقدون أن ﴿العاقبة للمتقين﴾ وفي آخر الأمر سيتغلب يزدان على أهريمن.

قد قلنا إن توحيد واجب الوجود، أي الوجود الذي لا يفتقر للغير والذي هو غني بالذات له ثلاثة أو أربعة مراتب. وأحياناً يمكن للبعض أن يمتلك جميع تلك المراتب، كما يمكن أن يكون واحداً لبعضها ومشركاً في باقي المراتب مثلاً من الممكن أن يكون هناك شخص موحّد في المراتب الثلاث الذات والصفات والأفعال لكنه في مرتبة العبادة مشرك، وإلا فليس من المعقود أن يعتقد أحد أن ذلك الصنم الخشبي الذي قد نحته بنفسه هو خالقه. والمراد من التوحيد في مقام العبادة هو أن: ﴿لا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾.

وباختصار قد قلنا أنه يوجد أربعة مراتب من التوحيد وثمانية من الشرك أولها توحيد الذات ويقابلها الشركان الخفي والجلي. لا يبدو أن هناك قائلاً بالشرك الجلي سوى طائفة المجوس الذين كانت متشابهات كلام زرادشت سبباً لشبهتهم فصاروا يقولون بوجود مؤشرين، كما رأوا بفطرتهم أنه لا يصدر من الشجرة الطيبة سوى الطيب ومن الشجرة الخبيثة إلا الخبيث، فلذا قالوا بالمبدأين «يزدان» و «أهريمن»، وبحسب الظاهر فدليلهم متقن إذ أن معطي الشيء يجب أن يكون هو نفسه مالكاً له، وإلا فلا يمكن لفاقد الشيء أن يعطيه.

ولقد ذكروا أجوبة عديدة حول هذا الاشكال، منها جواب المعلم الأول أرسطو الذي كان في صراع مع الثنوية. وبحسب كلام أرسطو فكل ما في العالم يتصور على خمسة أقسام فهو أما خير محض أو شر محض أو مركب من الخير والشر، والقسم الآخر يشمل ثلاثة أقسام إذ أما أن يكون خيره أكثر من شره أو يكون شره أكثر من خيره

أو يكون خيره وشره متساويان. لكن من هذه الأقسام الخمسة هناك قسمان موجودان ومخلوقان والأقسام الثلاثة الأخرى معدومة. إذ أن الشر المحض وكذلك ما يكون شره غالب على غيره لم يخلق أبداً، وما يكون خيره وشره متساويين حيث أن خلقه لغو فلذا لم يوجد. فالموجودات اذن تبقى منحصرة بما هو خير محض وما هو شره أقل من خيره، بناء على هذا فالشرور التي نراها في العالم ناشئة من ذلك القسم من الموجودات التي خيرها غالب على شرها. مثلاً عندما يهطل المطر تحيى بسببه الأرض والحيوانات، لكن في نفس الوقت يمكن أن تخرب بعض البيوت أيضاً أو تهلك بعض الموجودات بسبب السيل. فإذا وإن كان المطر شر بالنسبة للمتضررين إلا أنه كان خيراً بالنسبة للنباتات والحيوانات التي استفادت منه. وكذلك على نحو المثال لو ابتلى عضو من الأعضاء بمرض الشقاقلوهن[1] وصار من اللازم قطعه لمنع سراية المرض إلى سائر أعضاء البدن، نقطعه وإن كان بالنسبة له شراً لكنه سيكون خيراً بالنسبة لباقي الأعضاء. وبشكل عام ففي أمثال هذه الأمور حيث أن الشر القليل لا يعتنى به بالنسبة للخير فلذا لا يعدها العقلاء شراً.

والكثير من الحكماء والمتكلمين ارتضوا هذا الجواب وإن كانوا قد أجابوا بإجابات أخرى أيضاً لكن الظاهر أن هذا الجواب كان مجرد اسكات للخصم أو أنهم قد وقعوا فيه بالسهو، إذ أن هذا النحو من الاستدلال يسبب عدم توجه المخلوق إلى الله وتراخي العباد في عبوديتهم لله، إذ يكون حاله حال سلطان يجلد أحد رعيته من دون سبب ليتأدب الآخرون أو يتجاوز برد الشتاء الحد بشكل يهلك بسببها العجائز والفقراء لكي يستفيد باقي الناس ويهنأوا بالربيع، من البديهي

---

(١) مرض يصيب العضو يفقده الشعور ويفسده ويسمى بالفرنسية Sphcéle.

ان هذا الأمر يسبب سلب توجه الفقراء لله عز وجل، مع أن الأنبياء عليهم السلام قد بعثوا لترغيب الخلق بالله وليكونوا سبباً في محبة العباد له عز وجل ففي الخبر:

«يا موسى أحببني وحببني إلى مخلوقي. فقال يا إلهي أحبك فيكف أحببك إلى مخلوقك؟ قال: اذكر نعمائي وآلائي».

والإشكال الآخر في هذا الاستدلال هو أنه يستفاد منه عجز الله عز وجل. بناء على هذا فمن الأفضل أن نرى أولاً ما هو الشر.

بشكل عام يجب أن يعلم أن النقص والشر الأساس أمر عدمي، فالجهل يعني عدم العلم والكل يفي عدم الشعور والمحموم هو الشخص الفاقد للصحة. كل النقائص والشرور تؤدي إلى الأمور العدمية بفارق أن النقائص عدميات تكون ملكة لكنها لم تصل إلى حد الفعلية كمثل العمى أي عدم البصر الذي هو نقيصة بشرط وجود القابلية. من هنا فمفهوم العمى لا يستعمل بالنسبة للحائط إذ الحائط ليس له استعداد وملكة الرؤية.

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على الكمال

وكل الآلام والمتاعب إنما هي بسبب أنه يوجد في الشخص استعداد وقوة لكن لا قدرة لديه للفعلية. البعض يمتلكونه الاستعداد والبعض لا يمتلكون لكن بشكل عام فكل من كانت قوته واستعداده أقرب للفعلية يكون تألمه أكثر.

وبهذا الترتيب فالشرور في العالم أمور عدمية وفي النتيجة لا حاجة فيها للمنشأ وعلى هذا الأساس يبطل اعتقاد الثنوية.

الجواب الآخر على إشكال وجود الشرور في العالم، هو أن ما نراه شراً فهو في الحقيقة ظاهره الشر لكن باطنه الخير ورؤيتنا له شراً

ناشئة عن ضعف عقلنا. وبحسب قول «سنائي»:

ما هو موجود من بلاء وعافية   إنما هو خير محض والشر مجرد عارية

﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾[1].

مثلاً لو ظهر دم فاسد عن الطفل وقاموا بفصده فالطفل وبسبب ضعف عقله يرى عمل الفصد هذا شراً ويجزع ويفزع. أجل ولو كان شخص ما لا يعتقد بعالم آخر غير هذا العالم والعياذ بالله فمن الممكن أن يقول أنه لا يوجد موجود أكثر ظلماً من الله. إذ أنه يخلق شخصاً في منتهى حسن الصورة مع تهيئة الأسباب وصحة البدن ويخلق آخر في منتهى القبح وفقدان الأسباب والفقر والمرض الدائم. وهذا الأمر لا يختص بالإنسان وإنما يصدق على جميع الموجودات، إذ ترى مثلاً حماراً أبيض حسن الشكل دائم النوم في معلفه يشرب المرام ويتداوى وإذا امتطوه مرة في الأسبوع أيضاً فإنما يكون مطية لإحدى السيدات وبسرج جديد ومقعد مخملي. ومن جهة أخرى نرى حماراً متورطاً مع فلاح ولا يأكل في جميع عمره سوى التبن وذلك ليس بالمقدار الكافي أيضاً كما يحملونه الأمتعة أيضاً بشكل دائم بسرج عتيق ويكثرون من ضربه إلى درجة جريان الدم من بدنه. وهذه الحكاية يبينها مولوي في المثنوي بشكل جيد. أما لو قلنا بوجود نشأة أخرى واعتقدنا بوجود عالم آخر غير هذا العالم فسوف نقول:

ذاك الذي وضع أسس هذا العالم   أعطى لكل شخص ما يليق به

وهذا الحديث أيضاً شاهد على هذا المطلب:

«إن من عبادي من لا يصلح لهم إلا الفقر ولو أغنيته لفسد دينه

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦.

وإن من عبادي من لا يصلح له إلا المرض ولو كان صحيحاً لفسد دينه وأنا أرأف بعبادي أذودهم عن موارد الهلكة كما يذود الراعي غنمه عن موارد الهلكة».

وكليات المطلب ما قد ذكرناه أما فهم جزئياته فليس ممكناً لغير الأنبياء والأولياء. وكمثال على ذلك لو رجع شخصان مريضان إلى طبيب فوصف لأحدهما المزعفر مع عصير الفواكه وللآخر مسهلاً مراً وأنت لا تستطيع أن تفهم علة ذلك لكنك تعلم اجمالاً أن خير كل منهما هو في ذلك الشيء الذي قد وصف له. أجل فكما أن مساعد هذا الطبيب يفهم جزئيات وعلة أمره ذلك فكذلك الأنبياء والأولياء أيضاً يستطيعون ادراك وفهم الجزئيات المتعلقة بالمشيئة الإلهية في الخلق. يقول النبي عيسى عليه السلام: «طوبى لكم أيها الفقراء لأنكم في الملكوت من الأغنياء طوبى لكم».

فاتضح إذا أن ما في هذا العالم وإن كان بعضها ظاهره الشر في نظر ذوي الفكر القاصر والعقول الضعيفة لكنها في نظر أهل النظر والفهم والمعرفة كلها خير محض. كما أنه عندما آمن السحرة بموسى (ع) قال فرعون: **﴿ولاصلبنكم في جذوع النخل﴾**[1] فقالوا في الجواب: **﴿لا ضير انا إلى ربنا منقلبون﴾**[2] وبهذا الجواب قد نفوا الشر والضرر.

فعلم بهذا النحو أنه لا يوجد أي شر وضرر في العالم. لكن من الممكن للإنسان أن يضر نفسه ويجعلها جهنمية ويبدل الخيرات الإلهية تجاهه بالشر مع أن ما خلقه الله تعالى هو خير محض.

---

(١) سورة طه الآية ٧١.

(٢) سورة الشعراء الآية ٥٠.

«الخير في يديك والشر ليس إليك»[1].

كما أنه سُئل النبي عيسى (ع): «من الذي أدبك»؟ فقال: «الذين لا أدب لهم». من المسلم به أنه لم يخدم الصلحاء أحد مثل الشيطان. وكم هو حسن ما قيل:

أعداء العالم في مذهبي أصدقاء والأصدقاء أعداء.

إذ أنه لو لم يكن الشيطان موجود لما ظهر المقام السلمان بناء عليه فقد كان للشيطان غاية النفع بالنسبة للأولياء.

(ترجمة شعر) جفاء الخلق هذا لك في هذا العالم كنز ذهب مخفي لو تدري.

فليس إليك الخلق وينازعوك لكي تضطر التوجه بذاك الإتجاه (أي نحو الله).

بناء عليه فكل ما في الغالم خير محض بفارق أن بعضه خير باطناً وظاهراً وبعضه خير باطناً لكنه بنظر قصيري النظر شر ظاهراً. يقول سنائي:

ما هو موجود من البلاء عافية وخير محض والشر مستعار

كان هذا بحثاً قصيراً حول الشرك الجلي الذي هو مقابل توحيد الذات.

أما بالنسبة للشرك الخفي: فالقائل بالشرك الخفي ليس نجساً وهو وإن كان مخلداً في العذاب باطناً إلا أن أحكام الشرك ليست جارية عليه. وكم هم كثيرون أولئك المسلمون في الظاهر لكنهم في الباطن مشركون، مثل الأشاعرة والمجسمة (أي الذين يعتقدون أن الله

---

(١) من دعاء يقرأ قبل تكبيرة الاحرام للصلاة.

جسم). فهؤلاء وإن كانوا محكومين بالطهارة ظاهراً لكنهم في الباطن نجسون، إذ أنهم يعتقدون بالتوحيد ظاهراً ولا يرون عدو الله متكثراً ولكن لازم اعتقادهم وكلامهم الشرك وذلك أن الجسم مركب من الصورة والهيولى ويحتاج لمكان. بناء عليه فلازم هذه العقيدة الاعتقاد بتعدد القدماء.

العوام والنسوان غالباً من المجسمة وهم بهذا اللحاظ يمتلكون شركاً خفياً لكنهم طاهرون إذ لو حكمتم بنجاستهم يلزم العسر والحرج والحرج أيضاً على قسمين: نوعي وشخصي. وفي الحقيقة فالقسم النوعي منه ليس حرجياً.

طريقة معرفة الله

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[1].

بمقتضى هذه الآية يوجد ثلاثة طرق لمعرفة الله:

الطريق الأول: الذي هو طريق عموم الخلق، هو التوصل إلى وجود الحق عن طريق مشاهدة الآيات والعلائم الآفاقية (عالم الطبيعة)، وكل العالم آيات الله وعلاماته. عندما يرى الإنسان الدخان الذي هو علامة النار يحكم مباشرة بوجود النار لكنه يرى جميع هذه الآثار والعلائم في العالم ولا يتأمل مع هذا في وجود الصانع. وبشكل عام فأكثر الناس غافلون على الآيات الأنفسية.

يقول النبي عيسى عليه السلام:

«يا أبناء الأفاعي ترون القشة في عيون إخوانكم ولا ترون الغصن فيكم».

الطريق الثاني: الذي هو طريق الخواص، هو التعرف إلى وجود الله عن طريق الآيات الأنفسية. أقرب شيء للإنسان هو قلبه لكن مهما

(١) سورة فصلت، الآية ٥٣.

حاول الإنسان فإنه لا يقدر على التصرف فيه، إذ تارة هو ضاحك وأخرى باك[1] ومن هنا يتضح أن «قلب المؤمن بين اصبعي الرحمن يقلبه كيف يشاء».

سيقول الإمام علي عليه السلام: «عرفت الله بفسخ العزائم ونقض الهمم».

الطريق الثالث: هو طريق الأولياء الذين يرون الله ويستدلون به على نفسه. كما قالوا: «يا من دل على ذاته بذاته»[2] وكذلك «بك عرفتك ولولا أنت لم أدر ما أنت»[3] «هل تعرف الله بالخلق بل الخلق تعرف بالله».

في اثبات الصانع أقرب الطرق هي اقامة البرهان من الوجود على نفس الوجود، إذ الوجود أما غني لا يحتاج للغير أو فقير محتاج للغير. ففي الصورة الأولى يكون واجباً وفي الصورة الثانية ممكناً. فكل وجود يكون منبعاً وغير محتاج فهو واجب الوجود. والوجود البحت لا يحتاج إلى علة إذ أن ظهور وبروز الأشياء يكون بالوجود وظهور الوجود بنفس الوجود. والذاتي ليس معللاً وإنما العرضي هو المعلل، فإضاءة البيت من نور الشمس ونور الشمس من نفسها البحث عن علة تحقق الماهيات ووجودها أمر مقبول إذ أن: «الماهيات من حيث هي ليست إلا هي» لكن بالنسبة لعلة الوجود لا مكان للسؤال»، إذ أن: «ثبوت وجود الشيء لنفسه ضروري وسلبه عنه ممتنع».

إذا كانت عين القلب عمياء فهي لا ترى نور الوجود وإنما ترى

---

(١) اشارة إلى أنه حتى ضحك الإنسان وبكاؤه أيضاً ليس باختياره بدليل الآية الكريمة ﴿هو اضحك وابكى﴾.

(٢) عبارة من دعاء الصباح المنسوب لأمير المؤمنين (ع).

(٣) قسم من دعاء عرفة المنسوب للإمام الحسين (ع).

الماهيات فقط وتستدل على وجود الحق عن طريق الماهيات. أما لو نظر الإنسان بعين القلب فسينظر إلى نفس الوجود وسيدرك جميع الأشياء والماهيات ويفهمها بواسطة الوجود. لماذا عندما تطلع الشمس وتشع على الجدار نستدل على وجود الشمس بأثر وظل الجدار مع أن أثر الجدار وظله إنما ظهر ببركة الشمس. ولا تشتبهن وتقول ان «كل موجود هو الله» وإنما يجب أن تعلم ان «إمكان الوجود» غير «إمكان الماهية»، فالمقصود من «إمكان الماهية» هو أن تكون نسبة الماهية للوجود والعدم واحدة، مع أن الغرض من «إمكان الوجود» هو إمكان الفقري والإشارة إلى احتياج هذا القسم من الوجود إلى وجود منبع الوجود أو واجب الوجود، هذا ليس معناه التساوي في الوجود والعدم. إمكان الوجود هو بمعنى الارتباط والتوقف على الغير، فالموجود الذي يكون مرتبطاً بالغير واشراقاً للغير يكون ممكن الوجود، وحيث أن كل ما بالعرض ينتهي إلى ما بالذات، لذا فالموجود الذي لا يكون وجوده من نفسه يكون ممكن الوجود أي يكون متعلقاً وعين الربط بوجود الغير حيث يكون ذلك الوجود منبعاً ويسمى واجب الوجود. وهذا الكلام لا يكون مغايراً للقاعدة الكلية «ثبوت وجود الشيء لنفسه ضروري وسلبه عنه ممتنع».

وأولئك الذين قد التفتوا إلى نور الوجود **﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾** لا يحتاجون بعد إلى الآيات الآفاقية والأنفسية.

«متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار تدل عليك. عميت عين لا تراك ولا تزال عليه رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً. كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك»[١].

---

(١) من دعاء عرفة.

في الأصل لازم الغنى بالذات في موجود ما هو أن يكون الوجود عين ذاته. إذ لو كان الوجود عارضاً على ذات شيء كمثل ماهية الإنسان التي يحمل عليها الوجود تارة والعدم أخرى فهذا الشيء لا يمكنه أن يكون غنياً بالذات أو واجبي الوجود إذ أن كل أمر عرضي معلل ولا بد له من أن ينتهي إلى ما بالذات. بناء على هذا فمصداق مفهوم واجب الوجود هو حقيقة الوجود الصرف، وهذا يكون مصداق تلك الحقيقة «صرف الشيء كلما فرضته ثانياً فهو هو» أيضاً. من هنا قال قاطبة إهل الحكمة أن واجب الوجود ليس ماهية «الحق ماهيته أنيته».

لو كان هناك واجبي وجود فيجب أن يكونا كلاهما غنيين بالذات أي يكونان عين الوجود ولازم هذا الكلام أن نقول بوجود عينين لـ «صرف الشيء» أو «محض الشيء»، مع أن تصور الثنوية في الشي المحض والوجود البحت والبسيط محال. لذا كان واجب الوجود واحداً والتعدد بالنسبة له غير قابل للفرض. ولهذا السبب نلاحظ أنه في بعض الأخبار المتعلقة بالتوحيد قد نُهي عن تصور الوحدة العددية بالنسبة لله كما ينقل المرحوم الصدوق أنه في إحدى الحروب عندما كان أمير المؤمنين (ع) مشغولاً في ميدان القتال، سأل شخص أنه ماذا معنى «الله واحد»؟ فمنعه الأشخاص المحيطون بالأمير (ع)، لكن الإمام (ع) ردهم وقال إنا نقاتل لأجل هذا. ثم قال في جوابه: جملة «الله واحد» لها أربعة معان، أو يكون لها أربعة وجوه لا يجوز نسبة وجهين منهما إلى الله، وإنما الثابت لله الوجهان الآخران فقط.

«فوجهان لا يجوزان بها على الله ووجهان ثابتان».

ثم أوضح أن ذنبك الوجهين من الوحدة الغير قابلين للإطلاق على الله عز وجل هما عبارة عن «الوحدة العددية» و «الوحدة

النوعية».

«فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد...».

طبعاً يوجد في بعض العبارات نظير «لك يا رب وحدانية العدد وقدرة الحياة الأبد»، والذي يبدو في النظر أن المراد من «وحدانية العدد» بيان كمال عظمة الله، إذ أن كل شيء متعلق به. لذا عندما قال النبي أيوب عليه السلام: أنه يا رب أتمنى أن أكون في مكان أستطيع فيه أن أباحثك وأحاججك قالت له قطعة من السحاب: تكلم!.

فإذا كل شيء بيد الله، وأمير المؤمنين عليه السلام أيضاً كان في كل ركعة من الصلاة يتبرى من غير الحق ويقول إنه هو الذي أعطاني القوة والقدرة على الركوع، فإذاً الوحدة التي ترى في العالم هي انعكاس لوحدة الحق، والأشياء ظل وجود الحق، الوحدة العددية ظل للوحدة الحقيقية، والقدرة أيضاً كذلك. والمراد هو أن الوحدة أمر وجودي والكثرة أمر عدمي.

ومعنى الكثرة هو العدمية، إذ أن الكثير ليس شيئاً سوى تكرار الواحد، والمبتلى بالكثرة ما دام لم يخرج من الكثرة فلن يصل إلى عالم الوحدة والتوحيد ولن يتبدل بالخير إذ أن الوحدة خير.

الوحدة التي في الله ليست بمعنى أنه فرد وليس فرداً آخر وإنما هو وجود صرف وفرض غيره له محال. وأما المفهومان الآخران من الوحدة اللذان يصدقان بالنسبة لله فهما عبارة عن: «واحد لا شبيه له» و «واحد أحدي الذات أحدي الصفات».

الفرق بين الواحد والأحد هو أن الواحد في مقام وحدة الوجود، وكذلك في مقام وحدة المعاني مثل الوجود الواحد لكنه بحبس المعنى متعدد. مثلاً الموجود الحي وإن كان واحداً. لكن له ألف معنى، فهو

جسم، ونام، وحساس، ومتحرك بالارادة، سميع، بصير و . . إلخ ومعنى «الأحد» إنما يستعمل حيث تكون المعاني والصفات منتفية.

وبنفس البرهان الذي يثبت ضرورة انتهاء وجود الممكنات إلى واجب الوجود، تثبت صدور جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا أيضاً من الأصل والمنشأ تكون هذه الصفات ذاتية له.

«لأن كل عرضي معلل بحسب الفطرة لأن معنى العرضي لم يكن ثم كان، فالعرض يحتاج إلى معطيه لأن الجسم السواد يحتاج إلى ما يعطي السواد فإن الصفة لو كان عارضاً يتعلل فإن كان من نفسه يحتاج إلى الدور وإن كان من الغير فيحتاج الشرف إلى الغير، ففي العلم يحتاج إلى أصل العلم لأن ثبوت الشيء لنفسه ضروري ونفيه عنه محال، وفي القدرة ينتهي إلى مقام أصل القدرة وهكذا المشيئة والحياة».

الموجودات في سلسلة الوجود يجب أن تنتهي إلى أصل حقيقة الوجود، والوجود الذي هو بذاته علم وقدرة وارادة يجب نفي الصفات عنه. كما يقول أمير المؤمنين عليه في ضمن إحدى خطبه:

«. . . وكمال التوحيد الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة إنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده. . .»[1].

وفهم هذه المعاني إنما يحصل ببركة نور ولاية الأئمة الطاهرين (ع).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

«فمن تابع نور الولاية فعلى هذه الوتيرة والناس ليس لهم نور الولاية، فيتوهمون (مثلاً) أن القلم هو القلم المعروف، والحال أن المراد هو من يفيض الروح إلى الكلمة، والمراد بالكتابة هو صورة المعاني مما يفيض الكتابة فهو القلم».

وروح الكلام أن القلم المعروف طويل أجوف وأي شيء من الممكنات ليس بأجوف فهو ليس قلماً، فمن الممكن أن يكون هذا هو حال **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾** و «القلم الأعلى»، ولكن الأمر ليس كذلك فإن هذه الناي تعزف لحناً آخر لهذا عبر عن الكلمات الإلهية بهذا النحو من التعبير انها ذات قشر وروح وروح أخرى إلى ما لا نهاية، بشكل إذا لم يكن الواعظ في هذه الدرجة من الفهم يجب أن لا يعظ. لذا تغير الشيعة من فرق الإسلام تركوا كتاب الله خلف ظهورهم **﴿نبذوه وراء ظهورهم﴾** وظهرت بينهم فرقتان كلاميتان هما المعتزلة والأشاعرة. والأشاعرة لم يلتفتوا إلى أن صفات الله ومن جملتها علمه هي عينه، وقالوا إنه يوجد له صفات زائدة على ذاته، مع أنه لو كانت هذه الصفات زائدة على الذات واقعاً فهناك صورتان متصورتان، فإما ان هذه الصفات قديمة كالذات حيث يلزم في هذه الصورة القول بوجود «قدماء»، أو أنه يجب أن تعتقد إن هذه الصفات حادثة، أي وكمثال على ذلك نقول إنه كان جاهلاً ثم أفيض عليه العلم حيث في هذه الصورة أيضاً يلزم القول بوجود علة أخرى موجدة غير ذات الحق وهذه العلة الموجدة للصفات لا يمكن أن تكون ذات الحق إذ أن فاقد الشيء لا يمكنه أن يعطيه.

الغمامة الجافة الخالية من الماء   لا يجب أن يصدر منها صفة الماء

لذا يقول إمام المشككين الفخر الرازي أن النصارى قالوا بوجود ثلاثة أصول قديمة فكُفِّروا ونحن قلنا بثمانية قدماء ولم نكفر.

أما المعتزلة فقد كانوا أكثر شعوراً والبعض كأبي هاشم المعتزلي قالوا هذا شرك. فأولئك قالوا إن الله ليس له صفات لكن له بدلها. فذاته لها أثر صاحب العلم. وغير العالم الذي يقوم بعمل العالم لا يحتاج للعلم. وابن أبي الحديد بالنيابة عن المعتزلة فسر كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» بشكل يطابق مذهبه.

نقول في الرد على المعتزلة أن العلم نموذجه في الممكنات وفاقد الشيء وكيف يستطيع أن يكون معطيه. هذا الكلام بلحاظٍ يكون أسدَّ من كلام الأشعري، إذ أنه يحكي عن أن الله ليس عالماً وقادراً وهذا خلاف الفطرة إذ أن جميع الكمالات والأسماء الحسنى بل الحقيقة هي هناك، وصانع الموجودات عين العلم والقدرة. طبعاً يجب أن يعلم أنه ليس المراد من اتحاد الصفات مع الذات الاتحاد المفهومي، وذلك لأن السميع غير البصير والبصير له مفهوم غير الذات. لذا نقل في أصول الكافي في باب «حدوث الأسماء» روايات تحكي عن أن ما يجب أن يعبد هو المسمى لا الاسم، «ومن عبد المعنى باعتبار الاسم فهو المؤمن»، أي ليس مفهوم العلم مفهوماً يكون الله عينه، وبالأساس فإن المفاهيم أمور حادثة. يقول الإمام عليه السلام لهشام: كلمة «الله» من «إله» بمعنى عُبِد و «الله» بمعنى معبود، وعبادة مفهوم المعبود كفر وإنما يجب عبادة الذات باعتبار هذا المفهوم. ثم قال الإمام عليه السلام: «الماء اسم للماء والنار للمحرقة وأنا أعلم الناس في التوحيد».

وبهذا فالمراد من قوله أن كل من عبد الاسم فهو كافر هو نفس عبادة المفهوم هذه، كالأشاعرة الذين يعتقدون أن مفهوم القادر غير الذات وقد قالوا بالقدماء الثمانية، إذ أنهم يعتقدون أن الأسماء

والصفات ذوات وجود زائد على وجود الحق، ومن البديهي أنهم لو لم يقولوا بوجود حقيقة غير الذات المقدسة أيضاً لكانوا موحدين في هذه الصورة كذلك. أحد الفوارق بيننا وبين الحق تعالى هو أن كل مفهوم ينتزع منا ناشىء عن كيفية غير كيفية أخرى مثلاً حيثية السمع غير حيثية البصر، وحيثية القادر غير حيثية العالم، مضافاً إلى أن هذه الصفات عارضة علينا، لذا نحن لسنا موجودات بسيطة والحال أن الحق تعالى «يسمع بنفس الذي يبصر وعالم بما هو حي وقادر». لا تظن أن السمع والنفس شيئان وانما يبين بهذا الشكل في مقام التعبير، إذ أن عباراتنا قالب لمعاني الممكنات ولا يُستوعب الواجب في هذه العبارات. وأساساً فاستعمال كلمة نفس لله غلط، والتعبير الأفضل بالنسبة للحق المتعال، في مقام بيان صفات علمه هو أن تقول «علم لا جهل فيه» إذ أنه محيط بالأشياء وعين الانكشاف، له احاطة بكل الأشياء وانكشاف الأشياء عنده بوجود نفسها كما يقول «علم لا جهل فيه، نور لا ظلمة فيه، حياة لا موت فيها»، حياتنا نحن تكون بواسطة تعلق النفس بالبدن لكن حياة الحق بوجوده نفسه، إذ أنه ليس مادة ليكون فيه شائبة موت، وبهذا المنوال سمع الله وبصره وعلمه. ولذا بناء على هذه الآية ﴿**فوق كل ذي علم عليم**﴾ لا ينبغي أن يظن أن الحق تعالى ﴿**ذي علم**﴾ أو صاحب علم وإنما هو عين العلم.

وعلم الله تعالى قد صار في الأصل سبباً لمجادلات عديدة بين العلماء. والمعتزلة، وكما قد ذكرنا سابقاً، اعتقدوا تبعاً للفلاسفة القدماء الذين قالوا إن «مبدأ المبادىء ليس له علم» إن الله ذاته بدل العلم وإذا قيل بأنه له علم فهذا معناه ان له كيفية زائدة على ذاته.

لكن وكما قد ألفتنا سابقاً فهذا البيان غير معقول، كما أن أمير المؤمنين عليه السلام يقول حول خلق الإنسان: «لم يكن شيئاً مذكوراً

في العين لكن في العلم»[1]. إذ أن كل شيء يكون له صورة عينية وعلمية «مالك حين لا ملك». إذا لم تقل إن الحق تعالى قد كان مالكاً قبل الخلق فكيف يمكنك القول أنه قد أعطى إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه. إذا فلا بد من القول أنه قد كان والكافي مقام الذات. وأفضل الأمثلة لأجل التفهم والتفهيم مثال النفس والتعقل فيها، إذ أن الإنسان مثال الله «خلق الله الإنسان على صورته وألقى إليه هويته» وهذا بمعنى أنه حيث كانت صورة الإنسان أفضل الصور فقد أضافها إلى نفسه أي جعلها مظهراً لصفات نفسه، ولأنها كانت أفضل الصور «أكبر حجج والكتاب الذي كتبه بيده».

لذا فأفضل الأمثلة مثال النفس والتأمل فيها. النفس في مقامها ليست خالية من الخلاقية، إذ أنها تنشىء الصور وهي من هذه الجهة أيضاً مظهر لصفة خلاقية الحق. أيها العزيز! أنت أيضاً لك هذه المظهرية لكن أترك المطلوب ضعيف لأن وجودك ضعيف. تخلق بحراً من النار في حال كونه لا حقيقة له إذا أن الصور الخيالية إذا قويت فإنها تؤثر والمفروض أن الإنسان يخلق الصور بمحض الارادة وهذه الصور لم تكون سابقاً في نفسه بنحو متميز ومستقل لكنها كانت موجودة فيه بنحو الاجمال. القطرة التي تؤخذ في البحر إذا قلت أنه لا يوجد بحر فهذا صحيح، وإذا قلت أنه يوجد بحر فهذا أيضاً صحيح. فإذا كان الحق مالكاً لجميع الموجودات في ذلك الوقت الذي لم يكن فيه خبر عن السماء كان مالكاً للسماء. يقول الحق جل وعلا: «لو طلب مني عبد من عبادي أضعاف ما في السماوات وأعطيته لما نقص من مملكتي مقدار ذرة» وكذلك حال نفس الإنسان حيث لو أعطى من

---

(١) هذا الكلام اشارة إلى أول آية من سورة الدهر: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.

صور مخيلته آلاف آلاف الصور فلن ينقص منها شيء.

إحدى معجزات الأنبياء كانت قوة النفس حيث كانوا يخلقون بمحض الارادة. لكن حيث أن نفوسنا ضعيفة فلا قوة لها أكثر من هذا، ولذا تتقوى نفوس السعداء في الجنة وتخلق فاعمل إذا لتصير هذه النفس كاملة هنا (في الدنيا).

بناء على هذا يمكن القول أن جميع الأشياء كانت مندرجة في مقام الذات ولذا بعد خلق الأشياء.

لا يحدث علم الله ولا يتغير. وببيان آخر جميع الأشياء لكن لا بصفة الصور المحدودة والمتكثرة كانت مندرجة في الذات، إذ أن الذات محيطة بجميع الجزئيات ويكون لها علم تفصيلي بالنسبة لجميع الذرات. أما قوة مخيلتنا فبسبب ضعفها لا تستطيع فهم ذلك بالتفصيل[1]، والشخص الذي لا يكون بحاجة للمدد يكون تفصيله وإجماله مثل بعضهما، إذ أن جميع الذرات قد شعت هناك. البعض ـ كالمشائين ـ اعتقدوا أن علم الله بالصور وبعض آخر قالوا ان علم الله هي نفس صفحة الأعيان هذه مع أن جميع هذه النظريات مخدوشة ولعل الغرض من الآية **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا﴾**[2] بيان هذا المطلب، إن الوجود الخارجي علم الله وذاته كذلك. المعطي قبل العطاء يملك لكنه لم يخرج ذلك إلى الظهور في الدنيا بعد. الوجود العلمي أو علم الله يجب أن يكون ظاهراً لكي يطلع عليه الأولياء مثل **﴿فلما أسفونا انتقمنا منهم﴾**[3].

---

(١) لعل المقصود من هذه العبارة هو أنه: لا يستطيع رؤية التفصيل في ضمن الاجمال.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٦.

(٣) سورة الزخرف الآية ٥٥ ورد في الروايات أن الله تعالى أعلى من أن يكون للتغير =

بشكل عام فإن مرجع الصفات إلى صفتي العلم والقدرة «فالسميع» أي مالك العلم بالمسموعات و «البصير» بمعنى العلم بالمبصرات وبالأخير «فالحي» بمعني المدرك أي العالم والقادر. وإذا كان في الأخبار قد استعمل البصير والسميع في العلم بالمبصرات والمسموعات ولم يستعمل في العلم بباقي المحسوسات ألفاظ الذائق واللامس، فذلك لا بمعنى أن الله علم لديه بهذه المجموعة من المحسوسات بعد أن تم اثبات العلم للحق تعالى يكون مسلماً أنه تعالى عالم بجميع الذرات.

﴿والله من ورائهم محيط﴾، بلحظة واحدة كلمة﴿عالم الغيب والشهادة﴾ يجب أن تؤول بطريقة ما إذ أنه لا غيب بالنسبة له لكي يكون عالماً به، وحيث أن كونه محيطاً بكل الأشياء وعلمه بالنسبة للأشياء علم حضوري فاطلاق الغيب إذن هو بالمسامحة ومعنى عالميته بالغيب أنه عالم بما هو غيب عندنا. لذا لو قلنا الله ليس عالماً بالغيب فهو صحيح لكننا نكون قد بينا قضية سالبة بانتفاء الموضوع إذ أن جميع الأشياء حاضرة عنده ولا وجود عنده للغيب. ربما ورد في بعض الأخبار أن الأئمة الطاهرين (ع) ليسوا عالمين بالغيب فالمراد هو هذا[1]. إذ أن غيب الأئمة (ع) منحصر بحضرة الباري عز وجل، والعالم بالنسبة لهم ليس مخبوءاً ولا غيباً لكي يتمكنوا من العلم بالغيب، إذ أنه ورد في بعض الروايات أنه حين يولد الإمام (ع) «له عمود بين عينيه ينظر الأشياء به». ويجب أن نقول بعمومية علم الأئمة عليهم السلام إذ أنهم مقدمون على اللوح والقلم. نقرأ في الزيارة

= والتأثر طريق إليه والمقصود من هذه الآية هو تأثر وتأسف الأئمة (ع).

(١) ينبغي الالتفات إلى أن الكثير من الأخبار حاكية عن أن الأئمة الطاهرين (ع) يكونون عالمين بماضي وحال ومستقبل الكائنات.

الجامعة: «إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه». وحيث أن الوجود عين الخير والعلم أحد مظاهر الوجود أو أحد مصاديق الخير، لذا فلو اعتقدنا أن الإمام عليه السلام أصل ومنشأ العلم فهو صحيح. بناء على هذا يمكن القول بتأويل ما أن الإمام ليس عالماً بالغيب إذ أن غيب الإمام منحصر بذات الحق وهو مطلع على كل الأشياء ما سوى حضرة الحق، حيث قال: «خلق الأئمة وأشهدهم على تمام خلقه». ومن هنا قالوا: «رب زدني علماً! رب زدني تحيراً إذ ان المعرفة بالنسبة لذات الحق كلها حيرة، والمفروض أن طلب زيادة المعرفة هو زيادتها بالنسبة لذاته لا بالنسبة «لما سوى»، إذ أن ما سوى الحق ليس غايباً عندهم لكي يطلبوا زيادة المعرفة بالنسبة إليه.

العرفاء والصوفية يقولون أن مراتب جميع الوجود خمسة:

الأول: الغيب المطلق وهي مرتبة الاطلاق المحض التي يسمونها غيب الهوية ومقطع الاشارات وغيب الغيب.

الثاني: الغيب المضاف ويسمونه عالم العقول والنفوس وأحياناً عالم الأعيان الثابتة التي يكون تحققها في مرتبة العقول والنفوس ويسمونها الملكوت الأعلى.

الثالث: عالم الشهادة المضاف الذي يسمونه عالم المثال والخيال المنفصل والذي يكون الخيال الإنساني جدول من ذلك النهر وخليج من ذلك البحر، ويسمونه أيضاً عالم البرزخ والملكوت الأسفل بناء على أنه في ذلك العالم صور المجردات والماديات مجتمعة.

الرابع: الشهادة المطلق الذي يسمونه عالم الحضور والشهادة، وذلك العالم جسماني بما فيه من الأعراض والجواهر.

الخامس: المرتبة الجامعة وهي الحقيقة الإنسانية الجامعة لجميع

حقائق العالم. ويتضح من هذا البيان أن الموجود بالذات هو الحق سبحانه وتعالى، والممكنات تصير صورة موجودة (ظاهر موجود) باعتبار الاضافة بالانتساب إلى تلك الذات، كما قالوا: الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود بل هي باقية على عدمها. ولنعم ما قيل:

ترجمة شعر إن هناك واحد موجود ولا شيء غيره وحده لا إله إلا هو.

قال بعض الأفاضل في اثبات الواجب: تقريره أن الواجب موجود وإلا ـ أي وإن لم يكن موجوداً ـ كان معدوماً البتة لثبوت الحصر الذاتي بين الوجود والعدم، وإن كان معدوماً فعدمه أما لذاته أو لغيره وكلاهما محالان، أما الأول فلان الواجب هو أن يكون وجوده لذاته، فالواجب هنا إن كان عدمه لذاته هذا خلف، وأما الثاني فلأنه يلزم أن يكون ممكناً لأن كل ما هو مسبوق بغيره فهو ممكن هذا خلف. تأمل فيه فإنه أعجوبة الأبصار.

قال بعض العارفين: من كان نظره في وقت النعم إلى المنعم لا إلى النعمة كان نظره وقت البلاء إلى المبلي لا إلى البلاء، فيكون في جميع حالاته غريقاً في ملاحظة الحق متوجهاً إلى الحبيب المطلق، وهذا أعلى مراتب السعادة. ومن كان بعكس ذلك كان في أسفل درك الشقاوة، فيكون في وقت النعمة خائفاً من زوالها ووقت النعمة معذباً بنكالها. قال النبي صلى الله عليه وآله: من سأل عن التوحيد فهو جاهل ومن أجاب عنه فهو مشرك ومن يعرف فهو ملحد ومن لا يعرف فهو كافر.

ولاية ومحبة أهل البيت عليهم السلام

ورد حول كملة «الولاية» ومشتقاتها في كتب محققي اللغة ما يلي:

قال ابن الأثير في «نهاية اللغة»: «ولي» من أسماء الله تعالى، وبمعنى الناصر والمعين. والبعض يرى أنه بمعنى متولي أمور العالم والخلائق، وكذلك «الوالي» من أسماء الله تعالى الكريمة وهو بمعنى مالك جميع الأشياء والمتصرف فيها. وكلمة «ولاية» تتضمن مفاهيم التدبير والقدرة والفعل، بمعنى أنه لو كان شخص فاقداً لبعض أو جميع هذه الخصوصيات لما أطلقت عليه كلمة والي.

وذكر الراغب في مفرداته: كلمة «الولاية» بكسر الأول بمعنى النصرة والعون، وبفتح الأول بمفهوم امتلاك التصرف وولاية الأمر، والبعض يرى ان هذه الكلمة لها معنى واحد في صورتي الفتح والكسر مثل كلمة «الدلالة» التي لها معنى واحد بفتح الأول أو بكسره.

وكتاب مجمع البحرين فسر كلمة «الولاية» في الآية الشريفة﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾. بمعنى الربوبية والنصرة، ورأى كلمة «الولاية» بكسر الأول هي الإمارة والآمرية. وقال قبله أن هذه الكلمة بفتح الأول بمعنى المحبة وبكسره بمفهوم تولية الأمر والآمرية

والسلطنة. بناء على ما ذكر فكلمة الولاية في الأصل بمعنى الامارة وامتلاك التصرف، وفي بعض الموارد معناها المحبة والصداقة. وكذلك مشتقاتها كمثل كلمات «والي، ولي ومولى».

يقول المولى الرومي (شعر):

من هو المولى؟ ذاك الذي يحررك ويكسر أغلال الرقبة من قدميك

لهذا السبب ثبت النبي اسمه باجتهاد وعين علياً مولى فالمؤمنون يأخذون الحرية بواسطة الأولياء» الله تعالى في القرآن المجيد فوض الولاية على العباد والتصرف في أمور الأمة الإسلامية للنبي (ص): **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾**[1].

هذه الولاية المطلقة بحسب الآية الشريفة**﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**[2] منحصرة بالله ورسوله الأكرم وذلك الرجل المؤمن الذي قد تصدق على فقير وهو في حال الركوع. وبناء على الروايات الكثيرة من طريق الشيعة والسنة فإن نزول هذه الآية هو في شأن علي عليه السلام الذي قد أعطى خاتمه وهو راكع في الصلاة لسائل فقير.

فالولاية المطلقة المنحصرة على المسلمين هي ـ حسب تصريح الآية المذكورة ـ لله تعالى ورسوله الكريم وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وهذه الولاية في كل مورد من الموارد الثلاثة هي من نوع واحد، وبهذا المعنى ان الولاية والتصرف والحاكمية التي فوضت لعلي عليه السلام هي نفسها التي قررت للنبي العزيز (ص) هاتان كلاهما قد نشأتا من الولاية العامة والمطلقة لحضرة الحق تعالى ولقد

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦.
(٢) سورة المائدة، الآية ٥٥.

انعكست تجلٍّ من هذه الولاية والأولوية في الآية الكريمة التالية: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾**(١) وورد في آية أخرى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**(٢).

النبي الأكرم (ص) في مواقف كثيرة قد أشار وصرح إلى ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة الطاهرين (ع) والآن سنورد بعض تلك الروايات التي قد نُقلت من طرق الشيعة والسنة وقسم منها في حد التواتر عند العودة من حجة الوداع أمر النبي (ص) من الله تعالى بشكل مؤكد بأن يعرف علياً (ع) كخليفة له وولي لأمر المسلمين، فتلى خطبة طويلة ورفع يد علي عليه السلام بيده، وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، وكذلك ذكر ولاية الأئمة عليهم السلام من أبناء علي عليه السلام وعد وظائف المسلمين تجاههم، وبعد هذا النص والاعلان نزلت آية كمال الدين واتمام النعمة من قبل الله تعالى.

يقول بريدة الأسلمي: كنت مع علي في إحدى الحروب في اليمن لكني لم أكن مرتاحاً من تصرفه. وعندما زرت النبي حين رجوعي للمدينة شكوت إليه علي بن أبي طالب. فتغير وجهه المبارك فجأة وقال لي: «يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقلت: بلى يا رسول الله. فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه»(٣).

وروي عن زيد بن أرقم أنه قال: لما رجع رسول الله صلى الله

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.
(٢) سورة النساء، الآية ٦٥.
(٣) مناقب الخوارزمي، ص ٧٩.

عليه وآله وسلم من حجة الوداع نزل في مكان اسمه غدير خم[1] ثم قال: «كأني دعيت فأجيب اني قد تركت فيكم الثقلين احدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا ولي كل مؤمن ومؤمنة. ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت وليه فهذا وليه»[2].

وروى الأخطب الخوارزمي عن البراء أنه: رجعنا من سفر الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله. فنزل في موضع بين مكة والمدينة وأمر أن ينادي المنادي لاقامة الصلاة. يقول البراء: في تلك الأثناء أخذ رسول الله (ص) يد علي وقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم[3]؟ قالوا بلى. قال: فهذا ولي من أنا وليه... إلى أن قال البراء: فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[4].

وروى ابن أبي ليلى أن أباه قال: أعطى رسول الله (ص) الراية يوم خيبر لعلي بن أبي طالب (ع) وفتح الله خيبر بيد علي. وفي يوم غدير خم أقام نبي الإسلام علي ابن أبي طالب وأعلن لكل الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة وبعد ذلك خاطبه قائلاً: «أنت مني وأنا منك، تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل. أنت بمنزلة هارون من موسى. أنا سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت أنت العروة

---

(١) غدير خم يقع بين مكة والمدينة قرب مسجد الجحفة الذي هو أحد المواقيت.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص ٩٣.

(٣) كلام النبي الأكرم (ص) اشارة إلى الآية الكريمة ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...﴾ سورة الأحزاب الآية ٦.

(٤) مناقب الخوارزمي، ص ٩٤.

الوثقى[1] التي لا انفصام لها. أنت تبين لهم ما يشتبه عليهم من بعدي. أنت إمام كل مؤمن ومؤمنة وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي أنت الذي أنزل فيك **﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾**[2] أنت الآخذ بسنتي والذاب عن ملتي. أنا أولى من تنشق الأرض عنه وأنت معي. أنا عند الحوض وأنت معي. أنا أول من يدخل الجنة وأنت معي تدخلها والحسن والحسين وفاطمة. إن الله أوحى إلي أن أقوم بفضلك فقمت به في الناس وبلغتهم ما أمرني الله بتبليغه. وقال له: اتق الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها إلا بعد موتي أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. ثم بكى. فقيل: مما بكاؤك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبرائيل عليه السلام إنهم يظلمونه ويمنعونه حقه ويقاتلونه ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده وأخبرني جبرائيل عن الله عز وجل أن ذلك الظلم يزول إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم واجتمعت الأمة على محبتهم وكان الشانىء لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً وكثر المادح لهم وذلك حين تغير البلاد وضعف العباد واليأس من الفرج فعند ذلك يظهر القائم فيهم.

وقال النبي: اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي هو من ولد ابنتي فاطمة يظهر الله الحق بهم ويخمد الباطل بأسيافهم ويتبعهم الناس راغباً إليهم وخائفاً منهم قال: وسكن البكاء عن رسول الله فقال: معاشر الناس ابشروا بالفرج فإن وعد الله لا يخلف وقضاؤه لا يرد وهو الحكيم الخبير وإن فتح الله قريب. اللهم انهم أهلي فاذهب عنهم

(١) اشارة إلى الآية الشريفة: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾** سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٢) عندما نزلت آيات سورة التوبة المشعرة ببراءة الله ورسوله من المشركين أمر رسول الله أبا بكر أن يقرأها لكن أتى الأمر من الله إن هذه يجب أن تقرأها أنت أو رجل منك فأمر الرسول بارجاع أبي بكر قبل أن يتلوها وكلف علياً (ع) بقراءتها.

الرجس وطهرهم تطهيراً[1]، اللهم اكلأهم وارعهم وكن لهم وانصرهم وأعزهم ولا تذلهم واخلفني فيهم إنك على ما تشاء قدير»[2].

وورد في كتاب المناقب لابن شهر آشوب أن شريك القاضي وعبدالله بن حمادي الأنصاري نقلوا أنه حين حل بالأعمش مرض الموت ذهبنا إليه وكان ابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبو حنيفة حاضرين في المجلس أيضاً. فقال أبو حنيفة للأعمش: الآن وأنت في آخر أيام حياتك الدنيا وأول أيام آخرتك فاذكر فضل الله عليك وتب عما كنت قد رويته في حق علي. فقال الأعمش: يعني عم أتوب مثلاً؟ فقال: مثلاً عن حديث عباية الأسدي الذي قد نقل أن: «علي قسيم الجنة والنار».

عندما سمع الأعمش هذا الكلام قال: اجلسوني وأسندوني إلى المتكأ وعندما جلس قال: اقسم بالله الذي كل عملي عنده أن موسى بن طريف إمام طائفة بني أسد روى لي عن عباية بن ربعي أنه سمع علياً عليه السلام بنفسه يقول: أنا قسيم الجنة والنار. أنا آمر النار أن اتركي هذا فإنه محب لي وخذي ذلك فإنه عدوي.

وفي رواية أخرى أيضاً، حدث أبو وائل عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا قامت القيامة يأمر الله عز وجل علياً بالوقوف بين الجنة والنار ويأمر النار بأن تلقفي هذا فإنه عدوي واعف عن ذاك فإنه من محبي. أجل فعندما وصل كلام الأعمش إلى هنا وضع أبو حنيفة عباءته على رأسه وقال: قوموا من هنا لئلا يقول أبو محمد الأعمش كلاماً أكبر مما قاله. وفي الحديث أن الأعمش قد

---

(١) دعاء النبي (ص) اشارة للآية الشريفة: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٢) مناقب الخوارزمي ص ٢٣ إلى ٢٥.

ودع الدار الفانية تلك الليلة أيضاً. في المجلد السابع والعشرين من تفسير الإمام فخر الدين الرازي ورد نقلاً عن الزمخشري صاحب تفسير الكشاف واللذان كلاهما من علماء أهل السنة الكبار والمشهورين في ذيل تفسير الآية المباركة **﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾** ما يلي:

عندما نزلت هذه الآية على الرسول (ص) سئل (ص) أنه من هم أقرباؤك الذين أمرنا في هذه الآية بمحبتهم؟ فأجاب (ص): «علي وفاطمة وابناهما» وبهذا النحو علم أن أقارب النبي الأكرم (ص) هم هؤلاء الأربعة وأنه يجب القيام بالتعظيم والتكريم الخاص تجاههم. بعد ذلك قال روى الزمخشري عن النبي (ص) أنه قال: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ألا من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير إلا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه «آيس من رحمة الله» ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

وروي أيضاً في كتاب مناقب الخوارزمي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «... لا يقبل الله إيمان عبد إلا بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة من أعدائه» وروي في

نفس هذا الكتاب عن أنس بن مالك أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أحب علياً قبل الله منه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعاءه ألا ومن أحب علياً أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة ألا ومن أحب آل محمد آمن من الحساب والميزان والصراط ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء ألا ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: «آيس من رحمة الله».

وقد عرفت ولاية أمير المؤمنين علي وأبناؤه الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين في الكثير من الروايات المعتبرة بأنها من أركان الإسلام والإيمان وسبب قبول الطاعات وقضاء الحاجات والإيمان والعمل من دون ولاية لا أثر له عند الله تعالى وعد غير مقبول. وفي الأحاديث الكثيرة ذكر أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين (ع) على أنهم واسطة الفيض ومجرى الثواب والعقاب وقسيم الجنة والنار.

وكذلك يشاهد آثار كثيرة في المتون الإسلامية الأصيلة لأجل حث أهل الإسلام على محبة واحترام أهل بيت النبي الأكرم إلى حد أنه جعلت محبة وعشق بيت الرسالة والأئمة الطاهرين عليهم السلام في بعض الآيات من القرآن المجيد كأجر وثواب للرسالة ولمشقات النبي (ص) ليلاً ونهاراً: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**[1]. ويجب الالتفات إلى أن محبة أهل بيت النبي، وإن عدت ثواباً لتعب رسالة النبي (ص)، لكنها في الحقيقة طريق فلاح الأمة ونقطة جمع الملة في مقابل التفرقة، يقول الله تعالى: **﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾**[2].

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.
(٢) سورة سبأ، الآية ٤٧.

أم الأئمة الزهراء المرضية صلوات الله عليها قالت في خطابها التاريخي في مسجد المدينة في الاحتجاج على غاصبي الخلافة: «... وولايتنا أماناً للفرقة...».

الأخبار والأحاديث في مسألة ولاية ومحبة أهل البيت والأئمة الأطهار عليهم السلام ليست بمقدار يمكن ايراده في هذا المختصر، لكننا نذكر قسماً منها تبركاً ونسأل الله أن الذي قد أكرمنا بسعة القلب وسلامة النفس وطهارة المولد ألا يصعب علينا فهم قسم من مشكلات تلك الأحاديث حيث أنهم قالوا: «إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» وهذه جملة من تلك الأحاديث ونسأل الله أن يتفضّل علينا بولاية أهل البيت عليهم السلام.

ورد في رواية مشهورة نقلها علماء الشيعة والسنة أن النبي (ص) قال:

«بني الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية».

ويقول حجة الإسلام الغزالي في كتاب نصيحته مخاطباً أحد طلابه ما يلي:

«وفي أحاديث أخرى قيل: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا».

وفي كتاب البحار مروي عن النبي الأكرم (ص) بهذا الشكل:

«إن الإسلام بني على خمس دعائم: الصلاة والزكاة والصوم والحج وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يدخل الجنة حتى

يحب الله ورسوله وعلي بن أبي طالب وعترته» وورد في محاسن البرقي عن زرارة أن الإمام الصادق (ع) قال:

«بني الإسلام على خمسة أشياء الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: فأي ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والولي هو الدليل عليهن... أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته عليه ما كان له على الله حق في ثواب ولا كان من أهل الإيمان».

وقال المرحوم الشيخ قدس سره في تفسير هذا البيت من غزل حافظ:

تسبيح وخرقه لذت مستي بنخشدت همت دراين عمل طلب ازمي فروش كن

المراد من هذا الكلام أن مجرد الاشتغال بالصلاة والصيام وظواهر الشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله عندما لا يكون مترافقاً مع التمسك بولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام لن يكون فيه نفع للإنسان، كمثل أهل السنة الذين هم محرومين من ادراك الولاية بناء على هذا فالعامل الأصلي والعمدة هو التوجه والتمسك بحبل الله أي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والآية الشريفة ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ تدل على هذا المعنى، أي أن الغرض الأصلي والهدف النهائي من هذه الرسالة ليس سوى محبة أهل بيت النبي (ص). فالتوحيد اذن بمثابة جذر الشجرة والنبوة كمثل جذوعها وأوراقها والولاية بمنزلة ثمراتها، والغرض النهائي من غرس الشجرة ليس شيئاً سوى ثمرها. فإذاً خذ الثمرة وكن من الشاكرين.

ونقل في رواية الحافظ أبي نعيم عن علي عليه السلام أنه قال:

«ناجيت النبي عشر نجوات لما نزلت آية النجوى فكان منها أني سألته ما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك».

وكذلك روى سعيد بن جبير عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله أنه قال:

«جحود نعمة الله كفر وجحود نبوتي كفر وجحود ولاية علي عليه السلام كفر لأن التوحيد لا يبنى إلا على الولاية».

وورد في كثير من الروايات المعتبرة أن الأنبياء والأمم السالفة أيضاً كانوا مكلفين بمعرفة ولاية علي عليه السلام والأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين. ومن مجلة ذلك في كتاب «بصائر الدرجات» روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه:.

«ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها».

كذلك ورد في رواية محمد بن مسلم أنه: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي...».

ومروي في الكافي عن عبد الأعلى أنه: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا».

ونقل في كتاب «سفينة البحار» عن أبي الحسن عليه السلام أنه:

«ولاية علي عليه السلام مكتوبة في صحف جميع الأنبياء ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام».

وفي كتاب الاختصاص حدث ابن سنان عن مفضّل بن عمر أنه قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام.

«إن الله تبارك وتعالى توحد بملكه فعرف عباده نفسه ثم فوّض إليهم الأمر وأباح لهم الجنة فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والإنس عرّفه ولايتنا ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا ثم قال: يا مفضّل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية عليّ عليه السلام وما كلّم الله موسى تكليماً إلا بولاية علي عليه السلام ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام ثم قال: اجعل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا».

ونقل في كتاب «كنز الفوائد» عن خط الشيخ أبي جعفر الطوسي في كتاب «مسائل البلدان» أن أحد أصحاب علي عليه السلام قال: أتى سلمان يوماً إلى أمير المؤمنين عليه السلام وطلب منه أن يبين له شيئاً عن نفسه. فقال الإمام عليه السلام:

يا سلمان أنا الذي دعيت الأمم كلها إلى طاعتي فكفرت فعذبت في النار وأنا خازنها عليهم حقاً. أقول يا سلمان انه لا يعرفني أحد حق معرفتي إلا كان معي في الملأ الأعلى. قال : ثم دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقال: يا سلمان هذان شعار رب العالمين وبهما تشرف الجنان وأمهما خيرة النسوان، أخذ الله على الناس الميثاق لي فصدق من صدق وكذب من كذب فهو في النار وأنا الحجة البالغة والكلمات الباقية وأنا سفير السفراء. قال سلمان: يا أمير المؤمنين لقد وجدتك في التوراة كذلك وفي الإنجيل كذلك بأبي أنت وأمي يا قتيل الكوفان لولا أن يقول الناس واشوقاه رحم الله قاتل

سلمان لقلت فيك مقالاً تشمئز منه النفوس لأنك حجة الله الذي به تاب على آدم وبك أنجى يوسف من الجب وأنت قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه. فقال أمير المؤمنين: أتدري ما قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه؟ قال: الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين. قال: لما كان عند الانبعاث للنطق شك أيوب في ملكي وتلكأ فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم. قال الله عز وجل: يا أيوب تشك في أي صورة أقمته أنا اني ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بأمرة المؤمنين ثم أدركته السعادة بي».

وكذلك نقل في كتاب كنز الفوائد عن أبي عبدالله عليه السلام أنه:

«خرج الحسين بن علي عليهما السلام ذات يوم على أصحابه فقال بعد الحمد لله جل وعز والصلاة على محمد: يا أيها الناس إن الله ما خلق العباد الا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه فقال له رجل بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته».

قال علي عليه السلام:

«كنت وصياً وآدم بين الماء والطين».

وقال عليه السلام:

لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم الله الرحمن الرحيم».

وروى حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام:

«ما ثبت الله حب علي عليه السلام في قلب أحد نزلت له قدم إلا ثبت له قدم أخرى.

وقال أبو خالد الكابلي: سألت أبا جعفر عليه السلام عن معنى الآية الشريفة ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا...﴾[1] فقال:

«يا أبا خالد والله أئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة وهم والله النور الذي أنزل وهم والله نور الله في السموات وفي الأرض والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ويحجب الله عز وجل نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر».

وفي كتاب بحار الأنوار الجزء ٢٤ الصفحة ١٦٠ نقلت هذه الرواية: عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ قال: في ولايتنا.

وفي الارشاد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: السلم ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام.

وقال الإمام الصادق عليه السلام لابن النعمان:

«إن حبنا أهل البيت ينزله الله من السماء له خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة لا ينزله إلا بقدر ولا يعطيه إلا خير الخلق وإن له غماماً كغمام المطر فإذا أراد الله أن يختص به من أحب من خلقه أذن لتلك الغمام فتهطلت عليه كما تهطل السحاب فتصيب الجنان في بطن أمه».

---

(١) سورة التغابن، الآية ٨.

بحب علي تزول الشكوك وتزكو النفوس وتصفو البحار
ومهما رأيت محباً له فثم الزكاء وثم الفخار
ومهما رأيت عدواً له ففي أصله نسبة مستعار
فلا تعذلوه على فعله فحيطان دار أبيه قصار

روى الخوارزمي في كتاب المناقب عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله عز وجل النار».

أبا حسن لو كان حبك مدخلي جهنم كان الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النار من كان موقنا بأن أمير المؤمنين كان قسيمها

روى الحسن البصري عن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس وهو جبل قد علا على الجنة.

وفوقه عرش رب العالمين ومن سفحه تتفجر أنهار الجنة وتتفرق في الجنان وهو جالس على كرسي من نور يجري بين يديه التسنيم لا يجوز أحد الصراط إلا ومعه براءة وولاية أهل بيته يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار»(١).

ومأثور في جمل من زيارة أمير المؤمنين عليه السلام:

«السلام على خليفتك التي بها تعاقب وتثيب وبها تأخذ وتعطي السلام على نعمة الله السابغة ونفحته الدافعة» وهذا اشارة إلى أن كل

(١) مناقب الخوارزمي، ص ٣١.

عقـاب وثـواب وكـل نقمـة ونعمـة يقـوم بهـا الله تعـالـى بـالنسبـة لعباده فهي كل من ناحية الولاية وبواسطة ذلك المقام المعظم الإلهي.

روى في كتاب «عدة الداعي» عن سلمان الفارسي أنه قال: سمعت رسول الله صلى عليه وآله يقول:

«إن الله عز وجل يقول: يا عبادي أو ليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلا أن يتحمل عنكم بأحب الخلق إليكم تقضوا بها كرامة لشفيعهم الا فاعلموا أن أكرم الخلق عندي وأفضلهم لدي محمد وأخوه علي ومن بعدهم الأئمة الذين هم الوسائل إلى الله ألا فليدعني من همته حاجة يريد نفعها أو دهته داهية يريد كشف ضرها بمحمد وآله الطاهرين الطيبين اقضها له أحسن ما تقضيها من يستشفعون بأعز الخلق إليه. فقال قوم من المشركين وهم مستهزؤون به: يا أبا عبدالله فمالك لا تقترح على الله بهم أن يجعلك أغنى أهل المدينة؟ فقال سلمان: دعوت الله وسألته ما هو أجل وأنفع وأفضل من ملك الدنيا بأسرها سألته بهم صلى الله عليهم أن يهب لي لساناً ذاكراً لتحميده وثنائه وقلباً شاكراً لآلائه وبدناً صابراً على الدواهي وهو عز وجل قد أجابني إلى ملتمسي من ذلك وهو أفضل من ملك الدنيا بحذافيرها وما تشمل من خيراتها مائة ألف ألف مرة».

لم يكتب لي ورد في الليل والنهار سـوى ذكـر علـي معلـم مـذهبـي
لـو كـان هـدفـي أحـداً غيـر علـي فـواهـاً لـي ولـديـنـي ولمـذهبـي

وروي عن مالك بن أنس إمام المذهب المالكي من أهل التسنن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«حب علي حسنة لا يضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة»[1].

وفي كتاب «بحار الأنوار» في ضمن حديث طويل نقل عن أحد اخوان الجن أنه روى الإمام الصادق (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«... يا علي والذي بعثني بالحق لا يدخل الجنة أحد إلا من أخذ منك بنسب أو سبب».

وورد في باب الرؤيا من كتاب «دار السلام»[2] أنه روى الشيخ الأقدم الحسن ابن علي بن شعبة في كتاب «تحف العقول» وكذلك العالم الكامل عماد الدين محمد ابن أبي القاسم الطبري في الجزء الأول من كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى» عن الشيخ أبو البقاء إبراهيم بن حسين بن إبراهيم البصري عن أبي طالب محمد بن حسن بن عتبة عن أبي الحسن محمد بن حسين بن أحمد عن محمد بن رهبان الدبيلي عن علي بن أحمد بن كثير العسكري عن أحمد بن المفضل أبو سلمة الأصفهاني عن أبي علي راشد بن علي بن وابل القرشي عن عبدالله بن حفص المدني عن محمد بن اسحق عن سعد بن زيد بن ارطأة أنه قال: التقيت بكميل بن زياد وسألته عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: أحدثك هنا عن الوصايا التي قالها لي عليه السلام والتي هي أنفع من الدنيا وما فيها. ثم قال بعد ذلك: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام يوماً:

---

(١) مناقب الخوارزمي ص ٣٥.

(٢) الرواية الطويلة الآتية تذكر في هذا المبحث لكونها تشتمل على مطالب وموارد «ولائية» ولأنها أيضاً حاوية لمطالب مفيدة أخرى. والمؤسف أن عباراتها ما عدا عدة موارد ـ قد قطعت.

«يا كميل بن زياد، سم الله وسم كل يوم باسم الله وقل لا حول ولا قوة إلا بالله وتوكل على الله واذكرنا وسم بأسمائنا وصل علينا واستعذ بالله وبنا وادرأ بذلك عن نفسك وولدك وما تحوطه عنايتك تكف شر ذلك اليوم».

«يا كميل، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أدبه الله عز وجل وهو أدبني وأنا أؤدب المؤمنين وأورث آداب المكرمين».

«يا كميل ما من علم إلا وأنا أفتحه وما من شيء إلا والقائم يختمه».

«يا كميل، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم».

«يا كميل، لا تأخذ إلا عنا تكن منا وما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفته».

«يا كميل، إذا أكلت الطعام فسم باسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء وفيه شفاء من كل الأسواء ولا تبخل عليه فإنك لم ترزق الناس شيئاً والله يجزل لك الثواب بذلك».

«يا كميل، أحسن خلقك وابسط جليسك ولا تنهرن خادمك».

«يا كميل، إذا أنت أكلت فطوّل أكلك ليستوفي من معك وترزق منه غيرك».

«يا كميل، إذا استوفيت طعامك فاحمد الله على ما رزقك وارفع بذلك صوتك ليحمده سواك فيعظم بذلك أجرك».

«يا كميل، لا توقرن معدتك طعاماً ودع فيها للماء موضعاً وللريح مجالاً».

«يا كميل، لا تنفد طعامك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم

ينفده».

«يا كميل، لا ترفعن يدك عن الطعام إلا وأنت تشتهيه فإذا فعلت ذلك فأنت تستمرئه».

«يا كميل، صحة الجسد من قلة الطعام وقلة الماء. يا كميل، البركة في المال من ايتاء الزكاة ومواساة المؤمنين وصلة الأقربين وهم الأقربون».

«يا كميل، زد قرابتك المؤمن على ما تعطي سواه من المؤمنين وكن بهم أرأف وعليهم أعطف وتصدق على المساكين».

«يا كميل، لا تردن سائلاً ولو بشق تمرة أو من شطر عنب».

«يا كميل، الصدقة تنمو عند الله تعالى».

«يا كميل، حسن خلق المؤمن من التواضع وجماله التعفف وشرفه التفقه وعزه ترك القال والقيل إياك والمراء فإنك تغري بنفسك السفهاء وتفسد الآخاء».

«يا كميل، قل الحق على كل حال وازر المتقين واهجر الفاسقين وجانب المنافقين ولا تصاحب الخائنين».

«يا كميل، إياك وتطرق أبواب الظالمين والاختلاط بهم والاكتساب منهم وإياك أن تعظمهم أو تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك وإن اضطررت إلى حضورهم فداوم ذكر الله تعالى وتوكل عليه واستعذ بالله من شرورهم واطرق عنهم وانكر بقلبك فعلهم واجهر بتعظيم الله تعالى لتسمعهم فإنهم يهابوك وتكفي شرهم.

«يا كميل، إن أحب ما امتثلته العباد إلى الله بعد الاقرار به وبأوليائه عليهم السلام التحمل والتعفف والاصطبار».

«يا كميل، لا ترى الناس افتقارك واضطرارك واصبر عليه بعز وتستر».

«يا كميل، لا بأس بأن تعلم أخاك سرّك ومن أخوك؟ أخوك الذي لا يخذلك عند الشدة ولا يقعد عنك عند الجريرة ولا يخدعك حتى تسأله ولا يتركك وأمرك حتى تعلمه فإن كان جميلاً أصلحه».

«يا كميل، المؤمن مرآة المؤمن لأنه يتأمله ويسد فاقته ويجمل حالته».

«يا كميل، المؤمنون اخوة ولا شيء آثر عند كل أخ من أخيه».

«يا كميل، إن لم تحب أخاك فلست أخاه».

«يا كميل، ان المؤمن من قال بقولنا فمن تخلف عنّا قصر عنا ومن قصر عنّا لم يلحق بنا ومن لم يكن معنا ففي الدرك الأسفل من النار».

«يا كميل، كل مصدور ينفث فمن نفث إليك منّا بأمر فاستره وإياك أن تبديه فليس لك من ابدائه توبة فإذا لم تكن توبة فالمصير إلى لظى».

«يا كميل، اذاعة سر آل محمد عليهم السلام لا يقبل الله تعالى منها ولا يحتمل أحد عليها وما قالوه لك مطلقاً فلا تعلمه إلا مؤمناً موافقاً يا كميل لاتعلموا الكفار من أخبارنا فيزيدوا عليها فيبدوكم بها إلى يوم يعاقبون عليها».

«يا كميل لا بد لماضيك من أوبة ولا بد لنا فيكم من غلبة يا كميل سيجمع الله تعالى لكم خير البدء والعاقبة».

«يا كميل أنتم ممنوعون بأعدائكم تطربون بطربهم وتشربون

بشربهم وتأكلون بأكلهم وتدخلون مداخلهم وربما غلبتم على نعمتهم على اكراه منهم لذلك ولكن والله عز وجل ناصركم وخاذلهم فإذا كان والله يومكم وظهر صاحبكم لم يأكلوا والله معكم ولم يردوا مواردكم ولم يقرعوا أبوابكم ولم ينالوا نعمتكم إذ له خائبين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً أحمد الله تعالى والمؤمنين على ذلك وعلى كل نعمة».

«يا كميل، قل عند كل شدة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تكفلها وقل عند كل نعمة الحمد لله تزداد منها وإذا أبطأت الأرزاق عليك فاستغفر الله يوسع عليك فيها».

«يا كميل إذا وسوس الشيطان في صدرك فقل أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي وأعوذ بمحمد الرضي من شر ما قدر وقضى وأعوذ بإله الناس من شر الجنة والناس أجمعين وصلى الله على محمد وآله وسلم تكفي مؤنة إبليس والشياطين معه ولو أنهم كلهم أبالسة مثله.

«يا كميل إن لهم خدعاً وشقاشق وزخارف ووساوس وخيلاء على كل أحد قدر منزلته في الطاعة والمعصية فبحسب ذلك يستولون عليه بالغلبة. يا كميل لا عدو أعدى منهم ولا ضار أضر بك منهم أمنيتهم أن تكون معهم غداً إذا جثوا في العذاب لا يفتر عنهم منهم باسمه وبنيه وجميع عزائمه. يا كميل سخط الله تعالى محيط بمن لم يحترس منهم باسمه وبينه وجميع عزائمه. يا كميل إنهم يخدعوك بأنفسهم فإذا لم تجبهم مكروا بك وبنفسك بتحسينهم إليك شهواتك واعطاءك أمانيك وارادتك ويسولون لك وينسونك وينهونك ويأمرونك ويحسنون ظنك بالله عز وجل حتى ترجوه فتعتز بذلك فتعصيه وجزاء العاصي لظى. يا كميل احفظ قول الله تعالى عز وجل ﴿**الشيطان سوّل لهم وأملى لهم**﴾ والمسوّل الشيطان والمملي الله تعالى».

«يا كميل اذكر قول الله تعالى لإبليس: ﴿**واجلب عليهم بخيلك**

ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ إن إبليس لا يعد عن نفسه وإنما يعد عن ربه ليحملهم على معصيته فيورطهم. يا كميل إنه يأتي لك بلطف كيده فيأمرك بما يعلم انك قد ألفت من طاعة لا تدعها فتحسب إن ذلك ملك كريم وإنما هو شيطان رجيم فإذا سكنت إليه واطمأننت حملك على العزائم المهلكة التي لا نجاة معها. يا كميل إن له فخاخاً ينصبها فاحذر ان يوقعك فيها».

«يا كميل إن الأرض مملوءة من فخاخهم فلن ينجو منها إلا من تشبث بنا وقد أعلمك الله أنه لن ينجو منها إلا عباده وعباده أولياءنا وهو قول الله عز وجلّ: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾** وقوله عز وجل **﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾** يا كميل انج بولايتنا من أن يشركك الشيطان في مالك وولدك كما أمر».

«يا كميل، لا تغتر بأقوام يصلون فيطيلون ويصومون ويتداومون ويتصدقون فيحسبون أنهم موفقون. يا كميل اقسم بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الشيطان إذا حمل قوماً على الفواحش مثل الزنا وشرب الخمر والربا وما أشبه ذلك من الخنا والمآثم، ثم حبب إليهم العبادة الشديدة والخشوع والركوع والخضوع والسجود ثم حملهم على ولاية الأئمة الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون».

«يا كميل، انه مستقر ومستودع فاحذر أن تكون من المستودعين، وإنما تستحق أن يكون مستقراً إذا لزمت الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج ولا تزيلك عن منهج ما حملناك عليه وما هديناك إليه».

«يا كميل لا رخصة في فرض ولا شدة في نافلة. يا كميل إن الله

عز وجل لا يسألك الا على الفرض وإنما قدمنا عمل النوافل بين أيدينا للأهوال العظام والطامة يوم المقام».

«يا كميل، إن ذنوبك أكثر من حسناتك وغفلتك أكثر من ذكرك ونعم الله عليك أكثر من كل عملك يا كميل إنه لا تخلو من نعمة الله عز وجل عندك وعافيته فلا تخل من تحميده وتمجيده وتسبيحه وتقديسه وشكره وذكره على كل حال. يا كميل لا تكونن من الذين قال الله عز وجل: ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ ونسبهم إلى الفسق فقال: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾.

«يا كميل! ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، الشأن أن تكون الصلاة فعلت بقلب تقي وعمل عند الله المرضي وخشوع سوي وابقاء للجد فيها».

«يا كميل انظر فيم تصلي وعلى ما تصلي إن لم تكن من وجهه وحله فلا قبول».

«يا كميل إن اللسان يبوح بالقلب والقلب يقوم بالغذاء فانظر فيما تغذي قلبك وجسمك فإن لم يكن ذلك حلالاً لم يقبل الله تسبيحك ولا شكرك».

«يا كميل افهم واعلم أنا لا نرخص في ترك اداء الأمانات لأحد من الخلق. فمن روى عني في ذلك رخصة فقد أبطل وأثم وجزاءه النار بما كذب».

«اقسم لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثة: يا أبا الحسن إن الأمانة إلى البر والفاجر فيما قل وجل جنى في الخيط والمخيط».

«يا كميل لا غزو إلا مع إمام عادل ولا نفل إلا مع إمام فاضل.

يا كميل أرأيت لو لم يظهر نبي وكان في الأرض مؤمن تقي أكان في دعائه إلى الله تعالى مخطئاً أو مصيباً؟ بلى والله مخطئاً حتى ينصبه الله عز وجل ويؤهله له».

«يا كميل الدين لله فلا تغترن بأقوال الأمة المخدوعة التي قد ضلت بعدما اهتديت وجحدت بعدما قبلت».

«يا كميل الدين لله فلا يقبل الله من أحد القيام به إلا رسولاً أو نبياً أو وصياً. يا كميل إنما هي نبوة أو رسالة وإمامة ولا بعد ذلك إلا متولين وضالين ومعتدين».

«يا كميل إنما حظي من حظي بدنيا زائلة مدبرة وتحظى بآخرة باقية ثابتة. يا كميل نحن الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر يشهد الثقل الأكبر للثقل الأصغر ويشهد الثقل الأصغر للثقل الأكبر كل واحد منهما ملازم لصاحبه غير مفارق له حتى يردا إلى الله عز وجل فيحكم بينهما وبين العباد فإذا كنا كذلك فعلام يتقدمنا من تقدم ويتأخر عنا من تأخر؟! وقد أسمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جمعهم فنادى الصلاة جامعة أياماً سبعة وقت كذا أو كذا فلم يتخلف أحد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «معاشر الناس اني مؤد عن ربي عز وجل لا مخبر عن نفسي ومن صدقني فقد صدق الله ومن صدق الله أصابه الجنان ومن كذبني كذب الله عز وجل ومن كذب الله أعقبه النيران». ثم ناداني فصعدت فأقامني دونه ورأسي إلى صدره والحسن والحسين عن يمين وشمال ثم قال: «معاشر الناس أمرني جبرائيل عن الله تعالى أنه ربي وربكم إن أعلمكم أن القرآن هو الثقل الأكبر وأن وصيي هذا وابنيي ومن خلفهم من أصلابهم هم الثقل الأصغر يشهد الثقل الأكبر للثقل الأصغر ويشهد الثقل الأصغر للثقل الأكبر كل واحد منهما ملازم لصاحبه غير مفارق له حتى يردا على الله عز وجل فيحكم

بينهما وبين العباد».

«يا كميل قد أبلغهم رسول الله صلى الله عليه وآله رسالته ونصح لهم ولكن لا يحبون الناصحين. يا كميل قال رسول الله قولاً أعلنه والمهاجرون والأنصار متوافرون يوماً بعد العصر يوم النصف من شهر رمضان قائم على قدميه من فوق منبره: «علي مني وابناي منه والطيبون مني ومنهم وهم الطيبون بعد أمهم وهم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى: الناجي في الجنة والهاوي في لظى: يا كميل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

«يا كميل نحن والله الحق الذي قال الله عز وجل: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن».

يا كميل أنا أحمد الله على توفيقه إياي والمؤمنين على كل حال. يا كميل إنما حظي من حظي بدنيا زائلة مدبرة فافهم وتحظى بآخرة باقية ثابتة، يا كميل كل يصير إلى الآخرة والذي يرغب فيها منها ثواب الله عز وجل والدرجات العلى والجنة التي لا يورثها إلا من كان تقياً».

«يا متم، إن شئت فقم».

وفي كتاب «أمالي الصدوق» روي عن نوف البكالي أنه قال: جئت إلى أمير المؤمنين (ع) في صحن مسجد الكوفة وبعد السلام وأداء الاحترام قلت يا أمير المؤمنين عظني. فقال: أحسن يحسن إليك فقلت: زدني يا أمير المؤمنين. قال: يا نوف ارحم ترحم فقلت: زدني يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف كل خيراً تذكر بخير. فقلت: زدني يا أمير المؤمنين فقال: اجتنب الغيبة فإنها أدام كلاب النار. فقال: يا نوف كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة وكذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يبغضني ويبغض الأئمة من

ولدي وكذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يحب الزنا وكذب من زعم أنه يحب الله وهو مجترىء على معاصي الله كل يوم وليلة. يا نوف اقبل وصيتي لا تكونن نقيباً ولا عريفاً ولا عشاراً ولا بريداً. يا نوف صل رحمك يزيد الله في عمرك وحسن خلقك يخفف الله حسابك. يا نوف إن سرك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين معيناً. يا نوف من أحبنا كان معنا يوم القيامة ولو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه. يا نوف إياك أن تتزين للناس وتبارز الله بالمعاصي فيفضحك الله يوم تلقاه. يا نوف احفظ عني ما أقول لك تنل به خير الدنيا والآخرة.

معرفة النفس

يقول كميل بن زياد: طلبت من أمير المؤمنين عليه السلام أن يعرفني نفسي. فقال: يا كميل أي نفس تريد؟ فقلت: فهل عندي غير نفس واحدة؟ فقال:

«يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية. ولكل واحد من هذه خمس قوى وخاصيتان. فالنامية النباتية لها خمس قوى. ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية ولها خاصيتان: الزيادة والنقصان وانبعاثها من الكبد وهي أشبه الأشياء بنفس الحيوانية.

والحيوانية الحسية ولها خمس قوى: سمع وبصر وشم وذوق ولمس. ولها خاصيتان: الرضا والغضب وهي أشبه الأشياء بنفس الأسباع.

والناطقة القدسية ولها خمس قوى: فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بنفس الملائكة ولها خاصيتان: النزاهة والحكمة. والكلية الإلهية ولها خمس قوى: بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعزة في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء ولها خاصيتان: الحلم والكرم. وهذه التي مبدأها من الله وإليه تعود لقوله تعالى: ﴿**ونفخنا فيه من روحنا**﴾ وأما عودها فلقوله تعالى: ﴿**يا أيتها**

النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾والعقل وسط الكل لكيلا يقول أحدكم شيئاً من الخير والشر إلا لقياس معقول.

نقل في كتاب غوالي اللئالي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: .

«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

وقال عزالدين المقدسي في تفسير هذا الكلام: الروح التي هي لطيفة لاهوتية في جثة ناسوتية تدل على مدبر العالم الواحد من عشرة وجوه: الوجه الأول إن الروح هي توجب حركة الجسم وتديره، ومن هنا يمكن أن يستنتج أن للعالم محركاً ومدبراً أيضاً. الثاني إن وحدة الروح في البدن دليل وحدة ووحدانية الرب. الثالث إن قدرة الروح في تحريك البدن علامة قدرة الله وقوته. الرابع إن اطلاع الروح عن الجسم دليل اطلاع الحق تعالى على عالم الوجود. الخامس إن احاطة واستيلاء الروح على الجسد دليل احاطة واستيلاء الله تعالى على عالم الخلق. السادس إن وجود الروح قبل وجود الجسم وبقاؤها بعد البدن دليل أزلية وأبدية الله تعالى. السابع إن عدم اطلاع الإنسان على كيفية الروح دليل على أنه لا احاطة ولا اطلاع لأحد على ذات الله. الثامن إن عدم الاطلاع بالنسبة لمحل الروح من البدن دليل على تجرد الله وأنه ليس في محل أو مكان. التاسع إن عدم امكان الاتصال بالروح دليل على أن الاتصال المادي بالحق أيضاً ممتنع. العاشر أن عدم إمكان رؤية الروح دليل على أنه لا يمكن رؤية الله أيضاً بالعين وإن رؤيته غير ممكنة.

مثال حضرة الباري صورة الإنسان   خطر عذار سواد مطابق للأصل
كيفية النفس ليس المرء يعرفها   فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعا   فكيف يدركه مستحدث النسم

قال أحد الكبراء. «من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز».

أيها الدرويش! قلب الإنسان بمثابة مشكاة، والروح النباتية التي في الكبد بمنزلة زجاجة، والروح الحيوانية التي في القلب فتيلة، والروح النفسانية التي في الدماغ بمثابة زيت، والروح الإنسانية بلا مكان في الوسط فاكتمل المصباح.

الأرواح طيور سماوية في أقفاص أشباح البشرية، إذا ألفت بالعلم صارت ملائكة عرشية، وإذا ألفت بالجهل صارت حشرات أرضية.

العقل

ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال:

«لم يعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشرة خصال: الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره، ولا يتبرم لطلاب الحوائج قلبه، الذل أحب إليه من العزة والفقر أحب إليه من الغناء، نصيبه من الدنيا القوت، والعاشرة لا يرى أحد إلا قال هو خير مني وأتقى فإنما الناس رجلان: رجل هو خير منه وأتقى والآخر هو شر منه وأدنى فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليحلق به وإذا لقى الذي هو شر منه وأدنى قال عسى خير هذا باطن وشره ظاهر وعسى أن يختم له بخير فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل زمانه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه» بمعنى أن عقل الإنسان وفهمه يظهر من خلال كلامه.

يقول سعدي:

ما هو اللسان الذي في الفم أيها العاقل؟ إنـه مفـتاح لكنـز صـاحب الفن

فإذا كان الباب مغلقاً فمن سيدري أنــه بــائــع جــواهــر أو عطــار

قال الإمام الصادق عليه السلام لهشام:

«يا هشام من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله. فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً. يا هشام، إن الله عز وجل حكى عن قوم صالحين قالوا: ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**﴾[1] حتى علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها وددها».

ومروي في كتاب مصباح الشريعة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «العاقل من كان ذلولاً عند اجابة الحق منصفاً بقوله جموحاً عند الباطل خصيماً بقوله يترك دنياه ولا يترك دينه. ودليل العاقل شيئان: صدق القول وصواب الفعل، والعاقل لا يحدث بما ينكره العقول ولا يتعرض للتهمة ولا يدع مداراة من ابتلى به، ويكون العلم دليله في أعماله، والحلم رفيقه في أحواله والمعرفة يقينه في مذاهبه، والهوى عدو العقل ومخالف للحق وقرين الباطل وقوة الهوى من الشهوات واصل علامات الهوى من أكل الحرام والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن والخوض في الملاهي».

وروي عن النبي الأكرم (ص) أنه:

«قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له:

حسن المعرفة لله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨.

وروي في كتاب الكافي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال جواباً لسؤال أحد أصحابه: «ما العقل؟» فقال:

«العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان» قيل: فالذي كان في معاوية. فقال: «تلك النكراء وتلك الشيطنة وهي شبيه بالعقل».

يعرف عقل الرجل بإحدى ثلاثة: أما برسوله وأما بكتابه وأما بهديته. وأقول: وكثيراً ما يضطر الإنسان في الأول والثالث إلى غير أهله.

العلم

روي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أن:

«طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجدل والمراء مؤذ ممار فتعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى عن الورع فدق الله خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خبث وملق يستطيل به على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينهم حاطم فعمى الله على هذا خبره وقطع في آثار العلماء أثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى دجلا واعياً مشفقا مقبلا على شأنه عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من أوثق اخوانه فشيد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه».

ونقل عن النبي الأكرم (ص) أنه عندما التقى موسى مع الخضر عليه السلام طلب منه أن يعطيه موعظة ووصية فقال له الخضر:

«يا طالب العلم ان القائل أقل ملالاً من المستمع فلا تملّ

جلسائك إذا حدثتهم واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا يحتويه وعاءك واعرف الدنيا وانبذها وراءك فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها محل ولا قرار وأنها جعلت بلغة للعباد ليتزودانها للمعاد. يا موسى وطن نفسك على الصبر تلق الحلم واشعر قلبك التقوى تنل العلم وأرض نفسك على الصبر تخلص من الاثم يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريده فإنما العلم لمن تفرغ له ولا تكونن مكثاراً بالمنطق ومهذار فإن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوي السخفاء ولكن عليك بذي اقتصاد فإن ذلك من التوفيق والسداد واعرض من الجهال واحلم عن السفهاء فإن ذلك فضل الحكماء وزين العلماء وإذا شتمك الجاهل فاسكت عنه سلماً وجانبه حزماً فإن ما بقي من جهله عليك وشتمه إياك أكثر. يا بن عمران لا تفتحن باباً لا تدري ما غلقه ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه. يا بن عمران من لا تنتهي من الدنيا نهمته ولا تنقضي فيها رغبته كيف يكون عابداً ومن تحصر حاله ويتهم الله بما قضى له كيف يكون زاهداً يا موسى تعلم ما تعلم لتعمل به ولا تتعلمه لتحدث به فيكون عليك بوره ويكون على غيرك نوره».

ورووا عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أيضاً أنه:

«كان لموسى بن عمران جليس من أصحابه قد دعى علماً كثيراً فاستأذن موسى في زيارة أقارب له فقال له موسى عليه السلام ان لصلة القرابة لحقاً ولكن إياك أن تركز إلى الدنيا فإن الله قد حملك علماً فلا تضيعه فتركن إلى غيره فقال الرجل لا يكون إلا خيراً ومضى نحو أقاربه وطالت غيبته فسأل موسى عنه ولم يخبره أحد بما له فسأله جبرائيل عنه فقال له أخبرني عن جليسي فلان ألك به علم قال نعم هوذا على الباب قد مسخ قرداً في عنقه سلسلة ففزع موسى إلى ربه وقام إلى مصلاه يدعو الله ويقول يا رب صاحبي وجليسي فأوحى الله

يا موسى دعوتني حتى تنقطع ترقوتاك ما أستجيب لك فيه اني كنت حملته علماً فضيعه وركن إلى غيره».

أقول: لو قال لا يكون إلا خيراً إن شاء الله تعالى لكان له خيراً.

ونقل عن نفس هذا الإمام (ع) أنه:

«من تعلم وعمل لله دعي في ملكوت السموات عظيماً».

وقال أيضاً: «من ازداد من الله علماً وازداد للدنيا حباً ازداد من الله بعداً وازداد الله عليه غضباً.

يقول المعلم الأول الفارابي:

نظرت بنور العلم أول نظر فغبت عن الأكوان وارتفع اللبس

ونقل في كتاب الكافي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام انه ورد في الإنجيل:

«لا تطلبوا علم ما لا تعملون ولما تعملوا بما علمتم فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزدد من الله إلا بعداً.

العلم الذي لا عمل فيه عار كل سجدة لا ذكر فيها شنار (اعوجاج)

كل من تحلى بعلم دونما عمل فليس عالماً وإنما جاهل عمل مشعل

روى الغزالي في كتاب «منهاج العابدين» أنه:

«أوحى الله تعالى إلى داوود: يا داوود تعلم العلم النافع قال: يا إلهي وما العلم النافع؟.

قال: إن تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فإن هذا الذي يقربك إلي» قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «رأس الحكمة مخافة الله».

وقال أيضاً:

«من طلب العلم لله عز وجل لم يصب منه باباً إلا ازداد في نفسه ذلاً وللناس تواضعاً ولله خوفاً وفي الدين اجتهاداً فذلك الذي ينتفع بالعلم فليتعلمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا إلا ازداد في نفسه عظمة وعلى الناس استطالة وبالله اغتراراً وفي الدين جفاء فذلك الذي لا ينتفع بالعلم فليسف به وليمسك عن الحجة على نفسه والندامة والحزن ليوم القيامة».

وقال الإمام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في وصيته لابنه: «يا بني اجتهد في تعلم علم السر فإن بركته كثيرة أكثر مما يظن. يا بني من تعلم علم العلانية وترك علم السر يهلك ولا يسعد. يا بني إن أردت أن يكرمك ربك بعلم السر فعليك ببغض الدنيا واعرف خدمة الصالحين واحكم أمرك للموت، فإذا اجتمعت فيك هذه الخصال الثلاثة يكرمك ربك بعلم السر».

لو كان هذا العلم يحصل بالمنى ... ما كان يبقى في البرية جاهل
اجهد ولا تكسل ولا تك غافلا ... فندامة أن العقبى لمن يتكاسل

روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه:

«الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا قيل: وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».

وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«من أراد أن يحفظ العلوم فعليه بخمس خصال: صلاة الليل ولو بركعتين، والدوام على الوضوء، والتقوى في السر والعلانية، وأن

يأكل الغذاء لقوة لا لشهوة، والسواك».

يا طالب العلم باشر الورعا   واهجر النوم واترك الشبعا
داوم على الدرس لا تفارقه   فالعلم بالدرس قام وارتفعا

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا يحصل العلم إلا بخمسة أشياء: كثرة السؤال وخدمة الرجال وتطهير الأفعال والسهر بالليالي والاستعانة بذي الجلال».

ألا لن تنالوا العلم إلا بستة   سأنبؤها عن جمعها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة   وشفقة استاد وطول زمان

ورد في الرواية التالية عن أمير المؤمنين عليه السلام حول المحكمة وحث المسلمين على تعلم الحكمة:

«الحكمة ضالة المؤمن فليطلبها ولو في أيدي أهل الشر».

«الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها».

وقال أيضاً:

«لو أن أهل العلم حملوه بحق لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم وهانوا على الناس».

مهما درست من علم أكثر   فما دمت لم تعمل فلست بعالم
ولست محققاً ولا عالماً وإنما   دابة تحمل مجموعة كتب

قال أحد العظماء: «كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به».

روي عن النبي عيسى عليه السلام أنه:

«يا عبيد الدنيا مثلكم كمثل السراج يضيء غيره ويحرق نفسه. يا

بني اسرائيل زاحموا العلماء ولو جثوا على الركب فإن الله يحيى القلب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر».

أوحى الله تعالى إلى النبي داوود عليه السلام:

«قل لعبادي لا تجعلوا بيني وبينكم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدكم عن ذكري وعن طريق محبتي ومناجاتي. أولئك قطاع الطريق من عبادي. ان أدنى ما أنا صانع. بهم ان أنزع حلاوة عبادتي ومناجاتي من قلوبهم».

حرض بنيك على الآداب في الصغر	كيما تقر به عيناك في الكبر
وإنما مثل الآداب تجمعها	في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها	ولا يخاف عليها حادث الغير
إن الأديب إذا زلت به قدم	يهوي على فرش الديباج والسرر
الناس اثنان ذو علم ومستمع	واع وسايرهم كاللغو في الفكر

كيفية القلب

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ما من أحد إلا ولقلبه عينان يدرك بهما الغيب فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له عيني قلبه».

وقال أيضاً:

زيّــن القلـــب بالتـقـــى تـنـل الفـــوز والبقـــاء
ثـم بـالصبـر والحجـى ثـم بـالخـوف والـرجـاء

لا يمكن تحصيل حضـور القلب في لباس الحرير
إذ لم يشعل أحد مصباحاً من فتيلة الحرير

وقال الإمام أيضاً: .

«القلوب أربعة: صدر وقلب وفؤاد ولب. فالصدر للإسلام والقلب للإيمان والفؤاد موضع المعرفة واللب للذكر».

عمر بيت القلب بنو المعرفة وجِدْ له   حيلة لكي لا يستوعب غير فكره

طهر الخاطر من التعلقات في طريق وصل المحبوب وأحي الليل بمثل تأوه المتعبين في جوف الظلام.

قال أحد المحققين:

«القلب له معنيان مختلفان: أحدهما في ذلك اللحم الصنوبري الشكل الذي ينبض في الجانب الأيسر لصدر الإنسان. والقلب بهذا المعنى عضلة خاصة ويجري في داخله الفارغ دم أسود وهو منبع ومنشأ الروح. وهو بهذا المفهوم ليس مختصاً بالإنسان وإنما هو موجود في الوحوش والأموات أيضاً. وأما المعنى الآخر للقلب فلطيفة إلهية وروحانية لها تعلق وارتباط بالقلب بالمعنى الأول، وهذه اللطيفة يعبر عنها تارة بالقلب وأخرى بنفس وروح الإنسان. والقلب بالمعنى الثاني يكون واجد الصفات الإدراك والعلم والمعرفة، وهو الذي يؤخذ موضع الخطاب والعتاب والمؤاخذة، وفي نفس الوقت له ارتباط مع بدن الإنسان أيضاً».

ورد في الحديث:

«إن القلب يصدأ كما يصدأ الحديد أي يركبه الرين بمباشرة المعاصي والآثام فيذهب جلاؤه».

ونقل في رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه «يصدأ القلب فإذا ذكرته بلا إله إلا الله انجلى».

صدور ذوي المحبة الصافية فارغة من الحوادث[1] فما ينبغي أن يرى في مرآة القلب قد رأيناه.

وروي كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من مؤمن إلا ولقلبه اذنان في جوفه: اذن ينفث فيها

(١) جعلناها ترجمة بالمعنى لكلمة «جام جم» التي هي مرآة جمشيد التي كان يرى بها حوادث الدنيا كما في المعجم إذ أن المعنى المراد هو ما ذكرناه ظاهراً.

الوسواس الخناس، وأذن ينفث فيها الملك فيؤيد الله تعالى المؤمن وذلك قوله **﴿وأيدهم بروح منه﴾**.

وفي كتاب الكافي إن ابن عيينة سأل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الآية الشريفة **﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** فأجاب الإمام عليه السلام بالقول:

«القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه. وقال: كل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط. وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة».

وورد في حديث آخر أنه:

«القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان إذا أدركه الموت وصاحبه على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجا. وقلب منكوس وهو قلب المشرك. وقلب مطبوع وهو قلب المنافق. وقلب أزهر أجرد وهو قلب المؤمن كهيئة السراج إن أعطاه الله شكر وإن ابتلاه صبر».

العشق والمحبة

روي في باب العبادة من كتاب أصول الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال:

«قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر».

ونقل المرحوم المجلسي في كتاب «بحار الأنوار» عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه:

«إن الجنة لأعشق إلى سلمان من سلمان الجنة».

وورد في نفس الكتاب أن الإمام أبا جعفر محمد الباقر عليه السلام نقل عن أبيه العظيم أنه عندما صادف مرور أمير المؤمنين عليه السلام «من كربلاء» قال لأصحابه بعيون طافحة بالدموع والحزن:

«هذا مناخ ركابهم» إلى أن قال عليه السلام: حتى طاف بمكان يقال له «المقدمان» فقال: قتل فيها مئتا نبي ومئتا سبط كلهم شهداء. قال عليه السلام: «ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم».

قالوا لأفلاطون الحكيم: لقد ابتلي ابنك بالعشق. فقال: الآن تم في الإنسانية.

كتب صاحب «ريحان وريعان»: المحبة هي الخطوة الأولى في وادي الهوى. وبعدها بالترتيب يكون التعلق والشوق والكلف والوجد والعشق. اسم وصفة لحالة أعلى من المحبة ثم تحصل حالة الشغف. والشغف هو ذلك الاحتراق في قلب الإنسان بنار المحبة الذي يزول بالاحساس بلذة خاصة، وبعد هذه تظهر حالات اللوعة واللاعج والغرام والجوى. والجوى اشتياق القلب الشديد وعندها حالة التتييم والتبتل والهيام. والهيام شيء شبيه بالجنون. والعشق يحسب عند الأطباء من مجلة أمراض الماليخوليا.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: .

«قال الله تعالى: إذا علمت أن الغالب على قلب عبدي الاشتغال بي جعلت شهوة عبدي في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك عشقني عبدي وعشقت فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو عني حلت بينه وبين سهوه عني. أولئك أوليائي حقاً أولئك الأبطال، أولئك الذين إذا أردن أهل الأرض بعقوبة زويتها عنهم لأجلهم».

هذان البيتان منسوبان لجواد الأئمة عليهم السلام أنشأهما حين المرض والحمى:

أنت أمرضتني وأنت طبيبي فتفضل بنظرة يا حبيبي
واسقني من شراب ودك كأسا ثم زد في حلاوة التقريب

وهذه من مجلة أشعار للمرحوم «العراقي»:

نسيت اليوم من عشقي غذائي فلا أدري غذائي من عشائي
فذكرك يا سيدي أكلي وشربي ووجهك إن نظرت شفاء دائي

يا مقسم بالمثاني أن لا يجيء مكاني   كفّر يمينك حتماً فأنت وسط جناني
متى تباعدت عني وانت في القلب داني   متى تغيبت عني وانت عين عياني
والله ما كنت وحدي إلا رأيتك ثاني

* * *

إني عشقت وما في العشق من يأس   ما أطيب العشق لولا شنعة الناس
والله ما طلعت شمس وما غربت   إلا وأنت مني بقلبي ووسواس
ولا تنفست محزوناً ولا فرحا   إلا وذكرك مقروناً بأنفاس
ولا جلست إلى قوم أحدثهم   إلا وأنت حديثي بين جلاس
إن كان حبكم كالورد منصرفا   فإن حبي لكم عطري من الآس
مالي وللناس كم يحجونني سفها   ديني لنفسي ودين الناس للناس

العرفان والتصوف

ورد في كتاب «غوالي اللئالي» أنه سئل الإمام علي عليه السلام ما هو معنى التصوف؟ فقال: «التصوف مشتق من الصوف وهو ثلاثة أحرف: ص ـ واو ـ فاء فالصاد صبر وصدت وصفاء والواو (ورد وودٌّ ووفاء والفاء فقر وفرد وفنا)».

روي عن رسول الله صلى عليه وآله أنه قال:

«لما أسري بي إلى السماء ودخلت الجنة رأيت في وسطها قصراً من ياقوتة حمراء فاستفتح لي جبرائيل بابه فدخلت القصر فرأيت فيه بيتاً من درة بيضاء فدخلت فرأيت في وسطه صندوقاً من نور مقفل بقفل من نور فقلت يا جبرائيل ما هذا الصندوق وما فيه؟ فقال جبرائيل: يا حبيب الله فيه سر لا يعطيه إلا لمن يحبه فقلت: افتح لي بابه فقال: أنا عبد مأمور فاسأل ربك حتى يأذن في فتحه فسألت الله فإذا النداء من قبل الله: يا جبرائيل افتح بابه. ففتحه فرأيت فيه الفقر والمرقعة. فقلت: يا سيدي ومولاي ما هذه المرقعة والفقر؟ فنوديت: يا محمد هذان اخترتهما لك ولأمتك من الوقت الذي خلقتهما ولا أعطيهما إلا لمن أحب وما خلقت شيئاً أعز منهما. ثم قال عليه السلام: قد اختار الله لي الفقر والمرقع فإنهما أعز شيء عنده فلبسهما النبيَ صلى الله عليه وآله وتوجه الله بها فلما رجع من المعارج ألبسها

علياً عليه السلام بإذن الله وأمره فكان يلبسها ويرقعها بيده رقعة حتى قال: والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها وألبسها بعده ابنه الحسن ثم الحسين ثم لبسها أولاد الحسين فلبسها واحد بعد واحد حتى اتصلت بالمهدي فهي معه مع ساير مواريث الأنبياء عليهم السلام» وصاحب «غوالي اللئالي» بعد نقل هذا الحديث قال في الحاشية: «اعلم أن المقصود من الخرقة والمرقعة في هذه الرواية ليس الخرقة المصطلحة بين أهل التصوف والعرفان المصطلح، إذ أن هذه الكلمة عندهم كناية عن أمر معنوي وعُبارة عن أخذ المعنى والحقيقة من صاحب المقام الذي يأخذه السالك من بعد الاستعداد والاتصاف بصفات الإرشاد والتخلق بأخلاق المرشد. وبعبارة أخرى مقصود هذه الجماعة من اصطلاح «الخرقة» هو مصاحبة ونسبة السالك تلك، ولبس الخرقة كناية عن أخذ وتلقي المعنوية الذي يعبر عن معناه بالفقر وعن صورته بالخرقة»[1].

نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«الشريعة نهر والحقيقة بحر فالعلماء حول النهر يطوفون والحكماء في البحر للدر يغوصون والعرفاء على سفن النجاة يسيرون».

وقال علي عليه السلام:

---

(١) انتقال المرقعة في الحديث أعلاه أيضاً كناية عن أمر معنوي لكن حيث أن مقام الولاية الكلية كان ثابتاً للنبي صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام قبل خلق العالم لذا بالنسبة لهم خلافاً للعلاقة بين المرشد والسالك فموضوع أخذ المعنى والتخلق بأخلاق المرشد والوصول إلى مرتبة الكمال غير مطروح. وانتقال المرقع من أمام الإمام التالي إنما هو حاك صرفاً عن كيفية توالي ظهور مقام الولاية الكلية العلوية.

«الصوفي من لبس الصوف على الصفا وسلك طريق المصطفى ورفض الدنيا خلف القفا ويستوي عنده الذهب والحجر والفضة والمدر وإلا فالكلب الكوفي خير من ألف صوفي».

اعلم أيها العزيز أن لبس الصوف وترك الدنيا كان صفة جميع الأنبياء والأولياء من آدم إلى الخاتم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان وقلة الأكل تعرفون في الآخرة. وإن النظر إلى الصوف يورث التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجري في أجوافكم مثل الدم».

في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون صلى الله عليهما على فرعون وعليهما مدارع الصوف» وفي الخبر:

«جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم وألبسوا جلباب الحزن لعلكم ترون الله في قلوبكم. لأنه ليس عند الله شيء أبغض من بطن ملآن».

في تفسير مجمع البيان ذيل الآية الشريفة **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**[1]: روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه:

«ويشتمل كل من قتل في سبيل الله عز وجل سواء كان قتله بالجهاد الأصغر وبذل النفس طلباً لرضاء الله أو بالجهاد الأكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة».

أيها العزيز! التصوف طريقة جميع الأنبياء والأولياء لكن حيث

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

أن كل شيء له ظاهر وباطن فالتصوف أيضاً كذلك. كمثل الصلاة التي ظاهرها حركات الركوع والسجود والقراءة وباطنها التوجه إلى المعاني وولاية الأئمة الطاهرين عليهم السلام، حيث أن هذه الولاية كانت معهودة في جميع الأزمنة بين جميع الخلائق، وباطن التصوف أيضاً ليس شيئاً غير الولاية، لكن كما أن كل شيء غالباً يفقد حقيقته ومعنويته بمرور الزمان فالتصوف أيضاً بمرور الزمان فقد حقيقته التي هي الولاية بالتدريج، ولم يبق بين الناس منه سوى الظاهر.

والتصوف الذي هو طريق الوصول إلى الله لم يكن مختصاً بالإسلام بل كان موجوداً في جميع الأديان، غير أن صورته الكاملة ظهرت في الإسلام. والتصوف ليس شيئاً غير الشريعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والمعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي والخوف رفيقي والعلم سلاحي والحلم صاحبي والتوكل ردائي والقناعة كنزي والصدق منزلي واليقين مأواي والفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء».

وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله غصبت الخلافة وانحرفت الأمة عن الصراط المستقيم الذي هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وخصوصاً بعد ارتحال أمير المؤمنين عليه السلام حيث كانوا يلعنونه عليه السلام بأمر معاوية من على المنابر، وكل من اتهم بحبه كان يباح دمه وماله، لكن في ذلك الزمان قام عدد محدود من الشيعة الذين أدركوا أهمية حقيقة الولاية بدعوة الناس إلى ولاية أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين عليهم السلام بالاستفادة من عناوين التصوف والصوفي التي قد وردت بلسان الشرع أيضاً، لكنها لم تكن مأنوسة عند الناس بعد. ومن هنا قالوا أنه كل من لا يدخل في الطريقة

فأعماله غير مقبولة ويجب على كل مسلم أن يسلم رأسه لقطب وقته ويأخذ سر الطريقة منه لتقع أعماله مقبولة، وإذا أفشى سره الذي هو نفس ولاية أمير المؤمنين عليه السلام يزول سره ولا تقبل أعماله الواجبة. فقد كان المراد من الطريقة ولاية الأمير عليه السلام كما ورد في أصول الكافي في ذيل الآية الكريمة **﴿وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾**[1] أنه سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال:

«يعني لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين علي والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقا يقول لأشربناهم في قلوبهم الإيمان والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء عليهم السلام».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لقد حمتلكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلا هالك، من استقام فإلى الجنة ومن زل فإلى النار».

وقال عليه السلام:

«رحم الله امرءاً سمع حكماً فوعى. حتى قال: ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء».

وقال عليه السلام: «الزموا طريقتكم».

وحول كلمة القطب أيضاً وصلتنا عبارات عن الأمير عليه السلام أيضاً قد استعملت فيها تلك الكلمة المذكورة. كما قال في الخطبة الشقشقية: «وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى» وقال

---

(١) سورة الجن الآية ١٦.

في موضع آخر: «إنما أنا قطب الرحى تدور علي وأنا بمكاني فإذا فارقته استحار مداره فاضطرب تفالها» وكلمة قطب كمثل كلمة امام التي استعملت أيضاً لطريق الضلالة. كما قال عليه السلام: «راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها».

بناء على هذا فكل من كان متصلاً بالولاية وإمام زمانه فهو قطب هداية، وإذا كان منقطعاً ويدعو الناس فهو قطب ضلالة وضياع.

من هنا فالتصوف له ظاهر وباطن. فظاهره هو نفس الشريعة المصطفوية وباطنه الاتصال بولي الزمان أو الاتصال بالشخص المتصل بولي الزمان. وهذا هو دين الإسلام الحق حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الدين عند الله الإسلام والإسلام هو التسليم».

بناء على هذا فالشخص الذي لا يكون متصلاً بالولاية وإن كانت أعماله أيضاً مطابقة للشرع النبوي فهو لم ينل شيئاً من الإسلام والتصوف.

يقول الشيخ أبو سعيد رحمه الله والذي هو من كبار المشايخ: «التصوف ترك التكلف. لا شيء أسوأ لك من نفسك، فإذا اشتغلت بنفسك فستتأخر عن الله».

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك».

كما ورد في الحديث القدسي أنه عندما سئل «كيف الطريق إليك؟» جاء الجواب «دع نفسك وتعال».

سئل الشيخ أبو سعيد رحمه الله من هو الصوفي؟ فقال: هو من يخفي ما في رأسه ويعطي ما في يده ولا يتألم لما يرد عليه. وقال أيضاً: هذا وحسب وهذا يمكن كتابته على الظفر أنه: «اذبح النفس

وإلا فلا تشغل بترهات الصوفية».

أيها العزيز! قلنا لك أن روح الدين وحقيقته محبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والتسليم لمقام الولاية، والتصوف ليس شيئاً غير هذا إلا أن الأجانب اختاروا من هذا المعنى أيضاً ظاهراً من التصوف وادعوا التصوف. كما قال الشيخ أبو سعيد رحمه الله:

«كان التصوف حالاً ثم صار قالاً ثم ذهب الحال والقال وجاء الاحتيال».

وقال الشيخ أيضاً: «هذا التصوف عزة في الذل واقتدار في الدردشة والوهية في العبودية وحياة في الموت وحلاوة في المرارة، فكل من أتى هذا الطريق ولم يسلك فيه بهذه الصنعة فسيكون كل يوم أكثر حيرة».

معرفة طريق الدين والشريعة لازم   لمن يطلب العمل بالطريقة
وإذا اجتمع العلم والعمل مع الاخلاص   يعلم يقيناً أن تلك تكون الحقيقة

* * *

في طريق الطلب إن كنت محسنا   فليكن أمر هذا البيت غيرك
أو خطوة هي أن تطلبه   وآخر خطوة هي أن تكون معه

* * *

شعر:

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى   وعليه من خلق الثياب مرقع
إن التصوف ملبس متعارف   يخشى الفتى فيه الإله ويخضع
السن يضحك والأحشاء يحترق   وإنما ضحكها زور ومختلق

يـا رب بـاك ولكـن لا دمـوع لـه ورب ضـاحـك سـن مـا بـه رمـق

* * *

يقول العارف الرومي:

الجوهر فقر وسوى الفقر عرض والفقـر مـن العـالـم لـب وغـرض
العـالـم كلـه خـداع وغـرور الفقـر شفـاء وسـوى الفقـر مـرض

قال علي بن سهل الأصفهاني:

«التصوف هو التبري من كل مما عدا الله وتخلية النفس من كل ما هو سواه».

ترجمة شعر:

إذا كانـت حقـير فـي عيـنيك صـورة الفقير
فـلا تكـن قصيـر النظـر إذ الجـوهـر فـي الحجـر
جلد الغزال حقير ووسخ لكن فيه العزة إذ أنـه مملـو مـن مسـك الفـأر

* * *

في مدرسة الوجود وفي حجرة النفس لـم يُكتـب الـذوق ولا قُـرأ الميـل
لا كأسٌ ولا كوزٌ ولا دلو ولا امرأة يجب أن تتعلم علم التجريد مني

- من مقامات العارفين:

قال بعض العارفين: اعلم أن عالمي الملك والملكوت أثران من آثار الجبروت وبحران من بحار اللاهوت وليكن ما يساوي البحران، هذا عذب فرات سائغ شرابه، أي بحر الروحانيات الذي هو زلال

صاف واف ولشرب العقول الأرواح كاف وشاف، اذ هو لب لا قشر فيه ولا حشو وهذا ملح أجاج، أي الذي هو زبد كدر جفاء وغثاء، إذ هو قشر كله ومادة لا لب فيه، فالعقل لب الأجاج كما أن الأجاج قشر اللب فلهذا سمي العقل لبان.

وتجري من كل من البحرين نهران عظيمان. أما من بحر الجسمانيات فجيحون العنصريات وسيحون الفلكيات. وأما من بحر الروحانيات فنيل عقول العالم وفرات النفوس السائلة، وهذه الأنهار الأربعة تجري في الجنة التي وعد المتقون. وهي أنهار من العيون الأربعة التي هي العلوم الأربعة: المنطقيات وهي ماء غير آسن والرياضيات وهي أنهار من لبن لم يتغير طعمه، والطبيعيات وهي أنهار من خمر لذة للشاربين، والإلهيات وهي أنهار من عسل مصفى، لأنه صفي من شمع القشر والإلهيات من لباس العلوم كما أن الإله لب الوجود، ولكل من البحرين سفينة ولها راكب. أما راكب بحر المعقولات فهو العقل وسفينته قوة النظرية الفكرية، وأما راكب بحر المحسوسات فهو الفهم وسفينته قوة المتخيلة فقد مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، والروح هو الحائل بين الشيئين وهو الخيال، فإنه كالخيل الحائل بين عالم المعقول وعالم المحسوس ولولاه ما صنع موسى بن عمران... إن رؤية الحقل وغايته هذه السباحة والسياحة وهذا السفر في البر والبحر وهو التولي شطر كعبة المقصود والتوجه إلى ولي الخير والجود، وحاصل هذه التجارة لن تبور هو بدل متاع هو الوجه الفاني وأخذ العوض من الوجه الثاني، فما عند الله خير للأبرار وهذا الوصول إلى كعبة المقصود ووجه المأمول لا يمكن إلا بالسير الحب العلمي الباطني بقدم التفكر والتدبر، لا بمجرد حركات البدن التي لا يوجب إلا متاعب السفر دون تحصيل الزاد والمتاع للمعاد. نعم، الفائدة في العلم البدني والفكري هي صفوة

المرآة وإزالة الخبث وهو أمر عدمي، وإنما المطلوب المقصود هو صورة وجه الوجود، ومن عمل بما علم ورثه الله عليم ما لم يعلم، والعمل بالمعلوم هو التفكر فيه بتمرين القلب وتخميره وتليينه وتخشعه وتخضعه مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى حتى يزيد النفس جلاءً وضياءً وإشراقاً واعتباراً ونوراً واستبصاراً، ولهذا قال عليه السلام: تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة لم يتفكر فيها ومثله قوله تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي فرضه ينتهي فيها نظرة إلى صورة المعشوق الذي صرف العمر مدة مديدة في التردد في ساحة داره.
وقال صلى الله عليه وآله. لباب مدينة علمه: يا علي اذا تقرب الناس إلى خالقي بأنواع البر تقرب إليه بأنواع العقل تسبقهم. يعني إذا عنّى الناس في أنفسهم في تكثير خيرات البدنية فأنت عن نفسك في تكثير العلوم حتى تسبقهم. قال أبو علي بن سينا: هذا الخطاب منه إنما يليق ويستقيم لعظيم كريم مثل علي العالي حيث كان بين الناس كالمعقول بين المحسوس، فيحدث من هذا أن المقصود من العبادات الشرعية والأحكام كالقيام والصيام وساير أوضاع (رياضات) البدنية إنما هو الفكر فيها من حيث أنها تعبد للمعبود الحق وقربان للإله المطلق، لا حركات الأركان ولا لقلقة اللسان، لأن الله غني عن حركات الناسكين، كما أنه بريء عن اعتقادات المشركين.

شرح فقرات من دعاء السيفي المعروف بالحرز اليماني

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم اني أحمدك وأنت للحمد أهل على ما اختصصتني به من مواهب الرغائب وأوصلت لي من فضائل الصنائع».

حيث أن كل موجود له في ابتداء وجوده خصائص مختصة به ولا توجد في غيره لذا أحمد الله ابتداءً على نعمه التي هي من خصائصه المختصة به. وحيث أن الإنسان قبل الوجود لا يستحق أي لطف من الله بأي وجه من الوجوه، فلذا عبر عن هذه النعم بالمواهب، إذ أنهم يسمون الإعطاء بلا عوض «هبة». وبمقتضى مضمون ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾[1] حيث أن رغبة الإنسان في أموره الخاصة أكثر من رغبته بالأمور المشتركة، لذا عبر عن النعم المختصة بالرغائب. وما أعطاه الله تعالى بعد نعمة الوجود هو نعمة وجود الأنبياء الذين يكتمل توحيد الإنسان بواسطتهم، لذا شكر إيصال فضائل صنائع الحق التي هي وجود الأنبياء بعد تلك النعم المختصة. وحيث أنه بعد متابعة الأنبياء يصير الإنسان حائزاً لملكات حسنة لذا

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٢.

ذكر بعد ذلك شكر الملكات الحسنة وبما أن له مالكية وسلطنة وولاية على تلك الملكات عبر باب «أوليتني به». وحيث أن الصفات الحميدة من مواهب الرحمن وليست حاصل كسب الإنسان، لذا عبر عن هذا المعنى بـ«من احسانك إلي». وبعد أن يصيرالإنسان حائزاً للصفات الحميدة يصير وجود هذه الصفات سبباً لحسن ظنه.

ترجمة شعر:

هكذا قال: «وبوأتني به من فطنة الصدق» أو «فطنة العدل» واللذان كلاهما أمر واحد «وأنلتني به من مننك الواصلة إلي».

بحسب العبارة الأخيرة فإن الإنسان ينال بعض الفيوضات على أثر مقابلته لإنسان كامل ـ وعندما فرغ من ذكر النعم أراد بيان أن رفع المضار أيضاً نعمة وإحسان لذا عبر عنه بقوله «أحسنت إلي من اندفاع البلية عني» الذي هو بمعنى رفع الموانع. وبعد أن صار الإنسان مالكاً للأوصاف الجميلة والملكات الحميدة احتاج إلى التوفيق لاستعمالها لذا قال «والتوفيق لي والإجابة لدعائي» وحيث أنه بعد حصول التوفيق لاخراج الملكات التي بالقوة إلى الفعل يصدر منه الأعمال الحسنة التي تحتاج للاجابة فقد شكر نعمة اجابة الدعاء. وحيث أن أول مرتبة يقوم فيها الإنسان في العبادة يكون الحال بمضمون «ما للتراب ورب الأرباب» وبعد في المقام لذا عبر عن هذا المعنى بلفظ أناديك فقال: «حين أناديك داعياً وعندما يقوم بالعبادة تصل آثار البشرية إلى مقام المحو شيئاً فشيئاً يغلب الذكر على الذاكر الظاهر ويستولي عليه الذكر فلا جرم تمحى صفات البشرية وتغلب عليه الصفات الجمالية والجلالية ويصل من مقام البعد إلى مقام القرب ومن مقام «الأنية» إلى مقام «الواحدية» بمضمون: «إن العبد يتقرب إليَّ بالنوافل فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها» وقد عبر عن

هذا المعنى بقوله «وأناجيك راغباً». فحيث أنه في ابتداء الأمر كثيراً ما يكون قلب الذاكر غير متوجه إلى المذكور حين الذكر وقد أكره نفسه على الذكر لذا عبر بـ «راعياً» وحيث أنه بعد غلبة الذكر على باطن الذكر خرج من مقام الغيبة إلى الشهود ومن البعد إلى القرب لذا عبر بـ «أناجيك» وحيث أنه يصل الأمر أخيراً إلى درجة أنه إذا أراد الفراغ من مقام ذكره والدخول قليلاً في لوازم بشريته فإنه يقع في العسر والقسر بمضمون «اشغليني يا حميراء» لذا عبر بـ «أناجيك راغباً» أي أن هذه النجوى هي من شدة الميل ورغبة النفس. وحيث أنه بعد أن يستولي الذكر على الباطن فإنه يسري شيئاً فشيئاً من القلب إلى القالب ومن الباطن إلى الظاهر بمضمون الكلام الذي قاله الإمام عليه السلام في حق أحد المصلين أنه «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» فقد عبر عن هذه الحقيقة بـ: «وأدعوك ضارعاً متضرعاً مصافياً، وحيث أن هذه الدعوة الثانوية مطهرة، تماماً من الأهواء النفسانية والخيالات الطبيعية وهي صادرة عن الخلوص بشكل تام لذا يقول: «وأدعوك ضارعاً متضرعاً صافياً» وحيث أنه بعد أن يقوم السالك بالمجاهدة ويصل للمكاشفات وتبدل صفاته الشيطانية بالصفات الرحمانية فكأنه يصل لمرحلة يغلب فيها الرجاء بالوصول إلى المقصود ولذا يقول «وحين أرجوك راجياً». وبما أن كل خطوة يخطوها السالك وكل مرتبة ينالها هي غير الخطوة السابقة والمرتبة السابقة وحالاتها وصفاتها اللازمة غير صفات وحالات المرتبة الأولى لذا استعملت في الجملة المذكورة صيغة الجملة الفعلية. التي تدل على الحدوث والتجدد وحيث أن أصل رجاء السالك الذي هو بمنزلة جناحه يجب أن يكون مستديماً فقد عبر عنه بنحو الاسم فقال «راجياً» مما يحكي عن أنه وأن كان الرجاء الأول يذهب والرجاء الثاني يأتي لكن أصل الرجاء الذي هو عبارة عن ملكه الرجاء له دوام وثبات. وحيث أن السالك في بداية الأمر الذي

هو مرتبة علم اليقين طالب للمطلوب ولا خبر عنده عنه سوى بالآثار وبعد السلوك والوصول إلى مرتبة الشهود يحصل له عين اليقين يقول: «فأجدك في المواطن كلها لي جاراً» والمواطن تشمل الملكَ والملكوت أي أن السالك يلتفت إلى مرتبة «وهو معكم أينما كنتم» يقول «في المواطن» الذي هو جمع محلى بالألف واللام أي أجدك في هذا الحال في جميع المواطن. ولنعم ما قيل:

(ترجمة الشعر) حيثما أنظر أجدك ظاهراً أيها المستور (المحجوب) كم هو كبير وجهك.

عبر عن هذا القرب والدنو «بالجار» وحيث أنه من الممكن أن يكون شخصان جارين لكن يوجد حد بينهما يكون موجباً للغيبة لذا قال: «جاراً حاضراً حفياً باراً» أو «جاري اللصيق».

«الحفي» عبارة عن الميل القلبي وحيث أنه من الممكن الإحسان إلى شخص آخر بواسطة الملاحظات لا على أساس الحب القلبي لذا قدم «حفياً» على «باراً» أي أن إحسانك هذا نبع من المحبة القلبية.

«وفي الأمور ناصراً وناظراً وما النصر إلا من عند الله» ولنعم ما قال: «وإن أسلمتني اناتك لقائد الأمل والمنى» وحيث أنه من الممكن أن يساعد شخص آخر لكن من دون أن يكون حاضراً بنفسه مقداراً وبيان هذه المرتبة أنه حين عونك لي فأنت ناظر لأموري. في الحديث: «يعني ما يتحملون من أجلي» وحيث أن الخطرات والهواجس النفسانية وكذلك بعض الزلات والعثرات كأنها تلازم وجود السالك لذا عمد في مقام ذكر هذه النعمة أنك تعفو تلك الخطايا «وللخطايا والذنوب غافراً وللعيوب ساتراً» «غفر» «وستر» لهما معنى واحد إلا أن الغفران يستعمل في مورد المعاصي والعيوب المعنوية و «الستر» يستعمل في مورد العيوب الصورية والظاهرية.

«ولم تعلم لك مائية وماهية» الفرق بين المائية والماهية في أن المقصود من الماهية هو تمام حقيقة الأنواع المحققة كأن يسأل: ما هي ماهية الماء والنار؟ أما المائية ففيها اشارة إلى مفهوم من مفاهيم الماهية. العقل والنفس ذوي ماهية أما في الجواهر فلا ماهية وإنما مائية. الماهية هي الأنواع المحصلة... «فتكون للأشياء المختلفة مجانساً الذي هو لازم لتلك المائية والماهية. وحيث أن الأشياء محدودة ومحبوسة وتشاهد بمقدار فتحتها لذا فلا قدرة لها على مشاهدته «إن لله سبعين ألف حجاب» لذا يقول: «ولم تعاين إذ حبست الأشياء على العزائم المختلفات. ولا خرقت الأوهام حجب الغيوب إليك» مثل النبي (ص) الذي قد فرقت له الحجب «فظننت أن الخلق ماتوا وذهب نفسي» «فاعتقد منك محدوداً في عظمتك» ذلك غير ممكن إذ الأشياء محبوسة. «لا يبلغك بُعد الهمم ولا ينالك غوص الفطن ولا ينتهي إليك بصر الناظرين في مجد جبروتك» ثم قال: «ارتفعت عن صفة المخلوقين صفات قدرتك وعلا عن ذكر الذاكرين كبرياء عظمتك فلا ينقص ما أردت أن يزداد ولا يزداد ما أردنا أن ينتقص» أي أنه «ارتفعت عن صفة المخلوقين عن الكثافات» فقوتك وقدرتك ليست متوقفة على وجود الأعصاب وارادتك لا تحتاج إلى اجالة الخواطر. والأشاعرة ينكرون وجود صفات بالنسبة للحق بشكل مطلق.

لعن الله المعتزلة أرادوا أن يوحدوا الله فألحدوا وأرادوا أن يصفوه بالعدل فأوهنوا سلطانه. متاع كل دار مناسب لأهله. سعي الإنسان لأجل ذكر عظمة الله لا يصل إلى نتيجة فهو أكبر من أن يستطاع ذكره. قدرة الإنسان محدودة ومتناهية في بعض الأحيان يقصد أن يقوم بعمل ما فلا يستطيع وفي أحيان أخرى لا يريد القيام بعمل

لكنه يتم «ولا ضد شهدكِ حين فطرت الخلق» المقصود من ذلك الخلق هو عالم الأجسام لا عالم المجردات إذ يقول الله تعالى **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**[1] وكذلك **﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾**[2] أي أن الروح التي هي من جملة المجردات ليست من عالم الخلق وإنما من عالم الأمر.

«ولا ندّ حضرك حين برأت النفوس. كلّت الألسن عن تفسير صفتك وانحسرت العقول عن كنه معرفتك وكيف يوصف كنه صفتك يا رب وأنت الله الملك الجبار القدوس» ثم يزيد على أوصافه ما يلي: «الذي لم تزل أزلياً أبدياً سرمدياً» ولم تتنزل عن مقام القدوسية أبداً إذ أنك كنت أزلياً على الدوام ولذا لا أحد يقدر على ادراك ذاتك ولا يتيسر سوى الإدراك الناقص لصفاتك وأفعالك. كان الله ولم يكن معه شيء والآن كما كان. الأزلية عين الأبدية وهذا الإثنان صفة واحدة لا أكثر. «هو الأول والآخر» والمراد من الأزل فوق الزمانية والدهرية، المتغيرات لها زمان ونسبة الثابت المتغير دهر ويعبر عن نسبة الثابت للثابت بالسرمد.

«دائماً في الغيوب وحدك لا شريك لك ليس فيها أحد غيرك» هو دوماً في عالم العماء. سابقة لا لاحق له فكله سواء يجب أن يكون العاقل في مرتبة المعقول حتى يكون الإدراك ميسراً وعندما يكون الله في غيب الغيوب فكيف يصير تعقله ممكناً.

«ولم يكن إله سواك صارت في بحار ملكوتك عميقات مذاهب التفكير» اشارة إلى أنه لا غير له. إذ أن الملك بمنزلة قطرة من بحار الملكوت وهو إما صورة عنه أو شعاع من نوره. وحيث أن كل صورة

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

ملكية هي حاوية لنوع ملكوتها الخاص لذا عبر عن عالم الملكوت بلفظ البحار إذ يقول الله تعالى **﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾**[1] وكذلك **﴿سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾**[2] ويقول رسول الله (ص) ضمن موعظته لقيس، «اعلم أن لكل ملك ملكوت ولكل دنيا آخرة ولكل موت حياة» كل فكر يتعمق في بحار الملكوت هذه يتحير إلا عندما يصير الإنسان محيطاً بها والذي يكون اسمه حينها مشاهدة.

«تواضعت الملوك لهيبتك». من المناسب أن نميز بين الاصطلاحات الثلاثة «الخوف» و «الخشية» و «الهيبة». «الخشية» هي للعلماء الذين يخافون من تلون القلب يخافون من أن تزول منهم أخلاق الله. ومقام «الهيبة» مقام خاص الخاص. لقد كان خوف الإمام المجتبى (ع) «لهول المطلع». في مقام الهيبة المراد من الملوك الحقيقيين.

«وعنت الوجوه بذلة الاستكانة لك لعزتك». وإن كان «لكل وجهة هو موليها» إلا أنه في مقام القهارية لا يبقى في الوجوه سوى وجه الحق «كل شيء هالك إلا وجهه» والضمير يرجع للشيء. فناء الوجوه في مقام القهارية هو أن لا يبقى سوى وجه الله الذي تخضع أمامه سائر الوجوه.

«وانقاد كل شيء لعظمتك» مقام العظمة هو نفس مقام الإحاطة **﴿كل دابة هو آخذ بناصيتها﴾** وهذا مقام التسبيح والتنزيه «لا شيء إلا الله». في هذه الحال يرى السالك الحق محيط على كل شيء وسارياً في كل شيء.

---

(١) سورة الحجر الآية ٢١.
(٢) سورة يس، الآية ٨٣.

«واستسلم كل شيء لقدرتك» لا يوجد فرق معتبر بين الانقياد والاستسلام فالانقياد بمعنى الاطاعة مع أنه حين الاستسلام يكون الشخص مثل الميت. من هنا يكون الاستسلام على وجه من الوجوه فوق الرضا. «استسلم كل شيء لقدرتك» معناه أنه في مقام تنفيذ قدرتك فجميع الأشياء كأنهم أموات وفانون في هذا المقام. «وخضعت لك الرقاب وكلّ دون ذلك تحبير اللغات. فضل هنالك التدابير في تصاريف الصفات» اختلافات عالم الملك ناشئة من العقول العرضية أما اختلافات الملكوت فمستندة إلى الصفات الإلهية. عزرائيل مظهر «المميت» واسرافيل مظهر «المحيي» وميكائيل مظهر «الرزاق» والشيطان مظهر «المضل». بناء على هذا فلازم صفات الحق دوام مظاهرها أي جبرائيل وإسرافيل وعزرائيل والشيطان في العالم وهنا يحتار عقل الإنسان حتى أن بعض الأنبياء سألوا الله تعالى حين مناجاته بما يلي: «يا رب لم تخلق الخلق ثم تميتهم؟» وهذا المطلب اشارة إلى هذه الحقيقة أن عقل الإنسان عاجز عن ادراك كنه صفات الحق.

«فمن تفكر في ذلك رجع طرفه إليه حسيراً» التفكر عبارة عن الحركة من المقدمة باتجاه النتيجة والذي هو في الحقيقة حركتان. في البدء يتجه الإنسان من النتيجة الإجمالية إلى المقدمات والقياسات ومن ثم يتحرك من تلك المقدمات نحو النتيجة التفصيلية. وتفكر الإنسان من الممكن أن يكون حول عالم الملك أو عالم الملكوت «وعقله مبهوتاً وتفكره متحيراً أسيراً» التفكير سير وحركة، والأسارة حبس وممنوعية وسكون. في هذه الحال يكون الفكر فاقد للحركة أي أن العقل يصير أسيراً في مقام التفكير.

«اللهم لك الحمد حمداً كبيراً كثيراً دائماً متوالياً متواتراً» يستعمل

التواتر في مورد الأشياء الكثيرة الأفراد وحيث أن النعم هي في مقام الكثرة فحمدي إذن متواتر: حمد في مقام النفس، حمد في مقام العقل، حمد في مقام البدن وأخيراً حمد في مقام جميع النعم الظاهرية والباطنية. والتوالي أيضاً بهذا المعنى أنه حتى لو كان الحمد واحداً فهذا الواحد لا انقطاع له أيضاً.

«متسقاً متسعاً» متسق بمعنى مجموع أي أن هذا الحمد المتواتر وإن كان متعدداً في هذا العالم ولكنه بلحاظ عالم المعنى مجموع وحمد واحد لا أكثر فإذاً بالنظر إلى هذا العالم له كثرة وبالنظر إلى ذلك العالم فله وحدة. «مستوثقاً» أي قد جعل ميثاقاً على هذا الجمع وصار جزءاً من فطرتي. عندما يقول الله تعالى: ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾[1] فهذا يعني أنه جزء فطرتكم ولا يزول «يدوم ويتضاعف ولا يبيد غير مفقود في الملكوت ولا مطموس في المعالم» حيث أن الأمور الفطرية دائمة ولا زوال لها لذا حين تريد الخروج من القوة إلى الفعل لا تجد مناصاً من التعدد والتزايد ومحال أن تعدم الفطرة. جميع عالم الملك صورة وعلامة عن عالم الملكوت لذا إذا أراد الإنسان أن يحمد واقعاً وأن يكون حمده ملكوتياً فليس هناك جميل في هذا العالم يستطيع حمده وإنما كل ما هو موجود صورة لما هنالك. الحمد الذي يقوم به الإنسان يجب أن يكون لمنشأ ومبدأ الصفات الملكوتية الذي لا يطمس في هذه العوالم. «فانظر إلى آثار رحمة الله» ففي الحمد إذن يجب أن تحمد حقيقة عالم الملكوت إذ أن الحمد لا ينقطع عن ذلك العالم أبداً.

ونحمد الله على البصيرة التي يجب أن يراد منها البصر والرؤيا الملكوتية.

---

(١) سورة الحديد، الآية ٨.

القوام الذي نراه للجواهر إنما هو بالنسبة للاعراض وإلا فالجواهر أيضاً ليس لها قوام ومن هنا نستكشف صفة قيمومية الحق.

جميع العالم في الحقيقة معالم للصفات الملكوتية للحق تعالى.

«ولا منتقص في العرفان» لا أنه نسميه بصيراً بمجرد الالتفات إلى العلم بالمحسوسات حرفاً إذ من الخطأ مشاهدة البصر الملكي فقط ونسبته إلى الحق تعالى. فتصبح إذاً إن هذا الحمد في العرفان غير منتقص.

«فلك الحمد على مكارمك التي لا تحصى في الليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر وفي البر والبحار» في غالب تعبيرات الأخبار والروايات يعبر عن عالم الملكوت بالبحار وعن عالم الملك بالبر: «يا رب البراري والبحار» إذ أن عالم الملكوت بمثابة بحار تصل رشحة منها إلى هذا العالم. وحيث أن هذا العالم عالم الظلمة والوحشة فقد عبر عنه بالبر والفيافي. في الواقع في عالم البر حمد البشر ناقص لكن في عالم البحار لا شيء عندهم سوى ولا عمل سوى الحمد.

«والغدو والآصال» حقيقة الغدو أول ظهور واشعاع نور الفيض والآصال عبارة عن الغروب والعود فيكون اشارة إلى بدو الوجود وختمه.

«والعشي والأبكار» العشي والأبكار في الحقيقة حكاية النفس وأول طلوع الروح. وتقديم العشي على الأبكار لأنه بالنسبة للإنسان في البدء العشي ويكون الشخص في مقام ظلمة النفس إلى أن تنفخ فيه الروح وتظهر له قلعة صبح الروح.

«والظهيرة» حيث ابتداء الرجوع. صلاة النبي (ص) في المعراج لكانت صلاة الظهر «وكانت الشمس في نصف النهار» إذ أن معنى

الصلاة مقام التقرب والحضور عند الله. الأول الحقيقي نصف النهار أي أنه قبل الزوال لا معنى للصلاة إذ أن هذا مقام الفناء وفي هذا المقام لا خبر للشخص عن نفسه. الوقت الواقعي للصلاة حين الزوال الذي هو أول عالم الصحو. وذلك حين رجوعه لهداية الخلق وأول صلاة يأتي بها.

«والأسحار» إذ أن السحر حالة بين الظلمة والنور **﴿وأقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾**[1] يحمده منذ ابتداء الرجوع من المبدأ إلى أن يصل إلى هذا العالم الذي هو عالم العشي والليل. ويريد ثانياً أن يدعو الخلق إلى المبدأ حيث ابتداء ظهور مقدمات ذهاب الليل ومجيء النور.

«وفي كل جزء من أجزاء الليل والنهار» المقصود من الليل النفس والغرض من النهار الروح حيث كل منهما له أجزاء. وكما يقسم الليل إلى اثني عشر قسم فكذلك نفس الإنسان لها اثنا عشر قسم: الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والقوتان الباعثة والمحركة اللتان يسمونها أحياناً بالقوى الشوقية والنزوعية. والنهار أيضاً الذي هو الروح له نفس هذه القوى بنحو أشد حيث يعبر عنها بالعين والأذن والكلية والجوارح المعنوية قال رسول الله (ص) حول أويس القرني «اني أشم رائحة الرحمن من قبل اليمن».

«اللهم بتوفيقك قد أحضرتني النجاة» أي أن النجاة والفلاح أيضاً بتوفيقك يا إلهي كما قال «كلكم هالك إلا من هديته» وقال الله تعالى أيضاً: «ولكن الله حبب إليكم الإيمان» كما أنه أوكل النبي أيوب (ع) لحظة لنفسه فنال ذلك الخطر ووضع في فمه التراب.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٨.

«وجعلتني منك في ولاية العصمة» لذا لا نسمي الأنبياء «عاصماً» وإنما ندعوهم «بالمعصوم» أي أن هناك أحداً آخر قد حفظهم.

«فلم أبرح منك في سبوغ نعمائك وتتابع ألائك محروساً لك في الرد والامتناع» المقصود من الحراسة الحفظ والمنع في دخول اللص.

«محفوظاً لك في المنعة والدفاع عني» يقوم بالحراسة ما دامت البلايا والمصائب لم ترد فإذا وردت يقوم بالحفظ وبرجحان المطلب.

«ولم تكلفني فوق طاقتي ولم ترضى عني إلا طاعتي».

ثم يقول «فإنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت لم تغب ولا تغيب عنك غائبة ولا تخفى عليك خافية ولن تضل عنك في ظلم الخفيات ضالة إنما أمرك إذا أردت شيئاً أن تقول له كن فيكون».

«اللهم اني أحمدك فلك الحمد مثل ما حمدت به نفسك واضعاف ما حمدك به الحامدون» كل يحمد بحسبه مثل العقل الأول والعقل الثاني والنفوس الكلية والجزئية لكن عندما نقول ما «حمدت به نفسك» فانا نشير إلى حمد يجمع جميع المحامد.

«لم أعدم عونك وبرك وإحسانك وخيرك لي طرفة عين منذ أنزلتني دار الاختيار والفكر والاعتبار» المقصود من الإحسان: «الإحسان أن تعبد ربك كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك» والمراد من «الخير» الآخرة والمراد من «الاختيار» ظهور البواطن، «وأخرجت الأرض أثقالها» وكذلك: «ولتغربلن غربلة» إذ أن القوى الداخلية يجب أن تصل إلى الفعلية.

لقد جعل الله من البلاء غربالاً لكم لتطهر جميع أحوالكم
يغربلكم لكي يطهركم، يطهركم من الطين والتراب.

والمقصود من التفكر التفكر في المصنوع والسير إلى الصانع وفي النتيجة «لتنظر فيما أقدم إليك لدار القرار».

«فانا عشيقك يا إلهي من جميع الضال والمضار والمصائب والمعائب واللوازب واللوازم والهموم التي قد ساورتني فيها الغموم بمعاريض أصناف البلاء وخروب جهد القضاء ولا أذكر منك إلا الجميل ولم أرَ منك إلا التفضيل».

«خيرك لي شامل» والمقصود من الخير الوجود ويليه الصنع.

«وصنعك بي كامل» أي صنعك في خلقي كامل: «الذي أحسن كل شيء خلقه»[1].

ثم يقول:

«ولطفك لي كافل».

«وفضلك علي متواتر» أي أن فضلك عندي كثير جداً.

«ونعمك عندي متصلة» إذ أن القوى الطبيعية غير قابلة للبقاء ويجب أن يصلها المدد بشكل متصل.

«وأياديك لدي متظاهرة» التظاهر بمعنى الغلبة والمقصود أنك قد هيأت لي الأسباب الصورية والمعنوية من دون تعب.

«لا تخفر لي جواري» الخفرة بمعنى العهد والذمة.

«وصدقت رجائي وصاحبت أسفاري وأكرمت احضاري وحققت

---

(١) إن كان مراده الاستشهاد بالآية الكريمة فهي ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه﴾ وليس الذي أحسن «المترجم».

آمالي وشفيت أمراضي وعافيت منقلبي وقواي ولم تشمت بي أعدائي» أثر بلاءات الروح في الدرجة الأشدّ لأن الأصل والكل الروح وتؤثر في القلب وقد قيل: «جراحات اللسان أشد من الرماح».

«ورميت من رماني» رميت من باب التنازع «بسوء» متعلق بكلاهما.

«وكفيتني شر من عاداني فحمدي لك واصب» واصب بمعنى واجب.

«وثنائي لك عليك متواتر وحيث أن الثناء باللسان غير ممكن إذ أن الوجود دوماً حامد» دائم من الدهر إلى الدهر لأن الدهر فوق الزمان وموجود بين العوالم فحمدي وثنائي من دهر إلى دهر آخر أي من نشأة إلى نشأة.

«بألوان التسبيح لك» إحدى مراتب التسبيح التسبيح الذي يقوم به العوام وهو تنزيه الله عن الجسم والمكان وغير ذلك.. والمرتبة الثانية من التسبيح هي أن ينزه الله تعالى عن امتلاك صفة «من وصفه فقد قرنه كما يراه الأشاعرة من أن أوصاف الحق زائدة على ذاته والمرتبة الثالثة أو النوع الثالث من التسبيح والذي هو متعلق بالمخلصين عبارة عن تنزيه الحق عن التنزيه كما يسبح كل العرفاء من تسبيحهم. لا هو خارج ولا داخل لا له زمان ولا هو من دون زمان ولا مكان له ولا هو من دون مكان. والحمد أيضاً كما التسبيح له مراتب وأنواع. فتارة يرى الإنسان الوسائط وبحمد الله وفي المرتبة الثانية يرى الإنسان الحق في الوسائط والوسائط في الحق ويحمده وهذا مقام الجميع حيث يرى الإنسان الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة. والمرتبة الثالثة مشاهدة الحق من دون رؤية وسائط والذي هو مقام إبراهيم عليه السلام حيث قال: «ليس لي إليك حاجة حسبي

علمه بحالي».

«والتحميد والتمجيد خالصاً لذكرك» غرضي في ذكرك نفس التذكر.

«ومرضياً لك بناصع التوحيد» بنحو لا يكون فيه أية شائبة شرك.. «الشرك أخفى من دبيب النمل على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء».

ثم يضيف «واخلاص التفريد» التوحيد والتفريد مرتبتان متفاوتتان. الغرض من التوحيد الوصول إلى معنى أن للحق المتعال وجود واحد «لا جزء له ولا ماهية له ولا صفة زائدة له» أما التفريد فهو عبارة عن أنه ليس هناك شخص آخر ومن هنا فمقام التفريد أعلى من مقام التوحيد.

«وامحاض التمجيد والتحميد بطول التعبد والتعديد» المقصود من التعديد جعل العدة كما قال: «وجمع مالا وعدده».

ثم يقول: «لا يبلغك بعد الهمم ولا ينالك غوص الفطن» أي لا يمكن الوصول إليك مهما كانت الهمة عالية. فهم الإنسان على قسمين. قسم منه مبتن على فطانة القوة القدسية حيث في هذا النوع من الفهم لا حاجة إلى البرهان والاستدلال إذ الأنبياء لا يحتاجون إلى البرهان وإنما يأتون به لتعريف الناس ليس إلا... والقسم الثاني مبتن على فطانة القوة العقلية التي تحتاج إلى الاستدلال حيث يقول الملأ (ما ترجمته):

عمود أهل الاستدلال من خشب   وعمود الخشب الغاية من قلة التمكين

سلوك طريق الحق

قال يحيى بن زكريا عليه السلام: ما دمتم تتبعون طريقتي بهداية من الله فلا تخشوا العلائم السماوية والآفات الفلكية.

روي في كتاب الفردوس عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن قال:

«عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان وقلة الأكل تعرفون في الآخرة، وإن النظر في الصوف يورث التفكر، والتفكر يورث الحكمة، والحكمة تجري في أجوافكم مثل الدم».

قال الإمام علي عليه السلام:

«الفتن ثلاث: حب النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان. ومن أحب النساء لم ينفع بعيشة، ومن أحب الأشربة حرمت عليه الجنة، ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا».

عن الصدوق عليه الرحمة:

«بسم الله الرحمن الرحيم جاء جبرائيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلت وما هي؟.

قال: الصبر وأحسن منه.

قلت: وماهو؟.

قال: القناعة وأحسن منه.

قلت: وما هو؟.

قال: الرضا وأحسن منه.

قلت: وما هو؟.

قال: الزهد وأحسن منه.

قلت: وما هو؟.

قال: الاخلاص وأحسن منه.

قلت: وما هو؟.

قال: اليقين وأحسن منه.

قلت: وما هو؟.

قال: ان مدرجة ذلك التوكل على الله عز وجل.

قلت: وما التوكل على الله؟.

فقال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، واستعمال اليأس من الخلق وإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوي الله ولن يرج ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله وهذا هو التوكل.

قلت: يا جبرائيل فما تفسير الصبر؟.

قال: يصبر في الضراء كما يصبر في السراء، وفي الفاقة كما

يصبر في الغناء، وفي البلاء كما يصبر في العافية، فلا يشكو خالقه عند المخلوق مما يصبه.

قلت: وما تفسير القناعة؟.

قال: يقنع مما يصيب من الدنيا، يقنع بالقليل ويشكر اليسير.

قلت: وما تفسير الرضا؟.

قال: الراضي لا يسخط على سيده أصاب من الدنيا أو لم يصبه ولا يرضى لنفسه باليسير من العمل.

قلت: يا جبرائيل فما تفسير الزهد؟.

قال: الزاهد يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه، ويتحرج من حلال الدنيا ولا يلتفت إلى حرامها، فإن في حلالها حساباً وفي حرامها عقاباً ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرج من الكلام كما يتحرج الميتة التي قد اشتد الجوع، ويتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما يتجنب النار أن يغشاها، وكان أجله بين عينيه.

قلت: يا جبرائيل وما تفسير الإخلاص:

قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد وإذا وجد يرضى وإذا بقي عنه شيء أعطى، فإن لم يسأل المخلوق فقد قر الله عز وجل بالعبودية، فإذا وجد فرضي فهو عن الله راض والله تبارك وتعالى عنه راض، وإذا أعطى الله عز وجل فهو على ثقة بربه عز وجل.

قال: فما تفسير اليقين؟.

قال: المؤمن يعمل لله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وان يعلم يقيناً ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وإن ما أخطأه لم

يكن ليصيبه، وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد».

قال المجلسي طاب ثراه: وجدت بخط شيخنا البهائي قدس الله روحه ما هذا لفظه:

قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكي نقلت من خط شيخ أحمد الفراهاني رضي الله عنه عن عنوان البصري وكان شيخاً كبيراً قد أتى عصى عليه أربعة وتسعون سنة قال: كنت اختلف إلى مالك بن أنس سنين فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام إلى المدينة اختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك بن أنس فقال «ع» لي يوم: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراداً في كل الساعة من آناء الليل والنهار فلا تشتغلني عن وردي وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف له.

فقلت: السلام على الشريف القائم.

فقال: هو قائم في مصلاه.

فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلا يسيراً إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله فدخلت وسلمت عليه فرد علي السلام فقال: اجلس غفر الله لك.

فجلست فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أبو من؟.

فقلت: أبو عبدالله.

قال: ثبت الله كنيتك ووفقك يا أبا عبدالله ما مسألتك.

فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً ثم رفع رأسه ثم قال: ما مسألتك.

فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك من علمك وأرجو أن الله

تعالى أجابني من في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبدالله ليس العلم بالتعليم إنما هو نور يقع على قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك.

قلت: يا شريف.

فقال: قل يا أبا عبدالله.

فقلت: يا أبا عبدالله ما حقيقة العبودية.

قال: ثلاثة أشياء أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً لأن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهيه عنه فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكاً هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه واذا فوض العبد تدبير نفسه إلى مدبره هان عليه مصائب الدنيا وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهيه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهات مع الناس فإذا كرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً ولا يدع أيامه باطلاً فهذا أول درجة التقى قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين.

قلت: يا أبا عبدالله أوصيني.

قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريد الطريق إلى الله تعالى والله تعالى أسأل أن يوفقك لاستعماله ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في العلم فاحفظها وإياك والتهاون بها.

قال عنوان: ففرغت قلبي له فقال: أما اللوائي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهي فإنه يورث الحماقة والبله ولا تأكل إلا عند الجوع وإذا أكلت فكل حلالاً وسم الله واذكر حديث الرسول صلى الله عليه وآله ما ملأ آدميّ وعاء شراً من بطنه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وأما اللوائي في الحلم فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل إن قلت عشراً لم تسمع واحدة ومن شتمك فقل له إن كنت صادقاً في ما تقول فاسأل الله أن يغفر لي وإن كنت كاذباً في ما تقول فالله اسأل أن يغفر لك ومن وعدك بالخناء فعده بالنصيحة والدعاء وأما اللوائي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً واهرب من الفتيا هربك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جراً قم عني يا أبا عبدالله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي فإني امرء ضنين بنفسي».

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أوصى الإمام علي عليه السلام بما يلي:

«يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظهما ثم قال اللهم أعنه. أما الأولى، الصدق لا يخرجن من فيك كذبة أبداً والثانية الورع، لا تجر على خيانة والثالث الخوف من الله تعالى كأنك تراه والرابعة كثرة البكاء لله تعالى، يبني لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة والخامسة بذلك مالك ودمك دون دينك والسادسة الأخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي».

في الحديث الثاني والعشرين من أربعين الشيخ البهائي رحمة الله عليه ورد عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه: عندما حضرت أبي (ع) الوفاة وعظني وأوصاني بما يلي:

«هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد رسول الله (ص) وابن عمه وصاحبه. أول وصيتي، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله اختاره بعلمه وارتضاه بخيرته وإن الله باعث من في القبور وسائل الناس عن أعمالهم عالم بما في الصدور ثم اني أوصيكم يا حسن ـ وكفى بالله وصياً ـ بما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا كان ذلك يا بني فالزم بيتك وابك على خطيئتك ولا تكن الدنيا أكبر همك وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها والزكاة في أهلها عند محلها والصمت عند الشبهة والعدل في الرضا والغضب وحسن الجوار واكرام الضيف ورحمة المجهود وأصحاب البلاء وصلة الرحم وحب المساكين ومجالستهم والتواضع فإن من أفضل العبادة قصر الأمل وذكر الموت والزهد فإنك رهين موت وغرض بلاء وطريح سقم وأوصيك يا بني بخشية الله في سر أمرك وعلانيتك وانهاك عن التسرع في القول والفعل وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به وإذا عرض شيء من الدنيا فتأنه حتى تصيب رشدك فيه وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء فإن قرين السوء يغر جليسه وكن لله يا بني عاملاً وعن الخناء زجوراً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً وراع الاخوان في الله وأحب الصالح ودار الفاسق عن دينك وابغضه بقلبك وزائله بأعمالك لئلا تكون مثله وإياك والجلوس في الطرقات ودع الممارات والمجارات مع من لا عقل له ولا علم واقتصد يابني في معيشتك واقتصد في عبادتك وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه والزم الصمت تسلم وقدم لنفسك تغنم وتعلم الخير تعلم وكن لله ذاكراً على كل حال وارحم من أهلك الصغير ووقر منهم الكبير ولا تأكلن طعاماً حتى تصدق قبل الله وعليك بالصوم فإنه زكاة البدن وجنة لأهله واحذر جليسك واجتنب عدوك وعليك بمجالس الذكر وأكثر من الدعاء فإني لم آلك يا بني نصحاً وهذا فراق بيني وبينك أما الصلاة

فالخمسون ركعة وركعة وأما الصوم فثلاثة في كل شهر، خميس في أوله واربعاء في وسطه وخميس في آخره والصدقة فجهدك حتى تقول أسرفت ولم تسرف وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بتلاوة القرآن على كل حال وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبها وعليك بالسواك عند كل وضوء وعليك بمحاسن الأخلاق فاركبها ومساوي الأخلاق فاجتنبها. فإن لم تفعل فلا تلومن إلا نفسك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من يفر من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالثعلب بأشباله. قالوا: ومتى ذلك الزمان؟

قال: إذا لم تنل المعيشة إلا بالمعاصي فعند ذلك حلت العزوبة.

قالوا: يا رسول الله أمرتنا بالتزويج.

قال: بلى ولكن إذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجل على يدي أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وأولاده فإن لم يكن له زوجة وولد فعلى يدي قرابته وجيرانه.

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟.

قال: يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يوردوه مورد الهلكة».

قال الإمام علي عليه السلام:

«أطع الله بقدر حاجتك إليه واعصى الله بقدر طاقتك على عقوبته واعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها».

وروي أيضاً عنه عليه السلام أنه قال:

«اخترت من التوراة اثنى عشر آية فنقلتها إلى العربية وأنا أنظر فيها كل يوم ثلاث مرات:

الأولى: يا بن آدم لا تخافن سلطاناً ما دام سلطاني عليك باقياً وسلطاني عليك باق أبداً.

الثانية: يا بن ادم لا تخافن فوت الرزق ما دامت خزانتي مملوة وخزائني مملوة أبداً.

الثالثة: يا بن آدم لا تستأنس بأحد ما دام وجدتني ومتى أردتني وجدتني باراً قريباً.

الرابعة: يا بن آدم أنا وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محباً.

الخامسة: يا بن آدم لا تأمنن قهري حتى تجوز على الصراط.

السادسة: يا بن آدم خلقت الأشياء كلها لأجلك وخلقتك لأجل عبادتي فلا تهمل ما خلقتك لأجله لما خلقته لأجلك.

السابعة: يا بن آدم خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم أعي بخلقك أيعيني رغيف أسوقه إليك.

الثامنة: يا بن آدم تغضب علي من أجل نفسك ولا تغضب علي نفسك لأجلي؟.

التاسعة: يا بن آدم علي رزقك وعليك فريضتي فإن خالفتني في فريضتي فإني لا أخالفك في رزقك.

العاشرة: يا بن آدم كل شيء يريدك لأجله وأنا أريدك لأجلك فلا تفر مني.

الحادية عشر: يا بن آدم إن رضيت بما قسمت لك ارحت قلبك وبدنك وأنت محمود وإن لم ترضى بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها كركض الوحش في البرية ولا تنال إلا ما قدرت لك وأنت مذموم.

الثانية عشر: يا بن آدم إن قمت بين يدي فقم كما يقوم العبد الذليل بين يدي الملك الجليل وكن كأنك تراني فإن لم تراني فإني أراك».

ورد في صحف إبراهيم الخليل على نبينا وآله وعليه السلام.

«الصمت عن الباطل صوم واليأس عن المخلوقين صلاة وحفظ الجوارح حجة وترك الهواء جهاد والكف عن الشر صدقة».

ومن جملة وصايا أمير المؤمنين علي عليه السلام لولديه الإمام الحسن والإمام الحسين (ع): «أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكما وقولا بالحق واعملا للآخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً. أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكما رسول الله (ص) يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» الله الله في الأيتام فلا تغبّوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فإنه وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم. والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم. والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا. والله الله في الجهاد

بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله، وعليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع. لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتولى عليكم أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

روي في كتاب الكافي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال:

«يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان هواه على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله ومحى طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه».

وكتب الشيخ المقتول[١] عليه الرحمة يقول:

«اعلم أنك ـ ومن دون أي شك أو تزويد ـ ستواجه أعمالك وتصرفاتك وأقوالك وأفكارك ونظراتك وسيحصل من كل حركة قولية أو فعلية أو فكرية لك صورة روحانية في مقابلك. فإذا كانت هذه الحركة معقولة ومطابقة للموازين العقلية فستكون تلك الصورة الروحانية موجبة لظهور ملاك ستتلذذ بمرافقته في الدنيا كما ستهتدي بنوره في الآخرة أيضاً. أما إذا كانت هذه الحركة شهوانية أو ناشئة من الغضب فستكون تلك الصورة مادة لظهور شيطان ينغص عليك في الدنيا كما سيكون بعد الموت مانعاً وحاجباً عن استفادتك من نور الهداية».

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لكميل:

«يا كميل مر أهلك أن يروحوا في المكارم ويدلجوا في حاجة

---

(١) المقصود من الشيخ المقتول هو ابن أخت الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ الأشراف (كشكول الشيخ البهائي).

من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً إذا نابته نائبة انحدر عليها كالسيل في انحداره فيطردها كما يطرد غرائب الإبل» نقل في كتاب الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«حرام على قلوبكم أن تعرفوا حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا».

والشهيد قدس سره يعظ أحد اخوانه ويوصيه بما يلي:

«احرص على أن تكون محتاطاً وخائفاً من الله في السر والعلن وكن بالنسبة لخلق الله مريداً للخير وحسن الظن مهما أساؤوا إليك. وارض بأتعاب الناس لك وإذا أساؤوا لك القول أو أهانوك فلا تدع ذلك. ولا تسعى للمقابلة بالمثل ولا تجري على لسانك الجواب القبيح. وإذا استولى عليك الغضب فامنع لسانك عن الكلام وتوجه لمحل آخر واشغل نفسك بالعمل. ويجب أن تتفكر في أمر دنياك وآخرتك وتكون مع ربك مخلصاً متوكلاً وتتوجه في الأمور المهمة بأملك إليه. كن شاكراً لمن يحسن إليك اجتنب الضحك إذ الضحك يميت قلب الإنسان. لا تؤخر صلاتك عن وقتها مهما كنت مشغولاً وبأي عمل كان ولا تعوق قضاء الصلاة التي في رقبتك حتى لو كان قضاء يوم واحد كن طالباً للعلم في جميع الحالات واجتنب عن منازعة ورد من تلجأ إليه لطلب العلم وإنما انظر إلى ما يقوله لك بعين القبول. وإياك أن تحتقر شيئاً تدرسه أو تصل إليه في ليلة. اجعل لنفسك في القرآن ذكراً ووِرداً معيناً وإن استطعت فاحمل كتاب الله بل اسع في حفظه في كل حال بمقدار الوسع. حاول أن يكون يومك أفضل من أمسك ولو بمقدار قليل. وبحسب قول الناس لا تصغ إلى الكلام المعوج... حافظ على ألا تتكلم مع أحد إلا في مجال العلم

والمعرفة وابتعد عن كثرة الكلام وتشريح كلام الآخرين وقل في اليوم ٢٥ مرة «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات» إذ أن لهذا العمل ثواب كبير واستغفر الله بعد صلاة العصر ٧٧ مرة، وأكثر من تلاوة سورة القدر والتوحيد».

وأمير المؤمنين عليه السلام ينصح ابنه الإمام الحسن عليه السلام ويوصيه بما يلي:

«يا بني لا فقر أشد من الجهل ولا عدم أشد من عدم العقل ولا وحدة ولا وحشة أوحش من العجب ولا حسب كحسن الخلق ولا ورع كالكف عن محارم الله ولا عبادة كالتفكر في صنعة الله عز وجل. يا بني العقل خليل المرء والحلم وزيره والرفق والده والصبر من خير جنوده.

يا بني انه لا بد للعاقل أن ينظر في شأنه فليحفظ لسانه وليعرف أهل زمانه يا بني إنّ من البلاء الفاقة وأشد من ذلك مرض البدن وأشد من ذلك مرض القلب وإن من النعم سعة المال وأفضل من ذلك صحة البدن وأفضل من ذلك تقوى القلوب.

يا بني للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بين نفسه ولذتها فيما يحل ويحمد. وليس للمؤمن بد من أن يكون شاخصاً في ثلاث: مرمة لمعاش أو خطوة لمعاد أو لذة في غير محرّم».

وورد في الحديث القدسي:

«قال الله تعالى لعبده: أترجو أن تطير مع الملائكة؟ قال: نعم. فقال الله تعالى: عليك بخمس خصال: كونك في الشفقة كالشمس وفي التواضع كالأرض وفي السخاوة كالنهر الجاري وفي التسليم

كالميت وفي السر كالليل».

وروي في كتاب كشف الغمة عن الإمام الصادق (ع) قوله:

«لا يزال العز قلقاً حتى يأتي داراً قد استشعر أهلها اليأس عما في أيدي الناس فيوطنها».

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«وإيـاك وفضـلات الأمـور فـإنهـا حرام على النفس التقي ارتكابها»

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أي المال نتخذ؟ فقال (ص): لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه».

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما الاستعداد للموت؟ قال عليه السلام: اداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتغال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أو الموت وقع عليه».

من جملة الموارد القلبية التي كانت نصيبي في الأشهر العزيزة أثناء مداومتي على قراءة سورة التوحيد المباركة هي أن السالك يجب أن يغور ويدقق في الأخبار والأحاديث الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، وأن يعمل بما نقل عن الأنبياء العظام أو الأئمة الطاهرين كوصايا ونصائح في مجال الأدعية والأذكار أو الالفاتات الأخلاقية والمعنوية. وبشكل خاص يجب تأديب النفس وتخلقها بالأخلاق والآداب التي أوصى بها سلطان الأولياء علي المرتضى روحي وأرواح العالمين له الفداء، وليتأس به إلى الحد الممكن والمقدور له بالنسبة في تصرفاته وخصائصه، كأكل خبز الشعير ولبس الثوب المرقع وصوم أيام البيض ودعاء افطار تلك الأيام، وكذلك

صلاة الليل التي كان قد أوصاه بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك لا يغفل عن العمل بما أوصى الله به أنبياءه (ع) أو بالوصايا التي أوصى بها بعض الأنبياء للبعض الآخر كمثل الدعاء الذي رواه الكليني (رحمه الله) عن الصادق (ع) وذكر أن هذا الدعاء قد أخذه أنبياء الله واحداً عن الآخر إلى أن وصل إلى نبينا صلى الله عليه وآله.

وهذا هو الدعاء الذي رواه الشيخ الكليني رحمة الله عليه في كتاب المقابس:

«اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي، ويقيناً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، ورضا بما قسمت لي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت. يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فاغثني واصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً وصلى الله على محمد وآله».

قال علي بن سهل الأصفهاني:

«أعاذنا الله وإياكم من غرور حسن الأعمال مع فساد بواطن الأسرار» روي في كتاب «عدة الداعي» عن يعقوب بن شعيب أنه: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«إن الله أوحى إلى آدم أني سأجمع الكلام في أربع كلمات. قال: يا رب وما هي؟ قال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس.

فقال آدم: بينهنّ لي يا رب فقال الله تعالى: أما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك أجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة، وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك».

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«طوبى لمن عيشه كعيش الكلب ففيه عشرة خصال فينبغي أن يكون كلها للمؤمن.

الأول: ليس له مقدار بين الخلق وهو حال المساكين.

الثاني: أن يكون فقير ليس له مال ولا ملك وهو صفة المجردين.

الثالث: ليس له مأوى معلوم والأرض كلها له بساط، وهو من علامات المتوكلين.

الرابع: أن يكون أكثر أوقاته جائعاً، وهو من دأب الصالحين.

الخامس: إن ضربه صاحبه مائة جلدة لا يترك بابه، وهو من علامات المريدين.

السادس: لا ينام من الليل إلا اليسير وذلك من أوصاف المحبين.

السابع: أنه يطرد ويجفى ثم يدعى فيجيب ولا يحقد، وذلك من علامات الخاشعين.

الثامن: رضي بما يدفع صاحبه من الأطعمة، وهو مال القانعين.

التاسع: أكثر عمله السكوت، وذلك من علامات الخائفين.

العاشر: إذا مات لم يبق منه الميراث، وهو حال الزاهدين
وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«اجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجات الله وساعة لامرار المعاش وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين

يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات. اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال وما لم يثلم المروة وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين فإنه روي ليس منا من ترك دنياه لدينه ومن ترك دينه لدنياه.

يا هشام من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أوتي عبد علماً فازداد في الدنيا حباً إلا ازداد من الله بعداً وازداد عليه غضباً».

وهذه صورة رسالة كتبها جناب العالم محمد بيد آبادي أعلى الله مقامه جواباً على رسالة السيد حسين القزويني:

«يا أخي وحبيبي، إن كنت عبدالله فارفع همتك ووكل الله أمر ما يهمك. اعل همتك ما استطعت، لأن المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه.

أي فرغ بيت قلبك عن غير الحق بالتأملات الصحيحة وكثرة ذكر الموت عندك قلب واحد فيكفيك حبيب واحد. **﴿أليس الله بكاف عبده﴾**[1]. **﴿وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾**[2].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك بل وجدتك أهلاً لذلك.

وتحصيل هذا الأمر لا يتم بالهوس بل لا يتم لا بترك الهوس. أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها، والأسباب لا بد من اتصالها بمنسبباتها. الأمور العظام لا تنال بالمنى ولا تدرك بالهوى استعينوا في

---

(١) سورة الزمر الآية ٣٦.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٤.

كل صنعة بأربابها وأتوا البيوت من أبوابها. فإن المنى بضاعة النوكى.

يجب البحث أولاً عن مرشد كامل وهادي سبل هداية والتمسك بيد التولي بحاشية متابعة أئمة الهدى وتجاوز علائق الدنيا ومن بعد ذلك تحصيل عشق المولى. ﴿**قل الله ثم ذرهم**﴾[1].

ومن ثم جمع الهموم في محل واحد ووضع تمام القدم بالجد والاجتهاد في طريق الشريعة والسعي لتحصيل ملكة التقوى، أي لا يحوم بالمقدار الميسور حول الحرام والشبهة والمباح قولاً ولا فعلاً ولا حالاً ولا خيالاً ولا اعتقاداً لكي تحصل الطهارة الصورية والمعنوية، إذ أن هذه الأمور شروط العبادة لكي يتربت الأثر على عبادته ولا تكون عبادته صورية بشكل محض. ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾[2]. ولن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين. وما منعهم من قبول صدقاتهم إلا كونهم فاسقين، لن يقبل عمل رجل عليه جلباب حرام. من أكل حراماً لن يقبل الله منه حرفاً ولا عملاً لأن ترك لقمة حرام أحب إلى الله من ألفي ركعة تطوعاً. رد دانق من حرام يعدل سبعين حجة مبرورة. ويفهم بالتدريج ﴿**إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا**﴾[3] ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾[4]. في هذا الوقت لا يترك دقيقة من وظائف الطاعات المقررة الواجبة والمندوبة حتى يقوى الروح القدسي مع الوقت. ويتحقق بشرى روح القدس «إن العمل الصالح والإيمان بعضه من بعض» مع شرح الصدر ويقوي النور البدني ونور الملكات النفسانية بعضها باستمرار، ليصير نوراً على نور الطاعة تجر الطاعة، وتصل الأحوال السابقة في زمان قليل إلى مرتبة ومقام،

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٧.

(٣) سورة الأنفال الآية ٢٩.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

وتصير ملكات حسنة وأخلاقاً جميلة وتحقق العقائد الحقة رسوخاً كاملاً وتجري ينابيع الحكمة من عين القلب إلى اللسان ويصرف الوجه عن الغير بشكل كلي. في تلك الأثناء يكون كل آن من زمرة السابقين وتستقبله جذبة العناية وتأخذ المعرفة ويعوض عليه بما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويشاهد حقيقة أنك لا تهدي من أحببت ولكن الهدى هدى الله ويلاحظ رأي العين أنه إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عيني قلبه ويصير السالك مجذوب الطريق.

إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجذبني بجذبة توصلني إلى قربك، واسلكني في مسالك أهل الجذب، وخذ لنفسك من نفسي ما يخلصها. جذبة من جذبات الرب يوازي عمل الثقلين. لا أحد يرى النقصان في معاملة الكرماء.

إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها. المراتب المذكورة ومنازل السير إلى الله والمجاهدة في سبيل الله **﴿يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾**[1] ستكون بعد ذلك مصداقا لـ **﴿الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**[2] المعبر عنه بالسير في الله وذكرها غير ضروري بل هو مضر.

الإيمان منازل ومراتب لو حملت على صاحب الاثنين ثلاثة ينقطع كما ينقطع البيضة على الصغار رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره.

أنت لم تر سليمان ليلة فكيف تعرف لغة الطيور

﴿فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾[3] **﴿ولئن شكرتم**

---

(١) سورة الانشقاق الآية ٦.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٤.

لأزيدنكم﴾[1].

رحم الله امرءاً سمع قولي وعمل فاهتدى. واعلم علم اليقين، انه كل من يشرع بالسلوك على النحو المزبور ففي مرحلة وصول الأجل الموعود سيحشر في زمرة، **﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾**[2].

إن كنت من أهل الطريق فقد أرشدتك. **﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾**[3].

ما كان حاضر فقد جرى في القلم لكي يستعمل[4].

ذلـك الشخـص الـذي يعـرف البلـد   يعـــرف متـــاعنـــا مـــن أي مكـــان

ثوب الهداية إلى الله ليس شيئاً سوى العشق قلنا ذلك والسلام على من اتبع الهدى لا تسألني عن صفة خمرة عشقي أيها السكران فلن تعرف طعمها والله حتى تذقها.

وورد في كتاب أمالي الصدوق رحمة الله عليه ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام:

يا موسى كن خلق الثوب نقي القلب، جليس البيت مصباح الليل تعرف في أهل السماء وتخفى في أهل الأرض.

يا موسى إياك واللجاجة ولا تكن من المشائين في غير حاجة، ولا تضحك في غير عجب وابك على خطيئتك..».

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٧.

(٢) سورة النساء الآية ١٠٠.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤.

(٤) ولقد ترجمناها بشيء من التصرف وحذف بعض الأشعار «المترجم».

اعلم أنه كما أن عالم المادة يتشكل في العناصر الأربعة، ففي التولد المعنوي أيضاً يحتاج إلى أربعة عناصر: قلة الأكل، قلة النوم، قلة الكلام والانزواء عن الخلق. لكن يوجد عنصر آخر أيضاً يكون بالنسبة لهذه العناصر الأربعة كالروح بالنسبة للجسد وهو الذكر الدائم. قال النبي عيسى عليه السلام: «لن يجد طريقاً إلى ملكوت السماوات والأرضين إلا من يولد مرتين».

قال عيسى ابن مريم: «يا بني اسرائيل مادام دينكم سالماً فلا تأسفوا على ما فاتكم من الدنيا كما أن أهل الدنيا ما دامت دنياهم سالمة لا يغتمون لفوت دينهم».

يقول أويس القرني: احكم كلام سمعته من الحكماء هذا القول «اختر الطريق الذي يجعلك أكثر من سائر الطرائق غير محتاج لأحد».

روي في كتاب أسرار الصلاة عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن. وقال: ليس منا من لا يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل خيراً حمد الله تعالى واستزاد وإن عمل شراً استغفر الله».

واعلم أن جميع ذلك نتيجة صلاة الليل.

البحث عن رجال الحق واتباعهم

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

روي في كتاب «من لا يحضره الفقيه» عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمرو عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من لم يكن له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشداً استمكن عدوه من عنقه».

روي في كتاب مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قد قل ثلاثة أشياء في كل زمان: الإخاء في الله والزوجة الصالحة الأليفة في دين الله والولد الرشيد. فمن أصاب إحدى الثلاثة فقد أصاب خير الدارين والحظ الأوفر من الدنيا. واحذر أن تؤاخي من أرادك لطمع أو خوف أو ميل أو لأكل أو شرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض وإن أفنيت عمرك في طلبهم فإن الله عز وجل لم يخلق أفضل منهم على وجه الأرض بعد النبيين عليهم السلام وما أنعم الله تعالى على عبد بمثل ما أنعم به على التوفيق لصحبتهم. قال: الله تعالى **﴿الاخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾** وأظن أن من طلب في زماننا هذا صديقاً لا عيب فيه بقي بلا

صديق. ألا ترى أن أول كرامة أكرم الله بها أنبياءه عند اظهار دعوتهم بصديق أمين أو ولي، وكذلك من أجل ما أكرم به أصدقاءه وأولياءه وأمناءه صحبة أنبيائه، وهو دليل على أن ما في الدارين نعمة أحلى وأطيب وأزكى من الصحبة في الله والمؤاخاة لأجله».

في كتاب سفينة البحار من كتاب زيد الزراد «قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: نخشى أن لا نكون مؤمنين. قال: ولم ذلك؛ فقلت: وذلك أنا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده آثر في درهمه وديناره، ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال (ع): كلا، إنكم مؤمنون، ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونوا مؤمنين كاملين. ولو لم يكن في الأرض مؤمنون كاملون إذاً لرفعنا الله إليه وأنكرتم الأرض وأنكرتم السماء. بل والذي نفسي بيده إن في الأرض في أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضة، ثم ذكر عليه السلام أوصافهم بنحو ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام أوصاف المتقين. ثم قال عليه السلام: واشوقاه إلى مجالستهم ومحادثتهم. يا كرباه لفقدهم ويا كشف كرباه لمجالستهم. اطلبوهم فإن وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتم وفزتم بهم في الدنيا والآخرة، هم أعز في الناس من الكبريت الأحمر، حليهم طول السكوت وكتمان السر والصلاة والزكاة والحج والصوم والمؤاساة للإخوان في حال العسر واليسر».

في مجمع البحرين: «رحم الله عبداً أخذ بحجزة هاد فنجى» استعار لفظ الحجزة لهدى الهادي ولزوم قصده والاقتداء به وفيه ايماء إلى الحاجة إلى الشيخ في سلوك سبيل الله».

صفات خواص عباد الله والمقربين في عتبة الحق

هذا الحديث فقد نقل في كشكول الشيخ البهائي قدس سره عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في صفة العبد الحقيقي.

«هو أن يكون طاعة الله حلاوته وحب الله لذته وإلى الله حاجته ومع الله حكايته وعلى الله اعتماده وحسن الخلق عادته والسخاوة حرفته والقناعة ماله والعبادة كسبه والتقوى زاده والقرآن حديثه وذكر الله جليسه والفقر لباسه والجوع طعامه والظمأ شرابه والحياء قميصه والدنيا سجنه والشيطان عدوه والحق حارسه والموت راحته والقيامة نزهته والفردوس مسكنه» صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وورد في الحديث الثامن عشر من كتاب أربعين الشيخ البهائي طاب رمسه أنه:

«قالت الحواريون لعيسى (ع) يا روح الله من نجالس؟.

قال: من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله».

ونقل في كتاب «مجمع البحرين» أن معروف الكرخي قال للإمام

جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: يا بن رسول الله عظني.

فقال (ع): أقلل معارفك.

فقال: زدني.

قال: أنكر من عرفت منهم.

وروى صاحب كتاب الكافي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

«إن لأهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وصلة الأرحام ورحمة الضعفاء وقلة المراقبة للنساء (أو قال عليه السلام: قلة المؤاتاة للنساء) وبذل المعروف وحسن الخلق وسعة الخلق واتباع العلم وما يقرب إلى الله عز وجل زلفى. طوبى لهم وحسن مآب... ألا ففي هذا فارغبوا ان المؤمن من نفسه في شغل والناس منه في راحة إذا جن عليه الليل افترش وجهه وسجد لله عز وجل بمكارم بدنه يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته ألا فهكذا فكونوا».

ورد في الجلد الأول من كتاب «بحار الأنوار» ان الإمام الرضا روى عن الإمام الحسين عليهم السلام أنه قال:

«إذ رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته (بدنه) ومهانته وجبن قلبه فنصب الدين فخالها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، إن تمكن من الحرام اقتحمه وإذا وجدتموه يعف عن الحرام فرويداً لا يغرنكم، وإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منه محرماً، فإذا وجدتموه يعف

عن ذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا ما عقده عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله، فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه وكيف محبته للرياسات الباطلة وزهده فيها، فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، وهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التي قد يتقي من أجلها، وأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً ولكن الرجل كل الرجل نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله وقواه مبذولة في رضاء الله يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفذ، وإن كثير ما يخلفه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل فبه فتمسكوا وبسنته فاقتدوا وإلى ربكم به فتمسكوا، فإنه لا ترد له دعوة ولا تخيب له طلبة».

روي في كتاب معاني الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«اختبروا شيعتي بخصلتين، فإن كانتا فيهم فهم شيعتي: محافظتهم على أوقات الصلاة ومواساتهم مع اخوانهم المؤمنين بالمال، وإن لم يكونوا فيهم فاعزب ثم أعزب ثم اعزب».

رب وفقني بتوفيقك فلا حول ولا قوة إلا بك.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاثة خصال: سنة من ربه وسنة من نبيِّه وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان السر، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس، وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء» وفي كتاب مسكن الفوائد للشهيد الثاني أنه:

«أوحى الله إلى بعض الصديقين أن لي عباداً من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم ويذكروني وأذكرهم، فإن أخذت طريقتهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك.

فقال: يا رب وما علامتهم؟.

قال: يراعون الظلال في النهار كما يراعي الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب. فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت المفارش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إليَّ أقدامهم وافترشت إلي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بأنعامي ما بين صارخ وباك وما بين متأوه وباك وما بين قائم وقاعد وما بين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشكون من حبي. أقل ما أعطيهم ثلاثاً: أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم.

والثاني لو كانت السموات والأرضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالث أقبل بوجهي إليهم أفترى من أقبلت بوجهي إليه يعلم ما أريد أن أعطيه».

وروى الإمام علي عليه السلام أنه عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن علامات المؤمن أجاب.

«من علامات المؤمن أربع: أن يطهر قلبه من الكبر والعداوة، وأن يطهر لسانه من الكذب والغيبة، وأن يطهر عمله من الرياء والسمعة، وأن يطهر جوفه من الحرام والشهبة».

نقل عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله والتفويض إلى الله والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله».

أصول ما يجب أن يكون في شيخ الإرشاد ثلاثة أشياء: الشريعة والطريقة والحقيقة، لكن شرائط احراز وجود هذا المقام عشرون شرطاً بالتفصيل التالي:

١ ـ **العلم**، بمعنى أن الشيخ المرشد يجب أن يتمتع من علم الشريعة بمقدار الضرورة، لكي يتمكن من حل مسائل ومشكلات المريدين والطالبين.

٢ ـ **الاعتقاد بالمذهب الحق**: **أي يجب أن يكون شيعياً اثني عشرياً نقي الثوب من لوث البدع، إذ أهل البدع جميعهم في الضلالة والضياع.**

٣ ـ **العقل**: **الشيخ والقدوة يجب أن يكون ممتلكاً لعقل ذاتي ديني وعقل معاش دنيوي.**

٤ ـ **السخاوة**: يجب أن يكون سخي الطبع، وقائماً برفع ما يحتاجه المريدون والناس.

٥ ـ **الشجاعة**: يجب أن يكون شجاعاً وألا يخاف من ملامة الناس وتهجمهم ولا يطرد المريدين من حوله بسبب كلام أي كان.

٦ ـ **العفة**: يجب أن يكون عفيف النفس لئلا يخاف المريدون منه ولا يفسد اعتقادهم فيه.

٧ ـ **علو الهمة**: يجب أن يمتلك همة عالية ولا يلتفت إلى الدنيا وحطامها إلا بمقدار الضرورة، وألا يكون عنده طمع في المال من المريدين.

٨ ـ **الشفقة**: يجب أن يكون عنده شفقة ورحمة تجاه المريدين ولا يكلفهم بأعمال فوق طاقتهم، ويرغبهم في العمل بالرفق والمداراة ويحببهم به.

٩ ـ **الحلم**: يجب أن يكون حليماً وصبوراً ولا يبدي الانفعال من الأمور المزعجة، ولا يضايق المريدين منه إلا إذا اقتضت ضرورة التأديب والتهذيب ذلك.

١٠ ـ **العفو**: يجب أن يعفو عن ذنوب المريدين وزلاتهم التي تصدر بمقتضى الطبع البشري.

١١ ـ **حسن الخلق**: يجب أن يكون حسن الطبع لكيلا يفر المريدون من أخلاقه الجافة ولا يتشتتوا من الدوران ولكي يكتسبوا من الأخلاق الحسنة.

١٢ ـ **الايثار**: يجب أن يكون مقدماً لمصالح المريدين ومرجحاً لها على مصلحته.

١٣ ـ **الكرم**: يجب أن يكون فيه كرم الولاية.

١٤ ـ **التوكل**: يجب أن يكون متوكلاً على الله ولا يبعد المريدين عن نفسه بسبب الخوف من المعيشة والمؤونة.

١٥ ـ **التسليم**: يجب أن يوكل أموره إلى الله .

١٦ ـ **الرضا**: يجب أن يكون راضياً ومسروراً بقضاء الله ومشيئته وألا يوجد في ضميره اعتراض بالنسبة لمقدرات الله.

١٧ ـ **الوقار**: يجب أن يتصرف مع المريدين بعزة ووقار لكي يكون اتزانه مانعاً من تجاسرهم، وإلا فسيسقط موقع الشيخ ومقامه عندهم ويتأثر ارتباطهم به.

١٨ ـ **السكون**: يجب ألا يستعمل في الأعمال ولا يقعد هدوءه في الأعمال.

١٩ ـ **الثبات**: يجب أن يكون في جميع الأمور ثابت القدم وخصوصاً مع المريدين صادقاً وملتزماً في عهوده ولا يمتنع منهم لأجل أي حركة مخالفة تصدر منهم.

٢٠ ـ **الهيبة**: يجب أن يحفظ هيبته وجلاله في قلوب المريدين لكي تسكن نفوسهم لجلالة الأستاذ وارشاداته.

وعلى أية حال «إن الله يهدي من يشاء».

رائحة الورد هي التي هدت البلبل من البدء
وإلا فمن أين علم البلبل بمكان الروضة

* * *

موسى لم يسلك الطريق بسعيه إلى جبل الحبيب
ما لم تظهر شعلة النار من الوادي الأيمن

معرفة الدنيا والحذر منها

يوجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتعرض للتعريف بالدنيا ومظاهرها المادية، وتحذر عباد الله من خداعها، والآيات القليلة التالية نموذج منها:

﴿اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[1].

﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[2].

﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى بالأخسرين﴾[3].

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في

---

(١) الآية ٢٠ من سورة الحديد.
(٢) سورة العنكبوت الآية ٦٤.
(٣) سورة طه، الآية ١٣١.

الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[1].

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾[2].

وروي عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أنه: «في طلب الدنيا ذل النفوس، وفي طلب الجنة عز النفوس، ويا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى».

ورد في الوحي القديم: «مسكين عبدي يسره ما يضره».

وكتب هذا الحديث في كتاب الكشكول:

«ما ترك الناس أشياء من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه».

يقول أبو سيعد الخير:

نحن نريد التقوى مع الخمر والسكر نطلب الدنيا ونحب الآخرة
ومتى اجتمع الدين والدنيا معا لذا لا نملك الدنيا ولا الدين
أراك تطلب الدنيا لست تدركها فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ورد في أخبار داوود عليه السلام:

«ما لأوليائهم والهمَّ بالدنيا. إن الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داوود: إن محبتي لأوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون».

---

(١) سورة الكهف الآيات ١٠٣ و ١٠٤.
(٢) سورة هود الآيات ١٥ و ١٦.

الزهد والتقى

روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وداؤها ودواؤها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام».

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية».

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«من زهد في الدنيا ولم يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها، وهداه الله تعالى بغير هداية من مخلوق وعلمه بغير تعلم وأثبت الحكمة في صدره وأجراها على لسانه».

قال النبي عيسى عليه السلام:

«إني بطحت لكم الدنيا فلا ينازعنكم فيها إلا الملوك والنساء. أما الملوك فلا تنازعوهم للدنيا فإنهم ما تعرضوا لكم إن تركتم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة».

نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه:

«ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله».

يقول الله تعالى:

﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾[1].

ورد في الحديث أن الإمام الصادق عليه السلام سئل حول الزهد فقال:

«الزهد عشرة أشياء، وأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله: **﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾**[2].

قال أمير المؤمنين عليه لأحد أصحابه واسمه نوف:

«يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن دثاراً والدعاء شعاراً» والخواجة نصير الدين الطوسي أعلى الله مقامه أورد في كتابه «أوصاف الأشراف» في باب «الزهد» ما يلي:

«الزهد هو ضد الرغبة والزاهد هو الذي لا يرغب في مطلوب يفارقه عند موته وهو الحظوظ البدنية كالمآكل والمشارب والملابس والمساكن والمشتهيات الأخر مثل المال والجاه وحسن الذكر وقرب الملوك ونفاذ الأمر والنهي وذلك لا للعجز والجهل وغرض من

---

(١) سورة طه الآية ١٣١.

(٢) سورة الحديد من الآية ٢٣.

الأغراض وعوض من الأعواض فكل موصوف بذلك هو زاهد في المشهور وفي الحقيقة الزاهد هو الذي لا يكون زهده المذكور لطمع نجاة من عقوبة النار وثواب الجنة بل يكون صرف نفسه عن الأشياء المذكورة ملكة له ولا يكون مشوباً بطمع ولا بأمنية ولا غرض من الأغراض الدنيوية والأخروية وأيضاً تصير هذه الصفة ملكة للنفس تزجرها عن طلب مشتهياتها ورياضتها بالأمور الشاقة حتى تصير راسخة كما حكي عن بعض الزهاد أنه كان قد اعتاد ثلاثين سنة بيع الشوى والفالوذج ولم يكن يذوق منها شيئاً فسئل عن سببه فقال: كانت نفسي اشتاقت إليهما فأردت تأديبها بمباشرتها من غير أن تذوق منهما شيئاً لئلا تميل إلى شيء من المشتهيات ومثل الذي اختار الزهد لطمع نجات أو ثواب آخرة مثل الذي لا يتناول الطعام أياماً لدناءة نفسه مع شدة حاجته إليه ليتمكن من كثرة في ضيافة يتوقعها أو مثل ن يبيع متاعاً بمتاع طلباً للربح ومنفعة الزهد في سلوك طريق الحقيقة هو رفع الشواغل لئلا يشغل السالك بشيء يمنعه عن مقصده».

الرياضة ومخالفة هوى النفس

يقول الله تعالى:

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى﴾[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«قوة الهوى من الشهوة، وأصل علامات الشهوة من أكل الحرام والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن والخوض في الملاهي».

وروي في كتاب مصباح الشريعة في باب الجهاد والرياضة عن الإمام الصادق سلام الله عليه:

«طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهوه، ومن هزم جند هواه فقد ظفر برضا الله تعالى، ومن جاوز عقله نفسه الامارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً. ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى، وليس لقتلهما وقطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل، فإن مات صاحبه مات شهيداً، وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلى الرضوان الأكبر. قال الله

---

(١) سورة النازعات الآيات ٤٠ و ٤١.

تعـالـى: ﴿والـذيـن جـاهـدوا فينـا لنهـدينهـم سبلنـا وإن الله لمـع المحسنين﴾[1] وإذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في الاجتهاد فوبخ نفسك ولمها وغيرها تحثيثاً على الازدياد عليه واجعل لها زماماً من الأمر وعنانا من النهي وسقها، كالرائض الفارة الذي لا يذهب خطوة من خطواتها إلا وقد صحح أولها وآخرها. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي حتى تورمت قدماه، ويقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟. أراد أن يعتبر به أمته. فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبد والرياضة بحال، ألا وانك لو وجدت حلاوة عبادة الله ورأيت بركاتها واستضأت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قطعت إرباً إرباً. فما أعرض من أعرض عنها إلا بحرمان فوائد السلف من العصمة والتوفيق».

قيل أنه سئل ربيع خيثم الذي كان من الزهاد المعروفين ومن الاحجاب المقربين لأمير المؤمنين عليه السلام: لماذا تفر من النوم؟ فقال: خوف البيات وورد في رواية أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال:

«وأيم الله يميناً أستثني فيها مشيئة الله تعالى لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً».

وورد في إحدى خطب نهج البلاغة:

«... واعلمو أن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ويسد فورة جوعه بقرصيه لا يطعم الفلذة في حوله إلا في ستة أضحية ولن تقدروا على ذلك فاعينوني بورع واجتهاد. وكأني بقائلكم يقول: إذا كان

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

قوت ابن أبي طالب هذا قعد به الضعف عن مبارزة الأقران ومنازعة الشجعان. والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكني أيدت بقوة ملكية ونفس بنور بارئها مضيئة».

قيل: حضر أمير المؤمنين يوماً في مجلس بثوب مرقع فعابه شخص على ذلك فقال عليه السلام: «يخشع القلب بلبسه ويقتدي المؤمن بي».

وروي كذلك عنه عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه: ... وإياك وتناول ما لا تعلم حله.

وروي في كتاب «تبصرة العوام» عن شخصين اسمهما الأسود وعلقمة أنه: جئنا يوماً إلى عند أمير المؤمنين عليه السلام، وكان أمامه وعاء من ليف النخل وفيه رغيف أو رغيفان من خبز الشعير غير المنخول، وكان الإمام (ع) يكسره بركبته ويتناوله مع الملح الخشن. فقلنا لخادمته السوداء «فضة»: ألم تنخلي هذا الطحين؟! فقالت: هل تريدون أن ابتلى بالوزر والوبال لأجل أن يكون الخبز سائغاً لأمير المؤمنين (ع)؟! فتبسم الإمام وقال: أنا الذي أمرتها بألا تنخل هذا الخبز. فقلنا: ولأي سبب أمرتها بذلك؟ فقال: لقد رأيت هذا أليق لأذل نفسي وأخشعها، وليتأسى بي أهل الإيمان كذلك، وأكون أيضاً في الطعام كسائر أصحابي.

نقل في كتاب «عدة الداعي» أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: يقول الله تعالى .

«وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتت عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم أوته منها إلا ما قدرته له. وعزتي وجلالي

وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السموات والأرضون رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة».

وقال النبي عيسى عليه السلام:

«آكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة».

في قسم المواعظ من كتاب «بحار الأنوار» أن الإمام الرضا عليه السلام روى عن عمار بن ياسر الذي كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، أنه بينما كنا نسير في الكوفة رأينا فجأة أمير المؤمنين عليه السلام جالساً وقد اجتمع حوله جماعة وهو يكلم كلا منهم بما يفيده. فتقدمت وقلت: يا أمير المؤمنين هل يوجد عندك دواء لداء الذنوب؟ فقال: أجل، اجلس. فجلست في زاوية في ذلك المكان حتى ذهب الجميع. فالتفت إلي عندها وقال: والآن ذلك الدواء الذي قلته.

فقلت: تفضل يا أمير المؤمنين. فقال:

«عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الكتمان وبليلج الرضا وغاريقون الفكر وسقمونيا الأحزان واشربه بماء الأجفان واغله في الطنجير الفلق ودع تحت نيران الفراق وضعه ثم بمنخل الأرق واشربه على الحرق فذاك دواؤك وشفاؤك يا عليل».

وورد في أخبار داوود النبي عليه السلام أن الله تعالى يقول:

«ما لأوليائي والهمِّ بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم. يا داوود! إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون. يا داوود، اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة

خلقي. ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي، فإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن احجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها».

وهذا البيت منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام:

وإيـاك وفضـلات الأمـور فـإنهـا حرام على النفس التقي ارتكابها

وورد في الحديث أن النبي داوود عليه السلام قال: «إلهي أمرتني أن أطهر بدني ورجلي بالماء، فبما أطهر قلبي؟ قال: بالهموم والأحزان».

وروي في كتاب الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله عز وجل خلق نجماً في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر النجوم الستة الجاريات من ماء حار، وهو نجم الأنبياء والأوصياء، وهم نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج عن الدنيا والزهد فيها ويأمر بافتراش التراب وتوسد اللبن ولبس الخشن وأكل الجشب وما خلق الله نجماً أقرب إلى الله منه».

يقول الكاتب: أهل الهند يسمون هذا الكوكب «نجم سعد».

وفي الخبر: جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم والبسوا جلباب الحزن لعلكم ترون الله في قلوبكم، لأنه ليس عند الله شيء أبغض من بطن ملآن.

ترجمة شعر: فرغ جوفك من الطعام لتر فيه نور المعرفة.

سـر العجـائـب مـن يقـل ثـلاثـة أكـلاً ونـومـاً واختـلاطـاً بـالـورى
ويـديـم ذكـر الله فـي أوقـاتـه فيـرى الإلـه ومـا سـواه لا يـرى

يؤكد محققو أهل الرياضة والسلوك على خمسة عشر مسألة من

بين ألف مسألة في هذا الفن الشريف وكل من عمل بها فكأنه قد عمل بالألف.

الأولى: ألا يأكل ويشرب بمجرد الجوع والعطش.

الثانية: ألا يغضب لأي ايذاء كان.

الثالثة: ألا يواجه أي غضب بالعراك وقلة العقل.

الرابعة: أن يبعد نفسه عما لا يليق سماعه أو رؤيته.

الخامسة: ألا يمتنع عن قول كلام الحق بأية نية كان.

السادسة: ألا يضحك لأي أمر عجيب.

السابعة: ألا يضج في أي ألم كان.

الثامنة: ألا يجزع ويفزع لأي مصيبة ومحنة.

التاسعة: ألا يفخر بأية نعمة.

العاشرة: ألا يغتر بمدح أحد.

الحادية عشرة: ألا يأكل طعام أي كان.

الثانية عشرة: ألا يتكلم حول كل شيء.

الثالثة عشرة: ألا يمزح مع أحد.

الرابعة عشرة: أن يدخل نفسه في كل ما يرضي الحق.

الخامسة عشرة: أن يبتعد عن الكلام والعمل غير المرضي.

حذفت فضول العيش أبغي بها العلا   إلى دون ما يرضى به المتعفف
وأملت أن أجري خفيفاً إلى العلا   إذا شئتموا أن تلحقوا فتخففوا

قيل في شرح هذا الحديث الشريف: «إن لربكم في أيام دهركم

نفحات ألا فتعرضوا لها» أنه قد كان في احدى البلاد بطل لم يكن يقدر أحد في بلاده على مصارعته، فقصد بلاداً أخرى وكان يتغلب على سائر الأبطال. وعندها قصد العاصمة ليتغلب هناك على بطلها أيضاً ويجلس مكانه. وكان قد وصل صدى قوته إلى النواحي والأطراف ولذا فعندما تحقق مسيره إلى العاصمة حصل رعب شديد في قلب البطل هناك، .وغرق في الهموم والأفكار فرأت أمه فيه آثار الحزن والهم، فسألته عن السبب فبين لها واقع الأمر. فقامت والدته التي كانت امرأة صالحة وطاهرة العقيدة بالتوسل بالله تعالى وبنذر نذر كل يوم. وكانت في كل يوم تصنع الحلوى وتطعمها الفقراء والضعفاء الواصلين عند مدخل المدينة. إلى أن في اليوم الذي وصل فيه ذلك البطل إلى المدينة ورأى امرأة جالسة هناك، وأمامها طبق من الحلوى فاقترب منها وسألها عن سعره. فقالت المرأة: هذا ليس للبيع وإنما هو نذر. فسألها البطل لأي شيء نذرتيه؟ فقالت المرأة: ان ابني بطل العاصمة وسيأتي إلى هنا بطل ليغلبه وإذا حصل هذا فسيزول مالنا وجاهنا. رأى البطل ان هذه المرأة قد توسلت بالله عز وجل فخطر في باله أنه هنا محل الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله**﴾[1]. وفكر في نفسه أنه إذا طرحت هذا الشاب أرضاً فسأكون بطل عاصمة السلطان وإذا طرحت نفسي أرضاً فأصير بطل عاصمة حضرة الحق جل وعلا ـ ومن ثم قال في نفسه: لن أفقد هذه المرأة أملها تحصيلاً لرضا الله. ثم التفت إلى المرأة وقال لها: نذرك مقبول إن شاء الله. وقد كان يرافقه أربعون تلميذ متدرب فقسم الحلوى بينهم ثم دخل المدينة.

وفي اليوم الموعود حضر بطل المدينة لمصارعة البطل فرأوه متغير اللون فقال تلامذة البطل نحن نصارعه وننهي أمره وأصروا على

---

(١) سورة الصف، الآية ١٤.

ذلك كثيراً لكن البطل لم يقبل وقال: هذا شغلي أنا وليس شغل أحد آخر عندما دخل ذلك البطل العظيم إلى الميدان كان قد عزم على صرع نفسه. قام بطل العاصمة لمقاتلته. فأظهر البطل نفسه ضعيفاً أمامه، واختبره خصمه فوجده ضعيفاً للغاية، وكرر امتحانه مرة ثانية وعندما قوي قلبه رفع البطل دفعة واحدة ورماه أرضاً وجلس على صدره. وما أن وصل ظهر البطل إلى التراب حتى انكشفت له جميع الأفلاك.

فلئن كان هذا الشاب قد ألقاه إلى التراب، إلا أن الله تعالى قد رفع ترابه إلى الأفلاك.

وحديث «ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» يشير إلى هذا المعنى. فالإنسان يجب أن يكون متذكراً دوماً، ومنتظراً للحظة هبوب النسيم الإلهي لكي يخطو حين وصول موعده في أي وقت من دون تردد، حيث لا يكون عندها بينه وبين الله إلا خطوة واحدة ليس إلا.

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه العال

العبادة والعبودية

يقول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1].

نقل في كتاب «ارشاد القلوب» عن علي عليه السلام أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: سألت ربي ليلة المعراج: «يا رب ما أول العبادة؟ قال: أول العبادة الصمت والصوم. قلت: وما ميراث الصوم؟ قال: يورث الحكمة والحكمة تورث المعرفة والمعرفة تورث اليقين. فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أو بيسر...».

روي عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنه: «ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصم لسانه وسمعه وبصره وجوارحه».

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «ما من عبد يصبح صائماً فيشتم فيقول: سلام عليكم اني صائم إلا قال الله تعالى: استجار عبدي من عبدي بالصيام فادخلوه جنتي».

وورد في كتاب «فقه الرضا»:

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥١.

«واعلم يرحمك الله أن الصوم حجاب ضربه الله تعالى على الألسن والأسماع والأبصار وسائر الجوارح».

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه أن الإمام علي عليه السلام قال:

«ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد وقل في خيراً أو اعمل في خيراً فإنك لن تراني بعد أبداً».

كتب في حكمة آل داوود:

«حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات فساعة يناجي فيها ربه، وساعة فيها يحاسب نفسه، وساعة يقضي إلى اخوانه الذين يصدقونه عن عيوب نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذته فيما يحل فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«إن القبر ينادي كل يوم بخمس كلمات: «أنا بيت الفقر فاحملوا إليّ كنزاً. أنا بيت الظلمة فاحملوا إليّ سراجاً. أنا بيت الوحشة فاحملوا إليّ أنيساً. أنا بيت الحصى والتراب فاحملوا إليّ فرشاً وأنا بيت الحيات والعقارب فاحملوا إليّ ترياقاً. قيل وما ذلك؟ قال: الترياق الصدقة والفراش العمل الصالح والأنيس فتلاوة القرآن، وأما السراج فصلاة الليل، وأما الكنز فكلمة شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله».

نقل في كتاب الكشكول عن سيد الأوصياء أنه:

«أفضل العبادة الصبر والصمت وانتظار الفرج».

ترجمة شعر:

داوم على عبادة الله واصرف الأوقات الشريفة في الطاعة
لتصير وجيهاً كما الشمس وبخبز الشعير كن قانعاً

ورد في الحديث القدسي أنه:

«لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل والعبادات حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها».

روي أنه:

«اجتماع الجماعات في بيوت العبادات بصدق النيات وصفاء الطويات يحل ما عقدته الأفلاك الداثرات».

روي في كتاب «الأمالي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نقل كلام الحق تعالى كما يلي:

«يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا فإنكم تتنعمون بها في الجنة».

روى في كتاب مصباح الشريعة في الباب المئة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية. قال الله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾** أي موجود في غيبتك وفي حضرتك. وتفسير العبودية بذل الكلية وسبب ذلك منع النفس عما تهوى وحملها على ما تكره، ومفتاح ذلك ترك الراحة وحب العزلة وطريقة الافتقار إلى الله تعالى. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وحروف العبد ثلاثة: ع ـ ب ـ د. فالعين علمه بالله والباء بونه عمن سواه

والدال دنوه من الله تعالى بلا كيف ولا حجاب وأصول المعاملات تقع على أربعة أوجه: معاملة الله تعالى ومعاملة النفس ومعاملة الخلق ومعاملة الدنيا. وكل وجه منهما منقسم على سبعة أركان. أما أصول معاملة الله تعالى فسبعة أشياء: اداء حقه وحفظ حده وشكر عطائه والرضا بقضائه والصبر على بلائه وتعظيم حرمته والشوق إليه وأصول معاملة النفس سبعة: الجهد والخوف وحمل الأذى والرياضة وطلب الصدق والاخلاص واخراجها من محبوبها وربطها في الفقر. وأصول معاملة الخلق سبعة: الحلم والعفو والتواضع والسخاء والشفقة والنصح والعدل والانصاف. وأصول معاملة الدنيا سبعة: الرضا بالدون والايثار بالموجود وترك طلب المفقود وبعد الكثرة واختيار الزهد ومعرفة آفاتها ورفض شهواتها مع رفض الرياسة. فإذا حصلت هذه الخصال في نفس واحدة فهو من خاصة الله وعباده المقربين وأوليائه حقاً».

الصلاة[1]

لقد أكدّ الله تعالى على عباده في موضوع الصلاة في آيات عديدة من القرآن المجيد. في الآية ١٠٣ في سورة النساء يقول: ﴿**فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾ ويقول في الآية ٢٣٨ من سورة البقرة: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ ويقول في الآية ٣١ من سورة إبراهيم أيضاً: ﴿**قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة..**﴾ وفي الآية ١٤ من سورة طه: ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**﴾وفي الآية ٤٥ من سورة العنكبوت ﴿**.. وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر..**﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ترك الصلاة متعمداً فقد فكر».

وقال(ص) في حديث آخر: «ما بين العبد والكفر ترك الصلاة».

ترجمة شعر: كل من كان غافلاً عن الحق تعالى في زمان ما فقد كان حينها كافراً لكن دون أن يعلم ولو كانت غفلته هذه مستمرة لأغلق باب الإسلام في وجهه.

---

(١) هذا البحث قد طبع سابقاً منضماً إلى «ترجمة الصلاة» للفيض الكاشاني (ره) مع تفاوت قليل.

وروي عن رسول الله (ص) أيضاً قوله: «لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس فإذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه في العظايم».

أجل، فاعلم أيها العزيز أن علماء الإسلام الكبار اختصروا طريق تكميل الإنسان في هاتين الجملتين: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله[١].

وفي المثل: محبة الأب والأم لأبنائهما الصغار شفقة.

أيها العزيز أمام الإنسان سفر لا نهاية له ومنازل مليئة بالخوف والخطر لا حد لها، وأكثر الناس غافلون عن هذا السفر الذي لا غاية له وعن تحصيل أسباب النجاة من مهالكه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: رحم الله امرءاً عرف من أين وإلى أين ولأين.

وهذه المطالب الثلاثة قد بُيِّنت في آيتين في القرآن المجيد الأولى: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ (الآية ٥٦ سورة البقرة) والثانية: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (الآية ٦٥ سورة الذاريات) لقد أتينا من عند الله ومرجعنا أيضاً إليه لكن لأي شيء قد أتينا؟ لأجل العبادة ومعرفة الله لكن لماذا قال الله (ليعبدون) ولم يقل (ليعرفون)؟ ذلك لأجل أن يفهم بأن طريق معرفة الله منحصر بالعبادة. إذ أن الإنسان كلما اقترب إلى أي كان صارت معرفته به أكثر، ومعرفة كل شخص بالنسبة لله بمقدار قربه له، ولذا يشترط النية والقربة في جميع العبادات وفي كل عبادة تقول حين النية قربة إلى الله.

---

(١) يحتمل كون هذه العبارة مضمون رواية منسوبة للإمام الرضا عليه السلام.

وورد في حديث في الكافي: «ان العبد ليتقرب إليّ بالنوافل حتى كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها».

هنا يقول الله تعالى ان عبداً كهذا يسمع بي لا بهذه الأذن الظاهرة، وينظر بي ويعطي بي ويأخذ بي أي لم يبق له بعد هوى وميل وكل ما يفعله هو لله روي أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه تغلب على أحد الكفار وطرحه أرضاً. عندها بصق ذلك الكافر على وجهه المبارك فقام عليه السلام عن صدره ولم يقتله فسئل عن سبب هذا العمل فقال (ع): لقد استولى عليَّ الغضب ولم أرد أن يكون في هذا العمل غير رضا الله لذا صبرت قليلاً حتى هدأ غضبي. ومن ثم أسلم ذلك الشخص وقال هذا العمل كله لله.

أجل فسفر الإنسان له ست مراحل ولكل مرحلة منازل كثيرة، والبعض حدد منازل المرحلة الثالثة التي هي فضاء هذا العالم بثمانية عشر ألف منزل.

المرحلة الأولى: صلب الأب، والمرحلة الثانية: رحم الأم. المرحلة الثالثة: عرصة وفضاء عالم الأجسام. المرحلة الرابعة: القبر وعالم البرزخ. المرحلة الخامسة: عرصات القيامة التي تمتلك خمسين موقفاً في كل موقف يجعل الإنسان محلاً للسؤال، وفي حال وجود الخطأ يحبس ألف سنة في ذلك الموقف «يوماً مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون» والمرحلة السادسة: الجنة أو النار وهنا حيث يصل الخطاب: ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ وهذه المرحلة الأخيرة هي منزل الخلود والدوام. وجميع الكلام هو حول المنزل الثالث أو عرصة هذا العالم حيث كل ما يجب أن يحصل فإنه يحصل هنا. ولذا سميت هنا دار ،الزراعة أو المزرعة حيث أن كل بذر تزرعه في عرصة

الدنيا ستحصده بنفسه يوم القيامة.

سميت الدنيا دار التجارة إذ أنه: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ فإذا كان البائع من أصحاب اليمين فإنه يدفع روحه وماله ويأخذ في مقابلها الجنة، وإذا كان من السابقين فإنه ينال مقام «العبودية جوهرة كنهها الربوبية» وهنا حيث يقول له الله تعالى «عبـدي اطعني تكن مثلـي» ففي الدنيا يتعرض النقد الإنساني لمحك الامتحان ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم**﴾ واكتساب السعادة والشقاوة إنما يتم في هذا المنزل.

أيها العزيز! الدنيا رباط قد وضع على أول بادية القيامة وأنت تمتلك في ذلك الرباط عدة أيام كمهلة للتزود لطريق قيامتك، وقد هيأوا لك في تلك الأيام العدة النعم الظاهرية والباطينة وبينوا لك الأحكام الإلهية وطريق اكتساب المقامات العالية الأخروية بلسان الأنبياء والرسل، وأتموا عليك الحجج الإلهية، وبيّنوا لك كيفية اكتساب السعادة والشقاوة ﴿**وهديناه النجدين**﴾ أي بيّنا له طريق الجنة والنار وأفهمناه أنك تستطيع أن تجعل هذه النعم الفانية الدنيوية رأسمالاً ووسيلة للذات ودرجات الجنة أو لعذاب وشدائد ودركات جهنم.

ترجمة شعر: إذا تجاوزت هذه الرباط فلن يكون هناك عمران فعلام لا تتزود من هذا المنزل. أجل فطريق تكميل الإنسان في جملتين . «التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله». فتخلص أن هذين المطلبين بمنزلة الساقين للسالك في طريق الله والجناحين للطائر إلى الله والذي يتجـاوز بهما في القيامة عقبة الصراط بسهولة. القسم الأول متعلق بالخالق ويسمونه حق الله مثل الصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلاوة القرآن الكريم،

والقسم الثاني متعلق بالمخلوق ويسمى حق الناس كالخمس والزكاة والصدقة وتربية الضعفاء والأيتام ومساعدة العاجزين والمظلومين، وأفضل القسم الأول الصلاة حيث قالوا: «الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها» شبه الدين بالخيمة التي ينزلون بها والصلاة بعامود وسط الخيمة بشكل لو كان هناك عمود لقامت الخيمة وإن كانت خيم بعض العباد رخوة. وإذا سقط العمود فسوف تقع الخيمة أيضاً وإن كانت حبالها في منتهى الإحكام ولا يمكن الانتفاع منها بعد ذلك القيام بأداء حقوق الصلاة لا يتصور إلاّ من أرباب القلوب إذ أن حقيقة وروح وقلب الصلاة هو التضرع لله عز وجل والمناجاة مع رب الأرباب والحضرة الصمدية، والركوع والسجود والتشهد والتكبير والتسليم والأذكار صورة الصلاة الظاهرية ، ولهذا السبب قالوا انه إنما يقبل من الصلاة المقدار الذي يكون القلب متوجهاً للمعاني حين التكلم.

روى محمد بن مكي البغدادي في كتاب «تبصرة العارفين» عن أئمة الهدى سلام الله عليهم قولهم: «إن الأعمال الجسدانية إذ لم يعرف معناها لا يقع لها في الآخرة أجر».

وفي الحقيقة فإن الصلاة التي ينطق بها اللسان والقلب متوجه أثناء ذلك لأمر آخر ليست بصلاة.

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾** أجل فصلاة كهذه مما يؤتى بها دون توجه كامل للقلب وإن كانت تسقط بها الوظيفة الواجبة لكنها ليست محترمة وذات قيمة كما يجب.

أحد الأجلاء كان يعمل في ابتداء أمره بالنسيج (خياطة الجوالق) فكان يخيط في كل يوم جولقاً ويقوم بحسابات آخر الأسبوع ويدفع

أجور عماله وفي أحد الأيام أثناء الحساب فقد جولقاً ومهما فكروا وفتشوا عن الشخص الذي أعطوه لم يتذكروا. وكان الوقت قريب الغروب ولم يكن رب العمل قد صلى بعد فقام إلى الصلاة، وأثناء الصلاة تذكر الشخص الذي قد أعطاه الجوالق. وبعد انهاء الصلاة نادى العامل وقال له ان الجوالق قد أعطيناه لفلان فقال العامل: سيدي أنت كنت تصلي أم كنت تبحث عن الجوالق، فتنبه السيد من هذه الحادثة وتحول إلى الاشتغال باصلاح نفسه وقلبه.

وذكروا في أحوال السيد الرضي والسيد المرتضى أن السيد الرضي لم يكن يقتدي في صلاة الجماعة بأخيه الأكبر السيد المرتضى. فشكا الأخ الأكبر ذلك إلى أمه فأتى السيد الرضي بعد توصية والدته إلى المسجد. واقتدى بأخيه، لكن أثناء الصلاة قطع صلاته فجأة وخرج من المسجد. فأتى السيد المرتضى إلى والدته وقال لها: إن ما أتى به السيد الرضي هذا اليوم كان أسوأ من السابق. فسألت الوالدة السيد الرضي عما جرى فقال: رأيت أخي فجأة أثناء الصلاة وقد غرق في دم الحيض فاضطررت لقطع صلاتي، إذ أن الطهارة شرط في صحة الصلاة. فنقلت الأم القضية إلى السيد المرتضى. فقال: لقد صدق في ذلك إذ أنه وقتها حينما كنت متوجهاً إلى المسجد سألتني امرأة في الطريق عن مسألة من أحكام دم الحيض فأجبتها لكن أثناء الصلاة أخذت أفكر أن الجواب الذي أجبت به صحيح أم خاطىء.

وورد في الحديث انه يقبل من صلاة بعض الناس النصف وأحياناً الثلث أو الربع، وإن صلاة البعض تقذف في وجه صاحبها كالسحال البالي. فشبهت الصلاة بالثوب الذي يحمله الإنسان بيده ويخرج لبيعه، فعندما يأخذ المشتري ذلك الثوب لينظر إليه ويشتريه

ويرى أنه لا يوجد فيه مكان سليم فعلى الأقل سوف يغير هيئته ويصنع منه شيئاً آخر، لذا يلفّ الثوب ويرميه أمام صاحبه قائلاً له: إن هـذا لا يصلح لشيء فعلام جئت به إلى السوق؟.

اعلم أيها العزيز أن ما هو محل حاجة للإنسان صورة نازلة فيها أقل ما يقنع بشكل يتأدى بها أمر الإنسان، ومن ثم تترقى شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى درجة. فوق الفوق. مثلاً الإنسان يحتاج لمنزل ليحفظ نفسه من الحر والبرد يكون مثل منازل الفلاحين، ومن ثم يترقى إلى أن يصل إلى منازل الأعيان والأشراف كمثل العمارات والحدائق المتعارضة هذه الأيام. أو أنه عندما يذهب الإنسان لتعلم الخط فأقل مرتبة أن يتمكن من كتابة شيء ويحفظ أمواله مثلاً بواسطة الكتابة والحساب، وله مرتبة عالية أيضاً كمثل خط الخطاطين مثل أحمد التبريزي في «النسخ» والدرويش عبد المجيد في «المكسور» والمير عماد في «نستعليق» وبايسنقر في «الثلث»[1] والذين لحد الآن لم يكتب أحد مثلهم.

والصلاة أيضاً أفرضها بهذا النحو فمرتبتها النازلة هي بالنحو الذي يقولون عن الشخص أنه مسلم وبدنه طاهر ومصلي. ثم تترقى هذه الصلاة إلى أن تصل في مرتبة لا يسمح المصلي فيها بالصلاة بورود وخيالات الدنيا أبداً، والأرقى من ذلك هو أن لا يبقى عنده طريق لتخيل أي شيء وحتى تخيل الآخرة ويكون كل توجهه معطوف للتضرع والالتجاء إلى رب الأرباب وحصول هذه المرتبة كمثل حسن الخط غير ممكنة من دون جهد ومشقة وطول زمان. لاحظ جيداً كم يحتاج من يريد أن يصير خطاطاً لبذل جهود ومشقات وخدمة أساتذة

---

(١) «النسخ» و«المسكور» و«نستعليق» «والثلث» أسماء لأنحاء من الخطوط معروفة عند أهل هذا الفن: «المترجم».

والتعلم منهم ليستطيع أن يسمى خطاطاً.

فاعلم إذن أيها العزيز أن مرتبة مناجاة الله مرتبة رفيعة جداً وتحتاج لهمة عالية. تفكر في أن ظهور القرآن ونزول الفرقان قد حصل للنبي صلى الله عليه وآله بعد أربعين سنة من السلوك والمجاهدات والتوجه والتفكر الذي كان غالباً في غار حراء فالذين يشتغلون بتلاوة كلام الله بدون هذا الحال وبغير هذا الكلام وإن كانوا لا يصلون من هذا البحر لذلك الفيض لكنهم ليسوا في الأخير عاطلين وخالين من رشاشة نور وحشاشة حضور. أما الوصول إلى هذا المقام العالي فإنه يتهيأ للمريد بعد مرور الدهور والمجاهدات الكثيرة وإقامة الصلوات المسنونة والاستمرار عليها الذي هو ورد متوسطي أرباب السلوك وطريقة معتدلي أصحاب القلوب الذين قد تكحلت عيون بصيرتهم بكحل الجواهر «وقرة عيني في الصلاة». وفي تلك الحالة تتبدل زمزمة الصلاة بمقتضى حديث «المصلي يناجي ربه» إلى مناجاة مع الله تعالى، ومن غاية الصدق والتوجه والخلوص والاستغراق التي ينالها العبد في هذه الحال قال النبي صلى الله عليه وآله: «الصلاة معراج المؤمن».

لقد علم النبي صلى الله عليه وآله الصلاة في ليلة المعراج، وعندما أمر أمته قائلاً: «صلوا كما رأيتموني أصلي». ولذا جعل النبي (ص) الصلاة معراج المؤمن.

وسابق هذا الميدان وفارس هذا الجولان بعد الرسول الأكرم هو أمير المؤمنين صلوات الله عليهما، والذي كان في الصلاة يستغرق في بحر الأحدية إلى درجة أنهم يخرجون السهم من قدمه المبارك دون أن يحس بألمه. وفي التوجه والتوكل كان صادقاً إلى درجة أنه فرش مصلاه وسط الصفين في «ليلة الهرير»، تلك الليلة المرعبة التي كانت

تتوارد فيها السيوف والسهام من النواحي والجهات، ولم يغفل عن ورده لليل ونوافله وأتى في تلك الليلة المليئة بالاضطراب بألف ركعة نافلة ليلية.

الهدف من الصلاة هو حضور القلب والاستغراق الكامل وفناء ذات العابد في المعبود والفوز بمشاهدة الحق، لكن المبتدىء يحتاج للوصول إلى هذا المقام إلى رياضة كثيرة ومجاهدات لا تحصى. وتقول بنحو الاجمال أنه ما لم تشتغل بأمر القلب مدة فلن تستطيع أن تصبح فارس هذا الميدان.

أجل أيها العزيز فعندها تحصل أسرار الصلاة حيث تحصل ستة أشياء:

الأول: حضور القلب أي أن القلب أثناء الصلاة لا يتعلق بغير الله جلّت عظمته.

الثاني: فهم معاني القراءة والذكر والتسبيح في الصلاة بشكل يكون القلب مطابقاً للسان في فهم تلك الألفاظ.

الثالث: التعظيم أي أن تكون عظمة المعبود ومبدأ المقصود في خاطره في تلك الحالة.

الرابع: الهيبة أي أن يهجم الخوف على قلبه من غاية عظمة الله لئلا يكون في عبادته تقصير.

الخامس: الرجاء بأن يكون مقام كرم وجود الله أكرم الأكرمين معلوماً له وأنه لن يحرمه من نهاية مرحمته وسيعفو عن ذنوبه.

السادس: الحياء بأن يرى نفسه وعبادته أصغر من أن تليق ببابه ويأتي بعبادته بمنتهى الحياء والذلة والإنحناء.

وكما أنه لإتيان أي عمل يوجد أسباب ولوازم جيدة ومناسبة تسبب التقدم فيه والوصول إلى النتيجة المطلوبة ففي المقام أيضاً يجب الإلتفات إلى الأدعية والأخبار الواردة في الصلاة، والتي منها حديث حول الصلاة أول الوقت إذ ورد في الرواية أنه: «اختبروا شيعتي بخصلتين فإن كانتا فيهم فهم شيعتي حقاً: محافظتهم لأوقات الصلاة، ومواساتهم في المال مع إخوانهم المؤمنين. وان لم يكونا فيهم فاعزب ثم اعزب».

وورد في حديث آخر:

«ان الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة وتقول: حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها وبغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيعك الله».

فانظر إلى هذه الصلاة التي كنا نأمل شفاعتها كيف تلعننا «ويل لمن كان شفعاؤه خصماءَه».

على أية حال يجب طلب توفيق العبادة والعبودية من الله عز وجل إذ أنه هو ولي التوفيق، وما لم يكن هناك توفيق ورحمة من ذات الأحدية فلا أحد يستطيع تحصيل لياقة إتيان العبادات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد اخترت من التورارة اثنتا عشرة آية وترجمتها للعربية وأنا أتأملها ثلاث مرات في اليوم، إحداهما هذه الآية: «يا ابن آدم إن قمت بين يدي فقم كما يقوم العبد الذليل بين يدي ملك جليل، وكن كأنك تراني فإن لم تراني فإني أراك».

وكمثال على ذلك عندما يحضر جماعة من محضر السلطان

فأصحاب البصر والقادرون على الرؤية عندما يأتي السلطان يشاهدونه ويتصرفون بما هو مقتضى الأدب، أما العميان الغير قادرين على الرؤية والذين لا يرون السلطان عندما يقال لهم أنه قد حضر السلطان فإنهم يتأدبون ويقفون بخضوع وإن كانوا لا يرونه.

نقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله (ما معناه): إذا وقف العبد للصلاة والتفت إلى غير الله جل جلاله يخاطبه الله بقوله: عبدي بماذا تفكر فهل تعرف أرحم وأعظم مني؟ وإذا عطف التفاتة إلى موضع آخر مرة أخرى يقول له: عبدي من ذا الذي وجدته أحسن مني وتوجهت إليه؟ وإذا التفت ثالثة لغير الله عز وجل يبعده الله تعالى عن رحمته ويهجره وتقول له تلك الصلاة: «فضحك الله في الملأ الأعلى كما فضحتني على رؤوس الأشهاد».

أيها العزيز هذا منتهى ارتفاع سير كل سالك وسائر أن يخاطب الله عز وجل بلا واسطة ويكرر جملة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ المباركة في كل صلاة فالتفت في هذا المقام بأن لا تكون غافلاً ولتكن حواسك وفكرك متجهة له وحده. في الحديث أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عندما وصل في الصلاة إلى الآية الشريفة أعلاه لا زال يكررها حتى أغمي عليه وسقط على الأرض، وعندما عاد إلى الوعي سئل عن ذلك فقال: «ما زلت أكررها حتى سمعتها من قائلها».

إذا كنت قد سمعت حديث «العبودية جوهرة كنهها الربوبية» فاعلم أن العبادة ماء الحياة، وإذا شربت روح الإنسان من هذه العين فإنها تنسى نعمة الدنيا والعقبى.

يقول سيد الشهداء أرواحنا له الفداء: «ما فقد من وجدك وما وجد من فقدك».

ترجمة شعر: كان غرضي من الصلاة هو أن أناجيك ثم فراقك ساعة من الزمن

وإلاّ فأي صلاة هذه التي كنت أجل فيها بدونك وجهي إلى المحراب وقلبي في السوق.

من المستحسن قبل الشروع في الصلاة أن يقرأ هذا الدعاء الذي قد سمعناه من الأساتذة والعظماء.

«رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. رب أسألك حولاً من حولك وقوة من قوتك وتأييداً من تأييدك حتى لا أرى غيرك ولا أشاهد سواك».

روى جابر بن عبدالله الأنصاري رحمة الله عليه أنه كان عند أمير المؤمنين عليه السلام فرأى الإمام (ع) شخصاً مشغولاً بالصلاة فقال له: أيها الرجل هل تعرف تأويل الصلاة؟ فقال: وهل للصلاة تأويل غير كونها عبادة الله؟ فقال الإمام عليه السلام: «أي والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة ما بعث الله نبيّه بأمر من الأمور إلا وله مشابه وتأويل وتنزيل وكل ذلك يدل على التعبد». فقال له: علمني ما هو يا مولاي فقال:

«تأويل تكبيرتك الأولى إلى احرامك أن تخطر في نفسك إذا قلت الله أكبر من أن يوصف بقيام أو قعود، وفي الثانية أن يوصف بحركة وجمود، وفي الثالثة أن يوصف بجسم أو بشبه أو يقاس بقياس، وتخطر في الرابعة أن تحله الأعراض أو تؤلمه الأمراض، وتخطر في الخامسة أن يوصف بجوهر أو عرض أو يحل فيه شيء، وتخطر في السادسة أن يجوز عليه ما يجوز على المحدثين من الزوال والانتقال والتغير من حال إلى حال، وتخطر في السابعة أن لا تحله

الحواس الخمس. ثم تأويل مد عنقك في الركوع تخطر في نفسك آمنت بك ولو ضربت عنقي. ثم تأويل رفع رأسك من الركوع إذا قلت سمع الله لمن حمده الحمد لله رب العالمين، تأويله الذي أخرجني من العدم إلى الوجود وتأويل السجدة الأولى أن تخطر في نفسك وأنت ساجد، منها خلقتني ورفع رأسك تأويله ومنها أخرجتني، والسجدة الثانية وفيها تعيدني، ورفع رأسك يخطر بقلبك ومنها يخرجني تارة أخرى. وتأويل قعودك عن جانبك الأيسر ورفع رجلك اليمنى وطرحها على اليسرى يخطر بقلبك اللهم إني أقمت الحق وأمت الباطل. وتأويل تشهدك تجديد الإيمان ومعاودة الإسلام والإقرار بالبعث بعد الموت. وتأويل قراءة التحيات، تمجيد الرب سبحانه وتعظيمه عما قال الظالمون ونعته الملحدون. وتأويل قولك السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ترجم عن الله سبحانه فمعناها هذه أوان لك من عذاب يوم القيامة. ثم قال أمير المؤمنين (ع): من لم يعلم تأويل صلاته هكذا فهي خداج».

وورد في رواية ان الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:

«قال الله عز وجل في بعض ما أوحي: «إنما أقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمتي ويكف نفسه من الشهوات من أجلي ويقطع نهاره بذكري ولا يتعظم على خلقي ويطعم الجائع ويكسو العاري ويرحم المصاب ويواسي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس اجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة علماً (حلماً) أكلأه بعزتي واستحفظه ملائكتي، يدعوني فألبيه ويسألني فأعطيه، فمثل ذلك العبد عندي كمثل جنات الفردوس لا يسبق أثمارها ولا يتغير عن حالها».

روي أنه: «سلوا الله حوائجكم السنية في صلاة الصبح». اعلم أيها العزيز أن أطباء الجسم قد صنعوا معجوناً سموه الترياق الكبير

وحافظ الصحة، ولو تناول شخص ذلك الترياق أيام الطاعون والوباء لا يؤثر به الوباء والطاعون، وإذا لسعته أفعى لا يؤثر سمها، لكن يجب أن يعلم أن هذا الترياق إنما يكون مؤثراً ما لم يصل السم إلى قلب الإنسان، أما إذا كان السم قد وصل إلى القلب فهذا الترياق لا فائدة له ويقع الشخص في الهلكة، وكذلك فقد صنع الطبيب السماوي معجوناً لروح الإنسان باسم الصلاة، وله حكم نفس المعجون الجسماني إذا كان الشخص مصلياً منذ البدء فلا تؤثر به الوساوس الشيطانية، وإذا ابتلى بالوساوس فالصلاة توجب رفع المهالك فيما لو لم يكن السواد قد غطى جميع القلب. أما إذا خرب القلب بشكل كلي وصار مشمولاً للآية الكريمة **﴿ختم الله على قلوبهم﴾** فلا يعود يترتب على تلك الصلاة أي أثر **﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله﴾**.

أيها العزيز تفكر في علة أن الله تعالى ذكر في سورة الحمد أربعة أسماء من أسمائه بعد لفظ الحمد وهي الله، الرب، الرحمن والرحيم، المالك. لِمَ لم يذكر عدداً أكثر أو أقل من الأسماء؟ العلة هي أنه عندما يكون الحمد والثناء صرفاً لأجل وجود الصفات الكمالية في المحمود فقط كمدح حاتم بسبب صفة الجود فيه، ورستم بلحاظ شجاعته، وأفلاطون ولقمان لحكمتهما، ففي هذه الصورة عندما يكون المحمود هو الحق يذكر باسم «الله» الحاوي والمستجمع لجميع صفات الكمال والثاني إذا كان هناك سابقة نعمة واحسان فإنه يذكر باسم «الرب» والحق تعالى مربي جميع الموجودات والعوالم. والثالث إذا كان المحمود شخصاً كريماً ولم يصل منه فيض لحد الآن والحامد طامع بفيضه فإنه يستعمل حين مدحه لفظ «الرحمن الرحيم». وأخيراً الرابع عندما يكون المحمود شخصاً قاهراً والحامد يخاف من قهاريته لذا يحمد باسم «المالك». وما قد استقرأناه نحن أنه لا يوجد حمد في

العالم لأجل شيء آخر ولم نجد أحداً قد حمد بغير هذه الأسماء الأربعة. ففي هذه الصورة إذن من الأفضل أن نرى أن ألف ولام «الحمد» استغراقية، أي أن جميع أقسام الحمد مختصة بالله عز وجل. بناء على هذا يجب أن يخطر المصلي في قلبه أنه: «أيها الموصوف بهذه الصفات التي وصفت نفسك بها إياك نعبد وإياك نستعين».

اعلم أيها العزيز أنه قد روي رواية بهذا النحو أن الله تعالى يقول (ما معناه): أنا وعبدي شركاء في هذه السورة. أي أن الآيات الأربعة الأولى مختصة بالله، وآية ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ مشتركة بين الله والعبد، والآيتان الأخيرتان مختصتان بالعبد.

ونقول في كتاب «معاني الأخبار» عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال حول ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾.

«اهدنا الصراط المستقيم. قال: هو أمير المؤمنين، والدليل على ذلك قوله عز وجل: وأنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم، وهو أمير المؤمنين».

ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قوله: (ما معناه) أي أدِم لنا التوفيق الذي أطعناك به فيما مضى فيما بقي من عمرنا.

والطريق والسبيل على قسمين: أحدهما طريق الدنيا، والآخر طريق الآخرة. أما الطريق الصحيح في الدنيا فهو أن يكون قاصراً عن الغلو، أي لا تصل المحبة إلى الغلو كمثل المعتقدين بألوهية علي (ع)، وأعلى من التقصير كمثل طريق أهل العامة الذين يقدمون آخرين على عليٍّ عليه السلام. وأما الطريق في الآخرة فهو طريقة

وسبيل علي عليه السلام الذي هو طريق المؤمنين المستقيم نحو الجنة.

روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: (ما معناه) قولوا إلهنا اهدنا إلى طريق الذين وفقوا لدينك واطاعتك وعبوديتك. أولئك الذين يقول عنهم الله تعالى **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾**.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال (ما معناه): «ليس المراد من النعمة في آية **﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** الثروة وصحة البدن وإن كان المال والصحة من نعم الله أيضاً إذ أن هذه النعمة يعطيها الله للكفار والفساق كذلك. وإنما أمرتم أن تدعوا الله أن يهديكم الصراط المستقيم، أي صراط الذين أعطاهم الله نعمة الإيمان والتصديق بالنبي (ص)، ونعمة الولاية وحب محمد وآل محمد عليهم السلام الطيبين الطاهرين وأصحاب الأئمة (ع) الخاصين المنتجبين والذين حفظوا دينهم بواسطة التقية التي هي بنفسها نعمة».

اعلم أيها العزيز أنه طبقاً لحديث «المصلي يناجي ربه» المناجاة من باب المفاعلة ويجب أن تكون من الطرفين لكي تتحقق المناجاة، أي أن الله تعالى يجب أن يمنع العبد التوفيق لكي يستطيع أن يناجيه.

ترجمة شعر: لم يطوِ أحد الطريق بنفسه إليه وإنما يذهب بقدميه (قدمي المعشوق والمقصود) كل من يذهب إلى ذراه.

يجب أن يمنح الله العبد لساناً ليستطيع مناجاته وأن يعطيه عيناً ليتمكن من مشاهدة عظمته.

لا يستطيع العبد القيام بحقوق العبودية إلا بتوفيق من الله. فعندما نقول إذن «بسم الله الرحمن الرحيم» فمعناه أنه نستعين باسمه الذي هو «الله» و «الرحمن» و «الرحيم» لأجل العبادة والعبودية ولا شبهة في أن الله هو الاسم الأعظم للرب سبحانه وتعالى يقول الصادق عليه السلام في حديث خلق الأسماء: «فأظهر ثلاثة منها لفاقة الخلق إليها» ثم قال إن أظهر تلك الأسماء الثلاثة هو اسم «الله» وبناء عليه يتحقق أن الله اسم أعظم. أما السبب من أنه قد ذكر في عبارة بسم الله الرحمن الرحيم ثلاثة أسماء من أسماء الحق تعالى فهو أن الناس على ثلاثة أقسام: فمجموعة منهم تطلب الدنيا، ومجموعة أخرى تطلب العقبى، والمجموعة الثالثة تطلب المولى. فطالب المولى يستعين باسم «الله»، وطالب العقبى باسم «الرحيم» الحاكي عن رحمة الله الخاصة بالمؤمنين، وطالب الدنيا يستعين ويستمد من اسم «الرحمن» الذين يحكي عن الرحمة العامة لله بالنسبة لجميع الموجودات. بناء على هذا فقد أعطانا الله تعالى ثلاثة أسماء لأجل الاستعانة بها في الأمور، ونحن يجب أن نستعين به في جميع أمورنا بواسطة أسمائه.

اعلم أيها العزيز أنه يوجد في «بسم الله» نكات ينبغي الإلتفات إليها.

أولاً: أن المراد من الذكر في الآية الشريفة: ﴿**إذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً**﴾[1] هو «بسم الله» وذلك لأن اسم «الله» هو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال والوحدة منها.

ثانياً: أن «بسم الله» تسعة عشر حرفاً، وعدد «واحد» بحساب الجمل تسعة عشر، ومعنى الواحد هو نفس الوحدة.

ثالثاً: أن كلمة «بسم» مشتملة على ثلاثة حروف «ب» و «س»

و «م» عدد الحروف «ب» و «م» ٩٢ وعدد اسم محمد (ص) أيضاً ٩٢ إذ أن عدد ملفوظ «م» ٩ و «ب»٢. وعدد ملفوظ «س» ١٢٠ وعدد اسم علي عليه السلام عندما يقرأ مع الياء المشددة ١٢٠. وبهذا يكون في كلمة «بسم» اشارة إلى مقامي النبوة والولاية.

روي أنه عندما يقول العبد: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ يقول الله الكريم: «ذكرني عبدي» وعندما يقول: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ يقول: «حمدني عبدي» وعندما يقول ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ يقول: لقد «ذكرني عبدي» وأثنى علي بصفاتي الجميلة. وعندما يقول ﴿**مالك يوم الدين**﴾ يقول «مجدني عبدي». وإذا قال: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ يقول الله تعالى، هذه الآية مشتركة بيني وبين عبدي، هو عابد وأنا معبود وأعطيه كلما شاء .علة انحصار طلب المعونة من الله عز وجل هو أن الله تعالى إذا لم يقدِّر فلن يستطيع أحد أن يفعل شيئاً، وجميع الأمور بيده.

«أزمة الأمور طرّاً بيده ومصادرها عن قضائه، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له».

نُقل أنه في زمان بهلول كان قد كتب أحدهم يوماً تفسيراً للقرآن الكريم، وكان يريد أخذه للخليفة. عندما التقى بهلول في الطريق فسأله بهلول عن مقصده؟ فقال له: إني أحمل التفسير الذي كتبته إلى الخليفة. فقال له بهلول: منذ مدة وأنا أريد أن أعرف تفسير آية ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ فقل لي ما الذي كتبته في تفسيرها؟ فأطرق ذلك الشخص مدة مفكراً ثم رجع من هناك إلى منزله. فسأله بهلول: أين تذهب فقال: حيث أرسلتني.

اعلم أيها العزيز أن هناك جماعة من العظماء مثل إبراهيم الخليل والذي حين أتاه جبرائيل أثناء اشتعال نار نمرود وقال له: «هل لك

حاجة»؟ قال: بلى قال: اطلب. قال: «أما إليك فلا» فقال: فلم لا تطلب من الله إذن؟ قال: «حسبي عن سؤالي علمه بحالي».

لكن هذا ليس عمل كل الناس. وإنما عمل هؤلاء العظماء، وباقي الناس يجب أن يعلموا أنه حيث أن جميع الأمور بيد الله وعالم الدنيا عالم الأسباب فعندما يمرضون يجب أن يراجعوا الطبيب لكن يجب أن يعلموا أن الشافي هو الله لا الطبيب..

كتب أحد العظماء رسالة لشخص في حاجة بهذا المضمون.

«عرضت حاجتي على الله قبل أن أعرضها عليك، وسألت من الله أن يجريها على يديك. فإن فعلت فهو المشكور، وإن لم تفعل فأنت المعذور».

بناء على هذا فنوع الناس يجب أن يسعوا باتجاه الأسباب الدنيوية لكن لا بأن يكونوا غافلين عن المسبب وظانين أن السبب يقدر على شيء. قد يكون هناك شخصان كاسبان يعملان في نوع واحد من أنواع الكسب وكل منهما يمتلك دكاناً في سوق واحد لكن يقول رسول الله (ص) في حق أحدهما: «الكاسب حبيب الله» وفي حق الآخر: «كلب اليهود خير من أهل السوق». الكاسب الأول هو شخص يعلم أن الرزاق هو الله عز وجل، لكن حيث أن عالم الدنيا عالم الأسباب وقد ورد في الروايات أيضاً أن العبادة عشرة أقسام تسعة منها كسب الرزق الحلال وقسم واحد الأدعية والأعمال الأخرى، وكذلك حيث أن عنده زوجة وأطفال ونفقتهم في عهدته فلذا هو يأتي للدكان لأجل العمل لكن بيعه وشراءه بطريق الشرع، أي أنه لا يقوم بشراء وبيع البضائع المحرمة، ولا يتعامل مع الأولاد، ولا يكذب، ولا يبيع البيع الربوي، ولا يبيع البضاعة السيئة بدل البضاعة الحسنة. فعندما يقوم بهذا النحو من الكسب تصدق هذه العبارة من حقه أنه «حبيب الله».

أما الكاسب الثاني فهو شخص عندما يرى أن رفاقه عندهم بيوت وأثاث ويأكلون الطعام الجيد ويحصلون على النساء الجميلات فإنه يذهب إلى دكانه لتحصيل هذه المزايا والمنافع، ويريد الحصول على المال بأي نحو تيسر وإن كان بواسطة الكذب والبيع الربوي واظهار البضائع السيئة على أنها حسنة. والخلاصة أنه لا يلاحظ أحكام الشرع أبداً وكل همه جمع المال. ففي هذه الصورة الكلب اليهودي أشرف من كاسب كهذا إذ أنه (ص) قال: «إنما الأعمال بالنيات»، أي أن مدار صحة العمل وفساده بالنية القلبية لا بصورة العمل.

أيها العزيز التفت إلى المطلب. لقد مثلت بالكاسب والدكان والبازار لكن جميع الأعمال بهذا النحو عندما يرتفع نداء «حي على الصلاة» قد يهرع شخصان إلى المسجد أحدهما بنية إجابة أمر الحق لأنه قد سمع أن الصلاة في المسجد أو ادراك الجماعة ثوابه أكبر والآخر حيث أنه يرى أن الناس يهتمون بالمقدسين فيذهب إلى المسجد ليظهر للناس أنه هو الآخر مقدس وصالح ويريد أن يستفيد ببعض الفوائد من الناس بهذه الحيلة فهو لا يفكر في الله ومناجاته واطاعته أبدا وإنما كل تفكيره ونيته رياء وتظاهر. فالأول يسمى عابداً لله، والثاني عابد الهوى ومطيع للشيطان. فانظر مدى التفاوت مع أنه من الممكن أن تكون صورة صلاة هذا العابد للهوى أفضل من صورة صلاة ذلك المخلص العابد لله **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾**[١].

ترجمة شعر: مؤداه ان العروق متشابهة عند كل الناس لكن تجد في بعضها سائلاً طاهراً وفي الآخر مر وهذا يستمر إلى يوم القيامة.

عندما كنت أفكر في أنه في كل يوم وليلة أصلي خمس مرات وفي كل صلاة أقرأ سورة الحمد مرتين أي أقول في كل يوم عشر

مرات: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم﴾** خطر بقلبي أن كل عمل يصدر منا فهو يصدر بواسطة الحواس الخمس الظاهرية والحواس الخمس الباطنية والتي يصير مجموعها عشر حواس. بناء على هذا فنحن أيضاً نطلب من الله الاستعانة كل يوم ونريد منه أن يعيننا بالحواس العشر، وأن يهدي كلاً من حواسنا إلى الطريق المستقيم «إياك نعبد فأهلنا لعبادتك وإياك نستعين فلا تحرمنا معونتك» «إياك نعبد بالإخلاص وإياك نستعين بترك الرياء».

كتب أحد السالكين لشيخه ما يلي: إذا اشتغلت بالعبادة يأتيني العجب، وإذا تركت العبادة أقضي عمري بالبطالة، فأي شيء أختار من هذين الأمرين فكتب له الشيخ في الجواب: «اعمل واستغفر الله من العجب».

اعلم أيها العزيز أن العبادة هي نبع الحياة، فمن لا يشرب من هذا النبع يبقى ميّتاً أبد الدهر.

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

كمثل جماعة ساروا في الظلمات لتحصيل ماء الحياة وصرفوا أعمارهم في المشقة والسفر، وفي الأخير لم يشربوا من ماء الحياة الأبدية تلك أبداً.

أيها العزيز: قول هذا الكلام سهل لكن التحقيق في معاني ذلك عمل الرجال.

﴿يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾[(١)] يجب أن يكون لسان الحال مترنماً بهذا المقال: «مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك».

لقد أتيت بما في وسعي وقوتي، إذا أعنتني وساعدتني أستطيع

الوصول إلى أعلى عليين وإلاّ فإن لم تساعدني فسأكون محبوساً في أسفل سافلين طبيعتي ﴿تصدق علينا﴾ إذ لا نستحق شيئاً.

أيها العزيز إذا صدقت في إياك نعبد فأنت صادق يقيناً في إياك نستعين إذ أن من يعرف الله ويسجد له بعنوان العبودية لا يستطيع أن يستعين بغيره، أما إذا لم يعرفه ولم يستطع أن يسجد له فسيظل في أعماله حيراناً تائهاً وفي حالة اضطراب دائم لأنه من الطبيعي أن يستعين العبد بمولاه، فإذا لم يعرف الإنسان ربه ولم تكن سجدته بالقلب وإنما بالصورة فسيكون كمثل الشحاذ تائهاً متنقلاً من باب إلى باب.

أيها العزيز عليك أن تسعى ليلاً ونهاراً لعلك تشرب من معين العبادة جرعة، واصغ سمعك فلعلك تسمع هذه العبارة:

«عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي، أنا حي لا يموت أجعلك حيّاً لا تموت، وأنا أقول للأشياء كن فيكون وأنت تقول للأشياء كن فيكون».

اعلم أن أهل السنة فريقان فريق جبريون يقولون ان الله قد قدَّر كل الأمور وما يظهر منا ليس بالاختيار وإنما نحن مجبورون على أن نفعل ذلك. وفريق آخر يقولون ان الله قد خلقنا وأوكل أمورنا إلينا وليس له أي دخل في أعمالنا. والآية الشريفة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ترد عقيدة كلتا الطائفتين. فذاك الذي يقول نحن (مجبورون وفعلنا فعل الله ترده ﴿إياك نعبد﴾ إذ أنها تحكي عن أننا نحن أيضاً عندنا فعل، وذاك الذي يقول أن الله قد أوكلنا إلى أنفسنا ترده﴿إياك نستعين﴾.

وحيث أننا في هذا السفر الذي أمامنا إذا سرنا على الطريق نصل

إلى المقصد، وعندما نصل إلى المنزل فكل شيء مهيأ لنا، وإذا لا سمح الله تِهنا فستكون عاقبتنا الهلاك في نية الضلالة لذا نسأل الله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ أي إهدنا إلى الطريق الصحيح الذي هو طريق الأولياء والذين عبر عنهم بـ الذين ﴿**أنعمت عليهم**﴾ وهو طريق ذهب جماعة إلى يمينه فخرجوا عنه، وذهب جماعة أخرى إلى يساره وكلتا الجماعتّان وقعوا في الإفراط والتفريط، حيث عبر الله تعالى عن الإفراطيين «بالضالين»، وعن التفريطيين«بالمغضوب عليهم». وهناك مجموعتان من العلماء بيّنوا معنين للضالين والمغضوب عليهم فقالت مجموعة أن المقصود من الضالين قوم النصارى ومن المغضوب عليهم قوم اليهود، إذ أن النصارى لم يعرفوا الطريق وأضاعوه، أما اليهود فقد عرفوه وعدلوا عنه بهوى أنفسهم. وقالت المجموعة الأخرى ان أهل الإفراط هم القائلون بألوهية علي (ع) وأهل التفريط هم النواصب، وأهل الصراط المستقيم هم الشيعة الإثني عشرية. أما في نظر العبد الفقير فإن نفس أهلِ الشريعة المقدسة أي الشيعة الاثني عشرية ثلاثة فرق. ففرقة منهم تعمل لتحصيل الدنيا وغرضهم من الصلاة والصوم والخمس والحج تحصيل الدنيا ويريدون إظهار أنفسهم أمام الناس أنهم مقدسون ويجنون المنافع من هذا الطريق. فهؤلاء هم المغضوب عليهم وفرقة أخرى أهل الآخرة فهم لا يريدون الدنيا لكن غرضهم من العبادة تحصيل الحور والقصور والخلوص من نار جهنم فهؤلاء هم الضالون التائهون. والفرقة الثالثة هم طالبوا الله وغرضهم من العبادة القرب ومعرفة الحق جل جلاله، وهؤلاء هم الذين ﴿**أنعمت عليهم**﴾ والفرقة الثالثة هم أمثال أويس القرني وسلمان الفارسي وأبو ذر والمقداد وعمار بن ياسر وكميل بن زياد ومالك الأشتر. يقول أمير المؤمنين عليه السلام حول مالك الأشتر «كان لي كما كنت لرسول الله» لست أدري ماذا كان هذا

العظيم روحي فداه جعلني الله تراب أقدامه. ويقول رسول الله (ص) حول أويس (ما معناه) أشم رائحة الله من جهة اليمن. ورد في حديث أنه أثناء حرب صفين كان الناس يأتون إلى أمير المؤمنين من الأطراف والنواحي جماعات جماعات ويبايعونه (ع) ويلتحقون بجيشه فقال عليه السلام يوماً أنه سيأتي اليوم مئة شخص فيبايعوني. جاء تسعة وتسعون وارتفع النهار ووصل الوقت الذي يذهب فيه الإمام (ع) للإستراحة لكنه بقي جالساً في حرارة الشمس منتظراً. يقول ابن عباس: اعترتني شبهة إذ أنه لحد الآن لم يكن قد تخلف شيء مما أخبر به عليه السلام. ظل الإمام (ع) منتظراً هكذا إلى أن وصل أويس. والظاهر أنه لم يعرف الإمام في البدء فسأل عنه فدلوه عليه. عندما وصل إليه قال له: لأي شيء قدمت؟ فقال لأبايعك. قال: تبايعني؟ فقال: بمهجتي.. وبايع الإمام (ع) بكلتا يديه وهذا الأمر كان منحصراً ومختصاً به إذ باقي الناس كانوا يبايعونه بيد واحدة. ثم أخذ ذلك العظيم يجاهد بسيفين سيف باليد اليمنى وآخر باليسرى إلى أن استشهد الآخرون كانوا يحملون درعاً باليد اليسرى ليحفظوا أنفسهم أما هذا العظيم فقد كان كل همه علي (ع) ولم يكن ملتفتاً لنفسه روحي له الفداء إذ لم ير لنفسه نصيباً فقال: بمهجتي.

فمن الأفضل أيها العزيز أن تلاحظ هؤلاء العظماء أثناء قول ﴿أنعمت عليهم﴾ في الرواية أنه عندما يشرع العبد بقول ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ يقول الحق تعالى: «هذا عبدي ولعبدي ما سأل». وقد أورد الكفار أنه أنتم تقولون ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ مع أن تحصيل الحاصل محال فهذا يدل على أنكم ضالون فسألوا المعصوم (ع) عن ذلك فقال: «أي ثبتنا على الصراط المستقيم». مع أن الإنسان في كل خطوة يحتاج إلى وجدان الطريق المستقيم.

قيل ﴿اهدنا الصراط﴾ دعاء مصدر بالثناء إذ أن المصلي يثني على الله تعالى وبعد اظهار العبودية يسأل الهداية والثبات عليها. وكلمات نعبد ونستعين تعم المتكلم مع الغير، وهذا لأن المصلي يدخل عمله مع الآخرين لعل عمله يقع مقبولاً بواسطتهم. وكذلك في كلمة ﴿اهدنا﴾ إذ أنه من المقطوع به أن لله عباداً لا يرد دعاءهم بل قيل إذا لم نشأ نقضي بلا طلب.

قال القشيري في معنى ﴿اهدنا﴾ أن المقصود ازالة ظلمات أحوالنا لنستغني بأنوار عن قدسك عن الرجوع إلى طلب ظلالنا. أي أزل ظلال فكرنا وجدّنا وجهدنا لتتنور أبصارنا بنور شمس شهودك، وأرشدنا إلى طريقك بجذب محبتك وشوقك لا بالسعي والطلب.

أما تكرار كلمة ﴿الصراط﴾ فمن باب أن طريق الله سبيلان واحد من العبد إلى الله والآخر من الله إلى العبد والطريق الأول مليء باللصوص والاحتيال.

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى ... كثير وإن الواصلون قلائل

وأما الطريق التي من الله إلى العبد من دخلها كان آمناً.

صراط الذين أنعمت عليهم بقبول الولاية فإن أمة محمد (ص) كلهم كانوا في الصراط المستقيم، فلما مات النبي (ص) قسموا قسمين: قسم أقروا بالولاية وقسم أنكروه نسأل من الله أن يهديه صراط الذين أقروا بالوصاية ودخلوا في باب الولاية الذي من دخله كان آمناً فهي البيت الذي قال فيه ﴿ومن دخله كان آمناً﴾.

قال علي عليه السلام:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا
وأنت عند الصراط معترضي ... ولا تخف عثرة ولا زللا

أقول للنار حين تعرض للعرض ذرية لا تقربي الرجلا
هذا لنا شيعة وشيعتنا أعطاني الله فيهم الأملا

صراط الذين أنعمت عليهم بمشاهدة المنعم دون النعمة.

فإذاً من الله تعالى على أحد بهذه النعمة الغامرة فإنه يكون من عيش وطرب دائم، لا يشعر بالهم والغم في وقت من الأوقات، إذ أن مشاهدة المحبوب تغنيه عن مشاهدة أي شيء. يقول ابن الفارض:

فبالحدق استغنيت عن قدح ومن شمائلها لا عن شمولي ونشوتي

غير المغضوب عليهم بترك حسن الأدب في وقت القيام لخدمتك.

وكما ذكرنا فيما سلف فإن الله تعالي يخاطب العبد حين قراءة هذه السورة ثلاث مرات أنه عبدي إذا كنت تخاطبني فلماذا لا تلتفت إليَّ؟ إلى أن يصل إلى ﴿إياك نعبد﴾ حيث فإذا لم يلتفت أيضاً فإنه يقع مورداً لغضبه.

﴿ولا الضالين﴾ عن رؤية ذلك منك: أي ولا طريق الضالين والذين لم يدركوا أن كل ما هو موجود منك وظنوا أنهم هم قد قاموا بعمل ما. فهؤلاء جاؤوا بما هو مقتضى الأدب ولكنهم كانوا غافلين عن المنعم. لم يسيئوا الأدب لكنهم لم يدركوا.

يشكون أنهم قد دعوا ولكن لم يستجب لهم. خلافاً لأولئك الذين يقولون دوماً: «ربنا أتم علينا نعمتك ففي شواهد آلاء الكريم تتميم نعمائه» ولا يقولون نحن عملنا وإنما يقولون أنت أعطيتنا «رب منك الإكرام فتفضل علينا بالإتمام».

إعلم أيها العزيز أنه لتسبيح الزهراء (ع) بعد الصلاة فضيلة إلى

درجة أنهم يقولون لمن صلى ولم يأت بهذا التسبيح ان أعد صلاتك ثانياً يقرأ ثلاث مرات سورة التوحيد وثلاث مرات صلوات ثم ثلاث مرات آية **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾**[1] ويرفع الرأس إلى الأعلى بقصد فتح الباب إلى الله عز وجل، في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام الصادق عليه السلام أن قراءة هذه الآية بعد الصلاة يوجب سعة الرزق وطول العمر والذهاب عن هذه الدنيا مع الإيمان.

---

(١) سورة الطلاق، الآيات ٢ ـ ٣.

تلاوة القرآن وشرائطه وآثاره وذكر عدة نكات في تفسير بعض الآيات الكريمة

نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرق قلبه ولا ينشىء حزناً واخلاصاً في سره فقد استهان بعظم شأن الله تعالى، وخسر خسراناً مبيناً. فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال.

فإذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم. قال الله تعالى ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾[1]، فإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة ولا تعرضه عارض فيحرمه بركة نور القرآن وفوائده، فإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأولیین استأنس روحه وسره بالله عز وجل ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعظم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدايع اشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة وعبادة، لأن فيه المناجاة من الرب بلا واسطة.

---

(١) سورة النحل الآية ٩٨.

فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره وتجتنب نواهيه، وكيف تمتثل حدوده فإنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فرتله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من اقامتك في حروفه في اضاعة حدوده».

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«التعوذ تطهير الفم عن الكذب والغيبة والبهتان تعظيماً لقراءة القرآن والاستئذان لمكالمة الرحمن».

ترجمة شعر: لو غسلنا الفم ألف مرة بالمسك والورد لظل ذكر اسمك غاية في قلة الأدب.

ونقل كذلك عن الإمام الصادق أيضاً:

«كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والاشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوام، والاشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء عليهم السلام».

وقال عليه السلام أيضاً:

«القرآن عهد الله إلى خلقه، وقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ في كل يوم منه خمسين آية».

قيل: لا يوجد آية في القرآن المجيد إلا ولها سبعة معان: ظاهر وباطن واشارات وامارات ولطائف ودقائق وحقائق. فظواهر القرآن لعوام الناس وبواطنه للخواص واشاراته لخاص الخواص واماراته للأولياء ولطائفه للصديقين ودقائقه للمحبين وأخيراً حقائقه خاص بأنبياء الله. والمراد من الحكمة في الآية الشريفة ﴿**ومن يؤت الحكمة**

فقد **أوتي خيراً كثيراً﴾**[1] هو فهم القرآن الذي إن أعطي لأحد فقد أعطي له خير كثير[2].

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية المباركة **﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق...﴾** إن المراد هو أن الله تعالى يمنع هؤلاء الناس من فهم وادراك معاني آيات القرآن العزيز.

وروي عن المعصوم عليه السلام قوله:

«واعلم أن الله تعالى جعل الدنيا بحراً عميقاً وغريقاً ومعبراً على خطر وممراً على سقر إلى قرار ومستقر، وأحل العباد فيها لعبادته وملازمة طاعته وجعل القرآن لهم حبلاً فقال: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾**[3] أي بدين الله والقرآن عهده إليكم، وسمى القرآن حبلاً لأن نجاة الغريق إذا غرق في بحر عميق يكون بحبل وثيق وهو الاقرار بالله والاعتصام بكتابه **﴿الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾** وبحسب الروايات المنقولة عن المعصومين عليهم السلام فحقيقة حبل الله أيضاً هو أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وهناك حديث أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام أنه:

«القراء ثلاثة: قارىء قرأ ليستدرك به الملوك ويستطيل به على الناس فذاك من أهل النار، وقارىء قرأ فحفظ حروفه وضيع حدوده فذاك من أهل النار، وقارىء قرأ فاستتر به تحت برنسه فهو يعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه وفرائضه ويحل حلاله ويحرم حرامه فهذا

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(٢) بحسب الروايات المتعددة فحقيقة الحكمة هي الولاية ومن البديهي أن فهم القرآن من آثار الولاية.

(٣) قسم من الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

ممن ينقذه الله من مضلات الفتن وهو من أهل الجنة ويشفع فيمن شاء».

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الآية الشريفة ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾ أنه قال: «بينه تبياناً ولا تهذه هذاء الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن أقرع به القلوب القاسية ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة».

والآن فيما يلي عدة نكات في تفسير بعض الآيات الكريمة:

﴿**بسم الله الرحمن الرحيم * ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾[١].

قوله تعالى: ﴿**هدى للمتقين**﴾ أي هدى في نفسه للذين يتقون الرذائل والحجب المانعة لقبول الحق. واعلم أنّ الناس بحسب العاقبة سبعة أصناف، لأنهم أما سعداء وأما أشقياء، قال الله تعالى: ﴿**فمنهم شقي وسعيد**﴾[٢] والأشقياء أصحاب الشمال، والسعداء إما أصحاب اليمين وأما السابقون المقربون. قال الله تعالى: ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة**﴾[٣]. وأصحاب الشمال أما المطرودون الذين حق عليهم القول وهم أهل الظلمة والحجاب الكلي المختوم على قلوبهم أزلاً، كما قال: ﴿**لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس**﴾[٤]. وفي الحديث الرباني: «هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالي». وإما المنافقين الذين كانوا مستعدين في الأصل قابلين للتنوّر بحسب الفطرة والنشأة، ولكن

---

(١) الآيات الأولى من سورة البقرة.

(٢) سورة هود الآية ١٠٥.

(٣) سورة الواقعة الآية ٧.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي ومباشرة الأعمال البهيمية والسبعية ومزاولة المكائد الشيطانية حتى رسخت الهيئات الفاسقة والملكات المظلمة في نفوسهم وارتكمت على أفئدتهم فبقوا شكاكين حيارى تائهين، قد حبطت أعمالهم وانتكست رؤسهم، فهم أشد عذاباً وأسوأ حالاً من الفريق الأول، لمنافاة سكة استعدادهم لحالهم **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾**[1]. والفريقان هم أهل الدنيا والنار. وأصحاب اليمين أما أهل الفضل والثواب، الذين آمنوا وعملوا الصالحات للجنة راجين لها راضين بها **﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾**[2] على تفاوت درجاتهم **﴿ولكل درجات مما عملوا﴾**[3]، ومنهم أهل الرحمة الباقون على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المتبوئون درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لا على حسب كمالاتهم من ميراث عملهم وأمّا أهل العفو، الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهم قسمان: المعفو عنهم رأساً لقوّة اعتقادهم وعدم رسوخ سيئاتهم لقلة مزاولتهم إيّاها أو لمكان توبتهم عنها، **﴿فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات﴾**[4] والمعذبون حيناً بحسب ما رسخ فيهم من المعاصي حتى خلصوا عن درن ما كسبوا فنجوا وهم أهل العدل والعقاب **﴿والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾**[5] لكن الرحمة تداركهم وكلاءتهم أهل الآخرة. والسابقون أما محبّون وأما محبوبون. فالمحبون هم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأنابوا إليه حق انابته

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥.
(٢) سورة الكهف الآية ٤٩.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٢.
(٤) سورة الفرقان الآية ٧٠.
(٥) سورة الزمر الآية ٥١.

فهداهم سبله ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾[1]. والمحبوبون وهم أهل العناية الأزلية الذين اجتباهم الله وهداهم إلى صراط مستقيم، والصنفان هما أهل الله. فالقرآن ليس هدى للفريق الأول من الأشقياء، لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم، ولا للثاني لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية بفساد اعتقادهم، وهم أهل الخلود في النار إلا ما شاء الله، فبقي هدى للخمسة الأخيرة الذين يشملهم المتقون. والمحبوب يحتاج إلى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه في الله، لقوله تعالى ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾[2] وقوله ﴿**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**﴾[3]. والمحب يحتاج إليه قبل السلوك والجذب وبعده لسلوكه إلى الله وفي الله. فعلى هذا المتقون في هذا الموضع هم المستعدون الذين بقوا على فطرتهم الأصلية واجتنبوا ريب الشرك والشك لصفاء قلوبهم وزكاء نفوسهم وبقاء نورهم الفطري، فلم ينقضوا عهد الله، وهذه التقوى مقدمة على الإيمان، ولها مراتب أخرى متأخرة عنه قوله تعالى: ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾، أي بما غاب عنهم، الإيمان التقليدي أو التحقيقي. فإن الإيمان قسمان: تقليدي وتحقيقي، والتحقيقي قسمان: استدلالي وكشفي، وكلاهما أما واقف على حد العلم والغيب وأما غير واقف. والأول هو الإيمان المسمى بعلم اليقين والثاني أما عيني وهو المشاهد المسمى بعين اليقين وأما حقيقي وهو المشهود الذاتي بحق اليقين والقسمان الآخران لا يدخلان تحت الإيمان بالغيب. والإيمان بالغيب يستلزم الأعمال القلبية التي هي التزكية عن الميل إلى السعادات البدنية الجارحية الشاغلية عن احراز السعادات الباقية فإن السعادات ثلاث

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٩.
(٢) سورة المائدة الآية ٥٤.
(٣) سورة هود الآية ١٢٠.

قلبية وبدنية وما حول البدن. فالقلبية هي المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية الخليقية، والبدنية هي الصحة والقوة واللذات الجسمانية والشهوات الطبيعية، وما حول البدن هي الأموال والأسباب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: الأوان من النعم سعة المال وأفضل من سعة المال صحة الجسم وأفضل صحة الجسم تقوى القلب. ويجب الاحتراز عن الأولين لاحراز الأخيرة المطلوبة بالزهد. فاقامة الصلاة وترك الراحات البدنية وأتعاب الآلات الجسدية، وهي أم العبادات التي إذا وجدت لم يتأخر عنها البواقي **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾**[1] إذ هي بحامل على البدن والنفس المشقة إذا أصر عليهما وانفاق المال وهو اعراض عن السعادة الخارجية المحبوبة إلى النفس، المسمى بالزهد، فإن الانفاق ربما يكون أشد عليها من بذل الروح للزوم الشح إياهما ولم يكتف بالقدر الواجب **﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾**.

والتحقيق التالي حول الآية الأولى من سورة البقرة وجد في قسم من مكتوبات المؤلف عليه الرحمة، ويتصور أنه قد حصل سقط في خاتمته ومن الممكن أن المؤلف لم يوفق لاكماله وحيث أنه يشتمل على فوائد فقد ذكرنا عين عبارته.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم. ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ «الم» اشارة بهذه الحروف الثلاث إلى كل الوجود من حيث هو كل، لأن «ألف» اشارة إلى ذات الذي هو أول الوجود. «لام» اشارة إلى العقل الفعال المسمى بجبرائيل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ أو يفيض إلى المنتهى. و «ميم» اشارة إلى محمد

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥.

الذي هو آخر الوجود، يتم به دائرته ويتصل بأولها ولهذا ختم، وقال إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، وعن بعض السلف أن «لام» ركبت من «العين» أي وضعت بازاء ذاته مع صفة العلم الذين هما عالمان من العوالم الثلاثة الإلهية التي أشرنا إليها فهو اسم من أسماء الله تعالى، إذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع الصفة ما. وأما «ميم» فهي اشارة إلى الذات مع جميع الصفات والأفعال التي احتجبت بهما في الصورة المحمدية التي هو اسم الله الأعظم بحيث لا يعرفها إلا من يعرفها. الا تدري أن «ميم» التي هي صورة الذات كيف احتجبت فيها، فإن «الميم» فيها «الياء» و «الياء» فيها «الألف» والسر في وضع حروف التهجي هو أن لا حرف إلا وفيه «ألف»، ويقرب من هذا قول من قال معناه القسم بالله أو العليم الحكيم، إذ جبريل مظهر العلم فهو اسمه العليم ومحمد مظهر الحكمة فهو اسمه الحكيم، ومن هذا أظهر قول من قال تحت كل اسم من أسمائه تعالى أسماء بغير نهاية والعلم لا يكمل ولا يتم إلاّ إذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الأسباب والمسببات (المشيّات) فيصير حكمه، ومن ثم لا يحصل الإسلام بمجرد قول «لا إله إلا الله» إلا إذا قرن «بمحمد رسول الله» صلى الله عليه وآله «علي ولي الله» صلوات الله عليه. فمعنى الآية ألم ذلك الكتاب الموعود أن «ال» صورة الكل المومى إليها بكتاب الجفر والجامعة المشتملة على كل شيء الموعود بأنه يكون مع المهدي صلوات الله وسلامه عليه في آخر الزمان، لا يقرأه كما هو بالحقيقة إلا هو والجفر لوح القضاء الذي هو عقل الكل، والجامعة لوح القدر هو نفس الكل. فمعنى كتاب الجفر والجامعة المحتويان على كل ما كان وما يكون.

﴿... والراسخون في العلم...﴾[1]، الراسخ في العلم من وجد فيه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الناس والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين النفس.

﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾.

هذا الخطاب يشمل جميع الأنبياء وهو متوجه للنبي الخاتم (ص) الذي هو سيد الأنبياء. والله تعالى قد قدم في هذه الآية الشريفة الأكل من الطعام الطاهر والحلال على العمل الصالح وذكر ذلك كنتيجة له قيل:

ترجمة شعر: احفظ هذه النكتة انه ما دامت الغزال لم تأكل السنبل الناعم فلن يصير دمها مسكاً على الدوام فما دام طعام العبد ليس حلالاً فلن تنجذب روحه وقلبه وطاعة الحق وعبوديته.

ترجمة شعر: «لقد قال أهل القلوب الكاملين هذا الكلام بأن الجهل والغفلة يأتيان من الخبز الحرام».

«وما يأتي من الخبز الحلال هو الميل للخدمة والعزم على الرحيل من هذا العالم» **﴿... وهو معكم أينما كنتم﴾**[2].

أستاذ الحكمة المرحوم جهانكيرخان بمناسبة هذه الآية كان يقرأ الأبيات التالية في كتاب «منطق الطير» للعطار:

كلامي لك ليلاً ونهاراً . ألا تغفل في أية لحظة عن الطلب فنحن جيران لك بهذه النسبة فأنت كما الشمس ونحن كالظل فلتكن أيها الواهب المعطي حافظاً لحقوق الجيران.

---

(١) من الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٢) من الآية ٤ من سورة الحديد.

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[1].

ترجمة شعر: هو مفرح وشفاء ومنعش ودواء (لعل يار) معا وقد وصفه أفلاطون والمسيح كذلك جميعاً المقصود من (لعل يار) هو كلام الله الأعظم الذي اتفق علماء الشريعة والحقيقة بنفس واحد على أنه شفاء كل ألم ومرض أيها الأخ إياك أن تغفل في السحر عن هذا المفرح وعن التدبر والتفكر في معانيه، والابتعاد عن كل مخالف ومناف له وتحرم نفسك. رب وفقني.

فائدة:

كلمة «الحق» استعملت في القرآن المجيد في المعاني التالية:

١ ـ الجرم والذنب في الآية الكريمة ﴿... **ويقتلون الأنبياء بغير حق**..﴾[2] أي أنهم يقتلون الأنبياء بغر جرم وذنب.

٢ ـ البيان والاظهار في الآية الكريمة ﴿.. **الآن جئت بالحق**...﴾[3] أي الآن قد بينت الأمر.

٣ ـ المال. في الآية ﴿... **وليملل الذي عليه الحق**...﴾[4] أي أنه يجب على ذلك الشخص الذي المال في ذمته أن يكتب شيئاً (كسند).

٤ ـ القطعية والتنجز في الآية ﴿.. **وعداً عليه حقا**﴾[5] أي وعداً قطعياً ومنجزاً على الله.

---

(١) من الآية ٨٢ من سورة الاسراء.
(٢) من الآية ١١٢ من سورة آل عمران.
(٣) من الآية ٧١ من سورة البقرة.
(٤) من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.
(٥) من الآية ٣٨ من سورة النحل.

٥ ـ الحاجة في الآية ﴿ما لنا في بناتك من حق..﴾[1] أي ما لنا في بناتك من حاجة.

٦ ـ «لا إله إلا هو» في الآية ﴿.. له دعوة الحق..﴾[2] أي له الدعوة للكلمة الطيبة «لا إله إلا هو».

٧ ـ الحق تعالى شأنه في الآية ﴿... ولو اتبع الحق أهواءهم...﴾[3] أي لو اتبع الحق تعالى ميولهم.

٨ ـ التوحيد في الآية ﴿... وأكثرهم للحق كارهون...﴾[4] أي أن أغلبهم لا يحبون التوحيد وعبادة الواحد.

٩ ـ الحظ والفائدة في الآية ﴿... والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم﴾[5] أي أولئك الذين في أموالهم نصيب معلوم للسائل والمحروم.

قوله تعالى: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[6].

والمقصود من كلمات من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم في هذه الآية، هو أن الشيطان يصير الإنسان بلا اعتقاد بالنسبة للمراحل التي تواجهه، ولأجل اضلاله يقول له أنه لا جنة ولا نار ولا حشر ولا نشر ولا بعث، وكذلك بالنسبة لخلفه وأموره الدنيوية يأمره بجمع المال وعدم الانفاق في طريقه وعدم دفع الحقوق المالية

---

(١) من الآية ٧٩ من سورة هود.
(٢) من الآية ١٤ من سورة الرعد.
(٣) من الآية ٧١ من سورة المؤمنون.
(٤) من الآية ٧٠ من سورة المؤمنون.
(٥) من الآية ٢٤ ـ ٢٥ من سورة المعارج.
(٦) سورة الأعراف، الآية ١٧.

الواجبة والنفقة على أولاده ويخوفه من تلف أمواله. واليمين كناية عن الأمور الدينية والمذهبية التي تقع مورد اغواء الشيطان إذا كان الإنسان بنفسه واقعاً في الضلالة والتيه، فإنه يزني له ذلك العمى في نظره، وإذا سار في طريق الهداية فإنه يسعى ليحرفه ويمنعه من الانتفاع من سلوك الطريق الصحيح وبركاته وجانب الشمال كناية عن اللذات والشهوات. فالشيطان يدفع الإنسان ويرغبه للسير والوقوع في هذه القاذورات. ﴿**فاذكروني أذكركم**...﴾[1].

ورد في التفسير أن مقصود حضرة الحق تعالى في هذه الآية هو أنه اذكروني بالتفاتكم وثباتكم واستقامتكم لأذكركم بجزاء الخير والثواب الحسن. وكذلك فاذكروني بدون لحظة غفلة لأذكركم أنا باستمرار أيضاً. اذكروني بالندم عل أفعالكم السيئة لأذكركم بكرمي ورحمتي. اذكروني بالاعتذار والاستغفار لأذكركم بالمغفرة والعفو. اذكروني مع التصميم والإرادة الجازمة لأذكركم بفضلي ورحمتي. اذكروني باخلاصكم وعدم مراءاتكم لأذكركم بتخليصكم من ورطات المشاكل. اذكروني بقلوبكم لأذكركم برفع أحزانكم. اذكروني بإيمان واعتقاد لأذكركم بالأمان والعذاب والبلاءات وأخيراً اذكروني بالتسليم لأمري لأذكركم أنا أيضاً بالإكرام والعناية ﴿... **جزاءً بما كانوا يعملون**﴾[2].

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إن لله تعالى في الدنيا مدائن وفي الآخرة مدائن وكذلك في النفوس مدائن. وإذا كانت محترسة أبوابها عن دخول العدو فيها، فالجنة مكافأة النفوس لأنها مصورة والجنة مصورة والقلب بما فيه من

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٢) من الآية ١٧ من سورة السجدة.

الأنوار ليس بمصور فأنس الله مكافأة القلوب[1]، فخدمة الله بالأنفس مكافأته الجنة ومكافأة العارفين ضياء الله ومحبته إياهم وذلك قوله **﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾**[2].

﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾[3].

نقل عن ابن أبي جمهور في تفسير الآية المباركة أعلاه أنه:

هذه الطيور الأربعة على رواية طاووس وديك وغراب وحمامة، والآية الشريفة فيها اشارة إلى أنه الطريق الوحيد لاحياء النفس وتحصيل الحياة الخالدة هو قتل حب النفس للظهور التي هي من صفات الطاووس البارزة، وكذلك قتل الشهوات الجنسية التي مظهرها الديك وإزالة طبع الدناءة والخسة والسفالة والأماني البعيدة أيضاً التي تشتهر بالاتصاف بها الحمامة، وأخيراً قتل صفة المنازعة والجدال والعراك المبتلى بها الغراب، وبإزالة هذه الصفات يتم التوفيق لإحياء النفس وصفائها وطهارتها.

لقد ذكر هذا البيت في ذيل الآية الكريمة **﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾**[4].

---

(١) في زهر الربيع للسيد الجزائري: إن لله تعالى جنة لأوليائه ليس فيها حور ولا قصور ولا لبن ولا عسل بل يتجلى لهم فيها ربهم.
(٢) سورة الاحقاف الآية ١٤.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٠.
(٤) سورة البقرة الآية ٧.

ترجمته: إذا أردت الحياة والعيش الهنيء دوماً فاقتل بقرة نفسك أولاً.

هذا البيت في ذيل الآية **﴿إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾**[1].

ترجمته: داوِ النفس المتمردة أيام الشباب إذ أن هذه الأفعى السوداء تصير حين الشيخوخة تنيناً.

إذا لم تعمل في صبح الشباب فلن تستطيع القيام بشيء في عصر الشيخوخة..

قوله تعالى: **﴿هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾**[2].

ترجمة شعر: لا فرق في العلامة بينهم أبداً لكن عندما أتى الامتحان صار فرقهم عياناً قوله تعالى: **﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾**[3].

ترجمة شعر: يأتي صوت هو من مائي وهوائي وترابي والنار، بشارة أهل القلوب إن صوته يأتي من مفترق الطرق.

قوله تعالى: **﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**[4].

ترجمة شعر: لا تزحف إليه معوجاً وأنت تعرج وبلا أدب إن كنت تطلبه.

انه يحب هذا التعب والسعي الذي لا فائدة فيه أفضل من النوم.

---

(١) سورة البقرة الآية ٦٨.
(٢) سورة الأنعام الآية ٩٨.
(٣) سورة البقرة الآية ١١٥.
(٤) سورة التوبة الآية ٤١.

تسعى في هذا الطريق وتتعب لكي في الأخير لا تكون نفسك نفس غافل.

أبذل شيئاً من المقاومة كمثل الجنين ليعطوك حواساً ترى النور.

وقال في تفسير الآية الكريمة: ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾[١].

اعلم أيها العزيز ان الإنسان في البدء كان معدوماً ثم أعطاه الله تعالى خمسة أشياء: الأول الوجود، الثاني العلم، الثالث القدرة، الرابع الارادة، الخامس الفعل.

عندما أتى الإنسان إلى هذا العالم فقد كان عنده في البدء الوجود، لكنه لم يكن يعرف أحداً ولا شيئاً ومن بعدها ظهر فيه العلم والقدرة والإرادة بالتدريج، ومن ثم أوصل إرادته إلى الفعلية. ولأجل الخروج من هذا العالم والدخول إلى عالم الآخرة يجب العمل بنحو معكوس. أي أن الإنسان يجب أن يبتعد أولاً عن أعماله ومن ثم عن الإرادة: ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾[٢] وبعدها القدرة والعلم وأخيراً الوجود. بناء على هذا فانهم يأخذون من الإنسان الفعل أولاً ومن ثم الوجود وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾ فإذاً أيها العزيز يجب أن تسلب من نفسك هذه الأشياء الخمسة التي أعطوك إياها وتعتقد انها جميعها ملك للحق لكي تصل إلى الله.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٤.
(٢) سورة الإنسان الآية ٣٠.

الدعاء وشرائط استجابته وجانب من الأدعية المأثورة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه:

«ما من مسلم دعا الله بدعوة ليست فيها قطيعة رحم ولا استجلاب اثم إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: أما أن نجعل له الدعوة، وأما أن يذخرها له في الآخرة، وأما أن يرفع عنها مثلها من السوء».

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

«لا تستحقروا دعوة أحد فإنه يستجاب لليهودي فيكم ولا يستجاب له في نفسه».

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام قوله:

«الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم إبراماً، فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاة كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه الا يوشك أن يفتح».

واعلم الآن أيها العزيز أن الدعاء أيضاً كسائر الأمور الأخرى أداب مراعاتها تقرب الإجابة. فطهارة البدن من الحدث والخبث واستعمال الروائح الطيبة والتشرف إلى المساجد والبقاع المتبركة يحقق

الإجابة للدعاء. وكذلك اعطاء الصدقة للمحتاجين والتوجه إلى القبلة من الآداب الأخرى للدعاء. الشخص الذي يرفع اليد بالدعاء يجب أن يكون عنده حسن ظن بالله، وبحصول حاجته من رب العالمين، وأن يدعو بجميع وجوده ومن أعماق قلبه، ويحقق المال بواسطة الصيام والابتعاد عن الحرام، ويجدد التوبة عن المعاصي ويصر في الدعاء ويذكر حاجته بالتفصيل ويتضرع إلى الله الغني بخشوع وبكاء، ويقدم حاجات اخوانه المؤمنين ويضم إلى دعائه أسماء الله العظمى، ولا يفتأ عن مدح وثناء ربه، وفي بداية دعائه وخاتمته يصلي على محمد وآل محمد، حيث قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلي على محمد وآل محمد.

ونقل عن أميرالمؤمنين عليه السلام في آداب استجابة الدعاء قوله:

«من قرأ مائة آية من القرآن من أي القرآن شاء ثم قال يا الله سبع مرات فلو دعا على الصخرة لقلعها ان شاء الله».

وقرأت الآية الشريفة ﴿امن يجيب المضطر إذ ادعاه ويكشف السوء﴾[1] في حضور الإمام الصادق عليه السلام. فسأل شخص: أنه لم لا يستجاب دعاؤنا عند الله عز وجل؟ فقال الإمام عليه السلام:

«لأنكم تدعون من لا تعرفون وتسألون ما لا تفهمون فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله تعالى من علامة الخذلان. من لم يشهد ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن أن سؤاله دعاء، والحكم على الله من الجرأة على الله».

وروي عن نفس الإمام عليه السلام أنه:

---

(١) من الآية ٦٢ من سورة النمل.

«العبد إذا دعا الله تبارك وتعالى بنية صادقة وقلب مخلص استجيب له بعد وفائه بعهد الله عز وجل، وإذا دعا الله بغير نية واخلاص لم يستجب له أليس الله يقول: ﴿**اوفوا بعهدي اوف بعهدكم**﴾[1] فمن وفى وفى له. وقال الإمام الصادق عليه السلام:

ما من عبد ختم دعاءه بقول «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» الا أجيبت حاجته وأن يمسح بيده وجهه وصدره. وقال أيضاً: إن في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام: إن المدحة قبل المسألة فإذا دعوت الله عز وجل فمجده فتقول «يا من هو أقرب إليّ من حبل الوريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى يا من ليس كمثله شيء».

وفي الحديث النبوي أنه:

«لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي حديث عن رسول الله أيضاً أنه:

«من قدم أربعين رجلاً من اخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه» وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إذا كانت لك إلى الله حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة على النبي ثم سل حاجتك، فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي أحدهما ويمنع الأخرى».

وروي في كتاب الكافي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه:

«إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من

---

(١) من الآية ٤٠ من سورة البقرة.

الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا عند الله، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه».

قيل أنه قد وجد بخط الشهيد قدس سره أن الدعاء حين اقتران المشتري ورأس الذنب مستجاب.

ونقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات وكل الله تعالى به ملكاً يذود عنه الشيطان».

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«كلمة «بسم الله» فاتقة للمرتوق ومسهلة للوعور ومجنة للشرور وشفاء لما في الصدور وأمان ليوم النشور».

واعلم أيها العزيز أن المداومة على الأدعية والأذكار التالية نافع ومجرب لرفع المشاكل: .

فليقل عند طلوع الشمس وغروبها عشر مرات ذكر «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير» وعشر مرات ذكر أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون ان الله هو السميع العليم». ولا يغفل حين النوم عن قراءة آيات الكرسي المباركة وتسبيح الزهراء عليها السلام الذي يقدم فيه «سبحان الله» «الحمد لله». وبعد كل صلاة يتلو آية الكرسي وتسبيح الزهراء عليها السلام وثلاث مرات «قل هو الله أحد» ومن ثم يصلي ثلاث مرات على محمد وآل محمد (ص) ويكرر الآية الكريمة ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾. وليقل

بعد كل صلاة صبح ومغرب إحدى عشر مرة أيضاً: «اللهم صلي على وليك القائم بأمرك المهدي» ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أن قراءة هذا الدعاء له فضيله وهو: «اللهم صل على محمد وآله في الأولين وصل على محمد وآله في الآخرين وصل على محمد وآله في الملأ الأعلى وصل على محمد وآله في المرسلين اللهم اعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة والدرجة الكبيرة الرفيعة، اللهم أني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله ولم أره فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته وارزقني صحبته وتوفني على ملته واسقني من حوضه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً انك على كل شيء قدير، اللهم إني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله ولم أره فعرفني في الجنان وجهه اللهم بلغ روح محمد صلى الله عليه وآله مني تحية كثيرة وسلاماً».

حفظ من كل شر وسوء، وشفاء لأمراض القلوب، وأمان من العذاب في يوم القيامة.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من أراد أن لا يوفقه الله على قبيح الأعمال ولا ينشر له ديوان فليقرأ في دبر كل صلاة: «اللهم ان مغفرتك أرجى من عملي وان رحمتك أوسع من ذنبي اللهم أن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغني لأنها وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين».

وقال أيضاً: كل من أراد أن يكون بيته عامراً بالنعمة فليلجأ إلى ذكر الأمور الستة التالية:

الأول: أن يقول/في بداية كل عمل: «بسم الله الرحمن الرحيم».

الثاني: إذا أصاب نعمة من الحلال يقول: «الحمد الله رب العالمين».

الثالث: إذا أخطأ وأذنب يقول: «استغفر الله ربي وأتوب إليه».

الرابع: إذا هجمت عليه الأحزان والهموم يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

الخامس: إذا دبر أمراً يقول: «ما شاء الله كان».

السادس: إذا خاف من ظالم يقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

وورد في الحديث أنه: ليعلم نساءه سورة «الواقعة» إذ أن قراءتها يوجب الغنى وعدم الفاقة.

وكان الشيخ المرحوم يقرأ هذا الدعاء في مختلف الظروف:

«بسم الله الرحمن الرحيم. يا من أزمة الأمور طرّاً بيده ومصادرها عن قضائه لا حول لي ولا قوة إلا بك فإني أسألك كما سألك وليك علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه. إلهي بك عليك إلا ألحقتني من مرضاتك فإني لا أقدر لنفسي دفعاً ولا أملك لها نفعاً فأسألك بكرم وجه وليك أن لا ترد دعوتي يا أرحم الراحمين».

وساوس الشيطان وكيده

في وصية علي عليه السلام لكميل:

«أنه يأتي لك بلطف كيده ويأمرك بما يعلم أنّه قد ألفت من طاعة لا تدعها فتحسب أنّ ذلك ملك كريم وإنما هو شيطان رجيم، فإذا سكنت إليه واطمأنت حملك على العزائم المهلكة التي لا نجاة معها. يا كميل! إذا وسوس الشيطان في صدرك فقل أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي وأعوذ بمحمد الرضي من شر ما قدر وقضى وأعوذ بالله من شر الجنة والناس أجمعين وصلى الله على محمد وآله وسلم تكفي مؤنة إبليس وشياطين معه ولو أنهم كلهم أبالسة مثله.

وروي عن الصادق عليه السلام:

«صوم الثلاثة أيام من كل شهر يعدلن صوم الدهر ويذهبن وحر الصدر».

وقال علي عليه السلام:

«إذا وسوس الشيطان إلى أحدكم فليتعوذ بالله وليقل بلسانه وقلبه آمنت بالله ورسوله مخلصاً له الدين».

وفي السفينة عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله (ص):

«كل قلب وسوسة فإذا فتق الوسواس حجاب القلب ونطق به

اللسان أخذ به العبد، وإذا لم يفتق الحجاب ولم ينطق به اللسان فلا حرج وروي إذا خطر ببالك في عظمته وجبروته أو بعض صفاته شيء من الأشياء فقل: «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أميرالمؤمنين» إذا قلت ذلك عدت إلى محض الإيمان.

وفي السفينة، قال الصادق عليه السلام:

«لا يتمكن الشيطان بالوسوسة من العبد إلا وقد أعرض عن ذكر الله واستهان بأمره وأسكن إلى نهيه ونسي اطلاعه على سره والوسوسة ما يكون من خارج القلب باشارة معرفة القلب ومجاورة الطبع. وأما إذا تمكن في القلب فذلك غيّ وضلالة وكفر. والله عز وجل دعا عباده بلطف دعوته وعرفهم عداوة إبليس فقال عز من قائل: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوّاً**﴾. فكن معه كالغريب مع كلب الراعي يفزع إلى صاحبه في صرفه عنه، وكذلك إذا أتاك الشيطان موسوساً ليضلك عن سبيل الحق وينسك ذكر الله فاستعذ منه بربّك وربه. فإنه يؤيد الحق على الباطل وينصر المظلوم بقوله عز وجل: ﴿**انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**﴾. ولن تقدر على هذا ومعرفة اتيانه ومذاهب وسوسته إلاّ بدوام المراقبة والاستقامة على بساط الخدمة وهيبة المطلع وكثرة الذكر، وأما المهمل لأوقاته فهو صيد الشيطان واعتبر مما فعل بنفسه من الإغواء، والاستكبار حيث غرّه وأعجبه عمله وعبادته وبصيرته وجرأته عليه قد أورثه عمله ومعرفته واستدلاله بمعقوله اللعنة عليه إلى الأبد. فما ظنك بنصيحته ودعوته غيره، فاعتصم بحبل الله الأوثق وهو الالتجاء والاضطرار بصحة الافتقار إلى الله في كل نفس. ولا يغرنك تزيينه الطاعات عليك فإنه يفتح لك تسعة وتسعين باباً من الخير ليظفر بك عن تمام المائة، فقابله بالخلاف والصد عن سبيله والمضادة بأهوائه».

الأخلاق

يقول الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة...﴾[1].

نرى أنه في هذه الآية الكريمة ذكرت التزكية والتطهير وتخلية الإنسان من الرذائل مقدمة على تعليم الكتاب والحكمة والتزين بهذه المحاسن. وقد قيل: التخلية قبل التحلية.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقال أيضاً: «... والخلق الحسن ألطف شيء في الدين وأثقل شيء في الميزان»[2].

يقول أفلاطون: الفضائل في النفوس الحقيرة تتبدل إلى رذائل كما يستحيل الغذاء الحسن في المزاج الفاسد إلى فساد.

وروي في كتاب «دعوات الراوندي» عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «قوة الأجسام الطعام وقوة الأرواح الاطعام».

وأوصى الإمام علي عليه السلام رجلاً بما يلي:

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢.

(٢) نقلاً عن مصباح الشريعة باب حسن الخلق.

«خذ مني خمساً: لا يرجو أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحيي أن يتعلم ما لا يعلم ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم. واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له».

وقد نقل الشعبي عن أمير المؤمنين هذا الحديث مع هذا التفاوت إذ قال:

«خذوا عني كلمات لو ركبتم المطي فامضيتموها لم تصيبوا مثلهن...».

ونقل عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال في نهاية حديث:

«... لا إيمان لمن لا صبر له».

ونسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

إن المكارم أخلاق مطهرة ... فالدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أني لا أصادقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها

كما ينسب إليه عليه السلام قوله:

النفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف وإن أبت ... فجميع ما في الأرض لا يكفيها

وقال أيضاً:

إذا ما شئت أن تحيى حياة حلوة المحيى
فلا تحسد ولا تبخل ولا تحرص علي الدنيا

وورد في الرواية أن مكارم الأخلاق التي كانت مختصة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله هي الخصال العشرة التالية:

اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وسلامة النفس والسخاوة والغيرة والشجاعة والمروءة.

ونقل عن المعصوم عليه السلام أن: «امتحنوا نفسكم بمكارم الأخلاق فإن كانت فيكم فاحمدوا الله تعالى، وإلا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها».

قيل: دعا رجل أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيته فقال الإمام:

«قد أجبتك على أن تضمن لي ثلاث خصال: أن لا تدخل علي شيئاً من خارج ولا تدَّخر عني شيئاً في البيت ولا تجحف بالعيال».

فقال له: اتعهد برعاية الخصال الثلاث فعندها قبل دعوته.

في وصايا النبي الأكرم لعلي بن أبي طالب عليهما السلام:

«يا علي لا تناظر رجلاً حتى تنظر في سريرته، فإن كانت سريرته حسنة فإن الله عز وجل لم يكن ليخذل وليه، وإن كانت سريرته ردية فقد يكفيه مساويه فلو جهدت أن تعمل به أكثر مما عمله من معاصي الله عز وجل ما قدرت عليه».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سُئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله».

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في كتاب «نهج البلاغة»:

«كان لي فيما مضى أخ[1] في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينيه، وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً. فإن قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين. وكان ضعيفاً مستضعفاً فإن جاء الجد فهو ليث غاب وصلٌ واد لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً. وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذر في مثله حتى يستمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعاً إلا عند برئه. وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل. وكان ان غلب على الكلام لم يغلب على السكوت وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم. وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الأخلاق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير».

وعظ أحد الحكماء ابنه فقال له: واظب يا روح والدك ـ على أن يكون خاطرك حسناً ومرتباً لكي تستجلب بذلك اكرام الآخرين واحترامهم وأن يكون جسدك وأعضاؤك نظيفة طاهرة إذ أن هذا علاقة كبيرة ومهمة. أليس الثياب اللطيفة لتكون شاهداً على أنك تربيت في النعم. ولتكن دائماً متعطر حسن الرائحة ليكون ذلك علامة على مروتك ورجوليتك وتأدب بالآداب الحسنة لتصير محبوباً وعزيزاً عند الناس يجب أن تجعل عقلك تابعاً لدينك وكلامك تابعاً لعملك وتصرفاتك وأن يكون الباطن ونفس الشخص أهم وأعلى عندك من لباسه ومظهره.

وهذان البيتان منسوبان إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) يعتقد بعض شراح نهج البلاغة أن مراد أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الأخ هو المقداد بن الأسود وهو من شيعته عليه السلام وقد كان معروفاً بالشجاعة وكرائم الأخلاق.

مـــن لـــم يكـــن عنصـــره طيبـــاً لـــم يخـــرج الطيـــب مـــن فيـــه
كـــل امـــرء يشبهـــه فعلـــه وينضـــح الكـــوز بمـــا فيـــه

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«فعل المرء دليل أصله. لا وفاء لمن لا أصل له. تفاءل بالخير تنله. شفاء الجنان في تلاوة القرآن. ثنّ احسانك بالاعتذار. من ظن بك خيراً فصدق ظنه. من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره.

لا خير في معين مهين. الحلم مذام السفيه. لا ورع كالوقوف عند الشبهة. احذر الغضب فإنه جند من جنود إبليس. لا حسب كالتواضع، من عادة النوكى الجلوس فوق القدر والمجيء في غير الوقت. عليك بمجالسة أصحاب التجارب فإنها تقوم عليهم بأغلى الغلاء وتأخذها بأرخص الرخص».

ورد في كلام الحكماء:

«أول المروءة طلاقة الوجه والثاني التودد إلى الناس والثالث قضاء الحوائج» أكبر دليل على الحصافة حسن المعاملة للناس. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق».

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة كلها الا الجلوس في الصدر».

كـن رجـلاً وارض بصـف النعـال لا تطلـب الصـدر بغيـر الكمـال
فـــان تصـــدرت بـــلا آلـــة جعلـت ذاك الصـدر صـف النعـال

* * *

ترجمة شعر: إذا ادخلوك بيت الأصدقاء فادخل بلا عيون واخرج بلا لسان.

* * *

ترجمة شعر: أيها السالك في صحراء الطلب.

فالشيء الذي يمكن التفاخر به هو العقل والحياء والعفة والعلم الأدب.

قيل: «الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك».

روي في كتاب «آداب المتعلمين» عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

«من جلس مع ثمانية أصناف من الناس زاده الله ثمانية أشياء: من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها، ومع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بقسم الله، ومع السلطان زاده الله القوة الكبر، ومع النسوان زاده الله الجهل والشهوة، ومع الصبيان ازداد منه الجرأة على الذنوب وتسويف التوبة، ومع الصالحين ازداد رغبة في الطاعة، ومع العلماء ازداد من العلم في الخير».

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«لا تتم مروءة الرجل حتى يتفقه في دينه ويقتصد في معيشته ويصبر على النائبة إذا نزلت به ويستعذب مرارة اخوانه».

إذا لم يكن للمرء علم يزينه ولا يك ذا عقل متين ولا أدب
فما هو إلا ذو قوائم أربع ولو كان ذا مال كثير وذا حسب

في كتاب «أمالي الصدوق» أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حديث:

«إن جبرئيل روح الأمين نزل علي من عند رب العالمين فقال: يا محمد عليك بحسن الخلق، فإن سوء الخلق يذهب بخير الدنيا والآخرة ألا وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً».

ونقل في نفس الكتاب عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله عز وجل من ولايته إلى ولاية الشيطان».

ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله في نفس الكتاب أيضاً قوله:

«إن أقربكم مني غدا وأحبكم علي شفاعة أصدقكم لساناً وأداكم للأمانة وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس».

ومن كرم الأخلاق أن يصبر الفتى   على جفية الاخوان من بعد ذلة

الصبر والتحمل

من أقوال العظماء:

«إذا أردت أن تعرف شكر الرجل على المزيد فانظر كيف صبره على النقص».

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«سيكون زمان لا يستقيم الملك إلا بالقتل والجور، ولا يستقيم لهم الغنى إلا بالبخل، ولا يستقيم لهم المحبة في الناس إلا باتباع أهوائهم والاستخراج من الدين، فمن أدرك ذلك الزمان وصبر على الذل وهو يقدر على العز وصبر على بغضة الناس وهو يقدر على المحبة أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً».

ونقل كذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال للحارث الأعور:

«ثلاثة بهن يكمل المسلم: التفقه في الدين والتقدير في المعيشة والصبر على النوائب» ويقول الله تعالى: ﴿... **وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين».

يقول الشاعر (ترجمة شعر):

سألت عالماً في أرض الطالقان فقلت له طهرني من الجهل بالتربية.

فقال اذهب وتحمل كالتراب أيها الفقيه وإلا فادفن في التراب كلما درسته.

ويروي الإمام جعفر الصادق عن جده الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليهم ما يلي:

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له».

وروي عن الأصبغ بن نباتة أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد قال:

«الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميل وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عليك».

الرزق

قال الإمام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

«ما سد على مؤمن باب رزق إلا فتح الله له ما هو خير منه».

ورد في الحديث:

«علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى».

روي أن شخصاً حكى لأمير المؤمنين عليه السلام عن ضيق معيشته فقال الإمام:

«لعلك تكتب بقلم معقود. فقال لا. فقال: لعلك تمشط بمشط مكسور. فقال: لا فقال: لعلك تمشي أمام من هو أكبر منك سناً. فقال: لا. فقال: لعلك تنام بعد الفجر. فقال: لا. فقال: لعلك تترك الدعاء للوالدين. فقال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: فاذكرهما فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ترك الدعاء للوالدين يقطع الرزق».

كما قال شخص لرسول الله (ص): يا رسول الله لقد كنت رجلاً ثرياً وسالماً ومحترماً لدى الناس وأقضي حياتي سعيداً لكني الآن صرت فقيراً ومريضاً وخفيفاً عند الناس وذليلاً وقد تكاثرت علي أحزان العالم. أكد طوال اليوم لأجل المعاش والكفاف لكني لا

أستطيع تهيئة شيء وكأن اسمي قد حذف من ديوان الرزق وأهله. فقال رسول الله (ص):

«يا هذا لعلك تستعمل ميراث الهموم، لعلك تتعمم من قعود أو تتسرول من قيام أو تقلم أظفارك بسنك أو تمسح وجهك بذيلك أو تبول بماء راكد أو تنام مضطجعاً على وجهك. فقال له النبي (ص): اتق الله واخلص ضميرك وادع بهذا الدعاء وهو دعاء الفرج: «الهي طموح الآمال قد خابت الا لديك ومعاكف الهمم قد تقطعت إلا عليك ومذاهب العقول قد سمت إلا إليك فإليك الرجاء وإليك المرتجى يا أكرم مقصود ويا أجود مسؤول هربت إليك بنفسي يا ملجأ الهاربين بأثقال الذنوب احملها على ظهري وما أجد بي إليك شافعاً سوى معرفتي بأنك أقرب من رجاه الطالبون ولجأ إليه المضطرون وأمل ما لديه الراغبون يا من فتق العقول بمعرفته واطلق الألسن بحمده وجعل ما أمتن به على عباده بتأدية حقه صل على محمد وآله ولا تجعل للهموم على عقلي سبيلاً ولا للباطل على عملي دليلاً برحمتك يا ارحم الراحمين».

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعاً وإذا وليت عنه تبعك

المشورة والاستخارة

في كتاب المحاسن نقل الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن المشورة لا تكون إلا بحدودها الأربعة فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرته على المستشير أكبر من منفعتها فأولها أن يكون الذي يشاوره عاقلاً والثاني أن يكون حراً متديناً والثالث أن يكون صديقاً مؤاخياً والرابع أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك ثم يشير ذلك ويكتمه... إلى أن قال: وإياك والخلاف فإن خلاف الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مشاورة عاقل الناس يمن ورشد وتوفيق من الله عز وجل فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب».

ومن وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام:

«لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير. وقال: اظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة».

روى كتاب مكارم الأخلاق عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إذا أردت أمراً فلا تشاور أحداً حتى تشاور ربك. قال: وكيف أشاور ربي؟ قال: تقول: «أستخير الله» مائة مرة ثم تشاور الناس فإن الله يجري لك الخير على لسان من أحب».

ونقل أيضاً عن نفس الإمام في باب الاستخارة أنه قال:

«إن يستخير الله الرجل في آخر سجدة من ركعتي الفجر مائة مرة ومرة يحمد الله ويصلي على النبي ثم يستخير الله خمسين مرة ثم يحمد الله تعالى ويصلي على النبي ويتم المائة والواحدة».

وقال كذلك الإمام الصادق (ع) لمحمد بن خالد القشيري:

«استخر الله في آخر ركعة من صلاة الليل وأنت ساجد مائة مرة ومرة. قال:

كيف أقول؟ قال: تقول: «أستخير الله برحمته».

قال أحدهم للإمام أبي عبدالله عليه السلام أنه كثيراً ما أندم على فعل فعلته. فقال الإمام عليه السلام:

«إذا صليت صلاة الفجر فقل بعد أن ترفع يديك حذاء وجهك: «اللهم إنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب فصل على محمد وآل محمد وخر لي في جميع ما عرفت به من أموري خيار بركة وعافية» ثم اسجد سجدة تقول فيها مائة مرة «أستخير الله برحمته استقدر الله في عافية بقدرته» ثم ائت حاجتك فإنها خيرة لك على كل حال ولا تتهم ربك فيما يتصرف فيه».

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إذا أراد أحدكم أن يستخير الله فليقرأ هذا الدعاء: (اللهم اني أستخيرك واستشيرك لعلمك بالأشياء ما ليس لي بها علم، اللهم إن

كان هذا الأمر خيراً لي فأمرني وإلا فانهني عنه) ثم يقرأ فاتحة الكتاب إلى الصراط المستقيم ثم يقول: يا من يعلم إهد من لا يعلم ثم يقبض على السبحة فإن جاء فرداً فليعمل وإلا فليترك».

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ثلاثة من كن فيه لم يندم: ترك العجلة والمشورة والتوكل عند العزم على الله تعالى».

الاستغفار وطلب العفو

سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: «استغفر الله» فقال عليه السلام:

«ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين. هو اسم واقع على ستة معان:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملسا ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ منهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: «استغفر الله».

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«جهل المرء بعيوبه أكبر ذنوبه».

ترجمة شعر:

إذا كانت السبحة في الكف والتوبة باللسان مع أن القلب ممتلىء بالشوق إلى الذنوب فإن المعصية تسخر من استغفارنا.

روي في كتاب الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدلها الله حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر».

بسمه تعالى

حقوق المسلمين على بعضهم البعض:

عن معلى بن خنيس: سألت الصادق (ع) ما حق المسلم على أخيه؟ قال: «سبع حقوق واجبات ما منها حق إلا وهو واجب ان ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه نصيب قلت: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلى أي عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل قلت: لا قوة إلا بالله قال: حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك والحق الثاني تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك والحق الرابع أن تكون عينه ومرآته ودليله والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى والحق السادس أن يكون لك خادم ولا يكون لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه والحق السابع أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مرضه وتشهد جنازته وإذا علمت أن له حاجة تبادر إلى قضائها ولا تلجئه إلى أن يسألكها ولكن أن تبادر مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايته بولايتك وولايتك بولايته».

وأيضاً يروى عن الصادق (ع) أنه قال: «من نفس عن مؤمن كربة

نفس الله عن كرب الآخرة وخرج من قبره وهو مثلج الفؤاد ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم».

روى الشهيد الثاني نور الله وجهه عن النبي الأكرم (ص) أنه قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله له في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة:

ينقل البرقي عن الصادق (ع) أنه قال: «من أخلص النية في حاجة أخيه المؤمن جعل الله نجاحها على يديه وقضى له كل حاجة في نفسه» صدق الصادق عليه السلام؟.

شعر:

لا توجد عبادة في العالم أكثر من
أن يضع مرهماً من اللطف على قلب
فجبرائيل سيفترش أجنحته تحت قدميك
إذا أسرعت ماشياً (لقضاء) حاجة درويشٍ

ففي «حديث الخيط»[1] بعد أن بين الإمام الحسين بن علي (ع) مراتب المعرفة سأله جابر ما مضمونه يا بن رسول الله هل من الممكن بعد أن يكتسب الإنسان المعارف الكاملة أن يؤدي عمل ما إلى نقص ذلك فيه فقال: «نعم، إذا قصروا في حقوق اخوانهم ولم يشاركوهم في أموالهم وفي سر أمورهم وعلانيتهم واستبدلوا بحطام الدنيا دونهم فهنالك تسلب المعرفة وتنسلخ من دونهم سلخاً ويصيبهم من آفات هذه الدنيا وبلاياهم ما لا يطيقونه ولا يحتملونه من الأوجاع في

(١) حديث الخيط حديث طويل ورد في المجلد السابع من بحار الأنوار الباب ٨٥.

أنفسهم وذهاب مالهم وتشتت شملهم مما قصروا في بر اخوانهم. قال جابر: غممت والله غماً شديداً وقلت ما حق المؤمن على أخيه المؤمن ؟ قال عليه السلام: يفرح لفرحه ويحزن لحزنه إذا حزن ويتفقد أموره كلها فيصلحها ولا يغتم بشيء من حطام الدنيا الفانية إلا واساه حتى يجريان في الخير والشرف قرب واحد. قلت: يا سيدي كيف أوجب الله كل هذا المؤمن على أخيه المؤمن؟ قال: لأن المؤمن أخ المؤمن من أبيه وأمه على هذا الأمر ولا يكون أخاه إلا وهو أحق بما يملكه فإذا كان من أبيه وأمه وليس يعرف هذا فليس له أن يملكه شيئاً ولا يورثه ولا يرثه قال جابر: قلت سبحان الله ومن يقدر على ذلك؟ قال: من يريد أن يقرع أبواب الجنان ويعانق الحور الحسان ويجمع معنا في دار السلام قال الجابر فقلت هلكت والله يا بن رسول الله إني قصرت في حقوق اخواني ولم أعلم أنه يلزمني على هذا التقصير كل هذا ولا عشرة فأنا أتوب إلى الله تعالى يا بن رسول الله ما كان مني من تقصيري في رعاية حقوق اخواني المؤمنين».

ترجمة شعر:

تقبل الروح إلى حضـــرته عنـــدما يُربى الجسد
لذلك كنت ألقي بنفسي أحياناً في الماء والنار

تنقل هذه الرواية عن الإمام محمد الباقر (ع): «ما من عبد يمتنع عن معونة أخيه المسلم والسعي له في حاجة قضيت أو لم تقض إلا ابتلي بالسعي فيما يأثم عليه ولا يؤجر».

ترجمة شعر:

فما كنت أفعله من أن ألقي بنفسي أحياناً في النار والماء.
كان ضياء في حاجة إلى الناس قصدي مثل الشمع.

الرياء والمخادعة

لقد أفتى جميع علماء الإسلام رضوان الله عليهم ببطلان العبادة التي يدخلها ذرة من الرياء لقد سبق أن تبادر إلى ذهني حين انزوائي في جبل گراخك من توابع أرض المشهد الرضوي المقدسة أن أوضح وأفضح وأبين شناعة الرياء والمرائي بالتشبيه. ومصداقاً للرواية المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام التي يقول فيها «إن المطالب الصعبة يمكن توضحيها وشرحها بالأمثلة أفضل من سائر الطرق لذلك أذكر المثال التالي:

لنفترض أن ملكاً يأمر أن ينتخبوا له فتاة تناسب أفضل الأذواق وتحوي الكمال والطبع الحسن. من بين نساء وفتيات البلاد المشهورين بجمالهن ومن ثم يأتي له عماله بعد بحث وعناء طويل ومصاريف كثيرة يأتون له بذات الجمال والكمال ويجلسونها في عربة مذهبة مع جمع من الخدم والحشم والحراس من منازل عديدة إلى أن تنزل في قصر مجلل مجهز بأثاث الملوك. ويهيىء لها الخدم ولراحتها أنواع الطعام والحلوى وينحنون أمامها احتراماً. ويعلمها الأساتذة في كل من أنواع الفنون والرقص والغناء والموسيقى ومن ثم يهيئونها للحضور أمام الملك فتستحم ويعطرونها وتزينها الماشطات ويلبسونها ثياب الحرير والمقصب والحلى الثمينة. ويحضّر لحفلة عظيمة بحضور

كبار القوم. ويزينون حجلة معطرة للملك والفتاة ويكون الجميع في تلك الليلة في انتظار مجيء الملك حين يفاجأوا بعدم وجود أثر للفتاة في الحجلة وبعد البحث والتفتيش الواسع يجدونها أخيراً في إحدى الزرائب. وقد خلت مع بعض الرعاة مستأنسة مع ذلك السائس بكل ذلك الجمال والزينة واللباس وتزداد الحيرة فيما لو سألوها أنه: مع كل هذا الجمال والكمال والرائحة ومع أن الملك في انتظارك فعلام أدخلت نفسك في هذه المذلة؟ وأجابت أنه قد وسوس لي البعض بأن أقيم علاقة حب مع هذا الرجل فكلما احتجت لشيء من المستودع يؤمن لي حاجتي بلا تأخير وسأجد منزلة كبيرة عنده بما أملكه من جمال وحسن وسيؤمن بشأني وقدرتي وسيمتدحني ويثني علي في كل مجلس ومحفل وقد خلوت به بسبب هذه الوسوسات.

ومن الواضح إلى أي حد ستسقط قيمة الفتاة في نظر الحاضرين والملك وكم ستتضح عدم عفتها للجميع وكم سيكون عذرها الذي هو أقبح من ذنبها حقيراً ولا قيمة له.

أجل أيها العزيز فالمرائي ليس أحسن حالاً من تلك الفتاة إذ قد أخرجه رب العالمين من كتم العدم إلى الوجود وبمفاد «خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً» و **﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾**(١) فالله تعالى أكمل تخمير طينة آدم وتزيينه بيد قدرته في أربعين يوماً، وبعد أن صوره في كماله الممكن نفخ فيه من روحه القدسي ومنّ عليه بالسمع والأبصار والقلب التي هي مدار تكميل الإنسان وتكامله، حيث بواسطة الأذن يسمع كلام الحق وأقوال معلمي البشر وعلمائهم الحكمية، وبواسطة العين ينظر في آثار عظمة الله ويطبق المسموعات على المرئيات، بواسطة

---

(١) سورة السجدة، الآية ٩.

القلب الذي هو تعبير آخر عن القوى العاقلة والمدركة للبشر يقوم بالتفكر والتدبر ويشخص به آثار وآيات الحق تعالى حيث أنه **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**[(١)] والخلاصة أن رب العالمين قد خلق الإنسان المسكين بمقتضى مضمون الآية **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾**[(٢)] وهو نفسه قال بعد هذه الخلقة العجيبة والغريبة: **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**[(٣)] وأتى بروحه من العوالم المختلفة إلى نشأة هذا العالم ونقله إلى صلب أبيه، وبعد ذلك جعل مستقره في رحم أمه، وبمفاد الأخبار الواردة حول الحمل والولادة فقد استحفظه ملائكة ليحفظونه من شر الشياطين الذين يسعون إلى ايلام الجنين أو اسقاطه أو ايجاد أمراض فيه من قبيل الخبط الجنون. ومع ولادة الوليد يصير قلب الأم حنوناً عليه بأمر من الله بشكل لا تمتنع عن أية تضحية في تربيته وتنشئته وتسقيه من حليبها وتترك نومها وراحتها من أجل راحة طفلها ـ وقلب الأب أيضاً يرق لطفله بأمر من الله، كما يلجأه الله تعالى إلى القيام بالأعمال الشاقة والصعبة لتأمين احتياجات ولده وتهيئة أسباب راحته واستقراره. وعدا عن الأبوين فهناك ملائكة وخدام مأمورن من قبل الله عز وجل بجوانب وجوده المختلفة **﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾**[(٤)].

وبعد ذلك بعث الأنبياء الكرام ليعلموه طريق المعرفة والعبادة **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة...﴾**[(٥)] وتلك السلسلة الجليلة قد تحملوا

---

(١) سورة الرعد، الآية ٤.

(٢) سورة التين، الآية ٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

(٥) سورة الجمعة، الآية ٢.

آلاماً كثيرة لأجل تربية الإنسان وتزكيته وتعليمه وبذلوا مهجهم، وعدا عن ذلك فقد تحمل العلماء مشقات كثيرة في طريق تعليمه مثل القراءة والكتابة، وسعوا دوماً بشكل واسع لاستخراج أحكام الشرع من مصادرها وتفهيمها له لكي تظهر فيه قابلية العبادة وهذا كله أيضاً جزء من النعم التي منّ الله بها على الإنسان لأجل تكميله ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾[1] وبمفاد الآيات والأحاديث فإن المقصود من خلق الإنسان وجميع تلك النعم والرحمة هو معرفة وعبادة العباد للذات المقدسة الإلهية إذ «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرَف فخلقت الخلق لكي أعرف» و«يا بن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي» ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[2].

ومن ثم ولأجل أن يصير قابلاً لمجلس أنس حضرة الحق تعالى أنزل الله تعالى من السماء ماء طاهراً ومطهراً ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهوراً**﴾[3] ليطهر الإنسان نفسه من الأوساخ الظاهرية والباطنية ويزيل عنه نجاسات الحدث والخبث ويقف بعد ذلك في محراب عبادة الحق. وفي الخبر أنه يقف سبعون صفاً من الملائكة خلف المصلي الذي يكون قد أذّن وأقام ويقتدون به.

أجل فالملائكة المستحفظون والملائكة الموكلون بالصلاة يحضرون لأجل رفع عبادة العبد المصلي حيث فجأة وبعد إتيان تلك المقدمات وذكر التكبيرات والدخول في الصلاة يتوجه قلب هذا المصلي المسكين إلى فلان وعلان أو زيد وعمرو الذين هم أعجز منه لأجل جلب منفعة أو يتوهم أنه يذكر في المحافل والمجالس ويثنى

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٤.
(٢) سورة الذاريات الآية ٥٦.
(٣) سورة الفرقان الآية ٤٨.

عليه فيغفل عن الحق جل وعلا ويقع في هم ابراز عبادته.

فالآن يمكن معرفة هذا المصلي الغافل بوضوح تام والاطلاع على فضاحة عمله فقلة حياء شخص كهذا عند الملائكة أكثر بآلاف المرات من فضيحة تلك الفتاة عندما يرفع الستار عن عمله الشنيع. وذلة هذا المصلي وحقارته عند الله أكثر بكثير من الذلة والمهانة التي تنال تلك الفتاة عند الملك، إذ أنه كلما كانت الغيرة أكثر يكون القهر والغضب والتنفر أكثر.

وقد وردت روايات كثيرة في ذم المصلي الذي ليس عنده حضور قلب فضلاً عمن يرائي ويخادع في صلاته ويحاول تحسين ظاهره وابراز نفسه عند الناس.

وورد في حديث قريب من هذا المضمون أنه عندما يقرأ المصلي آية في الصلاة يأتيه الخطاب: «عبدي إذا كنت تخاطبني فأين قلبك؟» ويعاتب على هذا المنوال في المرة الثانية والثالثة وعندما يصل إلى الجملة المباركة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ولا يعطف خاطره نحو الحق ولا يثبت فكره بين يدي الله تُردُّ إليه صلاته إذ لا تكون مؤهلة للقبول.

كما قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في رواية عن ذلك الذي يلتفت يميناً وشمالاً أثناء الصلاة: «أما يخاف أن يحول الله وجهه وجه حمار» ومنه يمكن الاستنتاج أن وضع الشخص الذي يرائي في الصلاة أسوأ بمراتب من ذلك الشخص الذي يحرف وجهه عن القبلة فحسب إذ أن المرائي قد كفر بأنعم الله وقد غفل عن ذكر الله حين مناجاته إذ بمفاد الحديث الشريف «المصلي يناجي ربه» وتوجه إلى عبد أضعف من نفسه.

فلا شك انه من الأنسب أن يحول الله وجه قلب المصلي المرائي إلى شكل خنزير وقرد، بل من المناسب أنه لو غفل شخص عن ذكر الله حين الصلاة أن يمسخ بصورة حمار منذ المرة الأولى وذلك التكرار للخطاب والاكتفاء بتوبيخ العبد إنما هو بمقتضى رحمة الله الواسعة.

سبحانه من رحيم ما أرحمه ولكن أشهد أنك أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة».

روي في المجلد الأول من كتاب «بحار الأنوار» عن أبي عبدالله عليه السلام ما مضمونه أنه قال: كان لموسى عليه السلام جليس قد علمه علماً كثيراً. فاستأذن منه للذهاب لزيارة أهله فقال له موسى عليه السلام: كن حذراً للغاية في هذا السفر لئلا يميل قلبك إلى الدنيا وتضيّع العلم الذي رزقك إياه الله وتفسده ولا ترعى حقه وتنخدع بالدنيا وتتلوث بها وتصرف وجهك إلى غير الحق. فأجاب: أرجو أن يمضي هذا السفر بالخير واليمن. لكن مضت مدة ولم يأت خبر عنه ولم يطلع أحد عليه. إلى أن طلب موسى يوماً من جبرائيل التفتيش عن أحواله فقال: لقد مسخ بصورة قرد وهو الآن واقف على الباب والرسن في عنقه. فتأثر موسى بشدة من ذلك الخبر وتضرع إلى الله في محراب العبادة لكي ينجيه لكنه خوطب من قبل الحق تعالى أنه: يا موسى لو دعوت حتى تخرج روحك من جسدك فلن أستجيب دعاءك إذ أن ذلك الرجل قد أضاع العلم الذي أكرمته به وأفسده بالتوجه لغيري والميل والرغبة في الدنيا» وقد ذكروا في أحوال الشيخ أبو العباس الجواليقي أنه كان في بداية أمره رجلاً نساجاً. وفي عصر أحد الأيام قام مع مساعده بحساب بضاعته فوجد أن أحد جواليقه قد فقد. وعندما قام للصلاة، صار يفكر فجأة بمن قد أخذ ذلك الكيس وبعد

إنهاء الصلاة أخبر مساعده عن وضع الكيس المفقود فقال له المساعد: أقضيت الصلاة يا سيدي بالبحث عن الكيس؟! فرجع السيد من كلام المساعد إلى نفسه ورفع يده عن الدنيا وجعل همته في تهذيب نفسه إلى أن صار في آخر الأمر من زمرة أولياء الله ونال تلك الدرجة الرفيعة.

اعلم أيها العزيز أن هذا المطلب لا يختص بالصلاة وهو في مورد سائر العبادات كالحج والزكاة والصوم أيضاً على هذا المنوال وما قيل إنما كان من باب المثال.

«اللهم ارحمني إذا انقطعت حجتي وطاش لبي وكلّ عن جوابك لساني فإنك يا رب ثقتي في يوم القيامة، وأن لا تنصب لي ميزاناً ولا تنشر لي كتاباً ولكن إن جاؤوا ملائكتك بهذا الكتاب وأتوه بيدي وقالوا لي اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً فويل لي ثم ويل لي ثم ويل لي إن لم تدركني رحمتك الواسعة التي وسعت كل شيء. يا من أزمة الأمور طراً بيده ومصادرها عن قضائه لا حول لي ولا قوة إلا بك فإني أسألك كما سألك وليك علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه: إلهي بك عليك إلا ألحقتني بمحل أهل طاعتك والمثوى الصالح من مرضاتك فإني لا أقدر لنفسي دفعاً ولا أملك لها نفعاً فأسألك بكرم وجه وليّك أن لا ترد دعوتي يا أرحم الراحمين».

كتب هذه الأحرف بيده الفانية مؤلفه الفاني الجاني حسن علي ابن علي أكبر الأصفهاني حين إقامتي بجبل گراخك من توابع الأرض المقدسة الرضوية على ساكنها ألف ألف تحية في ١٨ شهر شعبان سنة ١٣٣١.

العُجب والغرور

العُجب أيضاً من الحالات الخطرة في طريق العبادة والعبودية والكمال والعجب في الحقيقة هو أن يتصور الإنسان نفسه مستقلاً في اتيان أمور الخير والعبادات ويعتقد نفسه دائناً لله بسبب عمل صالح يصدر منه أحياناً ويمن عليه به وينسى توفيق الله وعنايته التي هي في الواقع سبب بروز أعمال الخير من العبد إذ ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكّي من يشاء**. . .﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿**يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**﴾[2].

أجل أيها العزيز فالرياء والعجب يعدان عقبتان كؤودتان في طريق العباد. إذ وإن كانت «السمعة» أيضاً حالة خطرة لكن خطر هاتين أكثر منها ومحاربتهما أصعب وأشق من ومحاربتهما.

ولكي يتضح أكثر عجز المبتلي بالعجب وفضاحتهم نذكر هذا المثال: لنتصور أن عبداً من العبيد صار محلاً لعناية الملك وقام السلطان بوضع أساتذة ومربين قديرين لتربيته وتعليمه، وبعد أن تعلم

---

(١) سورة النور الآية ٢١.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٧.

أنواع العلوم والفنون جهز له قصراً مجلالاً مجهزاً بسائر مستلزمات المعيشة والراحة والتلذذ، وجعله ناظراً على أمور بلاط سلطنته، وصير أمره نافذاً في أموره واملاكه وضياعه وعقاراته، وجعل الخدم والحشم في تصرفه. لكن هذا العبد بعد مدة من الزمن نسي ألطاف ملكه وعطفه وأخطأ في الاستفادة من القدرة والسلطة التي فوِّضت إليه بأمر من السلطان، وتصور أن هذه القدرة والسلطة هي منه، وحسب أن كل ما يعمله هو بقوته إن ما يشتريه هو من ماله الشخصي وأن ما يهبه من ملكه المطلق، ونسي أن نفوذه وقوته بارادة ولي نعمته ولولا ذلك لم يكن مختلفاً عن الآخرين وإن ظل لطف الملك هو الذي بذل له هذه القدرة والعزة. وبسبب غفلته وجهله وبتوهمه الباطل هذا رأى نفسه مفضلاً على السلطان وصار متوقعاً للثواب على ما صرفه وأعطاه.

هذا المثل يناسب بالضبط حال ذلك العبد الذي قام بالعبادة أو الإنفاق بحول وقوة وتوفيق ورحمة الحق تعالى مع أنه عبد عاجز لا قدرة له ﴿**عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء..**﴾[1] والله تعالى بسبب لطفه قد وهبه النعم والكرامة. ﴿**وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾[2] ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...**﴾[3].

والآن العبد الغافل يحسب أن العلم والمعرفة اللذان اكتسبهما قد كانا بارادته وحوله، أو أن الانفاق الذي قد أنفقه قد كان من ماله وإذا وفِّق لترك معصية ما فإن ذلك قد كان بارادته المستقلة ولا يلتفت ذلك المسكين إلى أن ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم**

(١) سورة النحل، الآية ٧٥.
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٤.
(٣) سورة النحل، الآية ٧٨.

ربي..﴾[1] إذ أبناء آدم مجبولون على الشهوة والغضب ومفطورون على الهوى والهوس. وما لصاحب الشهوة والغضب وعبادة الله، وأين النفس الامارة من العبودية والخضوع لله تعالى والتخلق بالأخلاق الحميدة!.

ومع هذا الفقر الذاتي وابتلاء في النفس إذا صدرت منه أحياناً بعض العبادات والأعمال الصالحة بتوفيق من الله يقع في العُجب ويتوقع من الله بإزائها التوقعات الكثيرة! يتوقع أن تختص به جميع الجنة مقابل صلاته وصيامه الناقصين وإذا أرادوا ادخال أحد آخر إلى الجنة أيضاً أن يأخذوا منه إذناً! ألم تسمع البعض أحياناً يقول «إن الجنة التي أنت فيها لا أريدها» كما أنه كثيراً ما يحصل أن شخصاً يمن على آخر بأن يقول مثلاً إني قد حللت مشكلتك الفلانية وقمت لأجلك بكذا وكذا من الأعمال. ويغفل عن أنه لا قوة ولا ارادة له من نفسه، وأنه إذا كان قد قام بعمل ما فإنما هو قد كان بارادة الله وتوفيقه. وهذا المسكين لا يدري أنه حتى الخبز الذي يأكله واللباس الذي يلبسه كله من الألطاف الإلهية وبشكل عام فالوجود وعدم الوجود في هذا الكون كله منه تعالى. والكمال الذي يحصل في أي كان إنما هو بتوفيقه ورحمته، وإذا وفق إنسان لإتيان خير فهو بيمنه واحسانه. وفي الحديث القدسي «يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك» أي أن ارتباط وانتساب العمل الصالح بالله أكثر من نسبته للعبد. وقال أيضاً: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾[2].

إذا ترك المولى العبد ونفسه ولم يقم بتربيته فسيقع في التيه ويصير من الأرذال والأوباش. أفلم تسمع قصة بلعم باعوراء وبرصيصا

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٩.

العابد اللذين مع ذلك المقام وتلك المنزلة الذين كانا يمتلكانهما بحسب الظاهر فقد انقطعت عنهما رحمة الله ولطفه بسبب العجب وسقطا في تلك الفضيحة والاضطراب. لوازم الوجود من الذرة حتى المجرة ومن الفطرة إلى القنطار كلها انعكاس لوجود الحق تعالى والخلق المسكين معدوم صرف وكـل عزة وحرمة يحصل عليها العبد عند الله أو بين المخلوقين فإنما هي من أثر نعمته.

من الواضح أن الله تعالى لو لم يعط الإنسان سمعاً وبصراً لما كان عنده قدرة على تحصيل العلم والبصيرة أبداً، ولو لم يعطه القوة الناطقة لكان محسوباً في زمرة الحيوانات. وإذا عرف العبد لا شيئيته وفقره وعبوديته أمام الله فكلما ارتفعت درجة اعتباره وكلما ازدادت عبادته وخدمته ازدادت درجة تواضعه واحساسه بالمذلة والخضوع والسقوط أمام الله تعالى فضلاً عن أن يغتر بعبادته أو يقع في العجب أو عند مشاهدة عبد مسكين مبتلى بالمعصية يرى نفسه منزهاً وأفضل منه. فكل العجب عند العبد ناشىء من غفلته عن فقره ولا شيئيته وعدميته.

في الخبر ان أيوب على نبيّنا وآله وعليه السلام بعد أن ابتلي بالمصائب والاختبارات الصعبة جاء جماعة إليه لرؤيته. وعندما اقتربوا منه جفل فرس أحدهم وفر من مكانه فنظروا إلى بعضهم متعجبين من هذا البلاء الذي قد وقع فيه أيوب!.

وعندما جلسوا عنده قال أحدهم: يا نبي الله لا بد أن هذه البلاءات والابتلاءات بسبب المعاصي التي ارتكبت من قبل الآخرين في الخفاء ونحب أن تبيّن لنا هذا العمل السيّىء لنبتعد عنه نحن.

فقال أيوب: الله يعلم أني لم آكل طعاماً إلا جعلت شريكي فيه اليتيم أو الفقير أو المسكين وإذا أمرت بعبادتين كنت أختار الأصعب منهما.

وكان بين تلك الجماعة. شاب ذو معرفة فقال: أيها الناس تعساً لكم لقد أحرجتم نبي الله الكريم والجأتموه لافشاء سر عباداته التي كانت سراً بينه وبين ربه.

والنتيجة أن أيوب قام إلى محرابه متأثراً مما جرى وقال متضرعاً: إلهي لو أقمت مجلساً لمحاكمتي لأظهرت حجتي. عندئذٍ ظهرت غمامة وتكلم الله تعالى فيها أنه: يا أيوب اذكر حجتك إذ أن مجلس المملكة الذي كنت تتمناه جاهز. فقال أيوب: إلهي أنت تعلم أني كنت دوماً أختار الأشق من أوامرك وآتي به، وكنت دوماً مشغولاً بحمدك وشكرك وتسبيحك عندها خرج نداء بآلاف الألسن من القمامة: يا أيوب ما الذي جعلك تقوم بالحمد والشكر والعبادة ذلك الوقت مع أن الناس كانوا غافلين جاهلين؟ فأي فرق لك عن الناس؟ سوى أن يكون توفيقنا ولطفنا قد شملك وإلا فإنك قد كنت مع سائر هؤلاء الناس الغافلين من طينة واحدة وفطرة واحدة وكنت طبعاً ستغط في غفلتك مثلهم. يا أيوب ما الذي جعلك من بين الخلق التائه والعاصي مشغولاً بذكر الله وتسبيحه وتقديسه وعبوديته؟ فهل هناك من سبب غير هدايتنا ورحمتنا؟ والآن تمن علينا بالعمل الذي هو منا وبتوفيقنا؟ ونحن الذين يحق لنا أن نمن عليك فهرع أيوب فأخذ قبضة من التراب فوضعها في فمه وقال: إلهي اني أستحق أي عقاب تأمر به وأي مكافأة تقوم بها. أجل فأنت الذي أعطيتني توفيق الطاعة وأنت ولي التوفيق.

إذا التفت الإنسان إلى هذه المطالب بشكل كاف فلن يعرض عليه العجب أبداً، وإنما كلما قلت معصيته وزادت طاعته وعبادته وانقياده زادت ذلته وانكساره أمام الله.

نقل المرحوم الفيض الكاشاني قدس سره في ذيل الآية الشريفة ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب...**﴾[1] أنه عندما تلا الإمام الصادق عليه السلام الآية الكريمة ﴿**...أمن يجيب المضطر إذا دعاه...**﴾[2] سأل شخص أنه كيف لا يستجاب دعاؤنا عند الله؟ فقال الإمام عليه السلام:

«إنكم تدعون من لا تعرفون وتسألون ما لا تفهمون فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله علامة الخذلان. من لم يشهد ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن أن سؤاله دعاء، والحكم على الله من الجرأة على الله».

أناس كهؤلاء أعمالهم أكثر ضرراً من الجميع وهو مشمولون لهذه الآية الشريفة: ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾[3].

وهؤلاء المساكين يظنون أيضاً أنهم نالوا توفيق العبادة والقرب لله مع أن دعاءهم المترافق مع عدم معرفتهم قد صار سبباً للبعد عن الله ورحمته.

بالعلم يدرك كلب في خساسته ما ليس يدركه الإنسان لو جهلا
معلم الكلب حل في ذبيحته وجاهل الذبح في إفساده عملاً

وفي مقام العبادة كذلك دعاء ذلك الشخص البعيد عن معرفة الحق تعالى لا أنه لا يوجب القرب له فحسب وإنما يكون من أسباب بعده أكثر ومن بواعث خذلانه عند الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٦.
(٢) سورة النمل الآية ٦٢.
(٣) سورة الكهف الآية ١٠٣ ـ ١٠٤.

يقول الإمام عليه السلام في الرواية المذكورة أن ذلك الذي لا يدرك ذلة نفسه وذلة قلبه وباطنه أمام الله حين الدعاء فهو في الحقيقة يأمر الله في أدعيته ويحسب أن هذا سـؤال ودعـاء. والتماس. واعطاء الأمر لله عز وجل يكشف عن جرأة وجسارة العبد تجاهه تعالى.

بناء على هذا يجب على العبد لله أن يلتفت في أدعيته إلى مذلته في هذه الأبعاد الثلاثة وأن يعترف بها. مثلاً وإن لم تصدر منه المعاصي والذنوب إلا أنه يجب أن يلتفت إلى ذلة نفسه أيضاً إذ أن لازم طبيعة النفس الإنسانية ارتكاب المعاصي والذنوب، وإذا نال توفيق ترك ذلك فليعتقد أن هذا من أثر لطف الحق وليكن متذكراً أيضاً لذلة قلبه التي هي الأخلاق الرذيلة والصفات غير اللائقة، وفيما لو خرجت هذه الأخلاق والصفات كالبخل والنفاق والحسد من قلبه وتخلق بالأخلاق والصفات الحميدة والحسنة فيجب أن يعتقد أن هذه الاستقامة من مشيئة الله وتوفيقه وعنايته تعالى إذ قيل:

الظلم من شيم النفوس فإن ترى ذا عفـــة فلعلـــة لا يظلـــم

وهذا الكلام بمنزلة أن يقال: إن طبيعة العقرب اللسع والأذى فإذا كان هناك عقرب لم يؤذ بسمّه فلا شك أن هناك سبب ما منع تأثير هذه الغريزة.

كمثل الشخص الذي يمتنع عن الظلم مع وجود طبيعة الظلم فيه أما لأنه يخاف من العقوبة الدنيوية للظالم أو امكانية الانتقام منه أو يخاف من عقوبته الأخروية، وإلا فإن لازم النفوس الظلم. مرتبة النفس التي كانت المرتبة الأولى هي مرتبة العوام، ومرتبة القلب مرتبة الخواص. أي أن الخواص أيضاً يجب أن يعلموا أن أخلاقهم الحميدة ليست منهم.

المرتبة الثالثة أو ذلة السر والباطن مرتبة المخلصين. في هذه المرتبة حيث كانت العبادة لله محضاً ومنزهة من شوائب الخوف من النار أو الطمع بالجنة فلا يظنن العبد أن هذا الخلوص والإخلاص من جهته وإنما هو كرامة وعناية من جهة الله الوهاب وبرحمته الخاصة التي صفت وهذبت باطن العبد من الخيالات الفاسدة وما سوى رضا الحق.

فإذاً العبد لله في أي مرتبة كان يجب أن يعرف ذلته ويلتفت إليها، وإلا فإن دعاءه وعبادته ملوثان، والشيء الوحيد الذي يفك الإنسان من شر العجب هو الإلتفات إلى هذه الذلة والإنكسار. وأحياناً تصل شدة هذه الحالة إلى حيث يرى الإنسان نفسه غير لائق بالمناجاة. وتشير إلى هذه الحال هذه الجملة من مناجاة الذاكرين حيث تقول «إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك عن ذكري» أي حيث أمر بذلك بمفاد الآية الكريمة **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله...﴾**.

ترجمة شعر: لقد غسلنا اللسان ألف مرة بالمسك وماء الورد ومع هذا لا يزال ذكر اسمك محض قلة أدب.

قيل اجتمع في أحد الأيام في احدى بلاد الكفر جماعة على شخص وأخذوا يضربونه بشدة دون أن يتكلم أو يعترض وإنما أحنى رأسه خجلاً وتحمل اهاناتهم بصبر وبعد ساعة من الزمن بعد أن تعبوا من ضربه تابع الرجل طريقه بخجل. فسأله شخص عن سبب هذه الحادثة. فقال: لقد جرت العادة عندنا نحن عبدة الأصنام على أن كلما أراد أحد أن يذكر اسم «الصنم الأكبر» على لسانه فيجب أن ينزوي ويقوم بالعبادة سنة على الأقل ويعرض عن الدنيا ومظاهرها لينال لياقة ذكر اسم الصنم. وأنا اليوم اشتباهاً ومن دون أن أعدَّ نفسي

وأطهِّرها برياضة سنة ذكرت اسم الصنم هكذا فجأة. ولهذا السبب قاموا بتعذيبي بهذا الشكل. وفي الحقيقة لقد كنت مستحقاً لما جرى.

أجل يليق بنا أن نتعلم رعاية حرمة الله وهيبته من عبدة الأصنام.

ترجمة شعر: لم لا يُترك ما سوى الله والكافر قد ترك الله لأجل الصنم.

في هذا المقام يخطر ببالي نكتة لا يخلو ذكرها من الفائدة:

لقد بقيت متحيراً لفترة من الزمن في مفهوم هذه الجملة من دعاء سلطان الأولياء الإمام علي المرتضى عليه السلام وهي «إلهي لو أخذتني بذنوبي لأخذتك بمغفرتك» إذ أن كلمة أخذتك فيها معنى المطالبة يشتم منها رائحة التجري والجسارة فماذا تعني من لسان ولي الله الأعظم؟ إلى أن بحمد الله صار المطلب معلوماً وانكشف لي معنى كلامه عليه السلام ولتوضيح ذلك يمكن الاستعانة بالمثال التالي:

رأيت في أحد الأيام رجلاً يلاعب إحدى قططه ويلاطفها والقطة أيضاً تمص يد صاحبها وتظهر محبتها له بواسطة هذا المزاح والشيطنة. بعد ذلك أخذ الرجل يلاطف قطة أخرى لكن هذه كانت حيواناً شريراً واستغلت الموقف استغلالاً سيئاً وقامت بخمش يد صاحبها بمخلبها وعضته، وإذ غضب الرجل من جسارة وشر هذا القطة ضربها على رأسها بقبضته وأخرجها من الغرفة. ومن خلال رؤيتي لهذه الواقعة انتقلت إلى نكتة أنه يمكن الاستفادة منها بصورة تمثيلية بالنسبة لله تعالى مع عباده في هذه الحادثة كلتا القطتين أدخلتا يد صاحبهما في الفم لكن احداهما أدخلتها كمحاولة لاظهار المحبة له والأخرى كان عملها علامة على الجسارة والجرأة. إحداهما بتصرفها سرَّت سيدها والأخرى بنفس العمل سببت غضبه.

بالنسبة للجملة الشريفة المذكورة آنفاً يمكن استعمال كلمة «أخذتك» بمعنيين احدهما المطالبة والمؤاخذة بأن يرى العبد نفسه مطالباً لله وهذا التصور علامة على الخذلان ودليل على جرأة العبد وجسارته بالنسبة للذات الإلهية المقدسة. والمعنى الآخر إظهار صفة ومغفرة وعفو الله وتذكر رحمته وعنايته بالنسبة للعباد. والمفهوم من الجملة المنقولة عن الإمام (ع) هذه الصورة الثانية والمعنى هكذا: «إلهي لو أخذتني بذنوبي لأملت بمغفرتك الوسيعة وعفوك العظيم».

لا أن العبد يكون دائناً لربه ومطالباً له بالعفو والرحمة إذ لا دين للعبد في أي حال من الأحوال عند ربه، فكل ما يعطيه إياه فهو رحمة منه، وكل نعمة يهبها له فهي مجرد كرامة وعناية منه، ومن الواضح أنه يوجد تفاوت كبير بين هذين التعبيرين. إذ أحدهما يوجب سخط الله وغضبه والآخر يصير سبباً لرضا الله تعالى وموجباً لإحسانه بالنسبة لعبده.

ترجمة شعر: حبة الفلفل الأسود والخال الأسود للمعشوق كلاهما محرق لكن أين هذا من ذاك.

وقد رأيت نظير هذه المناجات في حديث بهذا المضمون أن موسى عليه السلام قال: «إلهي هذا الذي في الجعبة التي أتسول بها هل يوجد في خزائن ملكك؟».

فجاء الخطاب: «يا موسى ما هو الشيء الذي في جعبتك وليس في خزائننا؟».

فقال موسى: إلهي، عندي رب كمثلك.

تعابير كهذه تسمى في فن البلاغة «المدح بما يشبه الذم» فمقصود النبي موسى عليه السلام في هذا الكلام ليس أنني أملك شيئاً

لا تملكه يا رب، وإنما كان مراده عرض عبوديته وذلته وتواضعه ومحبته للباري عز وجل وتذكر عظمته ورحمته جل وعلا.

والخلاصة أن العبد إذ قال في أدعيته مع تجسم ذلته بقلب خاضع وخاشع وفي منتهى الندم والخجل: «أخذتك بمغفرتك» فإن هذا الدعاء يصير موجباً للتقرب إلى الحق وعفوه تعالى أما إذا كان دعاؤه المطالبة بمغفرة الله مقابل عبادته وفي داخله كان معتقداً كونه مستحقاً للمغفرة بإزاء أعماله وأفعاله العبادية فهذا الدعاء لا أنه لا يكون موجباً للقرب إليه تعالى فحسب وإنما يسبب أيضاً سخطه وغضبه وترك دعاء كهذا أولى من الإتيان، إذ أن العبد ليس له حق ودَيْن عند ربه في أي صورة من الصور وإنما ينبغي أن يطلب ويلتمس فضله ورحمته فقط ذكروا أن أحد العباد كان يقول في دعائه «إلهي عاملنا بعدلك» مكان العبارة المعروفة «إلهي عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك». إذ قد كان معتقداً أنه لم يرتكب معصية من بداية عمره إلى الآن وكان مشغولاً بالعبادة دوماً ومقتضى عدل الله أن يضعه في الجنة مقابل تلك العبادات ولا حاجة بعد للتوسل والتشبث بفضل الله ورحمته.

واتفق في ذلك الزمان أن سرق اللصوص خزانة السلطان وحملوا الذهب والفضة والجواهر الكثيرة معهم إلى خارج المدينة. وعندما وصلوا إلى صومعة هذا العابد صمموا على البيتوتة هناك تلك الليلة ليجددوا قواهم ثم يأخذوا الأموال المسروقة في السحر إلى حيث يقصدون. لكن التعب جعل سلطان النوم يسيطر عليهم فلم يستيقظوا إلى طلوع الشمس.

وعند الفجر لما وجد جنود الأمير الخزانة خالية عمدوا إلى التفتيش في كل مكان وأغلقوا مداخل المدينة إلى أن وجدوا اللصوص

نائمين في صومعة العابد فأخذوهم جميعاً. ومهما توسل بهم العابد الجاهل بحقيقة الأمر أنه أنا عابد لا ذنب لي لم يُجد نفعاً، فكتفوا اللصوص والعابد وأخذوهم إلى عند السلطان وعندما وقعت عين السلطان عليهم ثار غضبه وأمر بمجازاة كل منهم بقطع اليد للبعض والاذن للبعض الآخر وقلع العين لثالث وهكذا، فلما وصلت النوبة للعابد أمر باستعمال عصا غليظة كانت موجودة هناك على قفاه. ونفذت أوامر السلطان وجوزي كل من اللصوص بالجزاء المقرر واستعملت العصا أيضاً وبمشقة كبيرة على قفا العابد، وقام الأسافل بضربه وجرحه، وفجأة عرف العابد شخص ممن حضر المكان للتفرج وصاح بهم: ويحكم! إن هذا الرجل عابد الصومعة الفلانية ولم يقدم على خطأ طوال عمره ولم يقم بعمل سوى العبادة فلماذا حكمتموه بجزاء اللصوص؟ وعندما علمت حقيقة الحال طلب السلطان من العابد أن يعذر اشتباهه وأعاده. فذهب العابد بهذا الوضع السيّىء والحال المضطرب إلى نبي زمانه وشكا له أن الله «لَمْ يجاز كل عباداته وطاعاته تلك بالإحسان فجاء الوحي أنه قد أخذنا هذا الرجل بهذا البلاء الصعب وفقاً لطلبه. فقال العابد: إلهي ومتى طلبت منك طلباً كهذا؟ فجاء الخطاب: أفلم تطلب أن نعاملك بمقتضى عدلنا؟ ألا تذكر عندما كنت طفلاً حيث كنت تأخذ الذباب فتضربها بالقش على قفاها وتتركها هكذا؟ فهذا الجزاء العادل لعملك، ولهذا استعمل العصا في قفاها مقابل تلك السيّاخ، وكان مقبض العدالة في أخذ حق الذبابات مع ملاحظة النسبة بين الذبابة والإنسان أن تضرب على قفاك بهذه العصا الغليظة مقابل تلك القشات الرفيعة.

نرجع إلى الرواية المذكورة عن الإمام الصادق عليه السلام ونستذكر نكتة فيها.

في عبارة «من لم يشهد ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن أن سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرأة على الله» المقصود هو أنه كل من لا يرى ذلته وفقره أمام عينه عيانا، لا تتجسم تلك المذلة والتواضع في روحه فدعاؤه في الحقيقة حكم على الله ودليل على الخذلان والوقاحة.

ولهذا السبب لم تستعمل في العبارة أعلاه جملة «لم يعلم» وإنما استعمل مكانها جملة «لم يشهد»، أي أن مجرد علم العبد ومعرفته بهذه الذلة والمسكنة وحده لا يكفي لمعالجة مرض العجب والغرور، وإنما بحسب تشخيص ذلك الحكيم الإلهي الطبيب الروحاني فطريقة الشفاء من مرض العجب الخطير عدا عن معرفة الذلة هو شهودها وتجسمها.

هنا وبالمناسبة نتذكر أن البعض ظنوا أن معنى الحديث الشريف «من عرف نفسه فقد عرف ربه» أنه كما أن النفس لا يمكن معرفتها فكذلك الرب لا يمكن معرفته. لكن اتضح من البيان السابق عدم صحة هذا التوهم، وفي الحقيقة فمفهوم الرواية هو أنه كل من عرف ذلته وعجزه وفقره والتي هي من لوازم ذاته فقد عرف أيضاً عزة الله وقدرته وغناه، إذ أن مرتبة العبودية في مقابل مرتبة الربوبية، والعبد الذي يكون في مقام العبودية وقد خفيت عليه ذلته وصفاته فلا بد أن يكون متوقفاً في أضداد هذه الصفات في الله الذي هو في مقام الربوبية، كما أنه إذا أدرك الإنسان مفهوم «التحت» فسيدرك مفهوم «الفوق» قطعاً، إذ أن هذان المفهومان ومعرفتهما لا يمكن فصلهما عن بعضهما.

والخلاصة أنه كلما ازداد ميزان علم العبد ومعرفته بذله وعجزه وفقر نفسه فستزداد بهذه النسبة مرتبة معرفته لعزة الله وقدرته وغناه

وبهذا البيان أيضاً يعلم معنى حديث «العبودية جوهرة كنهها الربوبية. .» وفيه اشارة إلى هذه النكتة من أنه كلما توغل الإنسان في العبودية فستزداد قدر معرفته بالربوبية بنفس النسبة.

أجل فشهود الذلة هذا وهذا التجسم للمسكنة والعجز سيسبب أهلية العبد لجلب رحمة الحق وإنعامه، وفي النتيجة سيزداد مقدار انعامه وتفيض بحار مغفرته.

أذكر أنه كان في أصفهان إمام جمعة اسمه «مير سيد محمد» وكان سيداً جليل القدر من أحفاد عماد الدين مدني الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الرابع السجاد عليه السلام وكان لإمام الجمعة هذا ناظر على ادارة أموره وأملاكه اسمه «نظر علي» والذي ظل مسؤولاً عن هذا الأمر لمدة خمسة عشر عاماً، لكن الوشاة سعوا فيه واتهموه بالخيانة في أموال إمام الجمعة. وفي الأخير تأثر إمام الجمعة بهم وطالب «نظر علي» بكشف حساب الخمسة عشر عاماً. لكن الرجل كان عاجزاً عن اعطاء هذا الحساب، ولهذا السبب أخذ يتعلل إلى أن أجبر بشكل من الأشكال على توضيح وضعه واخراج نفسه من هذه الورطة، وفي نفس الوقت رأى أن جماعة الوشاة وحاشية إمام الجمعة في صدد هدمه بجميع قواهم ولن يستطيع أبداً أن يعرض حساب هذه المدة الطويلة الذي قد نسيه بمرور الزمان. وأخيراً وضع خطة لإنجاء نفسه وطلب من إمام الجمعة أن يأتي يوماً إلى ضيافته في منزله لكي يصفي حسابه في ذلك اليوم في حضور جميع الأصحاب والخدم والحشم.

وصل اليوم الموعود وقد دعا «نظر علي» أيضاً جماعة من التجار والوجهاء والعلماء والمحترمين إلى ذلك المحفل. وفرش غرف منزله ذلك اليوم بأنواع الأثاث الغالي وجهز سفرات بأنواع الأطعمة والأشربة والفواكه والحلويات، وعين لكل صنف من الضيوف غرفة خاصة مناسبة.

وعندما دخل إمام الجمعة ومرافقوه والضيوف إلى منزل «نظر علي» تعجبوا من مشاهدة كل هذا الجلال والأبهة إذ أن أمراء البلد ووجهاؤه أيضاً كانوا عاجزين عن تجهيز محفل ومجلس كهذا.

بعد تناول طعام الغذاء طلب إمام الجمعة من «نظر علي» تسليم حساب مدة نظارته، فدخل إلى داخل البيت وعاد إلى المجلس بعد ساعة بثياب بالية وقبعة لباد وسخة وقباء مرقع بائر اللون وبحذاء مقطع مندرس وقد ربط وسطه بحزام موصل وسخ، ودخل بهذه الهيئة العجيبة ووقف أمام إمام الجمعة بكامل الأدب وقد أحنى رأسه تواضعاً فغرق الحاضرون في الضحك لرؤية هذا المنظر، لكن «نظر علي» ودون أن يلتفت إلى سخرية وقهقهة قسم من الحاضرين قال لإمام الجمعة: سيدي هذه فاتورتي لتلك السنين في اليوم الذي نلت فيه شرف خدمتكم كنت بهذه الحال وهذا الوضع، ولم أكن أملك من الدنيا سوى هذا اللباس الذي ارتديه، والآن فكل ما ترى من بيت وفرش وأثاث غال وهذه الضيافة والتجمل هذا كله حصل لي من دولتكم وكله قد جنيته من مالكم، وإلاّ فأنا لا أملك شيئاً سوى هذا اللباس الذي ارتديه. والآن إذا شئت أن تخرج «نظر علي» خادمك لمدة خمسة عشر عاماً من بيتك وتحوله إلى بيت آخر فالأمر إليك فأصدر الأمر ليجمع خدمك هذه الأموال وينصرفوا بها، لكن عظمتك وكرامتك تأبى أن تحرم خادمك الذي تربى على مائدتك من شرف خدمتك ونعمتك بعد خمسة عشر عاماً، ومع هذا فالخيار لك. هذه فاتورة حساب «نظر علي» في مدة خمسة عشر عاماً والأمر في الأخير راجع إلى إرادتك ورحمتك فمهما تأمر به أطعه.

تبسم إمام الجمعة من كلامه وأمر بإبقائه في نفس الموضع والا

يطالب أو يؤاخذ بشيء بعدها، والأعداء والوشاة كأنما ألقموا حجراً لم يجرأوا على أي كلام ولم يقم بسعايته أحد إلى نهاية العمر.

أجل أتمنى لو أن هناك إنساناً يتبع طريقة «نظر علي» في طريق عبودية الحق، وأن يعتقد مع اظهار العجز والذلة وابراز الفقر والتواضع أن كل ما يملكه هو من الله تعالى، وأن يقوم بحمد رب العالمين وشكر ولي نعمته على أنعامه الذي لا حد له.

كم من اللائق أن يقوم الإنسان في كل يوم وليلة بحمد الله وشكره أولاً على ألطافه ومراحمه ويتخيل في ذهنه عرصة المحشر وحضور الأنبياء والأولياء وجميع خلق الله، وبعد ذلك يقوم بالصلوات المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام وهي: «اللهم رب البلد الحرام ورب الركن والمقام ورب المشعر الحرام ورب الحل والحرام بلغ روح محمد عني التحية والسلام، اللهم وصلِّ على ملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين وعلى أهل طاعتك من أهل السموات والأرضين أجمعين» ثم يفرض نفسه كأكثر الناس ذنوباً ويتصور في نفسه ارتكاب جميع المعاصي سوى الشرك ومعاداة أولياء الله، إذ أن طبيعة الإنسان تقتضي الذنب والمعصية والفساد والأخلاق الرذيلة وإذا كان فرضاً لم يرتكب معصية أو لم يخرج الخلق والطبيعة السيئة من روحه ونفسه فليَعْتقد أن هذا كله من عناية الله وتسديده ورحمته إذ **﴿ان النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾**(١).

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكيّ من يشاء﴾(٢) وليقل بلسان الحال والمقال: إلهي هذه المفاسد والمعاصي التي قد تلوثت بارتكابها هي مقتضى طبيعتي،

---

(١) سورة يوسف، الآية ٥٣.

(٢) سورة النور، الآية ٢١.

وتلك السيئات التي لم ألوث يدي بها لحد الآن من أثر عنايتك ورحمتك وحفظك وحراستك، فأنت الذي حررتني في شباك الهوى و الهوس ومن فعلية اقتضاء نفسي الامارة.

والآن أقسم عليك بأوليائك وأنبيائك الكرام أن تعفو عما رأيته مني، وأن تنظر إلي نظرة مغفرة، وأن تبعدني وتبرأني برحمتك من لوث تلك المعاصي التي اجتنيتها بمشيئتك ولطفك.

وعندها يلقي العبد نظرة على العبادات والأخلاق الحسنة التي صارت من نصيبه بهداية الحق ورحمته ليعتقد أن حسن السمعة التي حصلها في الأعمال الصالحة بين الناس بارادة الله أنها كلها من تسديد الله واحسانه وانعامه «وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته».

ولينقل: إلهي، هذا كله بتوفيقك وإلاّ فإن نفسي الامارة لم تكن لتقودني إلاّ في طريق الهلكة والضلال. والآن لا تسلب مني توفيق الخير هذا بحق أوليائك وكن ممداً لي في طريق الهداية والعبودية. أيها الكريم بمقتضى «ومن شواهد آلاء الكريم تتميم نعمائه» زد عظمتك وكرامتك عندي، ووفقني لتلك الخيرات والحسنات لتي لـ أوفق لها لحد الآن.

ثم يقول بهذه المناجاة: .

«إلهي بك عليك إلا ألحقتني بمحل أهل طاعتك والـ الصالح من مرضاتك فإني لا أقدر لنفسي دفعاً ولا أملك لها نفعاً».

وليقرأ هذه الزيارة التي روى الشيخ الجليل «السماهيجي» في الصحيفة العلوية أن ولي الله الأعظم روحي لأرواح محبيه الفداء يقف كل يوم ثلاث مرات تحت السماء ويقول:

«اللهم إني قد اكتفيت بعلمك عن المقال وبكرمك عن السؤال،

أنت ثقتي ورجائي وعليك معولي افعل بي ما تشاء، اللهم أتيتك زائراً متعرضاً لمعروفك فآتني من معروفك معروفاً تغنيني به عن معروف من سواك، يا معروفاً بالمعروف. اللهم عافني أبداً ما أبقيتني واغفر لي إذا توفيتني بمنّك يا أرحم الراحمين».

وما أحسن ما قاله صاحب كتاب «أطباق الذهب» من أن: «ابن آدم عجن من الصلصال وابتلى بالحمل والفصل ثم تاه لشرائف الخصال وما درى أن الخصال الحميدة من مواهب الرحمن لا من مكاسب الإنسان. ما العقل إلا عطيّة من عطاياه، وما النفس إلا مطيّة من مطاياه فإن شاء زمّه بزمام الهدى، وإن شاء تركه سدى» ﴿**قل فمن يملك لكم من الله شيئاً**﴾[1] أو فمن يقدر له خفضا أو رفعاً.

ترجمة شعر: كل توفيق تملكه أيها الدرويش فعدَّه هدية الحق تعالى لا من نتيجة تسولك. حُرِّر بتاريخ الأحد منسلخ شهر شعبان سنة ١٣٣١ في جبل «گراخك» لعله يكون لي ولسائر إخواني من أسباب التذكر وموجباً للفائدة، لعل مؤمناً ينتفع منه يكون من صدقة سره نصيب لهذا المسكين.

---

(١) من الآية ١١ من سورة الفتح.

الغفلة عن ذكر الله

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إن كان الشيطان عدواً فالغفلة لماذا؟ وإن كان الموت حقاً فالفرح لماذا؟».

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«اغفل الناس من لم يتعظ بتغيّر الدنيا من حال إلى حال».

وروي أن ذكر الديك هو هذه الجملة: «اذكروا الله يا غافلين».

روي في كتاب «لباب الألباب» ما يلي:

«إن أهل الجنة لا يتحسرون على شيء فاتهم من الدنيا كتحسرهم على ساعة مرّت من غير ذكر الله».

ذكر الشيخ البهائي رضوان الله عليه في كتاب «أربعينه» هذا الحديث أنه: عندما أحيى النبي عيسى عليه السلام رجلاً من القرية التي أهلك أهلها بعذاب الله وسأله عن أعمالهم وتصرفاتهم قال الرجل: كنا في الدنيا نعبد الأصنام ومتعلقين بالدنيا. وكان خوف الله قليلاً في قلوبنا، وكان يعشش في رؤوسنا آمال بعيدة وطويلة ومشغولين باللهو واللعب، غارقين في الغفلة والجهل.

وبعد أن نقل الشيخ هذا الحديث أتى بالتمثيل الآتي من كتاب «كمال الدين»:

الإنسان المغتر بالدنيا والغافل عن الموت ومصاعب يوم الحساب والغارق في اللذات الفانية والملوثة بمشاكل هذا العالم يشبه الشخص المعلق بحبل داخل بئر عميق فإذا تأمل جيداً يرى في قعر البئر ثعباناً كبيراً فاغراً فاه ينتظر سقوطه وبلعه. وأعلى البئر يوجد فأرتان واحدة بيضاء والأخرى سوداء قد جلستا تقرضان خيطان ذلك الحبل وتقطعانه، لكن مع جميع هذه الأحوال المليئة بالخطر فقد انشغل الرجل المعلق في البئر بأكل مقدار من العسل الموجود على حائط البئر ملوثاً بالغبار وتحوم حوله الزنانبير، وقد أنس بلذة تلك الحلاوة وانشغل بالنزاع مع الزنانبير وبقي غافلاً عما يجري في أعلى البئر وأسفله.

أجل فهذا البئر هو الدنيا، وذلك الحبل عمر الإنسان، وذلك الثعبان الفاغر فاه هو الموت، وتينك الفأرتان البيضاء والسوداء هما الليل والنهار اللذان يقطعان عمر الإنسان، وذلك العسل الملوث بالتراب هو اللذات الدنيوية الملوثة بأنواع الكدورات والآلام، وتلك الزنابير أهل هذا العالم الذين يتزاحمون ويتعاركون مع بعضهم لأجل أكل ذلك العسل الملوث[1].

وقيل: رأس الذنوب الغفلة عن الله.

ترجمة شعر: لا تغفل طرفة عين عن ذلك البدر فلربما نظر إليك حينما لا تكون منتبهاً.

روي في كتاب سفينة البحار عن أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) هذا التشبيه قد ورد في كتاب كليلة ودمنة بتفاوت يسير.

قوله:

«الإيمان على أربعة دعائم.. إلى أن قال: ومن غفل غرته الأماني وأخذته الحسرة إذا انكشف الغطاء وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب».

ترجمة شعر: إلام ترتبط بهذا القصر الوهمي كمثل الأطفال الذين يلعبون بالتراب.

لقد سقطت بتقصيرك عن هذا الباب أيها المحروم فمم تبكي وعلام تصرخ.

الذكر ومراتبه

إعلم أن ذكر اللسان في مقام النفس وذكر الحضور في مقام القلب والمشاهدة في مقام الروح والمناجات في مقام السر والفناء في مقام الخفي والبقاء في مقام الذات. تحت الحالات والمقامات.

في كتاب الكافي روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه. فرض الله عز وجل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحج فمن حج فهو حده، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حد ينتهي إليه، ثم تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾. فقال لم يجعل الله عز وجل له حداً ينتهي إليه. قال: وكان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول «لا إله إلا الله». وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس... وقد قال رسول الله (ص): ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم، أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى فقال: ذكر الله عز وجل كثيراً. ثم

قال: جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله عز وجل ذكراً. وقال رسول الله: من أعطي لساناً ذاكراً فقد أعطي خير الدنيا والآخرة. أيضاً في «الكافي»، روى أبو بصير عن الإمام الصادق (ع): شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً. المرحوم الفيض الكاشاني يقول في كتاب «خلاصة الأذكار»: يجب العلم ان إخفاء الذكر أفضل وأحسن سبعين مرة من إعلانه. وقد ورد عن الإمام الرضا (ع) أيضاً تأييد أفضلية إخفاء الذكر، لأن هكذا ذكر للإخلاص أقرب وعن الرياء أبعد. يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾** ونقل عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال لأبي ذر رحمة الله عليه: يا أبا ذر، اذكر الله ذكراً خاملاً. قال أبو ذر: وما الخامل؟ قال: الخفي.

روي أن الملاك الموكل بالإنسان يسجل الذكر الذي يسمعه، لكن الذكر الخفي الذي أمر به الله تعالى: **﴿اذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة..﴾** لا يطلع عليه أحد غير الله عز وجل يقول المرحوم الفيض بعد هذه العبارات: حسبما يقول أرباب المعرفة، الذكر أربع مراتب:

الأول: ذلك الذكر الذي يجري على اللسان فقط. الثاني: ذلك الذي عادوه على اللسان، يصير القلب ذاكراً ومتذكراً أيضاً وبديهي أنه لحضور القلب، يلزم المراقبة والمداومة، لأن القلب إذا ترك لحال نفسه، يسرح في وادي الإنكار الثالث: ذلك الذي يتمكن من القلب أيضاً ويستولي عليه، بشكل يكون رجوع القلب منه صعبا كما كان في النوع الثاني حضور القلب بالنسبة للذكر مشكلاً وأخيراً الرابع: ذاك الذي يكون فيه العبد مستغرقاً في المذكور (جل شأنه) مباشرة بأن لا

ينتبه أبداً لا إلى ذكره ولا إلى قلبه ـ في هذه الحال التي ينصرف توجه الذاكر إلى الذكر، نفس الذكر يكون حجاب روحه، وهذه الحال تكون نفس التي عبر عنها في عرف العارفين بالفناء، وذلك كل المقصود وتمامه وكمال المطلوب من ذكر الباري تعالى.

في مراتب الذكر الأربعة تكون المرحلة الرابعة لب اللباب، والمراتب الثلاث الباقية هي القشور، وفضيلتها كونها طريقاً إلى تحصيل المرتبة الرابعة. فلما أضاء الصبح أيقنت موقناً بأنك مذكور وذكر وذاكر.

روي أن مجاشع سأل رسول الله (ص): أي طريق لذكر الله؟ قال: «نسيان النفس» يقول أبو سعيد أبو الخير (رحمة الله عليه) بعد كلام الرسول (ص): الذكر نسيان ما سواه.

وروي أنه: «ثلاثة لا توزن عند الله بجناح بعوضة: الصلاة على العادة والذكر على غفلة والصلاة على النبي بغير حرمة».

قال أبو علي بن سينا: حقيقة ذكر حضور المذكور في النفس.

التسليم أمام الحق

﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾[1].

روي أنه شكا أحد الأنبياء إلى الله من صعوبة معيشته وضيقها فأتى الوحي من عند الله:

«تشكوني ولست بأهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شأنك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك؟ أفتريد أن أتركك مع هوى نفسك ونفسك حجاب بيني وبينك؟ أتريد أن أغيّر الدنيا لأجلك أو أبدل اللوح المحفوظ بسببك فأقضي ما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب. فوعزتي حلفت لأن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوة وحلاوة المحبة، ولأذيقنك مرارة الفراق، ولأوردنك حرارة النار ولا أبالي».

وروي في كتاب أطباق الذهب:

«ابن آدم عجن من الصلصال وابتلى بالحمل والفصال ثم تاه بشرائف الخصال وما درى أن الخصال الحميدة من مواهب الرحمن لا من مكاسب الإنسان ما العقل إلاّ عطيّة من عطاياه، وما النفس إلا مطيّة من مطاياه، فإن شاء زمها بزمام الهدى، وإن شاء تركها سدى،

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٥.

فمن يستطيع لنفسه خفضاً أو رفعاً ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾[1].

رباعي:

هـواي لـه فـرض تعطـف أم جفـا ومشـربـه عـذب تكـدر أم صفـا
وكلـت إلـى المحبـوب أمـري كلـه فـإن شـاء أحيـانـي وإن شـاء أتلفـا

روي في كتاب «بحار الأنوار» عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أن الله تعالى أوحى إلى داوود النبي:

«يا داوود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد، فإن أسلمت لما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلاّ ما أريد».

ونقل في كتاب الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«من رضي بما قسم له استراح بدنه».

يقول أحد العرفاء: «الراحة في التسليم والبلاء في التدبير».

ونقل في كتاب «أمالي الصدوق» عن ابن عباس أنه: جاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جوعاً شديداً فأتى الكعبة فتعلق بأستارها وقال: يا رب محمد لا تجع محمداً أكثر مما أجعته قال: فهبط جبرائيل ومعه لوزة فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقرأ عليك السلام. فقال: يا جبرائيل الله السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام. فقال: إن الله يأمرك أن تفك هذه اللوزة، ففك منها فإذا فيها ورقة خضراء نضرة مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدت محمداً بعلي ونصرته به. ما نصف الله من نفسه من اتهم الله في قضائه

(١) سورة الفتح الآية ١١.

واستبطأه في رزقه.

وكذلك في كتاب الخصال روى أبو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «العبد بين ثلاثة: بلاء وقضاء ونعمة، فعليه في البلاء من الله الصبر فريضة، وعليه في القضاء من الله التسليم فريضة، وعليه في نعمة من الله عز وجل الشكر فريضة».

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الإيمان له أربعة أركان: التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله».

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«أحق خلق الله بالتسليم لما قضى الله من عرف، ومن رضي بالقضاء أتى إليه القضاء وعظم عليه أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره».

ويقول الخواجة نصير الدين الطوسي رحمة الله عليه في كتاب «أوصاف الاشراف» في باب التسليم: قال الله سبحانه وتعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[1] المراد من التسليم هنا هو أن نسلم كل أمر كان ينسبه إلى نفسه إلى الباري عز وجل وهذه المرتبة أعلى من مرتبة التوكل فإن التوكل هو تفويض الأمر إليه تعالى من نحو تعلقه منه بمنزلة من وكل غيره في أمر من الأمور فإنه يجعل لنفسه تعلقا به والتسليم هو قطع هذا التعلق واعلى أيضاً في مرتبة الرضا فإن الراضي هو أن يكون ما يفعله لله تعالى موافقاً لطبعه وفي مرتبة التسليم يسلم الطبع وموافقه ومخالفه إليه تعالى لأنه ليس له طبع

(١) النساء الآية ٦٥.

حتى يكون له موافقة ومخالفة. قوله تعالى لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت هو من مرتبة الرضا وقوله ويسلموا تسليماً من مرتبة أعلى منها. وإذا نظر السالك نظر تحقيق لم يجعل نفسه في مرتبة الرضا ولا في مرتبة التسليم فانه إنما بجعله نفسه بإزاء الحق بجعله له راضياً ومسلماً وذلك ينتفي عند التوحيد.

المراقبة

أمير المؤمنين (ع) يسأل الله في أحد أدعيته أن: «... زين أرواحنا بالمراقبة ونور أشباحنا بالموافقة».

قال الخواجة نصير الدين الطوسي أعلى الله مقامه في كتاب «أوصاف الاشراف» في باب «المحاسبة والمراقبة» وأما المراقبة فهي أن يحفظ ظاهره وباطنه لئلا يصدر عنه شيء يبطل به حسناته والذي عمله بمعنى أن يلاحظ أحوال نفسه دائماً لئلا يقدم على معصية ظاهراً أو باطناً تشغله عن سلوك طريق الحق ويجعل ذلك نصب عينيه أبدا كما رُسِمَ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه. إلى أن إلى المطلوب والله يوفق من يشاء من عباده أنه هو اللطيف الخبير» يقول أحد العرفاء: المراقبة أن يصير الغالب على العبد ذكره بقلبه ويعلم أن الله تعالى مطلع عليه فيرجع إليه في كل حال، ويخاف سطوات عقابه في كل نفس، ومهابته في كل وقت» وصف المراقبة للعبد يحمدُ إذا كان مراقبته لربه وقلبه، وذلك بأن يعلم أن الله تعالى رقيبه ويشاهده في كل حال، ويعلم أن نفسه عدو له وأن الشيطان عدوٌ له، وإنهما ينتهزان الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة فيأخذ منهما حذره بأن يلاحظ مكانهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري فهذا مراقبته.

قيام الليل والتضرع والمناجاة

قال الله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾[١].

ويقول تعالى كذلك في وصف المتقين: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون﴾[٢].

يقول معاذ بن جبل: شقت علينا شدة الحر في معركة تبوك فانتحينا كلٌ في زاوية وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقتربت منه وقلت له: يا رسول الله أرشدني إلى ما يوصلني للجنة ويجنبني النار. فقال: لقد سألت عن شيء كبير لكن من أراد الله يهون عليه كل صعب يا معاذ، اعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأقم الصلاة وأخرج الزكاة الواجبة وصم شهر رمضان، وإذا شئت أخبرك عن أبواب الخير. فقلت: أجل يا رسول الله. فقال: الصوم جنة من النار، والصدقة تذهب المعاصي، وقيام الرجل في الليل في عبادة الله يوجب رضى الله تعالى. ثم تلا صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾.

---

(١) سورة السجدة الآية ١٦.

(٢) سورة الذاريات الآيات ١٧ و ١٨.

وروي في كتاب «من لا يحضره الفقيه» عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«من قال في وتره إذا أوتر: استغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة وواظب على ذلك حتى تمضي سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار[1] ووجبت له المغفرة من الله عز وجل».

وفي كتاب «الخصال» للصدوق حديث عن سهل بن سعدان جاء جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

«يا محمد، عش ما شئت فإنك ميّت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف الرجل قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

وروى محمد بن سنان عن المفضل قال سمعت مولاي الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: واحدى الجمل التي قالها الله تعالى لموسى في مناجاته هي: «يا ابن عمران كذب من زعم أنه يحبني وإذا جنّه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه. ها أنذا يا بن عمران مطّلع على أحبائي، إذا جنّهم الليل حولت أبصارهم في قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور. يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم الليل، وادعني فإنك تجدني قريباً مجيباً».

يقول عبد الله بن سنان: سمعت الإمام الصادق عليه السلام

---

(١) يقول تعالى في سورة آل عمران الآية ١٧ حيث يتحدث عن المتقين المتنعمين في الجنة بأنواع النعم: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾.

يقول:

«ثلاثة فخر المؤمن وزينة في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس وولاية الإمام من آل محمد عليهم السلام».

وروى ابن المنكدر أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«خيركم من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلّى بالليل والناس نيام».

وورد في كتاب «فقه الرضا»: .

«حافظوا على صلاة الليل فإنها حرمة الرب، تدر الرزق وتحسن الوجه وتضمن رزق النهار، وطولوا الوقوف في الوتر فإنه روي أن من طول الوقوف في الوتر قل وقوفه يوم القيامة.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾[1] قال: صلاة الليل تكفّر ما كان من ذنوب النهار».

نقل في كتاب «دعوات الراوندي» عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

«قيام الليل مصحة للبدن».

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيّكم ومطردة الداء عن أجسادكم».

---

(١) سورة هود، من الآية ١١٤.

شعر:

يا مدّعي الحب قم إن كنت تهوانا | وانهض إلينا فهذا الوقت قد آنا
كم ذي رقاداً ألم يعلم بأن لنا | في آخر الليل قبل الفجر إحسانا
واهجر كراك وخلِّ الفراش عاطلة | وانهض إلينا ولا تنسى فتنسانا
نحن الذين نتجلى في الظلام كما نشاء | فاسمع وكن للذكر يقظانا
لا يشغلنك عنا غيرنا فلنا | حسن الوفاء لمن وافى ووافانا
طوبى لمن قام قبل الفجر مجتهدا | ويقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

ترجمة شعر: كل كنز من السعادة أعطاه الله لحافظ كان من بركة دعاء الليل وورد السحر.

شعر:

ولم يكن ألذ في الشباب | من سهر والعين كالسحاب
مجتنب الحيوان والأحوال | والخلق والدنيا والأموال
وذاكر الله غير غافل | مشتغل عن غير بالنوافل
فعيشه المحو في المذكور | فنافنا هذا لك المنظور(١)

(١) هذا الشعر من آثار المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني قده.

السكوت والسكون

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«الصمت حكمة والسكوت سلامة والكتمان طرف من السعادة».

وورد في الحديث القدسي:

«يا بن آدم إذا وجدت قساوة في قلبك وسقماً في جسمك ونقيصة في مالك وحريمة في رزقك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك».

ترجمة شعر: لماذا يتكلم الدرويش بالقليل والكثير ويلدغ أيا كان من ذل طمعه

رقعة يضعها على فمه أفضل من ألف رقعة على خرقته.

سئل حسن الصامت أنه لأي سبب حبست لسانك وسكت؟.

فقال: لأني لم أندم أبداً على سكوتي وكثيراً ما كنت أندم على كلامي.

وورد في الحديث القدسي:

«يا أحمد! لو ذقت حلاوة الجوع والصمت وما ورثوا منها فقال: يا رب وما يرث الجوع؟ قال: الحكمة وحفظ اللسان والتقرب

إلي والحزن الدائم وخفة المؤونة بين الناس وقول الحق ولا يبالي عاش موسراً أم معسراً. يا أحمد! عليك بالصمت فإن أعمر مجلس قلوب الصالحين الصامتين، وإن أخرب مجلس قلوب المتكلمين بما لا يعنيهم. يا أحمد! إن العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها طلب الحلال، فإذا طاب به مطعمك ومشربك فأنت في حفظي وكنفي. قال: يا رب وما أول العبادة؟ قال: الصمت والصوم. يا أحمد! إن العبد إذا جاع بطنه وحفظ لسانه علمه الله الحكمة، فإن كان كافراً تكون حكمته عليه حجة ووبالاً، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاء ورحمة، ويعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصره. أول ما يبصره عيوب نفسه حتى يشتغل بها عن عيوب غيره، وبصره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان. يا أحمد! ليس شيء من العبادة أحب إليَّ من الصمت والصوم، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر القراءة. يا أحمد! هل تدري متى يكون العبد عابداً؟ قال: لا يا رب. قال: إذا اجتمع فيه سبع خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وصمت يكفيه عما لا يعنيه، وخوف يزداد كل يوم بكاؤه، وحياء يستحيي مني في الخلاء، واكل ما لا بدّ منه، ويبغض الدنيا لبغضي لها، وحب الأخيار لحبي إياهم».

قال الإمام الرضا عليه السلام:

«من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت. إن الصمت باب من أبواب الحكمة. إن الصمت يكسب المحبة وهو دليل على الحصر».

ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«عليك بطول الصمت فإنه مطردة الشيطان وعون لك على أمر دينك».

وقال السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«نعم العون الصمت في مواطن كثيرة وإن كنت فصيحاً».

فاعلم أيها العزيز أن السكوت إذا كان مترافقاً مع التفكر في عظمة ذات المعبود الخالد وصفاته فهو من أرقى العبادات حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت والمشي إلى بيته».

لكن سكوت الإنسان إذا كان مع تفكر فهو يوجب حفظ نفسه من النار ويصونه من تبعات الكلام الذي لا فائدة فيه أو الكلام الحرام والغيبة والتهمة. يقول تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾[1].

وقال علي عليه السلام: «كل سكوت ليس فيه فكرة فهو سهو».

وقال الكاظم عليه السلام: «دليل العقل التفكر ودليل التفكر الصمت».

---

(١) سورة ق، الآية ١٨.

استغناء الطبع واليأس عما سوى الله

روى في كتاب عدة الداعي عن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين عليه السلام أنه سمع عمه الفاضل الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام ينقل عن أبيه وهو عن جده وهو عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام وهو عن الإمام علي بن أبي طالب وهو عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أنه:

«وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل آمل أمل غيري باليأس ولأكسونه ثوب مذلة في الناس ولأبعدنه عن قربي وفضلي. يؤمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي ويرجو سواي وأنا الغني الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني. ألم تعلموا أن من دهمته نائبة لم يملك كشفها عنه غيري فما لي أراه يؤمله معرضاً عني وقد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني فأعرض عني ولم يسألني وسأل في نائبته غيري وانا الله ابتدي بالعطية قبل المسألة أفسأله ولا أجود كلا أليس الجود والكرم لي أليس الدنيا والآخرة بيدي فلو أن أهل سبع سماوات والأرضين سألوني جميعاً فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح البعوضة وكيف ينقص ملك انا قيّمه فيا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني».

ونقل في كتاب الكافي ما يقرب من مضامين هذه الرواية وهو عن حسين بن علوان قال:

«كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً. فقال: إذاً والله لا يسعف حاجتك ولا تبلغ أملك ولا ينجح طلبتك. قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إن أبا عبدالله عليه السلام حدثني أنه قرأ في بعض الكتب إن الله تبارك وتعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل من الناس غيري باليأس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولأبعدنه من وصلي. أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاه مني جعلت آمال عبادي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي. ألم يعلم من طرقه نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد اذني فما لي أراه لاهياً عني أعطيه بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري. أفيراني أبدأ بالعطايا قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟ أو ليس الجود والكرم لي؟ أو ليس العفو والرحمة بيدي؟ أو لست أنا محل الآمال؟ فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري؟ فلو أن أهل سمواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك أنا قيمه. فيا بؤساً للقانطين من رحمتي

ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني».

ورد في الحديث أنه عندما جعل عبدة الأصنام إبراهيم الخليل عليه السلام في المنجنيق بجرم كسر أصنامهم وقذفوه في قلب بحيرة النار ظهر له بين السماء والأرض ملك مقرب لله عز وجل وسأله أنه يا خليل الله ألك حاجة لأقوم بها على الفور؟ فأجابه: أمّا لك فلا وحاجتي للغني وحده وحالي إليه واضح غير مستور وهو يعلم ما الذي يقوم به لعبده المحتاج. أجل ولقد رأيتم أخيراً أن لهيب النار تحول بأمرالله ذي الجلال إلى برد وسلام وورد وريحان على إبراهيم.

روي في كتاب الكافي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا وأعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا عند الله فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه» وورد في الرواية: استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك أي بغسالته أو ما ينتف عند السواك».

الإخلاص في النية والعمل

روى الشيخ العارف جمال الدين أحمد بن فهد الحلي في كتاب «عدة الداعي» عن معاذ بن جبل أنه كنت في محمل واحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت له: يا رسول الله فداك أبي وأمي حدثني بحديث. فألقى (ص) نظره نحو السماء وقال ونحن سائرون:

«أحدِّثك ما حدّث نبي أمته ان حفظته نفعك عيشك وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله. ثم قال: إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات فجعل في كل سماء ملكاً قد جللها بعظمته وجعل على كل باب من أبواب السموات ملكاً بواباً فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي ثم ترفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس حتى إذا بلغ السماء الدنيا فتزكيه وتكثره فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبية فمن اغتاب لا ادع عمله يجاوزني إلى غيري أمرني بذلك ربي: قال: ثم قال: ثم تجيء الحفظة من العبد ومعهم عمل صالح فيمر به فتزكيه وتكثره حتى يبلغ السماء الثانية فيقول الملك الذي في السماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنما أراد بهذا عرض الدنيا أنا صاحب الدنيا لا ادع علمه يجاوزني إلى غيري. قال: ثم تصعد

الحفظة بعمل العبد مبتهجاً بصدقته وصلاته فتعجب به الحفظة وتجاوزه إلى السماء الثالثة فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره أنا الملك صاحب الكبر انه عمل وتكبر على الناس في مجالسهم أمرني ربي أن لا ادع عمله يجاوزني إلى غيري وقال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدري في السماء له دوي بالتسبيح والصوم والحج فيمر به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه أنا ملك العجب أنه كان يعجب بنفسه أنه عمل وادخل نفسه العجب. أمرني ربي أن لا ادع عمله يجاوزني إلى غيري قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى أهلها وتمر به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصلاة ما بين الصلاتين ولذلك العمل رنين كرنين الإبل عليه ضوء كضوء الشمس فيقول الملك: قفوا أنا ملك الحسد واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انه كان يحسد من يعلم أو يعمل لله بطاعته وإذا رأى لأحد فضل في العمل والعبادة حسده ووقع فيه فيحمل على عاتقه ويلعنه عمله قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد من الصلاة والزكاة والحج والعمرة فيجاوز به إلى السماء السادسة فيقول الملك: قفوا أنا صاحب الرحمة واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واطمسوا عينيه لأن صاحبه لم يرحم شيئاً إذا أصاب عبداً من عباد الله ذنباً للآخرة أو ضراً في الدنيا شمت به أمرني أن لا ادع عمله يجاوزني إلى غيري قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد بفقه واجتهاد وورع وله صوت كالرعد وضوء كضوء البرق ومعه ثلاث آلاف ملك فتمر به إلى ملك السماء السابعة فيقول الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحجاب أحجب عملاً ليس لله إنما أراد رفعته عند القواد وذكراً في المجالس وصيتاً في المدائن أمرني ربي أن لا ادع عمله يجاوزني إلى غيري ما لم يكن لله خالصاً قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به

من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر كثير تشيعه ملائكة السموات والملائكة السبعة بجماعتهم فيطئون الحجب كلها حتى يقوم بين يديه سبحانه فشهدوا له بعمل ودعاء فيقول أنتم حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه انه لم يردني بهذا العمل عليه لعنتي فيقول الملائكة عليه لعنتك ولعنتنا. قال: ثم بكى المعاذ قال: قلت يا رسول الله ما أعمل؟ قال: اقتد بنبيك يا معاذ، في اليقين. قال قلت: أنت رسول الله وأنا معاذ. قال: وإن كان في عملك تقصير يامعاذ فاقطع لسانك عن اخوانك وعن حملة القرآن وليكن ذنوبك عليك لا تحملها على اخوانك ولا تزكِ نفسك بتذميم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا ترائي بعملك ولا تدخل من الدنيا في الآخرة ولا تفحش في مجلسك لكي يحذروك بسوء خلقك ولا تناج مع رجل وأنت مع أخرى ولا تتعظم على الناس فيقطع عنك خيرات الدنيا ولا تمزق النار فيمزقوك كلاب أهل النار قال الله تعالى: ﴿**والناشطات نشطاً**﴾ افتدري ما الناشطات؟ كلاب أهل النار تنشط اللحم والعظم قلت: ومن يطيق هذه الخصال؟ قال: يا معاذ، أما أنه يسير على من يسره الله عليه قال: وما رأيت أن معاذاً يكثر تلاوة القرآن كما يكثر تلاوة هذا الحديث».

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل:

«يا كميل ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق. الشأن أن تكون الصلاة فعلت بقلب تقي وعمل عند الله مرضي وخشوع سوي وأبقاء الجد فيها. يا كميل عند الركوع والسجود وما بينهما تبتلت العروق ومفاصلك حتى يستوفي ولاء إلى ما تعطي به من جميع صلاتك».

متفرقات

ـ الصدق والصداقة:

في الحديث أنه: «من صدق لهجته ظهرت حجته».

يقول الميرداماد عليه الرحمة ترجمة شعر: عن طريق الصدق تستطيع الوصول للمقصود فكن مستقيماً إذ كل سلطان هو من الصدق. أنت تتأسف على الخشبة المستقيمة من الحرق بالنار فكيف يأخذون الناس المستقيمين إلى نار جهنم.

* * *

ـ الأدب:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن الله أدّب الرسول والرسول أدبني وأنا أؤدب المؤمنين».

* * *

ـ علامة الصداقة:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا يكون الصديق صديقاً لأخيه حتى يحفظه في نكبته وغيبته وبعد وفاته».

ـ الأمل بالله وحسن الظن به:

نقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «أحسن الظن بالله فإن الله عز وجل يقول: أنا عند حسن ظن عبدي المؤمن بي إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً».

* * *

ـ التقوى:

﴿ولقد وصينا الذين أوتو الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله﴾ أي أنه: ترجمة شعر: لا زاد في هذا الطريق سوى التقوى فدع الخبز والحلوى جانباً.

«بالتقوى بلغنا ما بلغنا».

ألا إنما التقوى هي العز والكرم — وحبك للدنيا هي الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة — إذا صحح التقوى وإن مال أو أحجم

* * *

ـ مشيئة الله:

نقل في كتاب «أطباق الذهب» أنه: ابن آدم عجن من الصلصال وابتلى بالحمل والفصال، ثم تاه بشرائف الخصال وما درى أن الخصال الحميدة من مواهب الرحمان لا من مكاسب الإنسان. ما العقل إلا عطيّة من عطاياه، وما النفس إلا مطيّة من مطاياه، فإن شاء زمّه بزمام الهدى، وإن شاء تركه سدى. قل فمن يملك لنفسه ضراً أو

نفعاً، أو فمن يقدر له خفضاً أو رفعاً.

﴿قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾[1].

ترجمة شعر: كل توفيق يحصل لك أيها الدرويش فعدّه هدية من الله تعالى لا نتيجة تسولك.

* * *

ـ الجذبة:

ورد في كشكول البهائي (ره) أن رسول الله (ص) قال: «جذبة من جذبات الرب توازي عمل الثقلين» وقال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة «إلهي حققني بحقايق أهل القرب واسلك بي مسلك أهل الجذب».

اعلم أيها العزيز أن الجذبة هي حالة تعرض للسالك فتعطل حواسه الظاهرية وهي نوعان: رحمانية وشيطانية. علامة الجذبة الرحمانية أنها لا تمنع السالك من إتيان الواجبات وأداء الفرائض أما الجذبة الشيطانية فتمنع من ذلك.

* * *

ـ القناعة:

قال علي عليه السلام: «لأن أدخل يدي في فم التنين إلى المرفق أحب إليَّ من أن أسأل من لم يكن فكان».

ترجمة شعر: هذه نصيحتي فاستمع لها وتفرغ: إذا أقبل الفقر

---

(١) سورة الفتح، الآية ١١.

فالجأ للقناعة.

العبد حر إن قنع والحر عبد إن طمع
فاقنع ولا تطمع فما شيء يشين إلا الطمع

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «عزَّ من قنع وذلَّ من طمع».

* * *

ـ التوكل على الله:

قال أمير المؤمنين عليه السلام (ما معناه).

«ثلاثة لا يندم من كن فيه: ترك العجلة، والمشورة، ثم التوكل على الله تعالى كلما عزم على أمر».

وعنه عليه السلام: «من توكل على العلم ضلَّ، ومن توكل على العقل زلّ، ومن توكل على المال ذلّ، ومن توكل على الله ظلَّ».

من كان معتصماً بالله يحفظه فهو الحكيم يداوي بالداء بالدء

* * *

ـ التواضع:

سئل الصادق عليه السلام عن صفة التواضع فقال ما مضمونه: التواضع هو أن تجلس في المجالس في مكان أدون من شأنك، وأن تسلم على كل من تصادف، وأن تدع الجدال حتى لو كنت محقاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام (ما مضمونه): «يا علي إياك أن أحداً حتى تعرف باطنه، فإن كان حسن السريرة والباطن فلن يخذله الله أمامك لأن الله وليه وهو لن يخذل وليه، وإذا كان سيّىء السريرة والفطرة فسيئاته هذه تكفيه، إذ

مهما سعيت لتفعل معه أكثر مما تفعله معصية الله فلن تستطيع».

قال علي عليه السلام: «لا شرف كالتواضع».

ترجمة شعر: دع العجب والكبر لتصير قبلة العالم، دع سيرة ابليس لتصير إنساناً من كلمات علي عليه السلام (ما معناه):

«كل كلام ليس فيه ذكر الله فهو لغو، وكل صحة لا فكرة فيه فهو سهو، وكل نظر لا عبرة فيه فهو لهو».

«المذنب الضاحك المقر بجرمه أفضل من الباكي الذي يمن على ربه بعمله».

«الدنيا ممر الآخرة والآخرة دار القرار».

«أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم. إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدّم لله آباؤكم فقدموا بعضاً يكن لكم قرضاً ولا تخلفوا كُلّاً فيكون فرضاً عليكم».

ويقول أمير المؤمنين عليه في الخطبة ٢١٠ من نهج البلاغة في وصف العارف المؤمن:

«قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لا مع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه».

ومن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام (ما مضمونه): «يا بني

عاشروا الناس معاشرة إذا عشتم حنوا إليكم وإذا متم بكوا عليكم. يا بني إن القلوب جند مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف فإذا رأيت شخصاً وأحببته دون سابق مودة فارج خيره وإذا نفرت من شخص دون سابق عداوة فاجتنبه».

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (ما معناه). سيأتي زمان يعرف الناس فيه العلماء بالثياب الجديدة، ولا ينصتون للقرآن إلا إذا قرىء بالصوت الحسن، ولا يعبدون الله إلا في شهر رمضان. فإذا كان ذلك فيبتليهم الله بثلاثة بلاءات: الأول أن يسلط عليهم سلطاناً ظالماً، والثاني يرفع البركة من أموالهم، والثالث يخرجهم من الدنيا من دون إيمان».

ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال (ما معناه): «كل من ذكر الحسين (ع) حين شربه ولعن قاتليه أثبت الله تعالى له في مقابل ذلك ألف حسنة، ومحى من صحيفة عمله ألف ذنب وسيئة، ورفعه ألف درجة «سلام الله وصلواته على الحسين ولعنة الله على قاتليه وظالمي حقوقه.

نقل الشيخ للبهائي في كتابه الكشكول أنه: كان الشيخ علي بن سهل الصوفي دائم الانفاق والإحسان على فقراء الصوفية فدخل عليه يوماً جماعة منهم ولم يكن عند الشيخ حينها شيء ليعطيه لهم فاضطر للذهاب إلى أحد أصدقائه وطلب منه أن يدفع شيئاً في ذلك الوجه، فأعطى الرجل الشيخ مبلغاً تافهاً واعتذر عن قلته بأنه مشغول ببناء بيته أن عنده مصاريف كثيرة.

فقال الشيخ: كم يكلف بيتك من مال؟ قال: حوالي خمسمائة دينار.

فقال الشيخ: اعطني ذلك المبلغ لأوصله للدراويش وسأعطيك عوضاً عنه بيتاً في الجنة واكتب لك منذ الآن تعهداً بذلك بخطي وأودعه عندك. فقال الرجل: يا أبا الحسن أنا لحد الآن لم أسمع منك كذباً أو خطأً، فإذا تعهدت بذلك حقاً فسأعطيك ذلك المال. فقال الشيخ: إني ضامن ومتعهد. وكتب سنداً بيده على هذه الضمانة وأودعه عنده. فقام الرجل أيضاً باعطائه الخمسمائة دينار وأخذ التعهد وأوصى أن يوضع في كفنه حين موته. واتفق أن انتهى عمره في تلك السنة وعملوا بحسب وصيته. وفي أحد الأيام دخل الشيخ المسجد لأجل صلاة الصبح فوجد ذلك التعهد الذي كتبه في محرابه وقد كتب على ظهره بخط أخضر: «لقد أخرجناك من ذلك الضمان الذي ضمنته وسلمناه ذلك البيت في الجنة».

وبقيت هذه الورقة عند الشيخ مدة من الزمن، وكان المرضى في أصفهان والأماكن الأخرى يستشفون منها إلى أن سرق صندوق من كتب الشيخ وفقدت تلك الرسالة أيضاً معه.

ويحكى أنه جاء رجل إلى السالك الهمداني وطلب منه أن يكتب له براءة لكي يعطيه الناس شيئاً حيثما ذهب. [السالك الهمداني يحتمل كونه العارف الرباني الشيخ علي رضي الدين لالات].

فكتب الشيخ على قطعة من الورق ما يلي:

«إلى وكيل الأموال الإلهية ونائب الحضرة الملكية: سلم ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ من خزانة ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾من وجه ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ وبحكم ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ من معاملة ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾ ويقول ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ لكي يجرى لكم

وقت الحساب ﴿حساباً يسيراً﴾ في ديوان ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ في ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾.

* * *

- **العزلة والأنس بالله:**

كلام الله تعالى في حق أهل الكهف حيث يقول: **﴿وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيّيء لكم من أمركم مرفقا﴾** فيه إشارة إلى أنه في ابتداء السلوك إلى الله يجب الابتعاد عن مجالسة الأشخاص الذين لا إيمان لهم والذين يكون غير الحق محلاً لتوجههم وعن الأنس بهم. ومن ثم يجب التوجه لإصلاح القلب بشكل لا يبقى لغير الحق طريق إليه. عند ذلك ينزل الله رحمته على الإنسان ويهيّيء له وسائل الراحة. ويجب أن يعلم أنه ما دام الإنسان لم يبتعد عن نفسه ويعتزلها لا يستطيع أن يعتزل الغير. بناء على هذا فأحد شرائط السلوك الابتعاد عن النفس وعن غير الله. الله فقط وما سواه هوس وانقطع النفس. وبعد عزلة كهذه يتوجه السالك إلى كهف قلبه يجب أن تظهر محبة الله في قلب الإنسان ليخرج غيره عنه ويشغله بالحق.

ترجمة شعر: لم لا يترك كل ما سوى الحبيب والكافر قد ترك الله لأجل الصنم.

إذا جعل الله الإنسان بصيراً ودلّه على أن كل شيء موجود فهو هو ويتجلى في كل آن بصورة «وفي كل لحظة يأتي محتال بصورة صنم» فمن الطبيعي أن ينقطع الإنسان عما سوى الله.

كل الموجودات قائمة بالحق وهي بمثابة ظل له، إذ أن وجود الظل يرتبط بوجود الشمس: **﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾** فعلام

إذاً يتبع الصياد ظل الطير بدلاً من أن يتبع الطير «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن قدرتم ألا تعرفوا فافعلوا، وما عليك إن لم يثنِ عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله».

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «طلبت الراحة فما وجدت إلا بترك مخالطة الناس» وقال معروف الكرخي للإمام الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله أوصني. فقال (ع): «أقلل معارفك» قال: زدني. قال: «أنكر من عرفت منهم».

ـ الأنتباه:

الانتباه بمعنى اليقظة والوقوف على أمر كان الإنسان غافلاً عنه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أتـزعـم أنـك جـرم صغيـر وفيـك انطـوى العـالـم الأكبـر

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» ومن هنا يكون معنى الحديث المنقول عنه (ص) «موتوا قبل أن تموتوا» هو أنه استيقظوا قبل أن يوقظوكم إذ ليس في الاستيقاظ آخر لحظات الحياة فرصة للعمل وقد عُدَّ التنبه والاستيقاظ أيضاً أول مرحلة السلوك. والمقصود منه إدراك هذا المعنى أنه ما هو الهدف من خلق الإنسان.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «رحم الله امرءاً عرف من أين إلى أين ولأين» وإذا كان الإنسان سينام فمن الأفضل أن ينام على الطريق فلعله يصل أحد المستيقظين ويوقظه.

[ثم يقول الشيخ (ره) تعليقاً على شعر يذكره]: المراد من

«طريق الله» في هذه الأشعار هو ولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام كما نقرأ في الزيارة الجامعة: «أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم» ويوجد روايات في تفسير ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ تدل على أن المقصود من الصراط المستقيم ولاية علي عليه السلام. ولعل السبب في قراءة الشهادة الثلاثية في أذن الطفل حين ولادته هو أنه إذا أراد أن ينام أيضاً فليكن ذلك في طريق الله.

المجالس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق العباد، وساطع المهاد، ومسيل الوهاد، ومخضب النجاد، الدال على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزليته، وباستباههم[1] على أن لا شبه له. ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل. لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له «متى؟»، ولا يضرب له به «حتى»، الظاهر لا يقال له «ممّا؟»، والباطن لا يقال «فيما؟»، ولا شبح فيتقضى، ولا محجوب فيحوى. لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبتعد عنها بافتراق. لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرور لفظة، ولا ازدلاف ربوة، ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج. لا تستلمه المشاعر، ولا تحجبه السواتر، لافتراق الصانع والمصنوع، والحادّ والمحدود، والرب والمربوب. الأحد بلا تأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة ونصب، والسميع لا بأداة، والبصير لا بتعريف آلة، الشاهد لا بمماسة، والبائن لا بتراخي مسافة، والظاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة. بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه. ألا

(١) كذا، والصحيح وبتشابههم.

فمن وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزليته. مَن قال «كيف؟» فقد استوصفه، ومَن قال «أين؟» فقد حيّزه. عالم إذ لا معلوم، وربّ إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور.

والصلاة والسلام على سيّد البشر، والمبعوث إلى الأسود والأبيض والأحمر، الصادع بالنذارة، والمبلغ في البشارة، الداعي إلى الطاعة والعبادة، والفاتح لأبواب السعادة، صاحب المقام المحمود، والحوض المردود، واللواء المعقود. عين الوجود، وقبلة السجود. خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، وشفيع الأمم يوم الدين، الذي كان نبيّاً وآدم بين الماء والطين. ناهج الجدد، والمستولي على الأبد. المحمود الأحمد أبي القاسم محمد (ص)، وعلى آله الكهف الحصين، وغياث المضطرّ المستكين، وملجأ الخائفين، ومحي الهالكين، وعصمة المعتصمين، سيّما على عنقاء قاف القدم، القائم فوق مرقاة الهمم، فيّاض الحقائق بوجوده، قسّام الرقائق بشهوده، الاسم الأعظم الإلهي، الحاوي للعلم الغير المتناهي، قطب رحى الوجود، مركز دائرة الشهود، المترشّح بالأنوار الإلهية، المتربّي تحت أسرار الربوبية، مطلع الأنوار المصطفوية، منبع الأسرار المرتضوية، مشرع الطهارة الفاطمية، مجمع المكارم الحسنية، وارث العزايم الحسينية، صاحب المجاهدات السجّادية، خازن العلوم الباقرية، ينبوع الحكم الصادقية، مصدر الآيات الكاظمية، مشرق المعارف الرضوية، معدن الكرامات التقوية، مخزن المقامات النقوية، مظهر الحجج العسكرية، القائم بالحق، والداعي إلى الصدق، والروح الملكي في الجسم البشري، والنور المستودع في القالب العنصري، ريحان بستان النبي (ص)، العالم بالسرّ الخفي، خاتم حديقة الولاية، وشمس سماء الإمامة والوصاية، مُرشد هذه الأمة، وكاشف هذه الغمة، النور اللاهوتي، والعالم الناسوتي، أكسير فلزات العرفاء، معيار نقود

الأصفياء، روح الأرواح، وحياة الأشباح، معراج العقول، ومواصل الأصول، ووعاء الأمانة، ومحيط الأمانة، قطب الأقطاب والأوتاد، ومرجع أرباب الإفاضة والإرشاد، العالم بأسرار المبدأ والمعاد، منجي أرباب الموالاة، ومهلك أهل المعادات، مظهر الآيات الباهرة، ومصدر الكرامات الظاهرة، ناموس الله الأكبر، وغاية نوع البشر، أبي الوقت، ومربّي الزمان، خليفة الرحمن، الناظم مناظم السرّ والعلن، الحجة القائم عجّل الله فرجه.

في هذا القسم مجموعة من محاضرات الشيخ قدّس الله روحه في بيان معنى الآية الشريفة: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾**[1] نذكرها هنا على أمل أن ينتفع بها ببركة النفس الطاهرة لهذا الرجل الجليل وحديثه السهل الخالي من التعقيد.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

المجلس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾.

أحد صفات عباد الرحمن هي أنّ خطابهم وكلامهم مع الأعداء كلام سالم وغير ملوث فضلاً عن الأحباء والأصدقاء وقد وصلوا إلى سلامة كلامهم نتيجة الرياضات والمجاهدات النفسية. ونشأت سلامة حديثهم من سلامة قلوبهم، وبصورة عامة فإن سلامة الجوارح لا تكون إلاّ بسلامة القلب وطهارته من الآثام، لأنّ القلب هو الحاكم والسلطان على البدن، وسلامة القلب ومرضه تظهر من خلال أعمال الجوارح، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه» يعني: الإنسان وشخصيته مختفية وراء لسانه والنفس مدار إنسانية الإنسان، وسعادة النفس وشقاوتها مخبوءة. وما دام يجلس الإنسان ساكتاً فالكفر والإيمان والصلاح والفساد والزهد والحرص والتواضع والتكبّر تظل مستورة. ولكن عندما يتكلم يظهر أمره وتفتضح شخصيته. وأهل الظاهر لا يدركون سوى الظاهر، وأمّا أهل الباطن فيدركون أيضاً الأمور الباطنية ولذا قالوا عليهم السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر

بنور الله» وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «ما أضمر أحدكم شيئاً إلاّ أظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه». وفي هذا الحديث موعظة عظيمة، لكي لا نخفي في قلوبنا شيئاً تظهر شناعته من كلامنا الذي هو ترجمان القلب وكثيراً ما يجري ذكر الله سبحانه في مجلس فترى البعض يتململ ويتضجر، وعندما يأتي ذكر الدنيا وزخرفها وزبرجها يفرح وتظهر آثار البشاشة والسرور على وجهه، يقول الله جل جلاله: **﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم... ولتعرفنهم في لحن القول﴾**(١) ويقول سبحانه أيضاً: **﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾**(٢) ألم تر إلى المسافر حين يرجع من سفره كيف تتغير ملامح وجهه حينما يتحدث عن ذكرياته في السفر، فتنفرج أسارير وجهه إذا تحدث عن الأماكن التي سُرَّ فيها، ويتعكر صفو وجهه إذا تحدّث عن أماكن الحزن والأذى؟.

وعلى هذا فسلامة لسان الإنسان من سلامة قلبه. والرب المتعال ينقل كلام إبراهيم الخليل في القرآن الكريم فيقول: **﴿الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين * ربّ هب لي حكماً والحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي انه كان من الضالين * ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلاّ مَن أتى الله بقلب سليم﴾**(٣).

ومن المناسب أن نذكر ملاحظة عن هذه الآيات الكريمة ونستفيد

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٩ ـ ٣٠.
(٢) سورة الرحمن: الآية ٤١.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٧٨ ـ ٨٩.

منها برنامج عمل في الدعاء وفيما يطلب العبد من ربّه الكريم، وهي أنه ينبغي للإنسان حينما يشرع في الدعاء أن يفتح شفتيه بحمد الله تعالى والثناء عليه، ثم يذكر بعض نعم الله سبحانه عليه، ثم يظهر ندمه وأسفه على ما ارتكب من المعاصي والآثام ويطلب من الخالق جلّ شأنه غفرانها والتجاوز عنها، ثم يذكر حاجته ويعرضها في حضرة الباري جلّت قدرته.

يطلب خليل الرحمن عليه السلام في الآيات المذكورة من الله سبحانه ست حاجات هي: «ربّ هب لي حكماً ـ والحقني بالصالحين ـ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ـ واجعلني من ورثة جنّة النعيم ـ واغفر لأبي انّه كان من الضالين ـ ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم» ولقد كانت الحاجة السادسة لخليل الرحمن من الله تبارك وتعالى هي «ولا تخزني يوم يبعثون» لأنّ خزي وفضيحة ذلك اليوم لا نظير لها، اليوم الذي تظهر فيه مكنونات القلوب كما يقول عزّ من قائل: **﴿وحصّل ما في الصدور﴾**[1] ويفضح الإنسان يوم العرض الأكبر أمام صفوف الملائكة والأنبياء والأولياء والأئمة الطاهرين عليهم الصلاة والسلام، وعلاوة على ذلك تشهد عليه الأرض والسماوات وحتى جوارحه: **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾**[2].

أي فضيحة وخزي تلك حين يقف الكثيرون في ذلك المحفل المقدّس يحلفون على انكار تلك القبائح والسيئات فلا تنفعهم ايمانهم

---

(١) سورة العاديات: الآية ١٠.
(٢) سورة يس: الآية ٦٥.

شيئاً: ﴿يوم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾[1].

نعم انّ ظهور وتجسّم الأعمال في يوم القيامة أمر عظيم، ولكن الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم لا يفضح عباده الصالحين ولا يريق ماء وجوههم أمام الملأ كما قاله الحق سبحانه في مقام الامتنان: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾[2].

ولكن لا ينبغي أن ننسى أن الله جل جلاله قد ذكر صفات الذين آمنوا مع النبيّ (ص) في موضع آخر من القرآن الكريم فقال: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾[3]. نعم مثل هؤلاء الرجال وعدهم الله تعالى أن لا يفضحهم يوم القيامة.

والله تبارك وتعالى يصف هول ذلك اليوم العظيم بقوله: ﴿يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾[4] بل يهرب منهم في ذلك اليوم العصيب وهم أحوج ما يكونون إليه: ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه * وأمّه وأبيه * وصاحبته وبنيه﴾[5] فالجميع في ذلك المحشر الأكبر مهمومون ومتحيّرون إلاّ من جاء طاهر القلب كما قال عزّ من قائل: ﴿إلاّ من أتى الله بقلب سليم﴾[6].

وقد ذكرت معاني عديدة ومختلفة للقلب السليم لكل منها غاية

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١٨.
(٢) سورة التحريم: الآية ٨.
(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.
(٤) سورة المعارج: الآية ١١ ـ ١٤.
(٥) سورة عبس: الآية ٣٤ ـ ٣٦.
(٦) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

ومآل. منها: ما قاله بعضهم: القلب السليم هو الخالي من حبّ الدنيا والخالي من قوى الغضب والشهوة والخالي من نفوذ الشياطين. وأمّا القلب الملوث بحب الدنيا وحب الشهوة والغضب فهو قلب مريض وغير سالم.

ومنها: ما قاله آخرون: المراد بالقلب السليم القلب الذي يكون صاحبه كمن عضّته الحيّة في تغيّر ودهشة. لأن العرب تقول لمن عضّته الحيّة سليماً. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وهم من خشيته مشفقون**﴾[1] وجاء في أوصاف أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يتململ تململ السليم» فنظرة إلى الدنيا ونظرة إلى الله كما في خطابه عليه السلام: «يا دنيا غرّي غيري. إلهي الويل لي إن كان الزقوم طعامي».

وعرّف بعض المفسّرين القلب السليم بأنه ليس إلاّ التفكر في الله والخوف من الله، ولا طريق غير هذا إليه وليس إلا حبّ الله تعالى: ﴿**من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب**﴾[2] وجاء في معنى القلب المنيب هو أن يكون القلب خالياً عمّا سوى الله تعالى.

ومآل كل ما قيل في معنى القلب السليم واحد. ومثل هذا القلب لم يحصل إلاّ لقليل من الأولياء الكُمّل والخُلصّ وعباد الله المخلصين.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.
(٢) سورة ق: الآية ٣٣.

المجلس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾(١).

عُلم أنّ صحة الأقوال ناشئة من صحة وسلامة القلب، وسقم الأقوال ناشىء من سُقم القلب. وبعد فنعرض موضوعات كلية لإثارة كوامن الفكر ليتضح الطريق لمن أراد أن يقتلع الفساد من كلامه ويكون حديثه سالماً صحيحاً.

وفساد القول أنواع مختلفة يربو عددها على ثلاثين نوعاً. وعلّة جميع هذه الأمراض القلب. ولذا فالذي يريد أن تكون أقواله سليمة لا بد أن يكون قلبه سليماً أولاً. والذي لا يستطيع أن يزيل كل هذه الأمراض من قلبه فلا أقل أنه يقدر أن يزيل بعضها، وهذا سيؤثر قطعاً فيصير قسم من أقواله صحيحاً وسليماً. ويمكن أن تكون جميع الأمراض القلبية ناشئة من القوى الأربعة: الغضبية والشهوية والشيطانية والجهل.

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٣.

واعلم أن القوة الغضبية من أعظم النعم الإلهية التي مُنحت للإنسان، لتعينه في سفره إلى الحق وفي عبادة الله تعالى، لأن الإنسان محتاج في سفره هذا إلى البدن، ويجب أن يحفظ بدنه من شرور الدنيا وآفاتها، والله جل جلاله أعطى للإنسان القوة الغضبية ليدفع بها عن نفسه الآفات والأضرار. فإن لم يكن للإنسان هذه القوة فإنّه سوف يهلك. ولكن ينبغي على الإنسان أن يصرف هذه الطاقة والقوة في سبيل الله تبارك وتعالى. فيستعملها في مواضع الحق أينما كان، ويحفظها في المواقع التي نهى الشارع عن إظهارها كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[1] فالجهاد والنهي عن المنكر مثلاً مرتبطان بالقوة الغضبية. فالإنسان حينما يرى حرمات الله سبحانه تنتهك فعليه أن يظهر أشدّ أنواع الغضب بحيث يتغير لونه ويضطرب حاله ويخرج عن طوره، وليس لمثل هذا الغضب حدّ ولكن عندما يغضب لنفسه فإنّ لهذا الغضب حدّ معين لا ينبغي تجاوزه. مثلاً إذا أساء معك الأدب أخ مؤمن شريك لك في التشيّع فلا ينبغي لك أن تغضب عليه. وبالجملة فإن هذه القوة نعمة إلهية ما لم تتجاوز الحد المطلوب. ولكن حين يتعدّى ذلك الحدّ يصير مرتعاً لجنود الشيطان، وتتحول تلك القوة الغضبية إلى نار وبعد فإن الأقوال القبيحة والافتراء والكذب والغيبة والهجاء ناشئة عن القوة الغضبية. وعلى هذا فإن جملة من سيئات أقوالنا ناشئة من هذه القوة.

والقسم الثاني من أمراض القلب الباعث على فساد الأقوال هو الناشىء من القوة الشهوية. وهذه القوة أيضاً من أعظم النعم الإلهية، ولها الدور الأساسي في حفظ الجسم. وكما أن الإنسان بواسطة القوة الغضبية يدفع عن نفسه الضرر فكذلك يجلب لنفسه النفع بواسطة القوة

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

الشهوية. ومن المحال أن يعيش الإنسان بدون القوة الشهوية. ولكن لهذه القوة أيضاً حدّ معيّن لا ينبغي للإنسان أن يتجاوزه. فيجب أن يعلم من أي طريق يكسب المال والثروة وفي أي وجه يصرف ذلك المال. وخلاصة كثير من الأبحاث الفقهية هو كيف تحصل على المال؟ وكيف تنفقه؟ ولا ينبغي أن يغيب عن الذهن أنّ هذه كلها مقدمة ليبقي بدنه سالماً ويكون عبداً لله سبحانه. وأمّا إذا لم تستطع السيطرة ـ لا سمح الله ـ على هذه القوة وغلبتك فإنها ستكون وبالاً عليك. ومجموعة أخرى من الأقوال السقيمة ناشئة من هذه القوة، كأكثر أنواع الكذب، فيكذب من أجل جرّ النفع إلى نفسه، مثل أن يمدح شخصاً غير مستحق للمدح ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾[1]. ومن النادر جداً أن توجد هاتان القوتان في حدّ الكمال عند شخص معيّن، بل تتفاوت هاتان القوتان شدّة وضعفاً بين إنسان وآخر، فبعضهم تكون القوة الشهوية عنده أشدّ والقوة الغضبية عنده ضعيفة. والبعض الآخر على العكس تكون القوة الغضبية عنده شديدة والقوة الشهوية ضعيفة.

والقسم الثالث من أمراض القلب ناشىء من القوة المتخيّلة أو الشيطانية. والأقوال والأفعال الناشئة من هذه القوة ليست غايتها جلب المنافع أو دفع المضارّ، بل ناشئة من مقتضى تلك القوة، ومثاله الذي يمدح شخصاً أو يذمّه بدون أن يهدف إلى جلب نفع أو دفع ضرر. وتشخيص الأمراض القلبية الناشئة من القوى الثلاث أعلاه سهل ويسير، وبعد التشخيص يستطيع علاجها.

والقسم الرابع من أمراض القلب هو الجهل. وتمييز أفراد الجهل وأنواعه صعب جداً لأنها خفية. والجهل أشدّ أمراض القلب،

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٢.

ووجوده بمنزلة موت القلب والأقوال الناشئة من الجهل لا تحكي سوء نية صاحبها، بل فسادها مستمد من هذا الينبوع. فالقائل لا يدري موقع كلامه، فتراه يتفوّه بحديث في مقام لا ينبغي له أن يتحدّث بمثله، ويقول أمير المؤمنين روحي وأرواح العالمين له الفداء: مرض الجهل في القلب أشدّ ضرراً من مرض الجذام في البدن. والآثار السيئة لهذا المرض أكثر من تأثير الأمراض الثلاثة الأخرى.

وقد وردت روايات كثيرة في وجوب الاجتناب عن اذاعة السرّ وافشاءه ولا تظننّ أنّ أسرار آل محمد (ص) من الأمور الخفية، ولكنه يختلف بحسب الأشخاص. فكثير من الأمور هي سرّ لشخص وليست سرّاً لآخر. وكثيراً ما يجب الحذر عن ذكر حديث صحيح لأن موقعه غير مناسب، كمن يتحدّث باستحباب أكل البطيخ أو لبس الخاتم العقيق أمام أفراد لا يؤمنون بالدين أصلاً، لأنّه يؤدي إلى توهين الدين، ولذا فإن حرمة إذاعة السرّ تنجرّ إلى هنا.

ينبغي أن يلاحظ المتحدّثون الدينيون أضعف الناس في حديثهم بحيث يواظبوا على عدم إلقاء شبهة ربما تبقى في قلب جاهل عامي وتسبب تخريب دينه، ﴿**يخرجون من دين الله أفواجاً**﴾. ونُقل مكرراً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الفرج في سنة سبعين فسئل الإمام الصادق عليه السلام عن علّة عدم وقوع الفرج في تلك السنة فقال: عندما قتلوا الإمام الحسين عليه السلام جعل الله فرجنا سنة مائة وعشرين ولأننا أخبرناكم بذلك وأنتم اذعتموه لم يعين لنا الله زماناً آخر.

وقد كان المعلى بن خنيس عند الإمام الصادق عليه السلام أميناً وموردا للاعتماد وقد كان في غيابه فيما على أمواله وأولاده. وعندما أذاع سراً من أسراره الإمام قال عليه السلام: سيذيقه الله حر الحديد،

وعندما سافر الإمام عليه السلام إلى مكة أرسل داوود حاكم المدينة شخصاً ليعتقله ويقتله. فقال المعلى بن خنيس عندي حسابات كثيرة مع الناس دعوهم يأخذوني إلى ساحة المدينة حتى يجتمع الناس وأوصي فأخذوه إلى الساحة. فخاطب الناس هناك قائلاً: أنا المعلى بن خنيس وجميع ما هو لي للإمام الصادق عليه السلام عندها توجه إليه رئيس الشرطة وقتله بضربة. وعندما رجع الإمام الصادق عليه السلام من مكة جاء إلى منزل داوود وسأله أنه: هل أنت الذي قتلت وكيلي؟ فأشار داوود إلى رئيس الشرطة فأمر الإمام عليه السلام اسماعيل بأن يقتله قصاصاً على قتله المعلى بن خنيس. ثم هدد داوود فسخر داوود من ذلك. وفي تلك الليلة لم ينم الإمام عليه السلام.

ولعن داوود. وفي الصباح خرجت الصيحة من بيت داوود وارتفع العويل فقال عليه السلام: لقد ضربه أحد الملائكة على رأسه ضربة شقت مثانته. وحاصل الكلام أن المعلى بن خنيس مع تلك العظمة في شأنه قُتل لأنه أفشى سراً من أسرار آل محمد (ص).

ونوع آخر من فساد القول الناشيء من الجهل هو أن يتحدّث في مجلس بحديث فيصير سبباً في إيجاد العداء، مثلاً أن يُمدح شخصاً بحضور الآخرين فيكون سبباً في عداوة الحاضرين الشخص الممدوح، وفي الواقع هو لم يمدحه بل صنع له أعداءً وسبب له مشاكل ومصاعب. ففي الخبر: عندما وصلت عبادة الإمام السجاد عليه السلام إلى حدّ تورّمت رجلاه المباركتان وظهر الضعف والوهن في بدنه الشريف. فقلق أهل بيته عليه قلقاً شديدةً لأن مصير حياة الإمام عليه السلام وصلت إلى خطر، فذهبت عمّة الإمام إلى دار جابر وقالت له: أنت من أصحاب النبي (ص) ولنا عليك حقّاً وقد أوشك الإمام علي بن الحسين عليهما السلام على الهلاك من شدّة العبادة،

فلو أتيته وكلّمته ليخفّف من عبادته. فنهض جابر وخرج من داره قاصداً دار الإمام السجاد عليه السلام وحينما وصل باب الدار وقع نظره على صبي يلعب بين الصبيّان على جبينه نور الإمامة والولاية ظاهر، فسأله: من أنت؟ فأجاب الصبي: أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فتقدّم جابر وقبلّه في صدره وقال له: قال لي جدّك: يا جابر ستعيش في هذه الدنيا طويلاً حتى تدرك الخامس من أوصيائي وتراه، واسمه محمد بن علي، فإذا رأيته فقد دنا أجلك. يا جابر فإذا رأيته فاقرأه منّي السلام. ثم قال له: استأذن لي على أبيك للدخول عليه. فلمّا ذهب محمد بن علي عليهما السلام إلى أبيه وأخبره بخبر الشيخ وأنه قال كذا ويطلب الإذن للدخول عليك. فقال السجاد عليه السلام: هذا جابر يا بني، وهذا الكلام الذي قاله لك والسلوك الذي سلكه معك سيكون شريكاً في دمك بلا سوء نيّة منه، لأنه قال لك هذا أمام نظر الآخرين وسمعهم مما سيسبب لك حسدهم وسوء سريرتهم عليك. ثم أذن لجابر بالدخول. ولما دخل جابر على الإمام السجاد عليه السلام أكرمه الإمام وعظّمه. فقال جابر: يا ابن رسول الله ان الله خلق الجنة من أجلكم فلماذا تؤذي نفسك بالعبادة إلى هذا الحدّ؟ فأجابه السجاد عليه السلام: لقد سُئل جدّي ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلّم: أفلا أكون عبداً شكوراً. فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين عليهما السلام وليس يغني فيه قول من يستميله من الجهد والتعب إلى القصد قال له: يا ابن رسول الله البُقيا على نفسك فإنك من أسرة بهم يُستدفع البلاء، ويستكشف اللاواء، وبهم يستمطر السماء. فقال له: لا أزل على منهاج أبوي مؤتسياً بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما.

ومن مصاديق فساد القول الناشىء من الجهل هو أن يذهب الإنسان في سفر إلى مكان ذو سماء وماء فائق الحسن جميل. فيحكي

للآخرين عن تلك المناظر الجذابة والصور الخلّابة فيورث الحزن والحسرة في قلوب المستمعين.

وكذلك إذا مات شاب في سفر فلا ينبغي لرفقائه في ذلك السفر أن يحكو لوالده تفصيلات وفاته مما يسبب شدّة حزنه وحسرته. وينبغي أن تكون أحاديث الأنبياء المحكية في القرآن الكريم أنموذجاً لنا. فمثلاً عندما جاء أخوة يوسف عليه السلام إليه في مصر ودخلوا عليه قال لهم: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾[1] أي لا عتاب أو لوم عليكم. وبعد ذلك عندما التقى مع والده لم يحدّثه بالمصائب التي جرت عليه منذ إلقائه في البئر إلى حين خروجه من السجن بل اكتفى بإشارة عابرة عن نجاته من السجن فقال: ﴿قد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ومن بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي﴾[2] فنسب يوسف عليه السلام الأفعال القبيحة لأخوته إلى الشيطان حتى لا يُسبب في خجلهم، فتكلم بصورة مجملة لأن غرضه هو الابتعاد عن تأنيب اخوته، ولو تحدث بتفصيل ما جرى عليه لكان ذلك باعثاً لحقد وغضب أخوته عليه من جديد، ولكان سبباً في زيادة حُزن والده وبالنتيجة سيكون غافلاً عن ذكر الحق تبارك وتعالى. فيجب أن يتوجه المؤمن إلى هذه المواضيع، وينبغي أن يتجنب عن ذكر الأحداث التفصيلية، اللهم إلاّ إذا ترتب على ذكرها فائدة جليلة تعود عليه. ومثال ذلك السرد التفصيلي لأحداث عاشوراء في كربلاء بواسطة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ليكون سبباً لشدة حزن الناس وأسفهم وبالتالي نجاتهم من عذاب الجحيم. فما من قلب اعتصر حزناً وألماً على الحسين عليه السلام وأولاده وعياله إلاّ نفعهم

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩٢.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

ذلك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. وعندما التقى يوسف عليه السلام مع قومه وعشيرته كان لقاءً مجلّلاً بعظمة المُلك وهيبة السلطان، ولكن عندما التقى علي بن الحسين عليهما السلام مع قومه وعشيرته فبأي ذلّة وانكسار كان ذلك حتى أن أم كلثوم كانت تبكي وتقول، «مدينة جدّنا لا تقبلينا» ففي اليوم الذي خرجنا فيه من المدينة كان معنا علي الأكبر وعلي الأصغر وعون وجعفر واليوم نرجع وحيدين غرباء وأجسادهم مجزرة كالأضاحي في رمضاء كربلاء.

وعندما رجع علي بن الحسين عليهما السلام من كربلاء إلى المدينة وقرب منها نزل وحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال لبشير: يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟ فقال: بشير: بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر. فقال له الإمام السجاد عليه السلام: ادخل المدينة وانع أبا عبدالله عليه السلام. قال بشير: فركبت فرسي حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد رسول الله (ص) رفعت صوتي بالبكاء وأخبرتهم بالخبر فاجتمع الناس وجاؤوا إلى فسطاط السجاد عليه السلام فخرج عليهم وهو يمسح بدموعه وقال لهم بإجمال: «لو أن النبيّ تقدم إليهم بقتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا» والله تعالى يقول: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾**[1].

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

المجلس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.

واحتمال آخر من الآية الشريفة أنّ المراد بالسلام فيها هو هذا السلام المتعارف. وعندما يأتي الجاهل لجدال العالم يجب على العالم أن يجيبه بـ «سلام عليكم»، ويمكن أن يكون هذا حكم تقييدي صرف، كالأخبار الواردة بقراءة الدعاء الفلاني لو وقع نظر الإنسان على جنازة أو مجذوم أو أهل الذمة فكذلك عندما يبتلى الإنسان بشخص جاهل وتحدّث بحديث قبيح فيجب أن يقول في جوابه «سلام عليكم». والشواهد على هذا القرآن الكريم وآثار أهل البيت عليهم السلام كثيرة. فعندما رأى إبراهيم ابن المهدي العباسي في عالم الرؤيا أنه يمشي مع علي عليه السلام وعندما وصل إلى جسر أراد أن يسبق علياً في العبور عليه فاصطدم به فقال لعلي (ع): أتريد أن تأخذ الخلافة بشرف زوجتك. ولكن عليّاً لم يجبه. فقصّ رؤياه على المأمون فقال له المأمون: وبماذا أجابك علي؟ فقال إبراهيم: إنّه قال سلام عليكم فقط. فقال له المأمون: لقد علمك علي جاهلاً فأجابك بهذا. وشاهد آخر هو قصة خليل الرحمن في القرآن الكريم.

لقد عمل الأنبياء أولاً بمضمون الحديث الشريف: لكل إنسان

شيطان، وشيطاني أسلم على يدي، وبعد أن فرغ من تزكية نفسه بالرياضات والمجاهدات المستمرة شرع في المرحلة الثانية عملاً بمضمون الآية الشريفة ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[1] فيبدأ بإنذار أفراد عائلته ثم عشيرته وقبيلته الأقربين. ولهذا بدأ إبراهيم عليه السلام أولاً بهداية أبيه العرفي، سواء كان عمه أو والد أمه على اختلاف الروايات، فقال له بكل أدب واحترام: ﴿يا أبت لم تعبد ما لم يسمع ويبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾[2] وبديهي أن المراد بالمتابعة هنا ليس من قبيل متابعة موسى عليه السلام للخضر عليه السلام، بل المراد بها الإصغاء إلى أقوال إبراهيم عليه السلام وقبول دعوته، بينما تبعية موسى للخضر متابعة في جميع الآثار والأقوال والأفعال، فالاتباع الأول ـ وهو الإصغاء إلى الأقوال ـ أول درجات المتابعة، والاتباع الثاني وهو المتابعة في الأقوال والأفعال والأحوال ـ آخر درجات المتابعة. ويستمر نبيّ الله إبراهيم عليه السلام بعد ذلك بمواعظه فيقول: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان انّ الشيطان كان للرحمن عصيّا يا أبت إنّي أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليّاً﴾[3]. ولكنه لمّا كان قد استحوذ على قلبه الشيطان ولم يعد قابلاً للهداية لم يسأل عن دليل وبرهان هذه الإدعاءات بل قال في جواب إبراهيم عليه السلام: ﴿أراغب أنت عن إلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليّا﴾[4].

نعم لقد كان الأنبياء والأوصياء يائسين من هداية مثل هؤلاء

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
(٢) سورة مريم: الآية ٤٢ ـ ٤٣.
(٣) سورة مريم: الآية ٤٤ ـ ٤٥.
(٤) سورة مريم: الآية ٤٦.

الناس. ولذا قال إبراهيم عليه السلام في جوابه: ﴿**قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنه كان بي حفيّا * واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربّي عسى ألاّ أكون بدعاء ربّي شقيّا**﴾(١).

والشاهد الثالث: قصة جماعة من اليهود والنصارى من أهل المعرفة والذين كانوا قد اطلعوا على علامات ظهور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من الكتب السماوية القديمة فآمنوا به قبل ظهوره ثم تشرّفوا بالإسلام بعد ظهوره صلوات الله عليه وقالوا: ﴿**إنّا كنّا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرّتين**﴾(٢) الأجر الأول ثواب الملّة الأولى والأجر الثاني ثواب ملّة الإسلام أو يؤتون أجورهم مرتين بما صبروا وتحملوا من المشاق والمصاعب. ﴿**ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين**﴾(٣).

والمراد من الآية الشريفة أولئك الرجال أمثال سلمان وعبدالله. وأنتم تعلمون الصعوبات البالغة التي تحملها سلمان من أجل وصوله إلى النبي (ص).

وعلى كل حال فإن السلام إحدى سنن وآداب العشرة في الإسلام. وفي الشريعة الإسلامية نوعان من السلام: الأول حين دخول المجالس، والثاني حين مغادرة المجلس ويسمى سلام التوديع. وفي الخبر أن السلام الأول ليس أولى من السلام الثاني.

والسلام في الآية الشريفة: ﴿**قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي انه كان بي حفيا**﴾ التي مرّ ذكرها سابقاً هو سلام التوديع، لأن الأنبياء

---

(١) سورة مريم: الآية ٤٧ ـ ٤٨.
(٢) سورة القصص: الآية ٥٣ ـ ٥٤.
(٣) سورة القصص: الآية ٥٤ ـ ٥٥.

يدعون الناس إلى التوحيد بحسب الأمر الإلهي، وعندما يصلوا إلى حدّ اليأس من استجابة الناس لدعوتهم يهجرون الناس ويعتزلونهم روحاً وجسماً ﴿**واعتزلكم وما تدعون من دون الله**﴾ بتمام معنى الآية الشريفة، ويودعونهم بالسلام.

واختلف العلماء في المراد من السلام على الأنبياء والأولياء والصالحين في آخر الصلاة هل هو النوع الأول أو الثاني؟ والذي يفهم سرّ السلام في الصلاة يفهم نتيجة الصلاة.

فأما دليل القائلين بأنه من النوع الأول فهو: حينما يبدأ الإنسان بالصلاة يبدأ بالعروج كما في الحديث الشريف «الصلاة معراج المؤمن» وعندما ينتهي من صلاته يصل إلى صفوف الأنبياء والملائكة لأن المصلي في آخر درجة عروجه يصل هذا الحشد المقدس من الأنبياء والملائكة، وعندما يدخل إلى هذا الحشد يبدأ بالسلام على كبير المجلس «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» ثم يسلّم على باقي أهل المجلس «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». وقد وردت تحيات كثيرة للأئمة الطاهرين عليهم السلام في تشهد الصلاة ولكن اندثرت بالتدريج حتى وصلت الآن إلى سلام واحد فقط ومن غير المنصف جداً أن يرد الإنسان على مجلس الأنبياء والأولياء والملائكة فيسلّم عليهم ولا يسلّم على أئمته.

وأمّا دليل القائلين بأن السلام في آخر الصلاة هو سلام التوديع فهو: أن الإنسان بمجرد دخوله الصلاة بأداء تكبيرة الإحرام يدخل في صفوف الملائكة والأنبياء. وإحدى صفات الصلاة هي اشتراك جميع المخلوقات فيها، يعني أن عبادة جميع المخلوقات الأخرى تندرج في الصلاة، فبعض الملائكة يعبدون الله قياماً أبداً، وبعض يعبدون الله ركوعاً أبداً، وبعض يعبدون الله سجوداً أبداً: ﴿**وما منّا إلاّ له مقام**

معلوم﴾[1] فالإنسان في أثناء الصلاة مع جميع الملائكة في صف واحد، ولأن الملائكة في حالة العبادة أبداً ﴿**يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**﴾[2] فالإنسان حينما يفرغ من صلاته يخرج من صفوفهم ويودعهم بالسلام. وعلى هذا فسلام آخر الصلاة سلام توديع.

والشواهد على سلام التوديع روايات، منها: عندما خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة عازماً إلى الكوفة وكان الفرزدق خارجاً من الكوفة إلى مكة فرأى قافلة أبا عبدالله عليه السلام في الطريق، فجاءه وقال له: يا ابن رسول الله أين أنت ذاهب وهذه أيام الحج؟ فأجابه الإمام الحسين عليه السلام: إن بني أمية سيقتلونني ولو كنت متعلقاً بأستار الكعبة. ثم سأله الحسين عليه السلام عن حال الناس في الكوفة، فقال الفرزدق: قلوبهم لك وسيوفهم عليك. فشكر الإمام عليه السلام قضاء الله وتقديره ثم أمر القافلة بالحركة وودّعه قائلاً: «السلام عليك».

وفي يوم عاشوراء أيضاً تكرر سلام التوديع من الحسين عليه السلام وأصحابه مرّات عديدة. منها أن عابساً سأل غلامه شوذب: ما في نفسك أن تصنع؟ فقال شوذب: أقاتل معك حتى أقتل. فقال عابس: هذا ما كنت أرجوه فيك وجزاه خيراً وقال له: تقدم بين يدي أبي عبد الله عليه السلام حتى يحتسبك كما احتسب غيرك وحتى احتسبك، فإن هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر عليه. فسلّم شوذب على الحسين وقاتل معه حتى قُتل.

فوقف عابس أمام أبي عبدالله عليه السلام وقال: ما أمسى على

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٦٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٨.

ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ منك ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعزّ عليّ من نفسي لفعلت، السلام عليك أشهد أنّي على هداك وهدى أبيك. ومشى نحو القوم مصلتاً سيفه فنادى: ألا رجل. فأحجموا عنه لأنهم عرفوه أشجع الناس. فصاح عمر ابن سعد: أرضخوه بالحجارة. فُرمي بها. فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وشدّ على الناس، فتعطفوا عليه من كل جانب حتى قُتل رضوان الله عليه شهيداً.

ومثال آخر: عندما جاء عبدالله وأخوه عبد الرحمن الغفاريان إلى الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء سلّما عليه وهما يبكيان. فقال لهما الحسين عليه السلام: ما يبكيكما يا ابني أخي؟ أرجو أن يقرّ الله عينيكما بعد ساعة. فقالا: والله ما على أنفسنا نبكي بل نبكي عليك يا أبا عبدالله ونرى القوم قد أحاطوا بك من كل صوب وجهة ولا نستطيع أن ننفعك فدعا لهما الحسين عليه السلام وجزاهما خيراً. ثم قالا: «السلام عليك يا أبا عبدالله» فأجابهما الحسين عليه السلام: «وعليكما منّي السلام» ولم يردّ على أحد السلام في غير هذا الموضع. ومثال آخر قصة حنظلة بن سعد الشامي حينما وقف يتلقى النبل بصدره ويقيها الحسين عليه السلام وهو يترنم بكلمات مؤمن آل فرعون المحكية في القرآن الكريم: ﴿**يا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد**﴾[1] فجزاه الحسين خيراً وقال: رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حينما ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا اخوانك الصالحين. فقال حنظلة: صدقت يا ابن رسول الله أفلا نروح إلى الجنة؟ فأذن له فقال: «السلام عليك يا أبا عبدالله جمع الله بيننا وبينكم في الجنة».

---

(١) سورة غافر: الآية ٣٢ ـ ٣٣.

المجلس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ قلنا في الجلسة السابقة بأن الاحتمال الثاني أن المراد من السلام في الآية الشريفة هو هذا السلام المتعارف. وعلى هذا فالجواب المناسب على الكلام غير المناسب هو السلام. والسلام في الشريعة الإسلامية تكليف شرعي. وهو ليس تكليفاً لسانياً فقط بل له هدف أسمى من ذلك. فكما أن لظواهر الشرع حقائق خفية وغاية التمسك بهذه الظواهر هو الوصول إلى تلك الحقائق، فكذلك السلام له حقيقة يجب أن يصل إليها الإنسان.

ما هي حقيقة السلام التي غطت كل حياة الإنسان ووفاته؟.

بدأ خلق آدم بالسلام. إذا التقى شخصان يجب عليهما السلام. الأنبياء يسلّمون على الأولياء والأولياء يسلّمون على الأنبياء. السلام عند اللقاء والسلام أيضاً عند الافتراق يجب السلام عند دخول الدار ولو كانت خالية، وأخيراً السلام أيضاً عند الموت. وله تعابير أيضاً: سلام الجسد على الروح، وسلام الروح على الجسد، وسلام أعضاء البدن بعضها على البعض الآخر، سلام الروح الطيبة على ذلك العالم

الآخر الذي يريد الانتقال إليه يعني الملائكة: **﴿إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾**(١) يوم الولادة سلام، ويوم الوفاة سلام، ويوم الحشر والبعث سلام أيضاً: **﴿والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾**(٢). ومن الحسن أن يسلم الإنسان عند وصوله إلى أي منزل على الملائكة الحافظين لذلك المنزل: «السلام على ملائكة الله الحافين». وعلى هذا ينبغي أن نفهم سرّ إنشاء السلام، حتى لا يكون سلامنا مجرد لقلقة لسان، وحتى تترتب على هذا السلام الثمار المرجوة.

يجب أن يُعلم بأن السلام اسم من الأسماء الحسنى التسعة والتسعين الواردة في القرآن الكريم **﴿هو الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار..﴾**(٣) وجاء في دعاء أويس القرني: «يا سلام المؤمن المهيمن..» وفي دعاء آخر: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام» وفي الحديث الشريف: «إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» ومن البديهي أنه لا يراد بالإحصاء هنا بمعنى العدّ، بل معنى احصاء هذه الأسماء المباركة ـ كما في توحيد الصدوق ـ مراحل عديدة:

المرحلة الأولى: العدّ اللفظي.

والمرحلة الثانية: فهم معاني هذه الألفاظ المباركة.

المرحلة الثالثة: إدراك المعاني الحقيقية لهذه الأسماء المباركة.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٢) سورة مريم: الآية ٣٣.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢٣.

وفي هذه المرحلة يجب أن يفهم الإنسان الصفات المناسبة لله تبارك وتعالى. يقولون مثلاً: السلام من السلامة، أي أن ذات وصفات وأفعال الله تبارك وتعالى خالية ومنزهة عن كل نقص وعيب. وهذا الموضوع ينبغي أن يفهمه الإنسان عن طريق الدليل والبرهان. فإذا كانت معرفة ذات الله تبارك وتعالى مجهولة والطريق إلى معرفة وجوده الأقدس مسدودة، ولكن نفهم إجمالاً أنه «سبوح قدوس» مثلاً، يعني أن ذاته تعالى منزهة عن كل محدودية ونقص. وبعد ذلك يأتي مقام الصفات فيجب أن نفهم أن صفاته سالمة، علمه منزه من الجهل وقدرته منزهة عن العجز. وكل يستطيع أن يعلم مقدار يقينه بهذا الموضوع في عالم نفسه. وقطعاً فإن لهذا الموضوع موازين وبهذه الموازين أحد يستطيع أن يدرك مقدار هذا اليقين. ومن جملة هذه الموازين هو: «المؤمن يرى يقينه في عمله». ولكن الإنسان في هاتين المرحلتين من التوحيد ـ أي توحيد الذات وتوحيد الصفات ـ يتعرض للتدهور وضعف الاعتقاد بنسبة أقل. وإنما أكثر الانهدامات الحاصلة في عقائد الناس يبتلى بها في باب توحيد الأفعال وعندما لا يدرك الإنسان المعاني اللائقة للسلام تحصل مثل هذه الانهيارات. وبعض المشركين لا يشركون في ذات الحق تبارك وتعالى لأنه من المحال أن ينحت الإنسان الواعي بيده حجراً فيصنع منه صنماً ثم يقول هذا خلقني، ولكنهم يقولون، بل هم شفعاؤنا نتقرّب بهم إلى الله زلفى. وأساس التخريب في عقائد الإنسان هو الشك في سلامة أفعال الحق تبارك وتعالى. فعندما يقول الإنسان: «اللهم أنت السلام» يجب أن ينظر إلى حال نفسه ويرى هل أن أفعاله سبحانه سالمة؟ وهل يرى بأنه سبحانه غير ظالم وعادل في أفعاله؟ وهل أفعاله سبحانه منزهة عن النقائص والعيوب؟ أم أنه يقول ان الله عادل بلقلقة لسانه ويراه في نفسه ظالماً سبحانه؟ وفي هذا الباب فإن أفعال الإنسان شاهدة على

عقائده: ﴿نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم﴾[1] ومقصود هذه الآية الشريفة أن ما يفعله الإنسان بيديه يكون شاهداً على عقائده. والذي يرى الله تبارك وتعالى سالماً في أفعاله، وعلى يقين بأنه ما من حركة تكون إلاّ بإذنه وبأمره فلا يمكن أن توجد في سويداء قلبه حالة الكراهية وعدم القناعة أمام ابتلاءات الدنيا ومصائبها، ولا تتردد في قلبه كيف ولماذا. لأن أحد أركان الإيمان الأربعة هو الرضا، والدنيا محل الامتحان والابتلاء. وهذا الموضوع برهاني ووجداني.

الإنسان له رزق ظاهري ورزق باطني من جهة الله تعالى. ويمتحن الإنسان بأمور أمثال ضيق المعيشة والأمراض وفقدان الأمن أو مشاهدة ترقي من كان مساوٍ له أو أقل منه، ليعلم هل هو راضٍ وقانع في قلبه أو مبغض وكاره؟ فإذا كان راضياً في قلبه فهو من أهل الرضا، وإن كان غير راضٍ في قلبه ولكن يقول بلسانه أنا راضٍ بما قسم الله لي ولا يظهر عدم رضاه على لسانه فهو من أهل مرتبة الصبر، فإذا كان الإنسان راضياً بقلبه فهو ذو قلب سليم ولم يأتِ النبي الأكرم (ص) بحرف «لو» في كلامه أبداً، أي يقول: لو كنت فعلت كذا لكان الأمر كذا، فكان حذراً من ذلك لأن قول حرف «لو» معناه عدم الرضا بقضاء الله تعالى. فإذا كان العبد يعتقد بأن وكيله هو الله فيجب أن يعتمد عليه ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[2].

نعم أكثر الناس يجعلون لله شريكاً في أفعالهم، وكل واحد له في تصوراته الباطلة مئات الالهة، وهذا الشرك له صورتان: خفي وجلي. وقول «ليت» مثل قول «لو» يلوث روح الإنسان بالشرك. وإذا حاسب الإنسان نفسه حساباً دقيقاً في كل يوم فسيرى مقدار ما يتلوث

---

(١) سورة يس : الآية ٦٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

به قلبه من الشرك. ﴿**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**﴾[1]. رأى عيس عليه السلام أعمى وزيادة على العمى كان مبتلى بالجذام والشلل أيضاً وكان في نفس الوقت يحمد الله تبارك وتعالى. فسأله عيسى عليه السلام: على ماذا تحمد الله؟ فقال: لأن الله تعالى أنجاني من كثير من الابتلاءات التي ابتلى بها غيري. فسأله عيسى عليه السلام: أي نعمة أعطاك الله؟ فقال: أعطاني الله تعالى نعمة معرفته. فلاحظ أن هذا الشخص لم ينظر إلى الجزئيات أبداً ويعلم بأن الإنسان إذا مُنح كل النعم وسُلب معرفة الخالق فهي لا تساوي شيئاً. وحينئذٍ مسح عيسى عليه السلام على بدنه فشفي من جميع أمراضه الظاهرية. فعُلم من هذا أن العبد إذا لم يعترض ويعرض عن ربّه حينئذٍ يقول «اللهم أنت السلام».

وعندما بشّر ملائكة الرحمن سارة زوجة إبراهيم بالولد قالت: ﴿**أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً**﴾[2] فجاء الجواب من الباري سبحانه: سأعذب أولادها أربعمائة سنة لأنها كانت تتردد في أعمالها. فانظر إلى صعوبة العمل، فالطريق مظلم وشائك.

والإنسان حينما يريد خطاب الباري تعالى ويقول: «أنت السلام» يجب أن تكون ذاته وصفاته وأفعاله سالمة قولاً وفعلاً وقلباً. وضيق القلب ناشيء من ضيق الأعمال ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً**﴾[3]. ومن هذا القبيل الأمور التشريعية فهي كالأمور التكوينية لا ينبغي أن يخطر في قلوبنا مخالفتها حينما تتعارض مع رغباتنا النفسية،

---

(١) سورة محمد: الآية ٩.

(٢) سورة هود: الآية ٧٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٥.

فينبغي أن يعلم الإنسان بأن ما كان وما سيكون كلّه من الله. فالناس أهل القناعة والرضا بأفعال الله تبارك وتعالى يستقبلون البلاء بغاية السرور كما يستقبلون النعمة. وهذه الكلمات التي قالها عمار بن ياسر: إلهي لو كنت أعلم بأن رضاك في أن أغرق في البحر أو أحرق في النار لفعلت ذلك وعمّار هو الذي جيء به في بداية الإسلام وقبل نزول الآية الشريفة ﴿فاصدع بما تؤمر﴾[1] مع أبيه وأمه وعُرّضوا للتعذيب الشديد. فكانوا يطرحونه عارياً على الرمضاء في القيظ الشديد، ويحمون الدرع ويضعونه على بدنه، وحينما عبر من أمامهم ورأى ما هم فيه من العذاب الشديد قال صلى الله عليه وآله: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. فدعا لهم بالصبر ليصلوا إلى المقامات العالية والدرجات الرفيعة. وفي عصر خلافة عثمان كتب المسلمون كتاباً فيه بعض منكرات عثمان وسيئاته فأخذ عمّار إليه. وهذا العمل من عمّار الذي لم يكن في أول أمره إلاّ عبداً مملوكاً أثار حفيظة عثمان وقال لعمّار: وصل بك الحدّ أن تتجرأ عليّ! فأمر غلمانه أن يضربوه فرفس جلّاد حقير ولي الله بحذاءه رفسةً أفقدته وعيه. فوصل الخبر إلى عائشة، فخرجت من دارها تحمل قميص رسول الله وشعرة من لحيته وخطبت في الناس قائلة: أيّها الناس هذا قميص رسول الله لم يَبْلَ ويفعل بأصحاب رسول الله هكذا؟! عمّار الذي بشّره رسول الله (ص) ثلاث مرّات بالجنة وقال له: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية». وفي حرب صفين كان يتسرع الجهاد ولقاء الأعداء فقال لولي الأولياء: لنشرع الحرب معهم غداً ولكن أجابه ذلك الإمام الزاهد قائلاً: «بل نتريث في جهاد أهل القبلة» وفي ليلة صفين أتى عدّة من أهل الشام إليه لنصيحته لكن ذلك لم ينفع.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩٤.

وفي أثناء الحرب كان أصحاب رسول الله (ص) يميلون مع عمّار كلّما مال إلى جهة من جهات القتال. حتى سقط إلى الأرض شهيداً بطعنة من سنان عمرو بن العاص. فوقف أمير المؤمنين على رأسه وقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون إن امرءاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو في الإسلام» وعندما اشتد على عمار العطش أثناء القتال جاءت له امرأة بإناء فيه لبن. فقال عمّار: هذا آخر أيام حياتي فإن رسول الله (ص) أخبرني وقال: «آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن». فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين عليه السلام في القتلى فوجد عماراً ملقى، فجعل رأسه على فخذه ثم بكى وأنشأ يقول:

ألا أيها الموت الذي لست تاركي أرحني فقد أفنيت كل خليلي
أراك بصيراً بالذين أحبّهم كأنك تنحو نحوهم بدليلِ

وفي الحقيقة فإن الإمام عليه السلام يريد أن يقول من قراءة هذين البيتين من الشعر: لا خير في الحياة بعد عمّار. ثم قال عليه السلام بعد ذلك: لم يجتمع عند رسول الله (ص) ثلاثة إلاّ كان عمار رابعهم، أو أربعة إلاّ كان عمار خامسهم. قاتل عمار ولاعنه كلاهما في النار. ثم أمر بحمله إلى خيمة خاصة. وعندما وقع بصره الشريف على وجه عمار الملوث بالدماء ترنم بهذه الأبيات:

وما طيبة تسبي القلوب بطرفها إذا التفت خلنا بأجفانها سحرا
بأحسن ممّن كلّل السيف وجهه دماً في سبيل الله حتى قضى صبرا

في هذه الحرب شقّ رأس عمّار، وشق رأس أمير المؤمنين أيضاً بسيف ابن ملجم وتلطخت محاسن وجهه المباركة بالدماء. يا علي هذه الأبيات التي قرأتها في حق عمّار هي في الحقيقة تحكي حالك أيضاً في ذاك اليوم، وقلت «إن امرءاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل

عمار فما هو في الإسلام» اذن فما حال من لم يدخل عليه مصيبة من قتلك؟ أقام أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه الصلاة على جنازة عمّار وواراه الأرض بيديه. ولكن ما حال الحسين عليه السلام حينما وقف على رأس ابنه علي الأكبر وهو مشقوق الرأس؟ الشاب الذي كان أكثر الناس شبهاً برسول الله (ص) خلقاً وخلقاً ومنطقاً. وحينما وقع بصره على جسد ولده المقطّع بالسيوف قال: «على الدنيا بعدك العفا» يعني هل من الممكن بعد أن رأى رأس ولده المفلوق وجسده المقطع إرباً إرباً أن ينظر إلى الدنيا مرة أخرى؟ وحينئذٍ وضع رأس ولده المضرج بالدماء في حجره وأخذ يمسح الدم عنه ويقول: يا بني لقد ارتحت من هم الدنيا وغمّها وبقي أبوك وحيداً غريباً في الدنيا. ولمّا كان عمّار من أصحاب رسول الله (ص) فلم ينتظر به إلى الصباح ليدفن مع الشهداء ودفن ليلاً. ولكن جيش عمر بن سعد لم يمهل أبي عبدالله صلوات الله عليه ليواري جسد ولده التراب. ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

المجلس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾ السلام أحد الأسماء الحسنى، والإنسان مكلّف أن يتعلّم ألفاظها ومعانيها. وينبغي أن يفهم معنى السلامة في ذات الله وصفاته وأفعاله فهماً يوصله إلى درجة حبّ الباري والشوق إليه. أي تتجلى له درجة من درجات ومقامات احصاء الأسماء. وهذا الاسم شريك مع الأسماء الأخرى للحق سبحانه ويزيد عليها. فكل اسم من الأسماء هو مظهر من مظاهر الله تبارك وتعالى، ويستطيع أن يمنحه القوة لتنطلق به إلى حضرة الباري سبحانه. ويجب على الإنسان أن يتخلّق بأخلاق الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ﴿**ولقد كرّمنا بني آدم**﴾[1]. وينبغي أن يصل الإنسان إلى حالة يكون فيها مظهراً لبعض الأسماء الحسنى، ولكن نعوذ بالله أن نقول أنه يمكن أن يكون شبيهاً «ما للتراب ورب الأرباب». قصرت الألفاظ عن بيان هذه المعاني. فالخالق له علم والمخلوق عنده علم ولكن أين عالم الخالق من علم المخلوق؟ والله عزّ وجل منح الإنسان قابلية فريدة ليكون مظهراً من مظاهر أسماءه سبحانه. وفضّل الإنسان على ذوات الأرواح

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

بسبب هذه القابلية. وينبغي أن يُعلم بأن علاقة الأعمال بالصفات غير ذات أهمية ومثلها كمثل الملح للطعام. فالمقام الأسمى حقيقة هو التخلق بأخلاق الله تبارك وتعالى حتى يصل الإنسان إلى درجة يكون فيها المظهر الكامل لجميع الأسماء الحسنى ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾[1]. وهذه المرحلة أي التخلّق بأخلاق الله إحدى مراحل احصاء الأسماء الحسنى للحق سبحانه.

وكما قلنا فإن اسم «السلام» له فضل على باقي أسماء الله تعالى، بهذا المعنى ان الله تبارك وتعالى منزّه عن كل نقص وعيب. وعلى هذا فإن الله جل جلاله لو عذّب جميع الخلق بأعمالهم لم يكن ظالماً. والشاهد على هذا فقرات من دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «إن تعذّبنا فبعدلك، وإن تغفر لنا فبفضلك، من يصرف عنه يومئذٍ فقد رحمه» فسأله الراوي: أهذا الكلام صحيح بحقّك أيضاً؟ فأجابه عليه السلام: بلى هو معي أيضاً كذلك.

ومن أول حياة الإنسان إلى أن يعبر جسر جهنم ينبغي للإنسان أن يطلب الأمان من الله تبارك وتعالى باسمه «السلام». ومنذ ذلك الوقت الذي زُرعت فيه بذور الحرص والحسد والكبر في الدنيا، ومن جهة أخرى أقسم ذلك العدو الأكبر ﴿لاحتنكن ذريته إلا قليلا﴾[2] فملأ هو وجنوده الدنيا بالكبر والحرص والحسد إلى الحدّ الذي قتل فيه قابيل هابيل. ووصلت طينة البشر إلى درجة أخذت فيها الحيوانات تهرب منه في الوقت الذي كانت الحيوانات تأنس فيه بالإنسان، لقد أصبح الماء مالحاً وصنعوا من الشجر رماحاً، ووصل الأمر إلى انتفاء الحاجة إلى شياطين الجن وكفتهم شياطين الإنس مؤنة الغواية والتضليل.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٢.

وينبغي أن يُعلم بأن ركن الابتلاءات هو الابتلاءات الدينية، وقد تلوثت طينة الإنسان الأصلية. فالإنسان مبتلى من حين ولادته إلى يوم وفاته. ومن يريد أن ينجيهم الله تعالى يعطيهم أماناً باسمه «السلام». وأعظم مواطن الإبتلاء ثلاثة مواطن:

المقام الأول: يوم المجيء إلى الدنيا والتي هي بيت المصائب والهموم والغموم والأحزان والامتحانات والابتلاءات. ولهذا السبب قيل باستحباب الآذان والإقامة في أذن الطفل ليُحفظ من شرّ الشيطان، ويحنك بالتربة الحسينية ليزداد في قلبه حب أهل بيت النبي (ص) فيكون مأموناً من شر الشيطان. والذي يريد الله عز وجل رحمته فيمنحه الأمان من الابتلاءات باسم «السلام» من هذا المقام **﴿والسلام عليَّ يوم ولدت﴾**[1].

الموطن أو المقام الثاني: الموت والذي هو آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة: **﴿كلاّ إذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظنّ أنّه الفراق * والتفت الساق بالساق﴾**[2] يعني: أن الملائكة يتساءلون فيما بينهم من هذا الذي يُراد عروج روحه إلى السماء أهو من أهل العذاب أم من أهل الرحمة؟ **﴿وظنّ أنه الفراق﴾** ويرى أنه يجب عليه أن يرفع يده عن كل الأشياء. وهذه المرحلة ميدان واسع للشيطان، فإن لم يكن الإيمان مستقراً في قلب الإنسان فإن مصيره في خطر، وفي هذا الموطن يضع الشيطان الأموال والأولاد وباقي زينة الحياة الدنيا نصب عينيّ المحتضر، وعندما يتطهر الإنسان من صفتي البخل والحرص يعرض عن جمع الأموال. فيستفيد الشيطان من هذه الصفات عند الإنسان فيضع أمواله وأولاده وجاهه أمام عينيه ويقول له: إنّ الله

(١) سورة مريم: الآية ٣٣.
(٢) سورة القيامة: الآية ٢٦ ـ ٢٩.

يريد أن يأخذ منك هذه مرّة واحدة. وفي هذه الحالة يجعل الإنسان المحتضر الدنيا أمامه ويجعل الله وراء ظهره.

﴿**والتفت الساق بالساق**﴾ يعني: شدة الدنيا وشدة الآخرة متصلتان الواحدة بالأخرى، وتنفتح العيون والآذان المغلقة، ويستيقظ الإنسان من نومه، فيرى الأشخاص والأشياء غير المرئية، وبعد هذا فأي عقل وقلب يبقى للإنسان؟ ولذا يلتجيء الأئمة عليهم السلام إلى الله تعالى من هول المطلع: «وأعوذ بك يا ربّ من هول المطلع». وبعض الناس يخافون من رؤية الإنسان الميت، فكيف بهم إذا رأوا ملائكة النار تخرج من عيونهم وآذانهم النيران. وفي هذا الموطن والمقام فإن الله عز وجل يحفظ عباده أيضاً باسم «السلام»: ﴿**والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت**﴾(١). وقد خوطب المؤمنون بالسلام عل الملائكة حتى يأمن في ذلك اليوم الذي يفزع فيه الناس. ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾(٢) يبدأ ملك بالسلام أولاً يعني لك الأمان: ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾(٣).

اذن فالإنسان في هذه المرحلة محتاج إلى السلام لأخذ الأمان.

الموطن الثالث: يوم البعث يوم ينادي ملك: يا أيتها العظام البالية والشعور المتفرقة تجمعي وعودي كما كنت. ﴿**إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾(٤) فتنجذب الأجزاء المتناثرة بعضها إلى البعض الآخر كالمغناطيس. وبعد أن ينفع إسرافيل في الصور تراجع الأرواح إلى

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٣.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٤.
(٣) سورة النحل: الآية ٣٢.
(٤) سورة الحج: الآية ١.

أبدانها: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾[1] في تلك الساعة تنكسف الشمس ويذهب ضوء النجوم: ﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت﴾[2] وتأتي أنواع وأقسام ملائكة العذاب: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾[3] ويأتي كل إنسان ومعه الملكان الموكلان: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾[4] و ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾[5] ولا سمح الله أن تكون أعمال الإنسان سيئة ﴿وجيء يومئذٍ بجهنم يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾[6] والورطة في هذا الموطن أشد من الورطة في الموطنين السابقين. ﴿والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾[7] وفي هذا الموطن الكل محتاجون إلى السلام والذي هو أمان الله. وهناك سلام آخر من الله تعالى لذاته غير قابلة للوصف، وسلام ليس فوقه سلام، وفي الخبر: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وجاء في فقرة من فقرات بعض الأدعية: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام». وعندما يدخل الملائكة على المؤمنين يبدأون بالسلام: ﴿وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[8] ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب* سلام عليكم بما

---

(١) سورة يس: الآية ٥٢.
(٢) سورة التكوير: الآية ١ ـ ٢.
(٣) سورة الحج: الآية ٢.
(٤) سورة ق: الآية ٢١.
(٥) سورة القارعة: الآية ٤.
(٦) سورة الفجر: الآية ٢٣.
(٧) سورة مريم: الآية ٣٣.
(٨) سورة الزمر: الآية ٧٣.

صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[1].

الدار الآخرة دار السلام: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾[2]. وبعد هذا السلام لا يوجد أي مبرر للحزن والقلق. وقبل هذا السلام كان هذا الخوف موجوداً.

ولكن هذا السلام الأخير بهذه العبارة دوّن في القرآن الكريم: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾[3] هو بشارة لأهل الجنة وأمان من كل الابتلاءات. عندما رجع موسى عليه السلام من مكالمة الله جل جلاله في جبل طور بقي مدة يستوحش من كلام الناس لأنه كان في نشوة من كلام الله تبارك وتعالى. لا يدري أحد ماذا في كلام الله سبحانه من لذّة، لذا قيل أن سورة «يس» قلب القرآن لأن الآية الشريفة ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾ هي قلب سورة «يس». يهب الله تعالى الأمان لعبده بهذه الأسماء الثلاثة ويقول له: كن مسروراً ومرتاح الخاطر بعد هذا ستكون في سلام منّي. وهذا لا يتيسر إلاّ بعناية الله تبارك وتعالى، وقد وصل سحرة بني إسرائيل بإحدى هذه العنايات إلى أن واجهوا تهديد فرعون بتقطيع أيديهم وأرجلهم وتقتيلهم بأن قالوا: ﴿لا ضير﴾، وهذا بمعنى أنهم قد وصلوا إلى درجة ومقام في حب الله بشكل لم يعد تحمل مثل هذا الأذى والألم بل يتحملونه بكل أنس وراحة. وفي مقام المحبة يفرغ الإنسان من كيف ولماذا، وتفرغ من المشاجرة مع الحق جل جلاله، لأن المشاجرة مع الحق سبحانه من أسوأ أنواع الكفر. ومن هذا القبيل ما قاله الإمام عليه السلام: كل مأيوس يصير في بيت الله مأمولاً. وذهب موسى عليه السلام على أمل

(١) سورة الرعد: الآية ٢٤.
(٢) سورة يونس: الآية ٢٥.
(٣) سورة يس: الآية ٥٨.

أن يأتي لأهله بشعلة من النار يصطلون عليها ﴿لعلّي آتيكم منها بقبس﴾ ولكن وصل إلى النور ونال درجة النبوة.

وعندما يصل الإنسان إلى حقيقة «السلام» يتطهر باطنه من كل الصفات الشيطانية الذميمة وتتجلى فيه الصفات الرحمانية. وعلى هذا فصفات كل إنسان تعكس مقدار ما يتمثل به من صفات السلام. كان لسمرة بن جندب أحد أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جذع في بستان أحد الأنصار، فكان يدخل عليه البستان بلا إذن، فشكاه الأنصاري إلى رسول الله (ص) فأمره رسول الله (ص) بالاستئذان قبول الدخول فلم يقبل، فوعده بعشر نخلات في الجنة بدلها فلم يقبل وينبغي أن يلاحظ هنا بأن بعض الصفات الإنسانية لا تتغير عند الإنسان حتى بصحبة رسول الله (ص) ومجاورته والصلاة معه والجهاد بين يديه، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ارتدّ الناس بعد رسول الله إلاّ ثلاثة». في حجة الوداع أخذت ناقة الرسول (ص) تجول في خيم الأصحاب فكانوا يضيّفونها تيّمناً وتبرّكاً لأنها ناقة رسول الله (ص)، وحينما وصلت إلى خيمة سُمرة بن جندب ومن شدّة بخله طعنها برمحه فشجّ رأسها. ومرض البخل يبقى ينخر بصاحبه كما تُنخر الشجرة اليابسة إلى أن تفسد تماماً. فالبخل يفسد الروح كما يتآكل بدن الإنسان ويفسد تماماً ولذا فإن الإمام السجاد عليه السلام يعوذ دائماً بالله عز وجل من البخل. وينقل عنه عليه السلام أيضاً قوله: كان البخل سبب فساد قوم لوط، إذ كانت مدينتهم في طريق المسافرين، فينزل بها عابري السبيل، فصمم بعضهم أن يرتكبوا ذلك العمل الشنيع بمن يمرّ بمدينتهم. فكان هذا سبب شيوع هذه الرذيلة بينهم. كان الحديث حول سمرة بن جندب وشدّة خباثته، وكان سمرة في عهد حكومة معاوية على علاقة وثيقة بزياد بن أبيه والي البصرة والكوفة، وزياد هذا مارس أشدّ أنواع القسوة والإرهاب ضد أصحاب

علي عليه السلام.

ولازم سمرة بعد وفاة زياد ولده عبيدالله. وعندما كان ابن زياد يدبر الأمر لواقعة كربلاء، ارتقى سمرة منبر مسجد الكوفة ومدح كثيراً آل أبي سفيان وقال: كتب لي الأمير أن أزيد عطايا الجيش أضعافاً مضاعفة، وقد فعلت ذلك. وعندما وصل سيد الشهداء عليه السلام إلى كربلاء كتب إليه سمرة كتاباً تجرأ فيه كثيراً على الإمام عليه السلام. وعندما نظر الإمام عليه السلام في الكتاب رماه بعيداً. وحوصر أصحاب أبي عبدالله في الصحراء، تصوّروا إذا كان إنسان في صحراء وكان هناك أمر يخافه ثم رأى عن بعد فارسان يحثّان السير إليه فماذا سيكون حاله؟ وكيف حال من كان في حصار الأعداء الذين يزداد عددهم ساعة بعد ساعة ليصل عدد الفرسان فقط إلى ثلاثة آلاف فراس. وكل هؤلاء جاؤوا لإراقة دم أبي عبدالله الحسين عليه السلام. وكل من يتأمّل في الأشعار التي كان يردّدها أبو عبدالله عليه السلام في ليلة عاشوراء يفهم ما هو حال الإمام عليه السلام في تلك الليلة وإلى أي درجة كان سائماً ومتضجراً من الدنيا. ونقل أنه عليه السلام كان يترنم بهذه الأبيات:

يــا دهــر أف لــك مــن خليلــي   كــم لــك بــالإشــراق والأصيــل
مــن صــاحــب وطــالــب قتيــل   والأمــر فــي ذاك إلــى الجليــل

يقول السجاد عليه السلام: فأعادها مرّتين أو ثلاث ففهمتها وعرفت ما أراد وخنقتني العبرة ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل وأمّا عمّتي زينب لمّا سمعت ذلك وثبت تجر ذيلها حتى انتهت إليه وقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم مات جدّي اليوم مات أبي، اليوم ماتت أمي، اليوم مات أخي يا خليفة الماضين وثمال الباقين. ثم قالت له: يا أخي ردّنا إلى حرم رسول الله (ص).

فقال لها عليه السلام: هيهات لو ترك القطا لنام. ثم عزّاها الحسين وصبّرها وقال لها: يا أختاه تعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شيء هالك إلاّ وجهه، ولي ولكل مسلم أسوة حسنة برسول الله (ص). ثم أوصاها بكل ما أوصى به رسول الله (ص) فاطمة عليها السلام إلاّ وصية واحدة وهي أنه لم يقل لها: لا تقيمي عليَّ مجلس العزاء، لأنه كان يعلم أن هؤلاء الأشرار لا يسمحون لها بالبكاء فكيف بأن تقيم مجلساً للعزاء.

فعملت زينب عليها السلام بجميع وصايا أخيها وصبرت على جميع المصائب إلاّ في مكان واحد لم تستطع فخر المخدرات زينب أن تتحمل المنظر حينما وضع رأس الحسين عليه السلام في الطشت أمام يزيد. وأخذ اللعين ينكث ثغر الحسين بالخيزران فنفد صبرها وصرخت: واحسيناه! واقلباه! يا ابن محمد المصطفى: يا ابن علي المرتضى: يا ابن مكة ومنى! ثم نهضت زينب وقالت: واأخاه لقد وصل الأمر إلى أن تُنكث ثغرك بالخيزران وقد طالما قبلّها رسول الله (ص) . فبكى أهل المجلس لبكائها. يقول الراوي: «كان صوتها يحرق القلوب».

المجلس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.

قال الإمام الصادق عليه السلام: السلام اسم من أسماء الله تعالى، جعله الله أمانة عند عبده ليستعمله بنفسه فيصل إلى معناه وحقيقته. ومن هنا فإن كل الأشياء وحتى الزمان والمكان بالنسبة للإنسان فيها جانب خير وجانب شرّ، ولذا فإن الله عزّ وجلّ قد وضع اسمه «السلام» وديعة بين الناس ليستطيع الإنسان بوسيلة هذا الاسم المبارك أن يحفظ نفسه من المضار والشرور، ويجلب به المنافع والخيرات. وحتى في الزمان والمكان فيهما أيضاً خير وشر، كمثل الساعات السيئة التي يجب على الإنسان أن يقوم ببعض الأعمال الخاصة ليتجنب شرورها. وفي الخبر، أن شخصاً جاء الإمام عليه السلام في يوم جمعة، فسأله الإمام عليه السلام: هل قرأت دعاء اليوم؟ فأجابه: كلا. فعلّمه الإمام عليه السلام دعاء ذلك اليوم، وفي فقرته الأولى ورد هكذا: «السلام عليك أيها اليوم الجديد الميمون المبارك الذي جعله الله عيداً لأوليائه». وكذلك ورد كثيراً لفظ «السلام» في الأدعية الخاصة بشهر رمضان المبارك، ومن جملتها

دعاء وداع شهر رمضان. وكذلك في ليلة القدر: ﴿**سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾[1]. وورد أيضاً السلام على الشمس والقمر: «السلام عليك أيتها الشمس الطالعة». وأمّا السلام على الحيوانات فقد ورد في الخبر: صادف رسول الله (ص) رجلاً راكباً على فرس له، فقال له رسول الله (ص): السلام عليكما. فقال ذلك الرجل: إنما أنا شخص واحد. فقال له رسول الله (ص): سلّمت عليك وعلى فرسك وعلى هذا فينبغي أن يسلّم الإنسان على كل الأشياء التي هي مصدر عطاء وخير له. ومنها الملكين الحافظين فيجب السلام عليهما.

وكما ذكرنا فإن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن الله استودع اسمه السلام بين الناس ليدفعوا به شر الموجودات. والآن إذا أردنا أن نصل إلى حقيقة السلام وذلك إدراك المعنى الذي جعله الله تعالى في ذلك الاسم ينبغي أولاً أن نذكر مقدمة وهي: أن يطهر الإنسان نفسه من الجرائم والآثام، لأنّ جميع الأمور مرتبطة بعضها ببعض. فالإنسان يجب عليه أولاً تزكية نفسه حتى تصل بركة نفسه الزكية إلى الآخرين وإلاّ فإنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا لم يرحم الإنسان نفسه فلا يمكن أن يتوقع أحد منه الرحمة، وحتى إذا ظهرت منه الرحمة في بعض الأحيان فهي نادرة وبطريق الصدفة. ولأجل أن تكون نفسك سالمة يجب أن يكون دينك سالماً، فلا يشتكيك دينك وصلاتك وصومك وزكاتك وحجّك غداً إلى الله تعالى، واضافة إلى ذلك ينبغي أن يكون عقلك أيضاً سالماً من آفة النفس، لأن العقل هو من أعظم النعم التي منحها الله للعبد، وقد خاطب الجليل جلّ جلاله العقل بقوله: «بك أعاقب وبك أثيب» وأساساً فإن عبودية الله تبارك وتعالى لم تكن ميسرة لولا العقل، وهو مدار الثواب والعقاب. فالجنة والنار وكل

---

(١) سورة القدر: الآية ٥.

خيرات الدنيا هي العقل. والعقل نور عظيم لولاه لا يوجد شيء أبداً. وذو العقل السليم هو الذي لم يعزل العقل من منصبه الذي هو منصب النبوة الباطنية، لأنه الحاكم على جميع الأعضاء والقوى وخصوصاً القوة الغضبية والشهوية. وعليك بعد ذلك أن تؤيد حاكمية العقل وتعزّز حكومته وتسلّم لمقرراته. وكلمة «العقل» من العقال. وكما يربط ويُعقل الحيوان الجموح حتى تصلح حركاته بالتدريج شيئاً فشيئاً، أنت أيضاً يجب أن تجعل قواك مطيعة لعقلك، وإذا كان عقلك ـ لا سمح الله ـ أسيراً للقوى الغضبية والشهوية فسيتلوث صفائه وتتصدع مرآتيه ويفقد قدرته على عكس الحقائق ويتعرض إلى أذية كاملة. قال الإمام الصادق عليه السلام لهشام: «يا هشام من أظلم نور فكرته بطول أمله، وظرائف حكمه بفضول كلامه ونور عبرته[1]، فقد أعان على هدم عقله». ومن هذا القبيل ينبغي للإنسان حينما يتكلم أن يُطعم كلامه بالحِكم، وأن تتردد على لسانه كلمات الأنبياء والأولياء والصالحين. ولكن عندما يكون مشغولاً باللغو فسيتوقف لسانه قطعاً عن ذكر الله تعالى وكلمات الأنبياء صلوات الله عليهم. ولذا يجب أن يراقب الإنسان نفسه دائماً. وإذا لم يعمل الإنسان على بناء عقله فلا أقل لا يساعد على تخريبه وتهديمه. فالإنسان يجب أن يكون قلبه طاهراً وسالماً، أي يزيّنه بالخصال الحميدة ويطهره من الرذائل والآثام الناشئة من الغضب والشهوة كالبخل والحسد بل جميع الذنوب والجرائم. وكذلك يجب عليه أن يعصم جوارحه عن ارتكاب المعاصي، لأن ظلمة المعاصي تجعل القلب مظلماً مثلما يجعل الحسد والبخل والحرص القلب مظلماً، يقول الحق جل جلاله:

(١) هذا الحديث منقول بتصرف في اللفظ بل ونقص في بعض مضامينه إذ في الأصل «وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه».

﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾[1]. فمن اللائق إذن أن يسلّم الإنسان روحه طاهرة نظيفة إلى ملك الموت عند الموت. فإذا لم يسلّمها زكية نقية فلو بكى حينئذٍ ألف عام لما نفعه بكاءه شيئاً، ولات حين مندم. والذي لا يرحم نفسه كيف سيرحمه الآخرين. يجب أن تعلم لماذا خلق الله يدك ورجلك وأذنك ولسانك، فإذا استعملتها في غير ما خلقها الله له فإنك حينئذٍ قد فرّطت في سلامتها. وسترجع كل هذه الشرور إلى هذا العاصي يوماً يتوقع فيه أن يصله خير من الآخرين. أليس من البلاهة أن يتوقع مَن قضى تمام عمره دون أن يسلّم على أحد سلاماً حقيقياً أن تصله السلامة من الآخرين، وإذا وفّقك الله سبحانه وسلّمك من هذه الأمراض فما أجمل أن توصل السلامة إلى أقرب المقرّبين إليك وأقرب الملائكة إليك الملائكة الحافظين لك والملائكة الكاتبين لأعمالك: ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾[2] ويقول عزّ من قائل أيضاً: ﴿له معقبّات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾[3] وخلع عليه لباس ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾[4] الملك الموكل في الليل غير الملك الموكل في النهار. وتعرج ملائكة النهار عند حلول الليل وتهبط ملائكة الليل. يقول السيد ابن طاووس عليه الرحمة في كتابه فلاح السائل: يجب أن يكون الإنسان مشغولاً بالعبادة في أول النهار وآخره، ثم يذكر دعوات خاصة بهذه الأوقات، ويقول: إذا كان أول وآخر صحيفة عملك خيراً، فإنه حتى إذا كان في وسطها شر فإن الخير الذي في البدء سيتداركها.

إذن فعند الصباح يرد الملكان الموكلان رسول الله إليك فعليك

---

(١) سورة النور: الآية ٤٠.
(٢) سورة ق: الآية ١٨.
(٣) سورة الرعد: الآية ١١.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

أن تستقبلهما بحفاوة وترحيب. ويجب عليك أن تكون مواظباً في مراقبتهما، ولا تحسبهما أقل من رسولا سلطان دنيوي إليك، فمبعوث السلطان المجازي إذا ورد بيت أحد فإن مضيّفه يُكرمه ويمجّده وتراه يترك الكلمات والحركات التي قد تنفّره وتسيء إليه، وأنت كذلك أيضاً ينبغي أن تنتبه عند الصباح وتعمل على تنظيف وتطهير قلبك من الأوساخ والأدران لأن ضيفان كريمان سيحلان فيه، فالقلب هو دار العمارة للكرام الكاتبين. وإذا كنت في صحبة أهل النفاق منذ الصباح وحتى المساء فانهض واخلو لذكر الله تعالى.

ويجب أن تعلم بأن الملائكة تنفر وتهرب من رائحة المعاصي وكل رائحة كريهة. ولذا جاء في الروايات: إذا قرأ الإنسان القرآن بفم نظيف ومطهّر بالسواك فإن آيات القرآن التي يقرأها تدخل في جوف الملك الموكل. وأمّا إذا قرأ هذه الآيات بفم كريه الرائحة فإن الملائكة ستهرب منه وتسمع التلاوة عن بعد فقط. ثم سأل الراوي الإمام عليه السلام: إذا همَّ العبد بمعصية أو طاعة فهل يحس الملكان الموكلان به؟ فأجابه عليه السلام: ألا تختلف رائحة المسك عن رائحة الجيفة؟

والمعصية لها رائحة كريهة وعندما تهم بالمعصية فإنّ رائحة كريهة تنبعث من فمك أثناء التنفس، وحينئذٍ يخاطب كاتب صحيفة السيئات كاتب صحيفة الحسنات أن ابتعد لئلا تؤذيك رائحة المعاصي، والآن وقت كتابتها. وقد وضع الله تبارك وتعالى سبعين ستاراً على الإنسان، وعند كل معصية يرتكبها الإنسان تنخرق إحدى هذه الستائر، وهكذا حتى تتمزق كل هذه الستائر. وحينئذٍ تقول الملائكة: إلهنا إن عبدك قد مزّق كل الستائر. فيأتيهم الجواب من الباري تعالى: استروه بأجنحتكم. فيعاود ارتكاب المعاصي أيضاً.

فتشتكي الملائكة إلى الله أنّ عبدك فلان تؤذينا رائحة معاصيه. وحينئذٍ يأتي الجواب من الحق جل جلاله: أن ابتعدوا عنه، وأي معصية يرتكبها منذ الآن فافضحوه بين الملأ ولو كانت في جوف الليل.

وعلى هذا الحال الذي جعل الله لك أنواعاً مختلفة من الملائكة بعضها رسل الصلاة وبعضها تستغفر لك وأخرى توصل إليك شتى أنواع الخيرات دون أن تنتظر منك أي مكافأة ومجازاة. فإذا لم تقدر أن تسرّهم وتريحهم فلا أقلّ لا تؤذيهم. وقد ورد في الخبر عن رسول الله (ص) أنه قال: يا علي أنا لا آكل الثوم لأني أناجي الملائكة. وحتى بعد وفاة الإنسان فإن الملائكة الموكلين به مشغولين بخدمته، هكذا جاء في الخبر: إن الملائكة الموكلين يقولون لله تبارك وتعالى بعد وفاة الإنسان: لقد مات هذا المسكين أنستطيع أن نصعد إلى السماء؟ فيأتي الجواب من ناحية الباري عزّ وجلّ: إن المسبحين في السماء كثير، أبقوا على قبره وصلوا له. وورد في خبر آخر أيضاً: عندما يصعد الملائكة الموكلون بصلاة العبد فإن لم تقبل يضرب بها رأس المصلي فتقول الصلاة: ضيعتني ضيّعك الله. ويوجد في السماء ملك باسم اسماعيل، وهو ظاهراً بعد الملائكة الأربعة المقرّبين، وهو موكل على سجل الأعمال، وباب السماء الدنيا بيده أيضاً، وإضافة إلى ذلك هو موكل على الشُهب والثواقب. وهذا الملك رئيس لثلاثمائة من الملائكة، وكل واحد من هؤلاء رئيس لمائة ألف من الملائكة الآخرين. وتحفظ أفعال وأعمال العباد في السماء الدنيا، وفي آخر كل سنة يأتي ملك من السماء السابعة ويأخذ كل هذه السجلّات: **﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنّا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**[1].

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٩.

وبناءً على هذا فعليك أن تنتبه بأن لا تؤذي الملائكة وخصوصاً الملكان الموكلان بالروائح الكريهة والأعمال الشنيعة، وأن تتجنب اللغو وفضول الكلام لكيلا تضجرهما. مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على شخص يتحدّث بحديث لغو فقال له: يا فلان إنك تملي على ربّك كتاباً فانظر إلى ما تقول. وفي رواية أنه عندما يريد مؤمنان أن يتناجيا فإن ملكي كلٍ منهما يفارقانهما لئلاّ يطّلع على سرّهما أحد. فقال الراوي: إنّ الله عز وجل يقول: **﴿وما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾**[1]. فأطرق الإمام عليه السلام برأسه وبكى ثم قال: إذا لم تطلع الملائكة على هذا السرّ فإن الله مطلع عليه، وفي هذا كفاية.

إذن فالإنسان إن لم يقدر على أفعال الخير فلا أقل يمسك نفسه أن لا تصدر منها الشرور. والإنسان الذي لا يستطيع أن يقول خيراً فلا أقل للتعود على السكوت وكلام الإنسان لا يخرج من حالتين: إمّا كلام غير مباح وقبيح أو حديث جائز وجميل. وأما السكوت فهو محسوب من القول الجميل **﴿وهديناه النجدين﴾**[2]. وقد وردت أخبار كثيرة في النهي عن القول الباطل في أرض كربلاء. وجاء الأمر من جانب الباري تعالى إلى الملائكة الموكلين بنصرة سيد الشهداء الحسين عليه السلام: حافظوا على زوّار الحسين واستقبلوهم عند مجيئهم وشايعوهم حين رحيلهم. وعندما يصعد هؤلاء الملائكة إلى السماء يسألهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زوّار الحسين عليه السلام فتجيب: إنهم يبكون، فيقول لهم رسول الله (ص): بشّروا زوار الحسين (ع)، فيقولون: إنهم لا يسمعون أصواتنا. فيقول لهم: استروهم بأجنحتكم. وبمجرّد أن يقع نظر الزهراء عليها السلام على

---

(١) سورة ق: الآية ١٨.

(٢) سورة البلد: الآية ١٠.

هؤلاء الملائكة تصرخ صرخة ثم يغمى عليها. ألف نبي وألف صديق وألف شهيد يبكون معها على الحسين عليه السلام. والمفجوع بمصيبته إذا رأى أهل المجلس يشاركونه في حزنه وبكائه يدخل السرور على قلبه ويخف حزنه، وفي هذه الحالة فإن ملائكة السماء تشارك أيضاً في البكاء والنحيب. ويأتي رسول الله (ص) في هذه الأثناء ويسلّي فاطمة عليها السلام ويعزّيها ويعدها بالانتقام من قتلة سيد الشهداء عليه السلام. وتطلب حور العين في الجنان من الملائكة الموكلين بحفظ كربلاء هدايا من تربة الحسين عليه السلام. وكل هذه الموضوعات تحتاج إلى تأمل.

لماذا يبكي هؤلاء العظماء في السماوات؟ ولماذا تطلب حور العين تربة الحسين عليه السلام مع كل تلك الروائح الطيبة في الجنان؟ وماذا تنفع الحور العين هذه التربة، في الوقت الذي لا يتمرضن فيه ولا يتعرضن لخوفٍ ليدفعن المرض والخوف عن أنفسهن بهذه التربة؟ وعندما يأتي حفظة كربلاء بتربة الحسين عليه السلام هدية إلى الحور العين، تصل رائحة هذه التربة إلى شامة فاطمة سلام الله عليها تنحب وتبكي. فهل كان عصر عاشوراء موافقاً لصعود الملائكة إلى السماء الدنيا وحضور الأئمة عليهم السلام وحضور فاطمة سلام الله عليها وقراءة أعمال أهل الكوفة لتسمع فاطمة عليها السلام. وقد وردت في إحدى الرسائل: يا حسين إن كنت عالماً فاستخرج الماء لنفسك فإنّا لن نعطيك منه شيئاً. وكُتب في رسالة أخرى هكذا: ضيّقوا على الحسين ليخرج من دين الله. وفاطمة عليها السلام تسمع أنه جاء في صحيفة سيد الشهداء قوله عليه السلام: يا أيها الناس إن أردتم قتلي فاسقوني جرعة ماء فإنّ كبدي تفتت من العطش وماذا سيكون حال فاطمة لو سمعت قول الحسين عليه السلام: يا قوم إن كان الذنب ذنب الكبار فما ذنب هذا الرضيع الذي لم يذق الماء منذ أيام فاسقوه

جرعة من الماء! واويلاه لو أن فاطمة عليها السلام سمعت بأن حرملة رمى الرضيع بسهم فذبحه من الوريد إلى الوريد فتلقى الحسين عليه السلام الدم بكفه ورمى به نحو السماء وقال: اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح. واويلاه على ذلك النفس الأخير الذي خرج من لسانه اليابس. ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

المجلس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.

عندما خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام استودعه وأولاده اسم «السلام» ليستعملونه أماناً من الشرور فيما بينهم في جميع أمورهم، في معاملاتهم، وبيعهم وشراءهم، وذهابهم ومجيئهم، وليحافظ الإنسان باسم السلام على جوانبه الباطينة كالعقل والقلب والنفس وجوانبه الظاهرية والخارجية كاللسان واليد والرجل والعين وسائر الأعضاء. وورد في كتاب تحفة الأخوان الذي كانت نسخة منه عند السيد هاشم البحراني حديث طويل وملخصه: عندما خلق الله تعالى آدم وكرّمه على خلقه وعلّمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود له، نصب منبر وحملت الملائكة آدم عليه السلام على أكتافها وأجلسته على أعلى المنبر، وكان آدم عليه السلام يحمل في يده عصا فخطب الملائكة، وكان أول كلامه أن قال: السلام عليكم يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته. فأجابته الملائكة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويظهر أن هذا الحديث ذكر في ذيل تفسير الآية

الشريفة ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾[1] في تفسير البرهان، وذكر احتمالاً في المجلد السادس من البحار. وعلى كل حال فالمعلوم من هذا الخبر أن السلام لم يكن منحصراً بهذه الأمة بل هو موجود منذ زمن آدم إلى النبي الخاتم. ويمكن استفادة هذا أيضاً من عدّة آيات قرآنية فالتحية كانت سائدة بين الأمم السابقة أيضاً، ولكن كل أمة تتداول هذا المعنى بلسانها.

وقد قلنا قبل هذا أن الإنسان يجب أن يزكّي نفسه فتكون سالمة، ثم وعلى أساس قاعدة «الأقرب فالأقرب» يتوجه إلى الآخرين، وإذا لم تكن سالماً فلا تأمّل أن يكون الآخرون سالمين بسببك. وأول درجات السلامة والسالم والمسلم هو الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده. وأول درجات الظلم ظلم النفس.

والظلم له أنواع مختلفة، أحدها عدم ايفاء حقوق المؤمنين. وورد في خبر معلّى ابن خنيس: إنّ للمؤمن على المؤمن سبع حقوق وذكرت روايات أخرى ثلاثين حقاً، وفي أخرى مائة حق. وفي صورة عدم رعاية الإنسان هذه الحقوق يُعد ظالماً. ولكل من الجار والزوجة والولد والخادم والأجير حقوقاً، وقد عيّن الشارع هذه الحقوق. وإذا تعدّى الإنسان هذه الحقوق يُعدّ ظالماً، مثلاً إذا أجبرت زوجتك على أداء أكثر من الضرورات فقد ظلمتها.

ومن موارد الظلم تضييع أوقات الآخرين بالخطابات الفارغة وأحاديث اللغو، والذي هو في الحقيقة إتلاف لأعمار الآخرين والعمر أكبر رأسمال يمتلكه الإنسان. وكذلك الحضور في مجلس يُغتاب فيه المؤمنون هو ظلم لأولئك المؤمنون.

ويجب مع الاستطاعة الدفاع عن الأشخاص مورد الغيبة وإلا

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣١.

فيجب حينئذٍ ترك المجلس. وأحد أشدّ أنواع التضليل التي يمارسها شياطين الإنس والجن الغرور. وكثيراً ما نرى أشخاصاً يصيبهم الغرور بمجرّد أداء عبادات قليلة أو زيارة سيد الشهداء عليه السلام والبكاء عليه. ولا يلتفت إلى شرائط وموانع تلك العبادات. وعلى أثر هذا الغرور يرتكب الظلم على نفسه وعلى الآخرين ويحسب أن يُحسن صنعاً، في الوقت الذي تكون فيه أعمالهم وعباداتهم بلا ثمرة وفائدة. ولا ينبغي الجلوس مع أمثال هؤلاء الأشخاص، وهذا ما يستفاد من الآية الشريفة: **﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾**[١].

وأسوأ أنواع الظلم هو ظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله. والله تبارك وتعالى لا يتجاوز عن مثل هذا الظلم حتى إذا كان مثقال حبة من خردل كما قال سبحانه: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾**[٢].

والآن نذكر بعض الآيات والروايات في ذمّ الظلم والظالمين وسوء عاقبتهم.

وقد ذكرت أخبار الظلم في كتاب الوسائل في باب جهاد النفس وباب المكاسب وقد ورد في بعض الأخبار أن ترك الظلم بمنزلة اعطاء الصدقة. وجاء في كتاب الجعفريات أن رسول الله (ص) قال لأبي ذر: الصدقة أمر عجيب. فسأله أبو ذر: أي الصدقة أفضل؟ فقال (ص): ما كانت عند أهلها أعز. فقال أبو ذر: وإن لم يكن له مال؟ فقال (ص): فمن فضل طعامه فقال أبو ذر: وإن لم يكن له فضل طعام؟

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٥١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٧١.

فقال (ص): إرشاد الضال. فقال أبو ذر: فإن لم يكن رُشد؟ فقال (ص) : اعانة الضعيف والعاجز والعاثر. فقال أبو ذر: فإن لم يكن له قوة على ذلك؟ فقال (ص): يكون سبب خير فيطلق المظلوم من يد الظالم فقال أبو ذر: فإن لم يتيسر له ذلك؟ فقال (ص): إماطة الأذى عن طريق المسلمين. فقال أبو ذر: فإن لم يكن ذلك! فقال (ص): احفظ نفسك عن أذية الآخرين. وحقاً بهذه الصدقة تطهر وتزكى النفوس.

وعلم من هذا الحديث بأن ترك الظلم له ثواب الصدقة. وجاء في خبر آخر أن عيسى عليه السلام مرَّ على قبر يعذّب صاحبه. ثم مرَّ عليه من قابل فلم ير ذلك المعذّب، فسأل عنه، فجاءه الخطاب: إن لهذا الميت ولداً أماط الأذى عن طريق المسلمين، فرفع عذاب القبر عن أبيه.

ويجب على الإنسان أن يراقب نفسه بصورة مستمرة لئلاّ يصل منه ظلم إلى الآخرين ولكي يحصل الإنسان على هذه الصفة عليه أن يتعاهد نفسه عليها ويعتاد عليها حتى تتحول إلى ملكة عنده. وقد ورد في بعض الأخبار: إذا لم تكن حليماً فتظاهر بالحلم وعوّد نفسك عليه حتى يصير ملكة. وهكذا بالنسبة إلى الصفات الأخرى كالكرم والسخاء والوقار وغيرها فيتظاهر بها حتى تكون له عادة وتتحول بالتدريج إلى ملكة. ولا يتخيل أحد بأن هذا رياء، بل هو طريق لكسب الأخلاق الحسنة والصفات الجميلة لمن يحبّ هذه السجايا والخصال الحميدة ولكن غلبه هواه وسوّلت له نفسه التطبّع بخلافها.

وبالجملة فإن للظلم أنواع مختلفة وأسوأها من رأى ظلم ولي نعمته مباحاً، وخصوصاً ظلم من أراد نجاته من المهالك الأخروية، وإخراجه من ربقة الكفر والزندقة وعبادة الأصنام وانتشاله من مستنقع

الأخلاق الرذيلة والفتنة والفساد فما أقبح ظلم من له حق في رقبة الإنسان، وانظر إلى ما تحمله الرسول الأكرم (ص) من المشاق العظيمة ليخرج الأعراب من الكفر وعبادة الأصنام والأخلاق الرذيلة والفتن وأنجاهم منها، ولم يطلب منهم أجراً على ذلك أبداً، إلاّ حين وفاته (ص) فقد طلب منهم عدم أذية ابنته وقال: «فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد أذاني» ولكن عندما ارتحل عن الدنيا لم يسمحوا لابنته هذه بالبكاء عليه، وقد نزلت بها من المصائب والأحزان بعد وفاة أبيها حتى ذَبلت وذاب لحم جسدها. وكل شخص تحلّ به مصيبة تخف عليه وطأتها بعد اسبوع أو اسبوعين، وتقلّ تدريجياً إلى أن ينساها، اللهم إلاّ أن تقع عينه على شيء يذكره بذاك الميت كثيابه مثلاً. ولكن فاطمة عليها السلام كانت مصائبها وأحزانها تزداد يوماً بعد يوم. ومن المتعارف أنه بعد دفن الميت يأتي الآخرون لتعزيته وتسليته لكي لا يبقى وحده فيستغرق في الحزن والبكاء. وقد جاء المسلمون لتعزية الزهراء عليها السلام بعد وفاة والدها. وعندما بقيت بعد ذلك وحدها أرادت أن تبكي في البيت بصوت عال، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام كان يسلّيها وقال لها: لا تبكي سأذهب بك إلى قبر أبيك ليلاً. وسكتت فاطمة عليها السلام إمتثالاً لأمر علي عليه السلام، وحبست أنينها وتوجعها. وعندما جاء علي عليه السلام ليلاً وجد فاطمة عليها السلام مغشيّاً عليها. فأرجعها عليه السلام إلى وعيها. فسألت عليها السلام: ما الوقت الآن؟ فقال لها عليه السلام: الوقت ليلاً فانهضي. فأخذ علي عليه السلام بيدها وجاء بها إلى قبر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلما وقع نظرها على تراب قبر أبيها جلست على ركبتيها وخاطبت أبيها بكلمات مذكورة في مواضعها. ثم أخذ علي عليه السلام بيدها وأرجعها إلى البيت. وكانت نساء الأنصار والمهاجرين وبني هاشم تأتي نهاراً لتعزية فاطمة عليها السلام، فترتفع الأصوات

بالبكاء والنحيب. ولكن لم يستطع عديمي الإنصاف الصبر على ذلك فقالوا لعلي عليه السلام: إن فاطمة جعلت عيشنا مراً، فقل لفاطمة إما أن تبكي نهاراً أو تبكي ليلاً فأخبرها علي بما يقولون، فقالت عليها السلام: سأرحل من بينكم قريباً ولا تسمعوا صوتي بعدها. فكان الحسنان يصطحبانها نهاراً إلى البقيع فتستظل في ظل شجرة هناك وتجلس للبكاء. فأرسل أشقياء المدينة شخصاً فقلع تلك الشجرة ليلاً.
وهناك شجرة أخرى أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قاطعها: «لعن الله قاطع السدرة» وعندما ذهب شخص من الكوفة إلى الري، سأله قاضي الري عن وقائع وأخبار الكوفة. فحكى له من أخبارها حتى قال له: إن هارون اللعين غضب على قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام وقطع شجرة السدر التي كانت قرب القبر. فقال القاضي: سبحان الله لم أكن أفهم هذا الخبر إلى الآن. ويتخيل البعض أنّ النبي (ص) لعن قاطع مطلق شجر السدر لأن السدر كانت شجرة شريفة وكانت ثمرتها بحجم البطيخ، فخرج فيها الشوك لكثرة معاصي بني آدم. والآن لاحظ الظلم، لماذا كانت تلك الشجرة في ذلك الوقت الذي لا يوجد فيه صحن ولا رواق علامة على قبر أبي عبدالله (ع)، فعندما تصل إلى كربلاء تذهب إلى تلك السدرة وتمشي خطوات عديدة إلى جهة القبلة فهناك قبر أبي عبدالله عليه السلام. وكانت هذه هي علامة قبر الحسين (ع)، وعندما غضب هارون اللعين قطع هذه الشجرة. وباب السدر الذي هو الآن أحد أبواب الحرم المطهر مكان تلك الشجرة. وقد لعن رسول الله (ص) قطع تلك الشجرة، فما حال رسول الله (ص) لو رأى قطع شجرة الأراك أيضاً وفلذة كبده مع اثنين من أنوارها جلوس تحت لهيب الشمس المحرقة يبكون. وهناك شجرة أخرى كانت في الكوفة أيضاً أشرف من الشجرتين السابقتين، بل أشرف من

كل أشجار العالم، ، لأن شرف الشجرة بثمرتها، وثمرة هذه الشجرة رأس أبي عبدالله الحسين (ع)، حيث أمر اللعين ابن زياد أن يعلق الرأس المبارك في الكوفة على تلك الشجرة. لا أدري كيف علّقت هذه الثمرة؟ تصوّر بنفسك رأس مقطوع يريدون تعليقه على الشجرة كيف سيعلّقونه! وإماماه! واسيداه! من كربلاء إلى الشام والرأس المبارك يرتل القرآن ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[١].

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

المجلس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.

قلنا في المجلس السابق أن مَن يريد الوصول إلى فوائد وثمار السلام يجب عليه أن يكون سالماً، وأقل مراتب السلامة أن لا يصل من لسانه وعينه وأذنه وسائر جوارحه أذىً إلى الآخرين، وأن يكون الآخرون في راحة منه وفي الحديث الشريف: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» وهذا الأمر صعب جداً. ومن المسلّم أنّه إذا كان القلب سالماً فعمل باقي الجوارح سيكون سهلاً. لأن القلب سلطان وحاكم البدن، وإذا كان الحاكم والسلطان سالماً فمن السهل تأمين سلامة المحكومين «والناس على دين ملوكهم».

ولكن إذا لم يكن القلب سالماً فيحتاج إلى بذل جهد كثير لتكون الأعضاء والجوارح سالمة، وهذا عمل شاق وصعب، ولكن الإشكال بالنسبة لأولئك الأشخاص غير المنتبهين. أما الإنسان العارف بفوائد السلام فتكون مشاق العمل عليه يسيرة. وسيتلقى الصعوبات بصدر رحب، لأن هذا الشخص طالب للدخول بدار السلام: ﴿إن المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلامٍ آمنين * ونزعنا ما في صدورهم من

غلٍ إخواناً على سرر متقابلين * لا يمسّهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾[1] و **﴿ازلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود﴾**[2] وكل إنسان يؤمن بهذه الحقائق ويتوجّه إلى هذه المقامات والنعم يكون طريقه سهلاً.

وفي الرواية الشريفة: «المؤمن نفسه منه في تعب والناس منه في راحة» وأحد معاني هذا الحديث هو: ان الاشتغال بأمر الآخرة يمنع المؤمن من أذى الآخرين، لأنه من غير الممكن للإنسان أن يكون مشغولاً بعملين متضادين. وإذا ابتلي أحياناً بمعاشرة الناس فلا يصدر منه ما يُلحق الأذى بالآخرين، بل يكون مصدر ارشاد وهداية للناس. قيل للسيد ابن طاووس عليه الرحمة: اجلس في مجلس القضاء للفصل في خصومات الناس ليصل خيرك إلى الناس فقال: أنا مبتلى منذ مدّة بخصومة لم أستطع القضاء فيها إلى الآن؟ فسئل: وأي خصومة تلك؟ فقال: الخصومة بين العقل والنفس، فالعقل يقول إن جميع حركات وسكنات وأفعال وأقوال وأحوال الإنسان يجب أن تكون لله تعالى، والنفس تقول: يجب أن تكون كل هذه من أجل الدنيا، والعقل لا يطيعها، وكل ما حاولت خلال مدة عمري أن أجعل نفسي مطيعة لعقلي لم أستطع. فالشخص العاجز عن حلّ خصومة واحدة مع نفسه كيف يستطيع أن يتصدى لحل خصومات الناس؟ اذهبوا وابحثوا عن شخص استطاع أن يُنهي هذه الخصومة لصالح عقله بحيث جعل من نفسه مطيعة له.

وعلى هذا النحو لو وفق الإنسان أي أن يجعل نفسه مطيعة لعقله

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٥١ ـ ٤٨.
(٢) سورة ق: الآية ٣١ ـ ٣٤.

فسيدخل آمناً دار السلام. إذن ينبغي على الإنسان أن يفهم فوائد السلام من الإشارات والتلويحات في الروايات الشريفة. ومن فوائد السلام هو أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وحينما تسلّم على شخص فإنك تدخل في زمرة الذاكرين، ونحن مأمورون بذلك: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبّحوه بكرة وأصيلا﴾**(١) وثواب أهل الذكر أيضاً لمثل هؤلاء الأشخاص. وفائدة الذكر أن الإنسان يبتعد عن الشيطان. كما ورد ذلك في حديث طويل: يقول النبي الأكرم (ص) الذي انكشفت له حقائق الأشياء: رأيت شخصاً من أمتي قد أحاطت به الشياطين وعندما ذكرالله تعالى تفرّقت عنه هذه الشياطين **﴿إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**(٢).

فالشيطان صياد يراقب صيده. فهو يراقب الإنسان بصورة مستمرة فإذا غفل الإنسان عن ذكر الله تعالى هجم عليه **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾**(٣) والمراد من كلمة «نقيض»: الاخلاء أي نوكله إلى نفسه، وهذه أدنى مراتب الغفلة، لأنه بعد تسلّط الشيطان على الإنسان ينسيه ذكر الله تعالى، وعندما ينسى الإنسان ذكر الله تعالى فإن الله عزّ وجل يحرم الإنسان من أن يكون مشمولاً لرحمته الخاصة والتي عبّر عنها في هذه الآية الشريفة بنسيان الله: **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾**(٤) **﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾**(٥) حتى يصل الأمر إلى: **﴿ختم الله على**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤١ ـ ٤٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠١١.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٦١.
(٤) سورة المجادلة: الآية ١٩١.
(٥) سورة الحشر: الآية ١٩١.

قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾[(١)].

فعُلم أن ترقي الإنسان في مدارج الكمال تدريجي. مثلاً إذا كان الإنسان قليل العقل فليتبعه ويسير على وفق أوامره، فسيقوى عقله يوماً بعد يوم، وكلّما كبر عقله كلما ازدادت أعمال الخير الصادرة منه، وهكذا إلى الأخير، وكما قيل: بالعقل يستخرج غور الحكمة وبالحكمة يستخرج غور العقل، وكما قال الله تعالى: **﴿واتقوا الله ويعلّمكم الله﴾**[(٢)] بالتقوى يزداد العلم وبالعلم تزداد التقوى، وهكذا يكون سلسلة الصعود وأيضاً هكذا يكون سلسلة النزول. في البداية يكون الإنسان غافلاً قليلاً عن ذكر الله تعالى، وحينئذٍ يغلبه هواه، وتقل أعماله الحسنة. وكل من يكون عمله الصالح قليلاً تكون غفلته أكبر. وكل من كانت غفلته أكبر كانت طاعته أقل وضوضاؤه أكثر، حتى ينسى أخيراً ذكر الله تعالى تماماً: **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾**[(٣)].

فاتضح بأن فوائد ذكر الله تعالى كثيرة، وكل مَن كانت له حاجة وواظب على ذكر الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى على سنخ تلك الحاجة فإن حاجته تقضى، مثلاً من كان يريد العزة فيواظب على ذكر «العزيز»، ومَن كان يريد الثروة فيواظب على ذكر «الغني»، وإذا أراد العلم يكون ورده «العليم الحكيم»، وإذا أراد صفاء الباطن يكون ورده «القدوس» وهكذا يواظب على ذكر سائر الأسماء الحسنى حتى يحصل على مطلوبه.

ومن فوائد السلام الأخرى أنّ الإنسان علاوة على ذكره اسم الله

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢١.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١٩١.

تعالى سيكون سبباً في ذكر الآخرين لاسمه تعالى شأنه، ويوجد أحياناً أشخاص يذكر اللقاء بهم وحديثهم بالله تبارك وتعالى، مثلما سُئل عيسى عليه السلام: «من نجالس؟ فقال: مَن يذكركم الله رؤيته»وكان نقش خاتم عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: «طوبى لمن ذكر الله لأجله، وويل لمن نسي الله لأجله».

وفائدة أخرى للسلام أن قائله يدخل في زمرة القائلين بالقول السديد: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾**[1] وقد فسّر القول السديد في الأخبار بذكر الله تعالى، وكذا فإن المراد من القول الحسن والقول الطيب في الآيات والأخبار هو ذكر الله تعالى أيضاً: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**[2].

ومن فوائد السلام أيضاً هو قلع بذور الحسد والكبر والبغض من قلب الإنسان، لأن إلقاء السلام يجعل الطرف الآخر يتصوّر أنك معه في حالة سلم وصلح وصفاء، فيزيح من قلبه الغل والحقد. بالإضافة إلى أنّ هذا من خواص اسم السلام، كما قال عيسى عليه السلام: اذا قلَّ السلام بين الناس كثر الحقد والكبر. وكذلك فإن السلام يبعث الحب والسرور في قلوب عباد الله وقد قيل: «التحبب نصف العقل».

ويجب على الإنسان أن يعرف بعض آداب السلام. ومن جملة آداب السلام هو الابتداء بالسلام، سواء كان الطرف المقابل شريفاً أم وضيعاً، كما ورد في حديث شمائل وفضائل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان أول ما خلق الله تعالى وجاء في شأنه صلى الله

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٠ ـ ٧١.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

عليه وآله وسلم: «لولاك لماخلقت الأفلاك» هكذا جاء: انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يبدأ كل أحد بالسلام. ونقل عنه (ص) قوله: الأقرب إلى الله ورسوله يبدأ بالسلام. وورد في حديث آخر أن للسلام مائة حسنة تسع وتسعون للبادىء به وواحدة للرادّ. وفي حديث آخر: سبعون حسنة تسعة وستون للبادىء به وواحدة للرادّ. إذن إذا كان هناك معاملة دنيوية فيها تسعة وتسعون منفعة، ومعاملة أخرى فيها منفعة واحدة، أفليس من العقل أن يقدم الإنسان على المعاملة الأولى ويصرف النظر عن المعاملة الثانية. وهكذا أيضاً بالنسبة إلى المعاملة المعنوية والإلهية: **﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**[١].

وإذا كان هناك مَن يتصوّر تصوراً باطلاً بأن يرى نفسه أعلى من الآخرين ولذا لا يبدأ من هو دونه بالسلام يجب عليه أن يعمل بمضمون الآية الشريفة وسنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ويجاهد هذه النفس الإستعلائية، وفي الحقيقة يدرك نفع هذه التجارة الرابحة. وهكذا من منعه التكبر من الابتداء بالسلام، ومن بخل في السلام يُحرم من تلك المنعفة العظيمة، وفي هذه المجموعة يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وأمّا من بخل واستغنى * وكذّب بالحسنى * فسنيسره للعسرى﴾**[٢]. وكل من يؤمن ويصدق بهذا الأمر ولم يعمل به فينبغي عدّه من زمرة السفهاء حقاً. والسعيد من أضاف العمل إلى الإيمان والتصديق فيكون مشمولاً بالآية الشريفة: **﴿فأمّا من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيّسره لليسرى﴾**[٣]. وجاء في رواية: نزل ملك

---

(١) سورة الصف: الآية ١٠ـ١١.
(٢) سورة الليل: الآية ٨ ـ ١٠.
(٣) سورة الليل الآية ٥ ـ ٧.

إلى الأرض فوجد شخص واقف في باب دار فسأله: لم أنت واقف هنا؟ فأجاب الرجل: جئت مسلّماً على صاحب الدار. فسأله الملك: ألك عنده حاجة؟ فأجاب الرجل: كلا. فسأله الملك: فهل هو من أقربائك؟ فأجاب الرجل: كلا. فسأله الملك: إذن لماذا تريد السلام عليه؟ فأجاب الرجل: أريد السلام عليه لمحض الأخوة الإيمانية بيننا. فقال له الملك: ابشر فإني ملك أرسله الله إليك وقد قال الباري تعالى: إنك قد زرتني وقد آمنتك من غضبي وجعلت الجنة مباحة لك. وفي الحديث الشريف: «أبخل الناس من بخل بالسلام». والسنة أن الإنسان مهما كانت درجته يسلّم على الآخرين بأي رتبة كانوا. وإذا جاء شخص إلى مجلس ولم يسلّم ودعا فليس له حق إجابة الدعوة، وإذا سأل فليس له حق الجواب. جاء شخص إلى سيد الشهداء عليه السلام وسأله سؤالاً، فقال له عليه السلام: لماذا لم تسلّم، السلام قبل الكلام. وكان شائعاً بين العرب سابقاً مثل هذا العُرف وهو كل من يسلّم يحصل على الأمان.

ويجب أن يُعلم أن السلام يكون فضيلة إذا كان الطرف المقابل مستحقاً للسلام. ولكن إذا كان الطرف المقابل خبيثاً إلى درجة لا يستحق معها السلام فلا فضيلة للسلام عليه فمثلاً عندما دخل غريب الشهداء مسلم بن عقيل مجلس ابن زياد لم يسلّم. وكان حقاً غريب، فعندما فرغ من صلاة العشاء في المسجد التفت فلم يجد أحداً من ذلك الجمع الكثير الذي بايعه، ولم يكن هناك حتى شخص واحد يدلّه على بيت يأوي إليه، فبقي حيراناً متلفتاً في شوارع الكوفة وأزقتها. وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى أهل الكوفة: أرسلت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي. وأمر ابن زياد الحصين بن نمير أن ينادي في أزقة الكوفة: الويل لمن عبر مسلم من زقاقه ولم يخبر بذلك، الويل للدار التي فيها مسلم ولم يأت أهلها بخبره، سنهدم داره

على رأسه. ومشى مسلم في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يتوجه وانتهى بابن عقيل السير إلى امرأة عجوز واقفة على الباب تنتظر ولدها، فاستسقاها مسلم فسقته، وبقي واقفاً بباب الدار، فسألته العجوز: لماذا لا تذهب أيها الرجل إلى منزلك وترى الكوفة مضطربة؟ فأجابها مسلم: ليس لي منزل أو مأوى أذهب إليه، فهل أستطيع البقاء الليلة عندكم؟ فسألته العجوز: مَن تكون؟ فقال لها: أنا مسلم بن عقيل. فأدخلته العجوز إلى بيتها وجاء ولدها الملعون وأنكر عليها كثرة الدخول والخروج لذلك البيت فاستخبرها فلم تخبره إلاّ بعد أن حلف لها بأن يكتم الأمر، وعند الصباح أعلم ابن الأشعب وكانت له معه صلة قرابة بمكان مسلم، وأخبر ابن الأشعب ابن زياد بالأمر فأرسل ابن الأشعث في جماعة للقبض على مسلم. ولما سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنه قد أتي، فعجّل دعاءه الذي كان مشغولاً به بعد صلاة الصبح وماذا عساه يفعل وهو وحيد غريب ولا ناصر له ولا معين ثم لبس لامته وخرج إليهم مصلتاً سيفه فقاتلهم قتالاً شديداً، فانفذ ابن الأشعث إلى ابن زياد يستمده الرجال، فبعث إليه اللائمة، فأرسل إليه: أتظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقاقيل الكوفة؟ إنك أرسلتني إلى أسد من أسود العرب. فأرسل ابن زياد إليه المدد فعجزوا أيضاً من القبض على مسلم، فأشرفوا عليه من فوق البيت يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في حزم القصب ويلقونها عليه. فاشتد القتال واختلف مسلم وبكير بن حمران بضربتين ضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السيف إلى السفلى. وأثخنته الجراحات وأعياه نزف الدم فاستند إلى جدار ذلك البيت ولم يجرؤا على القبض عليه فأعطوه الأمان فتوقف مسلم عن قتالهم. ولكن هذه الفئة من أهل الكوفة لم يعملوا لا بقانون الإسلام ولا بقانون أعراب الجاهلية، فأصعدوه على بغل ونزعوا حمائل سيفه. فاعترض عليهم مسلم قائلاً:

الويل لكم أين أمانكم؟ فلم يعتنوا بكلامه وأرسلوه إلى دار الإمارة. وجيء به إلى ابن زياد فرأى على باب القصر قلّة مبردة فقال: اسقوني من هذا الماء. فأجابه خبيث كان هناك: لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم. فما كان أقسى هذا الخبيث! فقال له مسلم: أنت أولى بذاك الماء. وكان عمر ابن حريث حاضراً هناك فأتاه بالماء، وكلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً وفي الثالثة ذهب ليشرب فامتلأ القدح دماً وسقطت فيه ثناياه فتركه وقال: لو كان من الرزق المقسوم لشربته ولكن السبب الرئيسي أنه كان يجب عليه أن يواسي الحسين عليه السلام من كل جهة، فإن أبا عبدالله عليه السلام قد فارق الحياة وهو عطشان فكذلك مسلم يجب عليه أن يفارق الحياة وهو عطشان، بل ان مسلم كان شريكاً لسائر الشهداء في كل شيء إلا في شيء واحد وهو أن سائر الشهداء كانوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة في حجر أبي عبدالله فتخرج أرواحهم مسرورة، إلاّ مسلم لم يكن أحد على رأسه في لحظات حياته الأخيرة وكذلك كان أبو عبدالله الحسين عليه السلام.

وأخيراً أدخل مسلم على ابن زياد فلم يسلّم، فقال له الحرسي: ألاّ تسلّم على الأمير؟ فقال له مسلم: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه وإن كان لا يريد قتلي فليكثرن سلامي عليه ثم التفت ابن زياد إلى مسلم وقال: أتيت الكوفة لتشعل نار الفتنة؟ فأجابه مسلم: كلا ما أتيت لذلك ولكن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب. فقال ابن زياد: ما أنت وذاك. ثم شتمه وشتم الحسين وعلياً وعقيلاً. فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتم فاقض ما أنت قاض يا عدو الله. وقد كان الخبيث جالساً في مجلس أمير المؤمنين عليه السلام ويتجرأ عليه. ثم أمر الشخص الذي ضرب مسلم بالسيف على فمه أن يأتي

لقتل مسلم. ثم طلب مسلم أن يوصي لبعض قومه، فأذن له. فرأى عمر بن سعد فأراد أن يوصيه فامتنع فقال له ابن زياد: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك فقام معه، فأوصاه مسلم أن يقضي من ثمن سيفه ودرعه ديناً استدانه منذ دخل الكوفة، وأن يدفن جثته بعد قتله، وأن يكتب إلى الحسين كتاباً يخبره بخبر ارتداد أهل الكوفة عن بيعته لأني قد كتبت له ببيعة الناس له، ولعله الآن في طريقه إلى الكوفة. فقام الخبيث عمر بن سعد إلى ابن زياد وأفشى كلما أسرّه إليه. فقال ابن زياد: ليس لنا في ماله حاجة، وكذا في جسده بعد موته، وأمّا الحسين فإن لم يكن قاصداً إلينا فليس لنا معه حاجة. ثم سأل ابن زياد: مَن ضرب مسلم؟ فجاء بكر ابن حمران. فقال له ابن زياد: اصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه. فأصعده إلى أعلى القصر وضرب مسلم ضربة فلم تمض فيه وكان مسلم مشغولاً بالاستغفار فقال: اللهم احكم بيننا. وضربه حمران ضربة ثانية فصلت رأسه الشريف عن جسده ورمى برأسه وجسده إلى الأرض. وبقي جسده الطاهر ملقىً في سوق الكوفة. وقد ذكر بعض أرباب المقاتل أن جسد مسلم وجسد هاني سحبا في الأسواق وعلّقا في دكان من دكاكين القصابين. ووصل الخبر إلى الحسين عليه السلام بأن جسدي مسلم وهاني يجرّان بالحبال في أسواق الكوفة. ألاّ لعنة الله على ابن زياد الذي لم يعمل بأي وصية من وصايا مسلم. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

المجلس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.

ذكرنا فيما مر طرائف ودقائق هذه الآية الشريفة المدرجة في صفات «عباد الرحمن» فانه قد بُين في الآية الشريفة صفتين من هذه الصفات، الصفة الأولى هي: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾[1] والصفة الثانية: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾، فإذا كانوا هكذا مع الجهلاء فمن طريق أولى أن يكونوا في حالة صلح وسلام مع العقلاء.

ثم ذكر إحدى عشر صفة من صفات عباد الرحمن وهي: ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما * والذين يقولون ربّنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً * انها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهانا * إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا * والذين يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما * والذين إذا ذكروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها صماً وعمياناً * والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذريّاتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾[١].

وحينئذٍ يقول الله جلّ جلاله في بيان أجر هؤلاء: **﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً * خالدين فيها حَسُنت مستقراً ومقاما﴾**[٢] وهنا يردّ الله تبارك وتعالى عليهم السلام ويسلّم عليهم لأن الله تبارك وتعالى قال قد وعدهم به مقابل عملهم المتقدم. نعم كل من يلتزم بآداب السلام ويدخل دار السلام فإن الله عزّ وجلّ يوصل إليه السلام: **﴿وأمّا إن كان من أصحاب * اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾**[٣] و **﴿إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾**[٤]. وبناءً على هذا يجب على الإنسان أن يدخل في الجماعة التي أمر الله تعالى رسوله (ص) بالسلام عليهم وكل من آمن بآيات الله تعالى وعمل بمقتضاها فسلام عليه ومن آداب السلام الأخرى إفشاؤه. وهناك أربعة أشياء يتساوى فيها جميع البشر ولا فرق فيها بين مؤمن وكافر وصالح وفاسق. الأولى: رعاية الأمانة دون فرق بين كون صاحب الأمانة كافراً أو خارجياً أو ناصبياً. قال الإمام السجاد عليه السلام: لو أن ابن قاتل أمير المؤمنين ائتمنني على السيف الذي قتل والده أمير المؤمنين به ثم طالبني به لرددّته إليه. وقال عليه السلام أيضاً: لو أن الشمر ائتمنني على الخنجر الذي ذبح

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٤ ـ ٧٤.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٥ ـ ٧٦.
(٣) سورة الواقعة: الآية ٩٠ ـ ٩١.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٥٦.

فيه أبي الحسين عليه السلام ثم طالبني به لردّدته إليه. وقالوا عليهم السلام: لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركها استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة. أرسل عبدالله بن أبي يعفور الثقة الجليل القدر شخصاً إلى الإمام الصادق عليه السلام فدخل على الصادق عليه السلام فقال: عبدالله بن أبي يعفور يقرءك السلام، فقال عليه السلام: «عليك وعليه السلام إذا أتيت عبدالله فاقرأه منّي السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فالزمه، فإنه علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدق الحديث واداء الأمانة». وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهوراً بالأمانة ولا يشك في ذلك أحد، وحتى في ذلك الوقت الذي كانوا يؤذونه فيه كانوا إذا أرادوا وضع أمانة عند أحد كانوا لا يودعون أماناتهم إلاّ عنده. وحكمة ترك رسول الله (ص) أمير المؤمنين (ع) في مكة هو ردّ الأمانات إلى أصحابها، فكان المنادي ينادي ولمدة ثلاثة أيام: من كانت له أمانة عند رسول الله (ص) فليأت وليأخذها.

والأمانة لها معنيان: معنى ظاهري ومعنى باطني. والمعنى الظاهري للأمانة هو ما ذكر في الكتب الفقهية بشرائطه المذكورة وهي وجوب ردّ الأمانة حين المطالبة وبلا عذر، وقالوا أن الا مقاصة في الأمانة. وفي الخبر: جاء شخص للإمام عليه السلام وقال له: أودع السلطان عندي وديعة وأنا أعلم أنه لا يعطيكم خمسكم. فقال عليه السلام: اردد عليه ماله. والمعنى الباطني للأمانة وجود رسول الله (ص) وأهل البيت عليهم السلام، كما فسّرت الآية الشريفة: **﴿إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوماً**

جهولاً﴾[1] بالنبي (ص)، وأهل بيته عليهم السلام. ودائرة الأمانة واسعة جداً. وما أعطاه الله عز وجل للإنسان فأغلبه على شكل معاملات بعضها أعطاه على نحو الوديعة وبعضها الآخر على نحو الهبة.

وما كان هبة فهو قد جاء أيضاً في مقام البيع والشراء: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون يُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾**[2].

وأحياناً يعطي الله عز وجل للإنسان نعمة على نحو وديعة ويجعلها تحت تصرّفه بشرط أن يستعملها بما يرضي الله تبارك وتعالى كما في الدعاء الشريف: «اللهم اجعل نفسي أول كريمة ووديعة تسترجعها من ودائعك عندي، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعلهما الوارثين مني» واحدى نعم الله عزّ وجلّ هو بقاء الإنسان على سلامتها وقوتها إلى حين موته وأول شيء يؤخذ منه هو نفسه، وأن تكون قواه وجوارحه وأعضاءه وارثة لنفسه، ويجب على الإنسان أن يتضرع كثيراً أن لا تسلب منه قواه في أول لحظات وفاته. ولهذا ينبغي أن لا يخون الإنسان هذه الأمانة التي أودعها الله عنده، ويجب أن يكون كل تصرّف فيها بإذن الله تعالى. والله جل جلاله أكّد بهذا القدر الكبير على ردّ الأمانة فهو سبحانه أولى بذلك اذا كانت عنده للعبد أمانة. ولهذا قيل انّ الإنسان في حالة إقبال القلب بذكر عقائده لله عز وجل ويجعلها عنده وديعة ثم يستردّها منه أثناء الموت، وهذا من الأعمال العظيمة.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١.

إذن ففي رعاية الأمانة لا فرق بين الصالح والفاسق والشريف والوضيع.

والأمر الثاني الذي يتساوى فيه المؤمن والكافر والصالح والفاجر الإحسان للوالدين وقد ذكر الله عز وجل الإحسان للوالدين قريناً للتوحيد والعدل في مواضع عديدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ أياه وبالوالدين إحساناً امّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾**[1].

ولذا لا ينبغي للإنسان أن يخالف والديه أبداً إلاّ إذا أمراه بمعصية الله سبحانه. وتوجد هنا أربع مقامات أو درجات، اثنان منها في الرضا والآخران في العقوق.

المقام الأول من الرضا: أن يكون الإنسان في تمام حياته بالنسبة إلى والديه مثل يوم ولادته. فكما أنه ليس له أي رأي في مقابل والديه فيجب عليه أن يكون كذلك إلى يوم وفاته، ويسلّم لهما تسليماً مطلقاً.

والمقام الثاني من الرضا: إذا كانت له رغبة مخالفة لرغبة والديه فعليه أن يجاهد نفسه كثيراً حتى يتخلص من رغبته هذه، ويجعل رأيه تابعاً لوالديه.

والمقام الثالث: والذي هو المقام الأول في العقوق: أن يكون له رأي مقابل رأي والديه بحيث يجلس ويتناقش معهما ولا يعمل على أن يكون رأيه مطابقاً لرأي والديه.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣ ـ ٢٤.

والمقام الرابع: وهو أن لا يطيعهما في شيء أبداً اللهم إلاّ في موارد نادرة وحينما تكون مطابقة لرأيه. والعقوق ليس مثل باقي الذنوب، فإذا ارتكب شخص ـ لا سمح الله ـ الزنا أو الغيبة مثلاً يكتب في سجل أعماله ذلك اليوم، وأمّا عقوق الوالدين فما دام لم يحصل على رضاهما فهو في كل يوم يكتب مذنباً.

والأمر الثالث الذي يتساوى فيه جميع الأفراد هو الوفاء بالعهد، في يوم القيامة يصل الخطاب من الجليل لمجموعة من الناس: ادخلوا الجنان لوفائكم بالعهد.

والأمر الرابع الذي يتساوى فيه الناس جميعاً إفشاء السلام للبرّ والفاجر. عندما أسرت ابنة حاتم الطائي وجيء بها مع الأسرى إلى النبي (ص): من أنت؟ فقالت: كنت بنت كبير قوم يطعم الطعام ويفشي السلام. فسألها النبي (ص): من أنت؟ فقالت: أنا ابنة حاتم. فقال النبي (ص): اطلقوا سراحها من بين الأسرى. وكان رسول الله (ص) يسلّم على الأطفال أيضاً ويقول: خمسة أشياء ينبغي أن تبقى بعدي ولن أتركها ما دمت حياً: ركوب الدابة بلا سرج، وحلب المعزى بيدي، واخصف نعلي بيدي، وآكل غذائي مع خادمي، وإفشاء السلام. وكان رسول الله (ص) يسلّم على الرؤوس المقطعة، وكذلك كان يفعل الأنبياء السابقون وحينما أمر يزيد الخبيث أن تضرب الخيمة في خربة الشام ووضع الرأس المقدّس للإمام الحسين عليه السلام فيها حتى يأخذ قراره فيه أيبقى معلّقاً على الشجرة أم يدفنه؟ ووضع على هذه الخيمة أربعين حارساً. يقول أحدهم: كنت في تلك الليلة في حالة سيئة للغاية فلم تغمض لي جفن، وأمّا رفاقي الآخرون فقد احتسوا الخمر وأصابهم السكر فناموا. وفجأة سمعت أثناء الليل شخصاً يقرأ بيتين من الشعر وسمعت هاتفاً آخر يجيبه. فاضطربت

لذلك. وفجأة سمعت صرخة عظيمة أنزل يا آدم! فرأيت صفي الله آدم دخل الخيمة ووقف ثم قال: «السلام عليك يا أبا عبدالله لعن الله قاتلك» ثم أخذ يصلّي. فاضطربت لذلك. ولم تمض إلاّ فترة وجيزة حتى جاء النداء: يا نوح سلَّم آدم فتعال أنت أيضاً وسلِّم! فدخل نوح الخيمة وقال: «السلام عليك يا أبا عبدالله» ثم وقف إلى جانب آدم وشرع في الصلاة أيضاً. وفي المرة الثالثة نودي موسى. وبعد أن جاء ودخل الخيمة وسلَّم انتحى جانباً واستغرق بالصلاة، ثم جاء النبي الأكرم.(ص) مع عيسى ودخلا الخيمة وسلّما. ثم ظهر جبرائيل للنبي (ص) وقال له: أتريد أن أقلب العالم فأجعل أسفله أعلاه. فلم يقبل رسول الله (ص) بذلك، ثم حدث اضطراب عظيم وظهر شخص شاهراً سيفه ومعه جمع من الملائكة في يد كل واحد منهم سيفاً. وذهب كل واحد منهم إلى واحد من حرّاس الخيمة وقتله. وجاء أحدهم باتجاهي فقلت: يا محمد اغثني. فخاطبه النبي (ص): دعه وشأنه! لا رحمك الله. وعند الصباح أخبرت يزيد بما حدث فقال لي: سأقتلك إن أخبرت أحداً بهذا وأرسل جماعة فحفروا حفيرة ودفنوا فيها الحرّاس. ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

المجلس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.

السلام الذي تحدّثنا عنه سابقاً له هدف عام مشترك في جميع الحالات وأيضاً يوجد له أهداف خاصة في الحالات الخاصة. الأنبياء والأئمة عليهم السلام يسلّمون على الأمة وسلامهم دعاء وبركة وسلامة. سلامهم ليس اعطاءً للأمان، لأن وجود الأنبياء والأئمة عليهم السلام خير محض ولا تتصور فيه شائبة شك، ولهذا فلا يراد من سلامهم عليهم السلام حينئذٍ اعطاء الأمان. فجميع حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم خير محض وليس في طريقهم شر ومفسدة بل سلامهم مجرّد دعاء وبركة: **﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾**[1].

وقد حظي بالسعادة أولئك الذين أمر الله تعالى رسوله الكريم (ص) بالسلام عليكم. وكان مركوزاً في الأذهان في أول

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

الإسلام بالتبرك سلام النبي (ص). كما ورد في الخبر أنه عندما بَلي ثوب رسول الله (ص) أعطاه شخص اثنا عشر درهماً ليشتري بها ثوب جديد. فأمر رسول الله (ص) علياً عليه السلام أن يشتري له قميصاً. فذهب علي عليه السلام إلى السوق واشترى بها قميصاً لرسول الله (ص). فلم يرغب رسول الله (ص) به وقال: من الأحسن أن تشتري قميصاً أرخص منه أفيقيلك البائع؟ فرجع علي عليه السلام إلى البائع وأخبره بعدم رغبة رسول الله (ص) بالقميص، فأقاله البائع وأرجع إليه المال. ثم ذهب رسول الله (ص) وعلي (ع) معاً إلى السوق لشراء قميص، فرأيا في الطريق جارية تبكي، فسألها رسول الله (ص) عن علّة بكائها فقالت الجارية: أعطاني مولاي أربعة دراهم لأشتري حاجة وقد ضاعت دراهمي، فأعطاها رسول الله (ص) أربعة دراهم. واشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه. فمرَّ في الطريق على سائل يقول: رحم الله من أعطاني ثوباً ألبسه. فأعطاه رسول الله (ص) القميص الذي اشتراه ثم اشترى قميصاً آخر بأربعة دراهم. وفي أثناء الرجوع رأى تلك الجارية ما زالت واقفة تبكي. فسألها رسول الله (ص) عن علة استمرار وقوفها وبكائها فقالت: أخاف من مولاي أن يضربني لتأخري في السوق. فقال لها رسول الله (ص) اذهب معك إلى مولاك لأشفع لك عنده. وذهب رسول الله (ص) معها إلى بيت مولاها وسلّم. فلم يرد صاحب الدار السلام على رسول الله (ص).

فسلّم رسول الله (ص) ثانياً. وسلّم مرة أخرى ولم يرد أحد الجواب. وسلَّم ثالثة فردّ عليه صاحب الدار السلام. فسأله رسول الله (ص): لماذا لم ترد سلامي أولاً؟ فقال الرجل: كنت منتظراً بركة سلامك يا رسول الله (ص) . فاستشفعه رسول الله (ص) في أمر الجارية. فقال الرجل: احتراماً لمجيئك هي حرة لوجه الله. وحينئذٍ

قال رسول الله (ص): ما أكثر بركة هذه الدراهم، كست عريانين وأعتقت الجارية.

وأما سلام الرعية لأولي الأمر فمعناه كف الأذى وعدم معصية أوامره. يقول الله عز وجل لنبيّه (ص) في مقام مدح أصحاب اليمين: من الممكن أن يصل إليك أذى من الآخرين، ولكن سوف لن يصلك من أصحاب اليمين إلاّ السلام: **﴿وأمّا إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين﴾**[(١)] إذن كل من يُسلّم على رسول الله (ص) وكان يقصد من سلامه أنه سوف لن يصلك منّي أذىً فهو من أصحاب اليمين، ولكن يجب أن يُعلم أنّه كيف يؤذى رسول الله (ص) والأئمة (ع)؟ ففي الحديث الشريف: كيف يؤذى رسول الله (ص)؟ فقالوا عليهم السلام: إن أعمالكم تعرض على رسول الله (ص) في كل اثنين وخميس، فيحزن إن رأى أحدكم قد ارتكب ذنباً. ولذا يجب على المسلمين أن يحافظوا على الآداب التي قررها الله تعالى لرسوله (ص) في حياته وبعد مماته. وكل من يريد زيارة رسول الله (ص) ينبغي عليه أن يفترض وجود رسول الله (ص) جالساً في ضريحه وأن له حياة ظاهرية، فيجب أن يظهر الاحترام الكامل أثناء السلام عليه.

يقول الله تبارك وتعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**[(٢)] وما ورد في بعض الأخبار من استحباب ذكر التكبير مائة مرّة عند التشرف بزيارة النبي (ص) والأئمة الأطهار عليهم السلام ليس المراد منه مجرّد ورد لا يفهم قائله الحكمة

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٩٠ ـ ٩١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٢.

من ترديده، بل المراد هو استحضار عظمة الله تبارك وتعالى من أثر الذكر ويعلم أين هو ذاهب وماذا يعمل لأن هذه الذوات المقدسة مظهر صفات الله تبارك وتعالى.

وعلى الإنسان إن لم يكن صاحب رتبة معنوية أن يحافظ على الأقل على الصورة الظاهرية، فعند زيارة الأئمة عليهم السلام يجب أن يجلس الإنسان مقابل القبر الشريف وظهره إلى القبلة. والهدف من هذا أن لا يعمل الإنسان عملاً يكون محلاً لوقوع الغضب. وأحياناً يجلس البعض وظهره للقبر الشريف ويسلّم على إمام آخر، وهذا بعيد عن الأدب.

واحتمال آخر في معنى سلام الرعية على أولي الأمر هو أنهم يريدون أن يقولوا: اللهم احفظ لنا النعم التي وهبتها لنا. وهذا في الحقيقة دعاء لهم.

وأخيراً هناك هدف آخر كبير من سلام الناس على النبي (ص) والأئمة (ع) وقد بيّن هذا المعنى الأئمة عليهم السلام أنفسهم. ففي أصول الكافي عن داود بن كثير يقول: سألت الإمام الصادق عليه السلام: ما معنى السلام على النبي؟ فقال عليه السلام: خلق الله تعالى نور النبي (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين وسائر الأئمة عليهم السلام ثم خلق شيعتهم، ثم أخذ ميثاقهم ووعد بالثواب من أطاعهم وسلك سبيلهم الخير. ثم استشهد الإمام عليه السلام بهذه الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**[1] ثم وضحّ ذلك بقوله: والسلام على النبي (ص) الآن بمنزلة تجديد العهد وتذكر ذلك الميثاق وطلب الاستعجال في ذلك الوعد الإلهي.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

والمراد في الصبر في الآية الكريمة: **﴿واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** المراتب الأربعة: الصبر على الطاعة والفرائض، والصبر على ترك المعاصي وكل منهي عنه، والصبر على البلاء والمصائب الداخلية والخارجية، وأخيراً الصبر على ترك لذائذ الدنيا وهو أشدّ أنواع الصبر. وكلما ازدادت لذائد الإنسان في الدنيا قلّت لذائذه في الآخرة.

وبحسب هذه الرواية فإن المؤمن الصبور يجب أن يتحمل هموم ومشاكل الناس ويواسي خلق الله ويؤثرهم على نفسه: **﴿وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر﴾**(١) بل يمكن القول بأن جميع التكاليف داخلة ضمن الصبر والمراد منها أن يصير هو آمراً للآخرين بالصبر **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**(٢) والمراد من هذه الآية هو أن الجميع مكلّفون بالصبر ويعين أحدهم الآخر ليدخلوا في زمرة أهل الصبر.

ويحتمل أن يراد من كلمة «رابطوا» في الآية الشريفة هو معناها اللغوي وهو المحافظة على حدود وثغور المسلمين. وكانوا سابقاً ينذرون كثيراً للمرابطين.

ويمكن أن يراد من «المرابطة» المفهوم المعنوي، يعني حفظ حدود الإيمان من هجوم الكفر، بنحو إذا أراد الكفّار بكلامهم أن يثيروا الشبهات في مدائن قلوب المؤمنين والمسلمين ويلوثوها فيجب على علماء الدين الردّ على هذه الشبهات والمحافظة على ثغور قلوب أهل الإسلام.

---

(١) سورة العصر: الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

تعزٍّ، فلقد وسّدتّك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك، إنا لله وإنا إليه راجعون. فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة» فإذا سأله النبي (ص): يا علي لقد سلّمتك فاطمة سليمة والآن استرجعها وضلعها مكسور؟ فسيكون جواب علي عليه السلام: «يا رسول الله ستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال. هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودّع لا قالٍ ولا سئم. فإن انصرفت فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين». آه! إنّ هذا الأمر يشعل في القلب ناراً، فمع وجود مائة وعشرة آلاف صحابي تدفن فاطمة ليلاً بلا تشييع. وبعد أن دُفنت فاطمة الزهراء عليها السلام جاء النداء من ربّ العزّة: يا علي عطفنا عليها أكثر من عطفك وفي الخبر: ليس من شفيع للمرأة عند الله أفضل من رضا زوجها.

ويحتمل أيضاً أن يراد من كلمة «المرابطة» في الآية الشريفة هو المحافظة على الأعضاء والجوارح من تصرّف القوى الغضبية والشهوية والخيالية، وإن الإنسان يجب عليه أن يكون مواظباً في تهذيب أخلاقه وأن يحفظ قلبه من أسباب الفساد ليبقى الإيمان راسخاً وثابتاً فيه.

وفي بعض الأخبار عُدَّ الانتظار من الصلاة إلى الصلاة من معاني المرابطة. ومن جملة ما وعد الله في ذلك الميثاق أن يُنزّل عليهم البيت المعمور وأن يُظهر لهم السقف المرفوع ومراده عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، وهذه كناية عن البركات التي ستظهر في عصر الرجعة. وقد وعد الله تبارك وتعالى أن يطهّر الأرض من أعداء أهل بيت النبوة ومن الكافرين وسيحقق آمال المؤمنين. وعلى هذا فالسلام على أمير المؤمنين عليه السلام معناه هو تذكّر ذلك الميثاق وأنه ما زال علي الوفاء به. وهذا يقتفي منك التعجيل بالوفاء بعهودك ومواثيقك.

والآية الشريفة: ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾[1] نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام، عندما غسّل فاطمة عليها السلام في ظلمة الليل، ووضع الجسد المبارك على يديه وقال: «السلام عليك يا رسول الله، رأيت بعيني كيف ضربوها بالسوط فصبرت، ورأيت أيضاً كيف ضربها غلام الثاني بغلاف سيفه ولأنك أوصيتني بالصبر صبرت». وهذا الصبر من أعظم أنواع الصبر لأن النبي (ص) قد أمره بالصبر، وقد صبر على أمر لا تطيقه الجبال الرواسي. ثم أنه عليه السلام وقف إلى جنب جسد فاطمة عليها السلام فخاطب النبي (ص) قائلاً: السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلّدي، إلاّ أنّ لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

المجلس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ إن تكليف العلماء الحاملين للدين والشريعة ليس كتكليف العوام. فالعوام يجب أن يتلقوا من العلماء: وحتى إذا لم يكن للعلماء فرصة العمل ولكن يجب أن يتعلموا ويعلّمونها للناس، وإلاّ فستضيع السنة النبوية وتحلّ البدعة محلّها. وكان أويس القرني رحمة الله عليه يركع من الليل حتى الصباح ويقول: هذه ليلة الركوع، ويسجد ليلة أخرى حتى الصباح ويقول: هذه ليلة السجود. وذهب مشياً من الكوفة إلى صفين وضرب بسيفه مع علي عليه السلام حتى استشهد. والآن نُسيت كل أعماله وجاءت بدلها البدعة. والناس يسألون عن غسل أويسٍ ولم يكن حاله في الأخبار هكذا أبداً، ويطبخون الطعام في ثواب أبي الدرداء وهو أخبث من أبي هريرة ومن العشرة المبشرة بالنار، وفي جملة هؤلاء عبدالله بن عمر الكذّاب. وكل هذا نشأ من إهمال العلماء لهذه الأحكام. وغرضي هو أن لا نقوم بما يؤدي إلى اندراس هذه السنن النبوية من بيننا.

وهناك دعاء يستحب قراءته بعد الصلوات المفروضة والمستحبة

والجسمية، القلب والبصر: ﴿إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾[1] ﴿وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾[2] ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء* وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾[3] وأفئدتهم هواء أي قلوبهم خالية بمعنى أن الإنسان حينما يتعرض إلى أمر مهم وخطير فيفرغ قلبه من كل فكر ويتوجه بكل همّه إلى هذا الأمر المهول، أو بمعنى أن قلبه خال من الرجاء والفرح والسرور: ﴿وترى كل أمة جاثية كلّ أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾[4] وعبّر عن الأبصار بالزرقاء في موضع آخر: ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقا﴾[5] ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرّةٍ ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾[6] على نحو لا يفقهون الحق أبداً ﴿صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾[7] ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون﴾[8] ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾[9].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٠.
(٢) سورة غافر: الآية ١٨.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤٢ ـ ٤٤.
(٤) سورة الجاثية: الآية ٢٨.
(٥) سورة طه: الآية ١٠٢.
(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٠.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٧١.
(٨) سورة النحل: الآية ١٠٨.
(٩) سورة البقرة: الآية ٧.

في زمن الغيبة. وزيارة الإمام الحسين عليه السلام مأثورة جداً في المدينة المنوّرة والكاظمين وكربلاء وسرّ من رأى. ولم يؤثر زيارة إمام آخر غير صاحب المقام وسيد الشهداء عليه السلام الواردة عند رأس الأمير صلوات الله عليه في تلك الأماكن وهذا سبب أن الرأس المطهر للحسين عليه السلام مدفون هناك، وعلى هذا يجب أداء مراسم الزيارة بالشكل الذي وصل إلينا ولا نتصرّف فيها أي تصرّف. وفي رواية عبد الرحيم القصير يقول: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام فقلت له: لقد اخترعت دعاءً. فقال عليه السلام: دعني من اختراعك ولكن إذا عرضت لك حاجة فصلِّ ركعتين وتوسّل بالنبي (ص) فكل خطب يهون إذا توسّلت به. وقد وردت تأكيدات كثيرة على التهليل والاستغفار حين الطلوع وحين الغروب وقد عبّر عنها في بعض الموارد بالواجب. فعندما علّم الإمام الصادق عليه السلام تهليل: «لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له» لراوي هذا الخبر يقول فأردت أن أكررها فأضعت عبارة «بيده الخير» فقال عليه السلام: أعلم ولكن اقرأ كما قرأت. وفي دعاء الغيبة يقول الإمام عليه السلام لعبدالله ابن سنان: «إذا اشتدت عليك الشبهات ولا تستطيع الوصول إلى إمامك فاقرأ هذا الدعاء: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك. يقول الراوي: فقرأت حين التكرار «يا مقلب القلوب والأبصار» فقال الإمام عليه السلام: اقرأ كما قرأت لك.

وللسيد ابن طاووس عليه الرحمة تأويل في هذا المقام وهو: أن الداعي يجب أن يدعو بحسب حاجته فمثلاً الشخص المضطر يقرأ عبارة: «يا دليل المتحيّرين، يا غياث المستغيثين» والشخص الفقير يقرأ: «يا غني يا مغني»، ولأن الدنيا محلّ تقلّب القلوب والآخرة محلّ تقلب الأبصار فلذا تكفي عبارة «يا مقلّب القلوب» للدنيا. ولكن يظهر من مجموع الآيات القرآنية الاهتمام بالجهتين الروحية

وللسلام أربعة صيغ: سلام عليك، سلام عليكم، السلام عليك، السلام عليكم.

وإذا زاد المسلِّم عبارة «ورحمة الله» على السلام فيجب عليك إضافتها أيضاً حين الردّ. وإذا أضفت أيضاً كلمة «وبركاته» تكون في زمرة من يريد أن يردّ التحية بشكل أفضل. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وإذا حييّتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها ان الله على كل شيء حسيبا**﴾[1]. ولكن إذا زاد المسلّم جملة «ورحمة الله وبركاته» على سلامه فمن الأفضل الرد بنفس النحو دون إضافة شيء آخر. وفي الخبر: مرَّ أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة فسلّم عليهم، فردّوا عليه السلام وأضافوا جملة «ومغفرته ورضوانه»، فقال لهم عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا قولوا مثل ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام. وفي الرواية عن أبي عبدالله عليه السلام: «من قال السلام عليكم فهي عشر حسنات، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله فهي عشرون حسنة، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فهي ثلاثون حسنة» وفي الفتوى: السلام مستحب وردّه واجب.

والسلام على أقسام:

الأول: سلام الأحياء بعضهم على البعض الآخر.

والقسم الثاني: السلام من الميت إلى الحي بواسطة حيّ آخر.

فمثلاً كان هناك أشخاص قبل ظهور الإسلام يعيشون مشتاقين للقاء برسول الله(ص) ولكنهم لم يوفقوا إلى إدراك زمانه صلى الله عليه وآله وسلم فيبلغون سلامهم إليه بواسطة أشخاص آخرين فقد خدم سلمان الذي كان اسمه روزبه عدة رهبان وكل منهم أوصاه حين

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٦.

وفاته بأن يوصل سلامهم إلى النبي (ص) وشهدوا كلّهم بنبوّته قبل ظهوره هكذا: «أشهد أن لا إله إلا الله، عيسى روح الله، محمد رسول الله» إلى أن وصل أخيراً راهب الاسكندرية وبقي في خدمته سنتان، وحينما وصل وقت وفاته سأله سلمان: إلى أي راهب توصيني بالذهاب؟ فقال الراهب: لقد اقترب الآن ولادة النبي المبشّر به، خذ مجموعة الألواح التي أخذتها من سائر الرهبان مع اللوح الذي سأعطيك إيّاه إلى هذا النبي وبلّغه منّي السلام. وبعد سنوات طويلة وصل سلمان إلى النبي (ص) وأبلغه سلام راهب الاسكندرية. فقال رسول الله (ص): عليك وعليه السلام.

وأيضاً عندما كان رسول الله (ص) جالساً في المسجد مع أصحابه إذ رأوا رجلاً عجوزاً يمشي على عصا من بعيد، فقال رسول الله (ص): مشيه مشية الجن. وعندما وصل المسجد سأله رسول الله (ص): من أنت؟ فقال: أنا هام بن هيم بن إبليس عاصرت أكثر عمر الدنيا. فقال له رسول الله (ص): في أي حال كنت؟ فقال: كنت أسمع كلام الملائكة وآمر الناس بالفساد، كنت شريكاً في دم هابيل لأنّي أغويت أخيه قابيل على قتله. فقال له رسول الله (ص): إلى أي حد كنت سيئاً؟ ثم قال: كنت مع نوح والذين آمنوا معه: وقد لمته بسبب نفرة قومه منه. فقلت لنوح: إني شريك في دم هابيل فهل إن تبت تُقبل توبتي، فقال: نعم كل من يرتكب المعاصي وبأي حجم كان وحتى لو كانت معاصيه كبيرة فإذا تاب تقبل توبته.

وحينئذٍ أمرني أن اغتسل وأصلي ركعتين، ففعلت ثم سجدت. وحين السجود ناداني هاتف: قُبلت توبتك. فسجدت شكراً مدة سنة كاملة. وكنت مع هود ولأن قومه نفروا منه لمته على ذلك. وكنت مع يعقوب ومع يوسف في البئر. وكنت مع موسى وقال لي: بلّغ سلامي

الخبر: إن أربع موجودات طلبت من الله عز وجل أن تسمع كلام أهل العالم. أحدها: الجنة فكل مَن يريد من الله الجنّة، تقول الجنّة لله تبارك وتعالى: إن عبدك فلان قد طلبني فاجعلني رخيصة له. وثانيها: النار، فكل من استعاذ بالله تعالى منها تقول لله تبارك وتعالى: إن عبدك فلان يطلب الأمان منّي فاعطه الأمان. وثالثها: الحور العين، وكل من يطلبها من الله تعالى تقول: إنّ عبدك فلان يريدني فاجعلني من نصيبه. ورابعها: ملك واقف على رأس القبر المطهر لكل واحد من المعصومين عليهم السلام كل من يسلّم أو يهدي صلاة يبلغها إلى المعصوم عليه السلام ويقول المعصوم في جواب صلوات الزائر «صلّى الله عليه كما صلّى علي» ويقول في جواب سلام الزائر: «وعليه السلام».

وبعد ولادة سيد الشهداء عليه السلام جاء جبرائيل مع عدّة آلاف من الملائكة لتهنئة رسول الله (ص) بولادته، فصادفوا في طريقهم الملك فطرس الذي طلب أن يلتحق بهم ليتشرّف بزيارة رسول الله (ص). وعند وصولهم إلى رسول الله (ص) عرض فطرس حالته على رسول الله (ص)، فعلمه رسول الله (ص) أن يلمس القماش الملفوف به الحسين عليه السلام، ففعل فطرس كذلك ورجع له جناحه الملكوتي.

وحينئذٍ قال: أتعهد في مقابل هذه الرحمة أن أبلغ وأوصل سلام وصلوات المسلمين والمصلّين عليك.

وسلام الأئمة الطاهرين له آثار عظيمة. وإذا لم نسمع جوابهم فذلك بسبب نقص ظروف الحياة المادية وقلوبنا لا تطيق سماع جوابهم. وعندما صمم أبو عبدالله عليه السلام على مغادرة المدينة إلى كربلاء ذهب لزيارة قبر أمه عليها السلام وقال: السلام عليك يا أماه،

إلى عيسى. وكنت مع عيسى وقال لي: بلّغ سلامي إلى رسول الله محمد (ص). فقال رسول الله (ص): سلام الله على عيسى ما دامت الدنيا. ثم قال الرجل العجوز: علّمني كما علّمني موسى من التوراة. فعلّمه رسول الله (ص) حينئذٍ سورة التوحيد والمعوذتين وسورة عمّ. ثم قال (ص): شيطانان أسلما على يدي، أولهما شيطاني والثاني هام بن هيم بن إبليس.

والقسم الآخر من السلام سلام الأحياء على الأموات. إذ وردت روايات كثيرة في الحث على زيارة أهل القبور، ومن جملتها ما قالوه عليهم السلام: إن الأرواح تسمع السلام أيام السبت والاثنين والخميس والجمعة بين الطلوعين وتردّ الجواب، وبعد طلوع الشمس تسمع عليهم السلام ولكن لا تردّ الجواب. وعندما ذهب سلمان إلى المقبرة وبعد السلام قال لهم: هل علمتم اليوم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم نعلم اليوم يوم الجمعة ونعلم أن الطيور تقول: «سبّوح قدّوس ربّنا وربّ الملائكة والروح سبقت رحمتك غضبك، وما عرف عظمتك من حلف باسمك كاذباً، سلام سلام هذا يوم صالح» وكذلك الوحوش والسباع حينما تلتقي مع بعضها في يوم الجمعة تقول: «سلام سلام هذا يوم صالح» وأحياناً يسمع بعض الناس هذا السلام ويردّون عليه.

ومع أن الله تبارك وتعالى يعلم همسات قلوب بني آدم فإن الملائكة تكتب أعمال بني آدم ومن جملتها السلام وتصعد إلى الأعلى وتعرضها على الله سبحانه، وهذا من أسباب سعة سلطنة الخالق تبارك وتعالى.

ونقول حين التشرف بالدخول للمشاهد المطهرة: «أشهد أنّك تسمع كلامي وتشهد مقامي وتردّ سلامي» وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الملائكة موكّلين أيضاً بإبلاغ سلام الزوار للمعصوم عليه السلام. وفي

إنّي راحل في سفر لا رجوع فيه. فسمع عليه السلام الجواب من جهة القبر: وعليك السلام يا غريب يا أمّاه يا مظلوم يا أماه! يا شهيد يا أماه! ومن الجسارة أن يُعدّ هذا من أمثلة سلام الأحياء على الأموات، ولكن هذا من باب ضيق الخناق في التعبير. والأغرب من ذلك أن تبدأ أمه بالسلام عليه. ففي ليلة الحادي عشر من المحرّم حيث جاء الأب والأم والجد والأخ إلى كربلاء وسلّموا جميعاً على سيد الشهداء عليه السلام، فأجابهم عليه السلام قائلاً: «السلام عليك يا جدّاه، السلام عليك يا أباه، السلام عليك يا أماه، السلام عليك يا أخاه، عليكم منّي السلام» ثم قال: «يا جدّاه قتلوا والله رجالنا، يا جدّاه نهبوا والله رحالنا، سبوا والله نساءنا، ذبحوا والله أطفالنا» فلم يشتكي الحسين عليه السلام شيء من مصيبته لجدّه صلى الله عليه وآله وسلم واكتفى بذكر مصائب أهل بيته وأصحابه. ولعله قال في بيان حاله لجدّه (ص): لقد قلت لهؤلاء القوم لقد تفتت كبدي من العطش، وبدل أن يسقوني جرعة من الماء ضربوني بسيف لمّاع برّاق ورموني بالنبال، وقال لي أحدهم: يا حسين ان أبوك ساقي الكوثر والآن ستشبع من الماء. وقال آخر: لا تذوق الماء حتى ترد الحميم. وقالت فاطمة عليها السلام: أتأذن يا أبي أن ألطخ وجهي بدم ولدي الحسين؟ فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: نعم وسأخضب أنا لحيتي أيضاً بدمه.

وبقي سلام آخر خاتماً لجميع أنواع السلام وغير معلوم دخوله في إحداها وهو عندما ضُربت هامة فلذة كبد الحسين علي الأكبر بالسيف ثم قُطع إرباً إرباً فقال وهو في الرمق الأخير: «يا أباه عليك منّي السلام» فلا أدري أكان هذا سلام وداع فيريد أن يقول: أنا راحل في أمان الله، أو كان جواب سلام النبي صلّى الله عليه وآله وسلم عندما قال له جدّه: «عليك السلام العجل العجل». وعندما وقف ذلك

الأنصاري أمام الحسين عليه السلام يقيه رمي السهام حتى صار جسده كالقنفذ من كثرة النبال فسقط الأرض صريعاً فقال للحسين عليه السلام: أرضيت عني يا ابن رسول الله (ص)؟ فقال له الحسين عليه السلام: نعم أنت قبلي في الجنة فابلغ جدّي السلام ونحن على الأثر. فكان جواب سلام الحسين عليه السلام من رسول الله (ص) على لسان علي الأكبر: عجّل إلينا فنحن مشتاقون إليك.

المجلس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والذين يبيتون لربّهم سجداً وقياماً﴾[1].

بيّن الله تبارك وتعالى في الآية الشريفة السابقة كيفية معاشرة ومخالطة عباد الرحمن مع الجهال، وحينئذٍ يُعلم كيفية التعامل والمعاشرة مع أهل الحكمة والعلوم بطريق أولى. وفي هذه الآية الشريفة يبيّن المولى سبحانه وتعالى طريقة سلوك عباد الرحمن مع خالقهم وبارئهم تبارك اسمه: **﴿إن الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾**[2] والأشخاص الذين يؤمنون بالله تعالى والسالكين إليه يجب أن يغتنموا أوقاتهم ويعلموا بأنهم لا يستطيعون معرفة آجالهم، فيجب أن يعلموا تكاليفهم في طول الليل والنهار، وإذا فاتهم عمل في وقت فلا أقل أن يتداركوه في وقت آخر كما يقول الله تعالى: **﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾**[3] وينبغي

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

للسالك أن يدرك هذا الموضوع، بل يصرف جميع أوقاته في عبادة الله تعالى ولو كان البشر لا يمتلك مثل هذه القدرة: ﴿**والله يقدّر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسّر من القرآن**﴾[1] وقد فسّرت كلمة «القرآن» في بعض المواضع بالصلاة، ولو كان احتمال أنّ المراد نفس القرآن فجملة ﴿**فتاب عليكم**﴾ جعل ثانوي لوجوب أداء الصلاة في خمس أوقات.

وفي كلمات بعض العلماء العظام اشارة مجملة لهذا الموضوع وهو أن الله سبحانه وتعالى قد قرّر لكل مخلوق أعم من الإنسان والحيوان والنبات والجماد من أول خلقه إلى مماته خمس مراحل: ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾[2] فيجب الإلتفات من هذه المراحل الخمسة إلى أوقات الصلاة الخمسة. وكل مخلوق منذ ابتداء خلقه إلى أن يصل إلى كماله يحتاج إلى زمان يترقى فيه، وعندما يصل إلى أوج كماله يقف ثم يبدأ بالنزول.

وفي الابتداء لا يظهر عليه أثر النقصان ثم يظهر النقصان بالتدريج إلى أن ينعدم. ولكن الانعدام تبقى حالته الخامسة وهي بقاء آثاره الوجودية إلى أن تنمحي كل هذه الآثار بصورة كاملة ﴿**كأن لم تغن بالأمس**﴾[3] وهنا يجب على الإنسان أن يطّلع على عظمة الله تبارك وتعالى بعد كشف الحجاب وإزاحة الستارة وينزهه عن كل نقص وزوال. وطلوع الشمس وغروبها مظهر هذه الحالات الخمس. وقالوا: على أساس هذه الحالات الخمس للشمس ولكي يتذكر

---

(١) سورة المزمل: الآية ٢٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

(٣) سورة يونس: الآية ٢٤.

الإنسان والموجودات الأخرى النعم الإلهية على طول حياتهم شُرِّعت هذه الصلوات الخمس. في أو الفجر عند ابتداء طلوع نور الشمس والذي يقول فيه الله تبارك وتعالى: **﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾**[1] تجب إقامة صلاة الصبح، وقد قالوا أن المقصود بالقرآن في الآية الشريفة الصلاة. ثم كلّما ارتفعت الشمس ظهر أثرها أكثر فأكثر إلى أن تصل إلى حدّ أوجها وكمالها عند الزوال وهي مرحلة تمام النعمة. وهذا الوقت هو وقت صلاة الظهر. وعندما يبدأ ضوؤها وشعاعها بالنقصان ولكن بدون أن يظهر أثره فحينئذٍ وقت صلاة العصر. ثم في وقت الغروب أي عند وصول أجل الشمس ورحيلها تكون صلاة المغرب. وما زال الشفق باقياً فأثرها ما زال موجود، وعندما يزول الشفق ..خيم الظلام فحينئذٍ صلاة العشاء: **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبلغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾**[2] **﴿وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشا﴾**[3] فالنهار لطلب المعاش وابتغاء فضل الله تعالى.

وقد تكررت لفظة «ابتغاء» سبع مرات في القرآن الكريم، وفي كل مرّة ذُكرت فيه مربوطة بموضوع خاص، فيجب على الإنسان أن يتذكرها وأن يتدبّر فيها، لأنه قد وردت تأكيدات كثيرة على التفكّر والتدبّر في الآيات القرآنية: **﴿إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا**

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٧٨.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.
(٣) سورة النبأ: الآية ١٠ ـ ١١.

باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1] وكان رسول الله (ص) يقول في حق هذه الآية: «ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتدبّرها». وليس المراد من «والقرآن كتابي» أن يكون عنده نسخة من القرآن الكريم في داره، أو أن يقرأه بغفلة، وإنما المراد هو القراءة بتدبّر في المعاني والرموز والإشارات والدقائق والحقائق، ومن البعيد أن يُراد بها القراءة القليلة بلا تدبّر. وقد قال بعض العلماء: إن آيات القرآن ليست إلا أمر ونهي وقصص ووعد ووعيد، ولكنها قد تضمنت الطرائف والمعارف والأخلاق والسنن والآداب. وقد أدرك العظماء هذه المعاني ووصلوا إلى هذه الحقائق.

إذن قلنا بأن في القرآن سبعة أنواع من «الابتغاء» بحسب الموضوع، أعلاها مرتبة «ابتغاء وجه الله»: ﴿**والذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار**﴾[2].

والنوع الثاني من الإبتغاء هو طلب الرزق: ﴿**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون**﴾[3] ويحتمل أن يُراد بالرزق في هذه الآية الرزق الروحاني أيضاً، بل لعله الاحتمال الأقوى، لأن ابتغاء الرزق الجسماني مقدمة أيضاً للرزق الروحاني، بل جملة «عندالله» قرينة كبيرة في تأييد معنى الرزق الروحاني.

وقلنا بأن الله عزّ وجل جعل النهار لطلب الرزق والمعاش وأما الليل فقد جاء بتعبير «لباس» وأشار إلى منافعه بالسكون والهدوء وقيل بأن الليل لراحة البدن، وقد ورد النهي عن العمل في الليل إلا في

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٠ ـ ١٩١.
(٢) سورة الرعد: الآية ٢٢.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

الحاجات التي يطلب الخفاء في أدائها مثل النكاح والزفاف، أو حاجة كبيرة لا يتيّسر أداؤها بالنهار مثل تغسيل أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة عليها السلام ودفنها أثناء الليل، لأنه عليه السلام خليفة الله وخليفة رسوله (ص) وهو بصدد حفظ الدين من هجوم الجهّال.

ولهذا كان يأخذ معه فاطمة والحسنين ويطوف على بيوت المهاجرين والأنصار أربعين ليلة، وكان يؤكد على الأنصار خاصّة. لأن كفّار مكة بعد وفاة أبي طالب وخديجة كانوا يتجاسرون على رسول الله(ص). فدعاه سبعون شخصاً من كبّار الأوس والخزرج للهجرة إلى يثرب. فخطب فيهم رسول الله (ص) طالباً منهم العهود والمواثيق. فنهض بعضهم وخطب في الآخرين وقال: هل تعلمون ماذا تريدون أن تفعلوا؟ وإن كان هذا الرجل الآن بين أعدائه، ولكنه لا يزال بين أفراد عائلته وأقربائه فلا تغروه وتأخذوه ومن ثم تتركوه في ديار الغربة ذليلا! تعهدوا له بأن تحفظوا ماله ونفسه وأهله كما تحفظون مالكم وأنفسكم وأهليكم وإذا لم تقدروا فلا تدعوه إلى مدينتكم. فقبلوا ذلك فأتى جبرائيل وقال له: عاهد احد عشر شخصاً منهم وخذ منهم البيعة والميثاق ففعل ذلك ومن ثم أتى إلى المدينة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الليالي يذكّرهم بذلك العهد والميثاق ويقول لهم: أليست هذه ابنة رسول الله (ص)؟ ألم تروا كيف أوذيت واغتصبت أموالها؟ فهل هذا هو القسم الذي بايعتم النبي عليه؟ وذات ليلة عندم ذهب أمير المؤمنين عليه السلام مع فاطمة عليها السلام والحسنين عليهما السلام إلى دار معاذ، فخرج معاذ إلى باب الدار فذكّره علي (ع) بالقسم والعهد الذي قطعه على نفسه في بيعة الشجرة وتكلم معه حول هذا الموضوع. فقال معاذ: فهل يوجد أحد غيري على هذا أيضاً؟ فقال له أمير المؤمنين (ع): كلا. فقال

معاذ: ماذا يمكن أن يفعل شخص واحد؟ فقالت له فاطمة عليها السلام: لا أكلمك من لساني بعد هذا كلمة أبداً. وعندما دخل معاذ إلى داره سأله ولده: ماذا قلت في جواب بنت رسول الله (ص)؟ وماذا قالت لك؟ فحكى معاذ لولده ما كان. فقال له ولده: وأنا أيضاً لا أكلمك من لساني كلمة أبداً. فطافت أم الأئمة عليها السلام أربعين ليلة على بيوت المهاجرين والأنصار ولم يجبها أحد فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: اذهبي يوماً إلى الأول وكلّميه في وقت لا يكون الثاني موجوداً فيه. وفعلت فاطمة عليها السلام كما قال لها علي عليه السلام، وأخيراً رضي الأول أن يرجع فدكاً إلى فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً يأمر وكيله فيها أن يعطي فدكاً إلى وكيل فاطمة عليها السلام. فأخذت فاطمة الكتاب بيدها وخرجت فصادفها في الطريق الفظّ القاسي القلب وسألها: أين كنت؟ فأخبرته بالخبر. فقال لها: اعطيني الكتاب، فامتنعت يقول الإمام الصادق عليه السلام: فرفسها اللعين برجله رفسة أسقطتها على الأرض، ولم يكتف بهذا بل صفعها على وجهها صفعة فشقّ أذنها وسقط قرطها إلى الأرض، ثم أخذ الكتاب منها بالعنف ومزّقه. وقد أقسم الإمام الصادق عليه السلام على وقوع هذه الحادثة مع فاطمة عليها السلام.

المجلس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾.

أهم الأعمال التي يشتغل بها عباد الرحمن في الليل هو التفكر. والتفكر في الليل ينبغي أن يكون تفكراً صحيحاً، وهذا يستلزم شروطاً وأسباباً يجب تحصيلها. في البدء ينبغي أن يُفهم في أي الموضوعات يجب أن يُفكر. والخطوة الأولى في طريق التفكير السليم هو التفكير في التمييز بين الحق والباطل. ولكن لا يقع الخطأ عادة في المسائل الاعتقادية لأن الحق والباطل فيها ليس له جهات متعددة ليحتاج فيها إلى التمييز بين الحق والباطل كالاعتقاد والإقرار بالملائكة والأنبياء والأولياء والجنة والنار، إذ لها جهة واحدة فلا تكون محلاً للخطأ. وأما الأمور المتعلقة بالعبادات والأمور العادية المتعارفة في الحياة كالأكل والشرب والسكوت والتكلّم فلها جهات متعددة فتكون داخلة في الحق باعتبار وداخلة في الباطل باعتبار آخر، فيحتاج إلى التأمل فيها للتمييز بين الحق والباطل. وكثيراً ما يكون فعل أو كلام من جهة خاصة نسبة إلى شخص معيّن حق وبالنسبة إلى شخص آخر باطل. ولهذا فالتمييز بين الحق والباطل فيها أمر صعب جداً. والسلوك في

طريق الحق يحتاج إلى أن الإنسان يجب عليه أن يعرف بالتحقيق والتفصيل هل أن أكله وشربه وكلامه من أجل رضا الله سبحانه أو من أجل رضا هواه ورغباته النفسية؟ وكلما كان الإنسان أعلم كان تكليفه أثقل. فالعلماء تكليفهم أشد من الناس العاديين، وللأنبياء والأولياء تكاليف أشق من سائر الخلق، لأن الله عزّ وجلّ قد أظهر لهم حقائق الأشياء فهم يعرفون منافعها ومضارّها.

ومن جملة شروط وأسباب التفكير الصحيح هو التسليم المطلق للحق جل جلاله وإطاعة أوامره فمن البديهي أنه إذا أراد الإنسان أن يكسب صنعة أو حرفة فعليه أن يتعلّمها من أربابها، وهكذا تحكم الفطرة بأنه يجب تعلّم الأعمال من أصحابها «استعينوا في كل صنعة بأربابها، وادخلوا البيوت من أبوابها» وهكذا يقتضي عقل الإنسان بأن من أراد أن يتعلم عملاً فعليه أن يذهب عند أستاذ ذلك العمل ليتعلّم دقائقه ورموزه وأسراره. ومن أراد أن يتعلم صنعة بنفسه دون الاستعانة بصاحبها يعدّه الناس من جملة السفهاء والمجانين. وهكذا أيضاً في الأمور الدينية. وفطرة الجاهل من كل أمة تقتضي أنه لتعلّم الأحكام الدينية ينبغي الرجوع إلى علماء ذلك الدين. وبحكم هذه الفطرة أيضاً فإنه عند الرجوع إلى عالم يجب الرجوع إلى عالم ثقة صادق يصدّق فعله قوله. وذات يوم سأل شخص الإمام الصادق عليه السلام: لقد ذمّ الله تعالى في القرآن الكريم مقلّدة اليهود، فما الفرق بين عوام وجهّال اليهود وعوام وجهّال المسلمين مع أن الفرقتين يقلّدون علمائهما؟ فأجابه الإمام عليه السلام: نعم عندما رأى مقلّدة اليهود علمائهم يأخذون الرشوة فيغيّرون أحكام الله سبحانه ويبدلون حلاله حراماً وحرامه حلالاً، ويأخذون الأموال فيجعلون الحدّ على الغني الزاني بمحصنة مائة جلدة وعلى الفقير يجرون عليه حكم الله تعالى وهو القتل، فقد ذمّ الله مثل هؤلاء المقلّدة، وكذلك المسلمون إذا رأوا

علمائهم يأخذون الأموال ويغيّرون أحكام الله تعالى ومع ذلك يقلّدونهم يكونون مشمولين بهذا الذمّ ولكن إذا رأوا علمائهم يعملون بأحكام الله ولا يبدّلونها فلا يشملهم الذم المذكور. إن أحد أسباب احترام الأمة الموافق منها والمخالف لأهل البيت عليهم السلام هو أنهم شاهدوا أقوالهم وأعمالهم واحدة يصدّق بعضها بعضاً يقول مالك بن أنس أحد أئمة المذاهب الأربعة في حق الإمام الصادق عليه السلام: ليس لأحد علم وفضل وورع جعفر، لا رأت عين ولا سمعت أذن مثل جعفر بن محمد. عندما يؤتى باسم النبي صلى الله عليه وآله يتغيّر لونه وترتعد فرائصه. وذات مرّة حينما أحرم الإمام عليه السلام في مسجد الشجرة وأراد التلبية خنقته العبرة وبكى بكاءً شديداً، فقيل له: ما هذا يا ابن رسول الله؟ فقال عليه السلام: كيف أقول «لبيك» ولعلّه تعالى يجيبني «لا لبيك ولا سعديك». وذات يوم فقد شخص كيس نقوده وفي الطريق صادف الإمام الصادق عليه السلام فقال له: أنت الذي أخذت كيس نقودي. فقال عليه السلام له: وكم من المال كان فيه؟ فقال الرجل: المقدار الفلاني. فأعطاه الإمام مالاً بقدر ما قال. ثم ان الرجل عثر على كيس نقوده فرجع إلى الإمام معتذراً وأرجع له نقوده ولكن الإمام عليه السلام أبى أن يسترجعها منه.

إن الله عزّ وجل قد جعل آثاراً لجميع العبادات الواجبة والمستحبة والكبيرة والصغيرة في قلب الإنسان وجوارحه. وبهذا النحو أيضاً تظهر آثار المعصية على الإنسان. وفي هذا الطريق جعلك الله تبارك وتعالى طبيب نفسك ودلّك على دواء دائك. فانظر كم يحترق قلبك على نفسك. لقد سلّطت عدوك على ضميرك وقلبك ونفسك وجعلته قريناً لك. الطريق صعب وطويل، ولكن لا سبيل إلاّ طي الطريق. إذا واظب الإنسان على مراقبة نفسه مدّة معينة في طريق عبادة وإطاعة أوامر الحق جل جلاله فسيرى آثار ذلك ظاهرة عليه،

وما ذكر في الأخبار عن ذلك ستجد نفسك مصداقاً له وستحس بالتغيّر والتحوّل في داخل نفسك، ولا يستطيع بعد ذلك أهل الشبهات القاء الشكوك والشبهات في نفسك. فإذا أخلص الإنسان العبادة لله أربعين يوماً أخرج حبّ الدنيا من قلبه وأجرى الحكمة في فؤاده: «مَن أخلص قلبه (عمله) لله أربعين صباحاً يجري الله ينابيع الحكمة في قلبه». وفي البدء عليه أن يهيّىء الرفيق والقرين لأن من سلك الطريق وحده تعرّض لمخاطر شديدة «الرفيق ثم الطريق». وعندما تكون مراقبة الطاعة ميسرة ويخرج حبّ الدنيا من القلب فالله عزّ وجلّ يعطي نوراً للإنسان. يوجد هذا النور أولاً في القلب ثم يسري هذا النور إلى باق الأعضاء والجوارح. وبالنتيجة يميل طبع الإنسان إلى العبادة ويتلذّذ بذكر الحقّ جلّ وعلا وينفر من المعاصي ويهرب من الباطل. وإذا ارتكب معصية مهما كانت صغيرة فسيكون أثرها على القلب كالغبار على المرآة الصافية، وإن عمل طاعة أحس بخفة ونشاط: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون﴾[1]. وعلى هذا المنوال عندما يكون القلب مظلماً من كثرة المعاصي فإن الأعضاء والجوارح ستتثاقل عن الطاعة والعبادة، ولا يقدر على النهوض أثناء السحر، ويتنفر عن بذل ماله ونفسه في سبيل الله، ولا يلتذّ عند سماع كلام الله تعالى.

كان الكلام في أن أهم أعمال عباد الرحمن وعمدتها هو التفكر في الليل، وذكرنا أنّ الشرط الرئيسي للتفكير الصحيح هو التسليم والطاعة لأمر الله تعالى، وذكرنا أيضاً أن الموضوع الأول للتفكير الصحيح هو التمييز بين الحق والباطل. ومن جملة موضوعات التفكير عند عباد الرحمن هو نتيجة وحاصل أفعالهم وأمورهم. فمثلاً من

(١) سورة السجدة: الآية ١٦.

قضى سنوات من عمره في طلب العلم وتحمل في سبيل ذلك المشاق يجب أن ينظر ما هي نتيجة عمله؟ هل وجدت فيه صفات أهل العلم؟ وهل زاد فيه الخضوع والخشوع والتواضع للحق؟ **﴿إنّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّداً * ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولا﴾**[1] ويقول أيضاً في وصف أهل العلم: **﴿ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾**[2]. وإذن فإذا لاحظ أن هذه الصفات غير ظاهرة فيه فليعلم أنه لم يجنِ سوى الضرر والخسران وضياع العمر، اللهمَّ إلاّ حفظ مجموعة من الاصطلاحات. عندما ظهر قارون بزينته على قومه قال الجهلاء والعلماء من قوم موسى (ع): **﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلاّ الصابرون﴾**[3] فإذا كان الله عزّ وجلّ قد أخرج حبّ الجاه والمال من قلبك ووفّقك لترك المعاصي وأداء الطاعات فكن عبداً شكوراً واعلم أنك داخل في زمرة العارفين. وأمّا إذا كان علمك قد مال بك إلى الدنيا أكثر فاعلم أن هذا ليس علماً وإنما هي حفنة من المحفوظات. ويجب على الإنسان أن يلاحظ ما هي نتيجة وحاصل عمره؟ ولأجل ماذا جاء إلى الدنيا؟ وإذا لا سمح الله خرج من الدنيا بهذه الخيالات فماذا سيكون مصيره؟ إنّ تفكيراً كهذا يساوي عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وأولئك الذين تفكروا بشكل صحيح بتفكير ساعة رفعوا أيديهم عن المال والعيال والنفس ووصلوا إلى لقاء المحبوب. والحر ابن يزيد الرياحي قائد جيش ابن زياد كان أحد هؤلاء الذين وقفوا بأنفسهم وأموالهم وجاههم في سبيل الحق.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٩.
(٣) سورة القصص: الآية ٧٩ ـ ٨٠.

ومن موضوعات التفكير الأخرى عند عباد الرحمن موضوع (حق الله) وهو شامل أيضاً لحق النبي (ص) والأئمة (ع). فالعبادة حق لمقام الربوبية والتسليم واطاعة الأوامر وترك المعاصي، في نفس الوقت الذي تكون داخلة فيه في العبادة ومن جملة حقوق مقام الربوبية فهي أيضاً تعد من حقوق النبي (ص) والأئمة، ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[1] وينبغي أن يُعلم بأن معصية الله هي معصية للرسول (ص) والأئمة (ع) أيضاً. وهكذا قالوا: لا تؤذوا النبي (ص) والأئمة (ع) بارتكابكم المعاصي، لأن هذا حق الرسالة والوصاية. وبالإضافة إلى هذا الحق هناك حق آخر وهو حق الولاية وأساساً أن كل الدنيا ونعمها وكل ما في الآخرة هو لأجل وجود محمد (ص) وآل محمد (ع) وباقي الموجودات في بركات وجودهم. ومثالهم كمثل الشجرة الجميلة ذات القيمة النادرة داخل بستان وقد ضرب حولها طوقاً لحمايتها وزرع في أطراف ذلك الطوق أعشاب. فإذا سُقيت هذه الأعشاب ماءً فبفضل وجود تلك الشجرة. والأوضح من هذا أن لهم عليهم السلام سلطنة على جميع عوالم الوجود، ومن هذا القبيل حق النبي (ص) والأئمة (ع) في التصرّف بأنفس المؤمنين وأموالهم: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾[2] ويجب على المؤمنين التسليم المطلق مقابل أوامرهم: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما**﴾[3] ويقول أيضاً: ﴿**وآت ذا القربى حقّه**﴾[4] فليس مقصود الآية

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦.
(٣) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

الشريفة هو اعطاء الخمس لهم فقط، بل يجب أداء جميع حقوق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلّم. والمرتبة الأولى من أداء حقوقهم هو إظهار حكمهم، ثم تبيان وصايتهم وعظيم مقامهم ومنزلتهم وابلاغها إلى الآخرين. وليس الخمس فقط بل بذل الأموال والأنفس والأولاد في طريقهم. ولا تقل أبداً أن يدي لا تصل إلى أطراف ثوب الإمام عليه السلام ولا أستطيع أداء خدمة له لأنهم قالوا: عندما لا تستطيعوا الوصول إلينا فاخدموا أولادنا والعلماء السائرين على خطنا. وقالوا أيضاً: إذا لم تستطيعوا المجيء إلى زيارتنا فزوروا إخوانكم المؤمنين فهو بمنزلة زيارتنا.

ويجب طلب التوفيق من الله تبارك وتعالى لمعرفة مقام الولاية ورعاية حقوق الأئمة عليهم السلام لأننا نرى حتى كبار أصحابهم عليهم السلام يضطربون في ذلك. جاء جابر الجعفي إلى الإمام الباقر عليه السلام وشكى له ضيق الدنيا عليه. فقال له عليه السلام: ليس عندي حتى درهم واحد أعطيك إياه. وفي هذه الأثناء جاء الكميت الشاعر المعروف وبعد أخذ الإذن أنشد قصيدته للإمام عليه السلام، فأمر الإمام عليه السلام غلامه أن يأتي له بكيس من ذهب. وتكرر هذا العمل ثلاث مرات كلما قرأ الكميت قصيدة وهبه الإمام عليه السلام كيساً من ذهب. ولكن الكميت رفض هذه الأكياس وقال: ما نظمت هذه القصائد للدنيا. فأمر الإمام الباقر عليه السلام أن يرجع الأكياس إلى مكانها. فتحيّر جابر الجعفي. فرأى الإمام عليه السلام جابر وهو يضطرب فأخذه إلى الغرفة التي فيها أكياس الذهب، فاندهش جابر حينما رأى الغرفة خالية من الأكياس ومن الذهب ويحتاج الإنسان إلى مقام رفيع حتى لا يهتز حينما يرى مثل هذه الأمور ولا يخطر في قلبه الشك. وسلمان صاحب ذلك المقام السامي تحيّر عندما رأى علياً عليه السلام يذهب بتلك الخفة إلى المسجد وقال في نفسه: إنّه يحمل

الاسم الأعظم ولهذا يذهب هكذا! ولهذا السبب أصيب سلمان في أواخر عمره برقبته. وجابر بن عبدالله مع ذلك المقام الذي حمل فيه سلام النبي (ص) إلى الإمام الباقر عليه السلام وكان قد رأى ذلك اللوح السماوي الذي كانت أسماء وصفات الأئمة عليهم السلام مكتوبة فيه فإنه يأتي إلى الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في مكة المعظمة ويقول له صالح أنت أيضاً كأخيك. فقال الإمام (ع) إن النبي أمرني بما أفعل أتريد أن ترى النبي (ص)؟ ثم أشار إلى السماء. يقول جابر: فرأيت فجأة أن النبي (ص) والأمير وفاطمة والإمام المجتبى عليهم السلام قد أتوا وقال الرسول (ص): يا جابر لا تعترض على إمامك! ثم قال: هل تريد رؤية محل الأول والثاني والثالث والرابع في جهنم؟ وهل تريد أن تنظر إلى درجة الحسين (ع) في الجنة؟ ثم أراني كل ذلك.

والمصيبة الكبرى كانت الاشكالات التي أوردت على الإمام المجتبى عليه السلام عبارة «السلام عليك يا مذلَّ المؤمنين» كانت كلام موثقي الأصحاب وهو الذي كان يحمل نور النبي (ص) وعلي وفاطمة (ع) الصدقة التي تعرض لها من الصديق أكثر من تلك التي تعرض لها من العدو وكان يقول: لو لم أصالح لأسلموني لمعاوية موثق اليدين ومن ثم يطلق سراحي ويكون ذلك عاراً علينا. وتحمل كلام معاوية السيّء على المنبر كجبل من الوقار والحلم ومع أنه كان يرى كيف يلاحقون شيعة أبيه ويهدمون بيوتهم لكنه مع هذا صبر وبقي ساكناً لله.

الفهرس